بداية المستفيد
ونهاية المفيد
شرح كتاب التوحيد

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

د. محمد هشام طاهري

[نسخة خاصة بالدرس سيتم التعديل عليها]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا شرح مفيد لـ: «**كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد**» لمؤلفه الشيخ الإمام العلامة المجدد: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي -رحمه الله تعالىٰ- (١٢٠٦هـ).

وكتابه انتشر في الآفاق، وانتفع به كثير من الناس، وكان سببًا في إيقاظ النائمين الغافلين عن التوحيد الخالص الذي هو محض حق الله علىٰ خلقه.

ولهذا الكتاب شروح كثيرة، بين المسهب والموجز، والمكثر والمقل، ولكل شارح طريقة في الشرح[١]، فأردنا الإسهام في شرح هذا السفر العظيم، بكلام غير مسهب ولا موجز، وإنما جزل وسط، أردنا أن نقرب غاياته ومراده

---

(١) كما سيأتي ذكر الشروحات مستفيضة في الفصل الثاني من المقدمة (ص٧٥).

للطالب بشكل مبسط، بحيث تكتمل الاستفادة منه، وسميناه:

«بداية المستفيد ونهاية المفيد شرح كتاب التوحيد»

وكان منهجنا فيه علىٰ النحو التالي:

١- وضعنا في المقدمة: الافتتاحية، وبيان سبب التأليف وبيان منهج التأليف، ثم فصلين علىٰ النحو الآتي:

الفصل الأول: ترجمة المؤلف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الفصل الثاني: التعريف بالمؤلَّف «كتاب التوحيد».

٢- جعلنا نصوص الكتاب الأصلية في أول كل باب من أبواب الكتاب.

٣- قمنا بتخريج تلك النصوص في الهامش، وذلك علىٰ النحو التالي:

أ- عزونا الآيات إلىٰ مواضعها في كتاب الله تعالىٰ.

ب- إذا عزا المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث إلىٰ مصادر معينة من دواوين السنة فإننا نكتفي بها مع بيان الإحالة، مراعين الاختصار، وخصوصًا إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، وأما إذا لم يَعزُ المصنف الحديث إلىٰ مصدر معين فإننا نقوم بتخريجه من مصدر أو مصدرين أو أكثر من ذلك من كتب السنة.

٤- قمنا بتوثيق النقول التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من مصادرها الأصلية.

٥- وضعنا تمهيدًا في بيان حقيقة الباب وموضوعه، ويشتمل علىٰ:

أ- موضوع الباب.

ب- شرح ترجمة الباب.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب.

د- مناسبة الباب.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب.

٦- قمنا بشرح معاني المفردات بعد ذلك، فتصبح تلك المعاني بمثابة الشرح المختصر للنصوص.

٧- قمنا بكتابة أهم العناصر التي يدور حولها الباب، وسميناها: خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب، بشكل يسمح للطالب الاستفادة منها بشكل أكبر، كما حرصنا علىٰ ربط الطالب بالواقع، ما وجدنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

٨- قمنا باستخراج أهم الفوائد من الباب، وسميناها: خاتمة في المستفاد من الباب، وهي بمثابة إيجاز لما ورد فيه من موضوعات.

٩- وضعنا أسئلة بعد كل باب، حتىٰ يستفيد منه المبتدي، ويستذكر به المنتهي.

١٠- استفدنا في عملنا هذا من عدة شروح، وخاصة تعليقات الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز علىٰ «كتاب التوحيد»، وشرح العلامة الشيخ صالح الفوزان، و«الجامع الفريد» للشيخ عبد الله الجار الله، وغيرهم.

هذا ونسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يثقل لنا به الموازين، وأن ينفع به كل من قرأه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الانتهاء منه في الخامس والعشرين من شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفىٰ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتم تبييضه ومراجعته مرة أخرىٰ في (٢٣/ ١/ ١٤٢٧هـ).

وكتبه

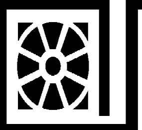
أ. د محمد بن عبد الرحمن الخميس   ود. محمد هشام طاهري

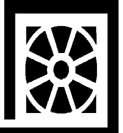
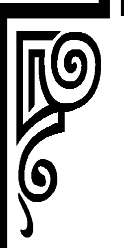


القسم الأول

ترجمة المؤلف والتعريف بالمؤلف

وفيه فصلان:



الفصل الأول: ترجمة المؤلف

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية:

أولًا: اسمه ونسبه.

ثانيًا: مولده وموطنه.

ثالثًا: أسرته.

رابعًا: وفاته.

المبحث الثاني: حياته العلمية:

أولًا: نشأته العلمية.

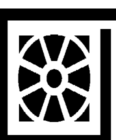
ثانيًا: أشهر شيوخه.

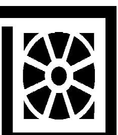
ثالثًا: أشهر تلامذته.

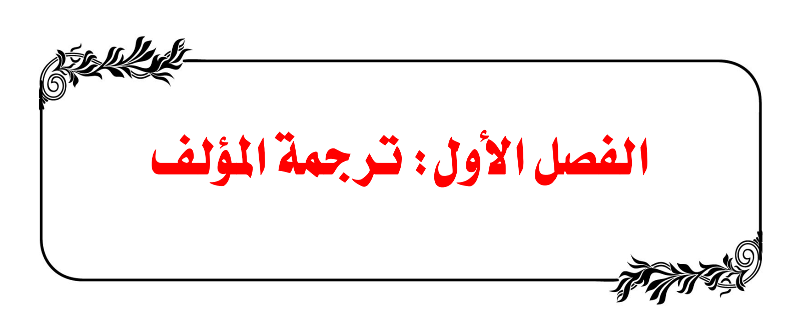
رابعًا: مؤلفاته.

خامسًا: دعوته الإصلاحية.

سادسًا: أهم الشبهات التي أثيرت حول دعوته الإصلاحية.



الفصل الأول: ترجمة المؤلف

المبحث الأول: حياته الشخصية

أولًا: اسمه ونسبه:

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرَّف.

وأسرة «آل مُشَرَّف» هي فرع من «آل وُهَبة» أحد بطون قبيلة «تميم» المشهورة في الجاهلية والإسلام[(١)].

ثانيًا: موطنه ومولده:

تذكر المصادر أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ولد في بلدة «العيينة» الواقعة شمال الرياض، ثم انتقل مع والده إلىٰ بلدة «حريملاء».

أما عن تاريخ ولادته؛ فقد أطبقت المصادر علىٰ أنه ولد في سنة (١١١٥هـ) الموافق لسنة (١٧٠٣م)[(٢)].

---

(١) انظر: «روضة الأفكار» (١/ ٢٥)، و«عنوان المجد» (١/ ١١٣)، و«تاريخ المملكة العربية السعودية» للعثيمين (١/ ٦١).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

ثالثًا: أسرته:

الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ينتمي إلىٰ أسرة كريمة اشتغلت بالعلم، وعرفت به، فأسرة «آل مُشَرَّف» التي منها الإمام أسرةٌ معروفة بالصلاح والعلم، فمنذ القرن العاشر الهجري بدأت ترد أسماء أفراد من الأسرة المذكورة بين علماء المنطقة[١].

وكان عبد القادر بن بريد بن مشرف قاضيًا مشهورًا[٢].

وكذلك أحمد بن محمد بن مشرف أحد تلاميذ العلامة موسىٰ الحجاوي في دمشق.

وكذلك سليمان بن علي جد الشيخ الإمام محمد كان من علماء القرن الحادي عشر، وكان قاضيًا في «سدير»[٣].

وكذلك عبد الوهاب بن سليمان والد الشيخ الإمام محمد كان علىٰ درجة علمية أهلته ليصبح قاضيًا في بلده «العيينة»[٤].

رابعًا: وفاته:

أجمعت المصادر التاريخية أن وفاة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) انظر: «الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره» (ص٢٦).

(٢) «عنوان المجد» (٢/ ١٩٤).

(٣) انظر: «عنوان المجد» (٢/ ١٩٤، ٢٠٨، ٢١٠)، والمصدر السابق.

(٤) انظر: «عنوان المجد» (٢/ ٢٣٨).

كان في «الدرعية» في آخر شهر شوال سنة (١٢٠٦هـ)، بعد عمر طويل مبارك قضاه في الدعوة والتعليم ونشر السنة؛ فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته[1].

❀❀❀

(١) انظر: المصادر السابقة.

المبحث الثاني: حياته العلمية

أولًا: نشأته العلمية:

نشأ شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب في بلدة «العيينة» في بيئة علمية، حيث ترعرع تحت رعاية والده، وكان والده من العلماء الصالحين، ومن جملة علامات صلاحه اهتمامه بتعليم أبنائه، وتهذيبهم منذ نعومة أظفارهم، ومن بينهم الإمام محمد.

وساعد علىٰ ذلك أنه بدا علىٰ الإمام علامات النجابة والذكاء منذ حداثة سنه، ونعومة أظفاره، وكان راجح العقل، شديد الملاحظة، قوي الإرادة، حاد الفكرة من صباه.

وقد استظهر الإمام القرآن الكريم قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة.

قال والده القاضي عبد الوهاب بن سليمان: «رأيته أهلًا للصلاة بالجماعة، وزوَّجته في ذاك العام».

اشتغل الإمام بدراسة الحديث الشريف، والتفسير، وذلك من صباه، ودرس علىٰ والده القاضي عبد الوهاب: الفقه الحنبلي، والتفسير، والحديث.

وكان من أهم ما تميزت به حياته العلمية، إكثاره واهتمامه بمطالعة كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

رحل الشيخ لأجل طلب العلم، والأخذ عن العلماء إلىٰ كل من: «مكة المكرمة»، و«المدينة النبوية»، و«البصرة»، و«الإحساء»، بل وأراد الذهاب إلىٰ الشام لولا الموانع.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن(١): «إنه نشأ في طلب العلم، وتخرج علىٰ أهله في سن الصبا، ثم رحل لطلب العلم للبصرة مرارًا، وللأحساء، ثم إلىٰ المدينة...

فظهر شيخنا بين أبيه وعمه؛ فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي، وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل علىٰ بعض الروايات عن الإمام أحمد، والوجوه عن الأصحاب؛ فتخرج عليهما في الفقه، وناظرهما في مسائل قرأها في «الشرح الكبير»، و«المغني»، و«الإنصاف» لما فيهما من مخالفة ما في متن «المنتهىٰ»، و«الإقناع».

وعلت همته إلىٰ طلب التفسير، والحديث، فسافر إلىٰ البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فأظهر الله له من أصول الدين ما خفي علىٰ غيره، وكذلك ما كان عليه أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات والإيمان...

---

(١) «الدرر السنية» (٩/ ٢١٥).

فصنف في البصرة «كتاب التوحيد» الذي شهد له بفضله بتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث.

ثم إن شيخنا -رحمه الله تعالىٰ- بعد رحلته إلىٰ البصرة وتحصيل ما حصَّل بـ«نجد»، من هناك رحل إلىٰ «الأحساء»، وفيها فحول العلماء منهم: عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم ما سر به، وأثنىٰ علىٰ عبد الله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد.

وحضر مشايخ «الأحساء»، ومن أعظمهم: عبد الله بن عبد اللطيف القاضي، فطلب منه أن يحضر الأول من فتح الباري علىٰ البخاري، ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا أمر مشهور يعرفه أهل «الأحساء»، وغيرهم من أهل «نجد».

ثم إن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجع من «الأحساء» إلىٰ «البصرة»، وخرج منها إلىٰ «نجد» قاصدًا الحج، فحج -رحمه الله تعالىٰ-.

وقد تبين له بما فتح الله تعالىٰ عليه ضلال من ضل باتخاذ الأنداد وعبادتها من دون الله في كل قطر وقرية إلا أن يشاء الله.

فلما قضىٰ الحج وقف في الملتزم وسأل الله تعالىٰ أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول بين الناس، فخرج قاصدًا «المدينة» مع الحاج فضربوه وسلبوه، وأخذوا ما معه، وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع

الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها؛ فأقام بها، وحضر عند العلماء إذ ذاك منهم: محمد حياة السندي، وأخذ عنه كتب الحديث إجازة في جميعها، وقراءة لبعضها، ووجد فيها بعض الحنابلة؛ فكتب كتاب الهدي[١] لابن القيم بيده، وكتب متن البخاري، وحضر في النحو، وحفظ ألفية ابن مالك، حدثني بذلك حماد بن حمد عنه رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، ثم رجع إلىٰ «نجد» وهم علىٰ الحالة التي لا يحبها الله».

ثانيًا: أشهر شيوخه:

ذكرنا من قبل أن شيخ الإسلام الإمام محمد اتصل بالعلماء منذ حداثة سنه؛ فتلقىٰ عن والده، وشيوخ بلدته، ورحل في سبيل العلم وتحصيله إلىٰ مدائن العلم في زمانه؛ وحصل شيوخًا من أشهرهم:

١- الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي، وهو والد الشيخ الإمام.

٢- الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي.

٣- الشيخ عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسىٰ البصري.

٤- الشيخ العالم عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف.

٥- الإمام المحدث محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني.

٦- الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الشافعي.

---

(١) يعني: «زاد المعاد في هدي خير العباد» وهو في خمس مجلدات كبار.

٧- الشيخ علي أفندي بن صادق الحنفي الداغستاني.

٨- الشيخ عبد الكريم أفندي الداغستاني.

٩- الشيخ عثمان الديار بكري.

١٠- الشيخ شهاب الدين الموصلي قاضي البصرة.

١١- الشيخ حسن الإسلامبولي البصري.

١٢- الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي.

١٣- الشيخ زين الدين المغربي.

١٤- الشيخ حسن التميمي.

١٥- الشيخ محمد المجموعي[(١)].

وغيرهم.

قال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي[(٢)] موضحًا استفادة الشيخ من العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم آل سيف: «فأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيرًا من العلم، وأحبه الشيخ عبد الله، وكان به حفيًّا، وبذل جهدًا كبيرًا في تثقيفه وتعليمه.

وكان من أكبر عوامل توثيق الروابط بينهما، وتمكين المحبة، توافق أفكاره

(١) انظر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ١٦١-١٦٢).

(٢) كتاب «الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب» لابن حجر (ص١٥-١٦).



ومبدئه مع تلميذه في عقيدة التوحيد، والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من عقائد باطلة، وأعمال زائفة.

واستفاد الشيخ من مصاحبته فوائد عظيمة، وأجازه الشيخ عبد الله بالحديث المشهور والمسلسل بالأولية «**الراحمون يرحمهم الرحمن**» من طريقين:

أحدهما: من طريق ابن مفلح عن شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وينتهي إلىٰ الإمام أحمد.

والثاني: من طريق عبد الرحمن بن رجب عن العلامة ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام، وينتهي أيضًا إلىٰ الإمام أحمد.

كما أجازه الشيخ بكل ما في ثبت الشيخ عبد الباقي الحنبلي شيخ مشايخ وقته، قراءة وعلمًا وتعليمًا: صحيح البخاري بسنده إلىٰ مؤلفه، وصحيح مسلم، وشروح الصحيحين، وسنن الترمذي، والنسائي، وأبي داود، وابن ماجه، ومؤلفات الدارمي، بسنده المتصل إلىٰ المؤلف.

ومسند الإمام الشافعي، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، إلىٰ غير ذلك مما ثبت في ثبت الشيخ عبد الباقي.

ثم وصل الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف حبل الشيخ محمد بحبل المحدث الشيخ محمد حياة السندي، وعرفه به، وما هو عليه من عقيدة صافية، وبما تجيش به نفسه من مقت الأعمال الشائعة في كل مكان من البدع، والشرك الأكبر والأصغر، وأنه إنما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم، وسعيًا إلىٰ

الاستزادة من السلاح الديني القوي، الذي يعينه علىٰ ما هو مصمم عليه من القيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله».

ثالثًا: أشهر تلامذته:

أخذ عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب خلق كثير.

قال ابن بشر[(١)]: «وأخذ عن الشيخ من القضاة ممن لا يحضرني الآن عده عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يَلِ القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الجم الغفير».

وقال ابن ضويان[(٢)]: «وأخذ عنه العلم الجم الغفير والكثير، قام منهم العلماء وكثر فيهم النبلاء، فمن ولي القضاء من تلامذته يبلغون مائتين».

وفيما يلي أشهر تلامذته[(٣)]:

١- الشيخ حسين ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٤هـ)[(٤)].

٢- الشيخ عبد الله ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية، وتوفي بمصر سنة (١٢٤٢هـ)[(٥)].

---

(١) «عنوان المجد له» (١/ ٩٤-٩٥).

(٢) «دفع النقاب عن تراجم الأصحاب» ترجمة (٦١٠).

(٣) انظر: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١/ ١٨٥).

(٤) «الدرر السنية» (١٢/ ٤٦)، «مشاهير علماء نجد» (ص٢٨).

(٥) «عنوان المجد» (١/ ٩٣)، «الدرر السنية» (١٢/ ٤٥)، «مشاهير علماء نجد» (ص٢٨).

٣- الشيخ علي ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وكان يضرب به المثل في الورع بالدرعية.

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف[(١)]: «الغالب علىٰ الظن أن الشيخ عليًّا توفي سنة (١٢٤٥هـ) بمصر».

٤- الشيخ إبراهيم ابن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[(٢)]: «لم أقف له علىٰ وفاة، ولكنه موجود سنة (١٢٥١هـ) في مصر، وتوفي فيها».

٥- الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، توفي في مكة المكرمة سنة (١٢٢٥هـ)[(٣)].

٦- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الحصيني الناصري التميمي، المتوفىٰ سنة (١٢٣٧هـ)[(٤)].

٧- الشيخ سعيد بن حجي، المتوفىٰ سنة (١٢٢٩هـ)[(٥)].

٨- الشيخ محمد بن عبد الله بن سويلم العريني، قاضي «الدِّلَم»[(٦)].

---

(١) «مشاهير علماء نجد» (ص٥١)، «الدرر السنية» (١٢/ ٤٧).

(٢) «الدرر السنية» (١٢/ ٤٦).

(٣) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، «الدرر السنية» (١٢/ ٤٧).

(٤) «عنوان المجد» (١/ ٢٣٢-٢٣٤)، «الدرر السنية» (١٢/ ٥٠).

(٥) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» لابن بسام (٢/ ٢٥٨).

(٦) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ١٧١-١٧٢)، ولم يعرف له تاريخ وفاة.

٩- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خميس، الإمام في قصر آل سعود[١].

١٠- الشيخ محمد بن سلطان العوسجي، توفي في «الأحساء» سنة (١٢٢٣هـ)[٢].

١١- الشيخ عبد الرحمن بن نامي، قاضي «العيينة»، ثم «الأحساء»، ولما دخل أمراء إبراهيم باشا «الأحساء» سنة (١٢٣٤هـ) قتلوا الشيخ ظلمًا وعدوانًا[٣].

١٢- الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا حسين، تولىٰ القضاء في عدة مدن[٤].

١٣- الشيخ حسن بن عبد الله بن عيدان المشرفي، المتوفىٰ سنة (١٢٠٢هـ)[٥].

١٤- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سويلم، توفي في «بريدة» سنة (١٢٤٤هـ)[٦].

١٥- الشيخ أحمد بن راشد العريني، قاضي «سدير».

---

(١) المصدر السابق، وذكر البسام أنه لا يعرف له تاريخ وفاة، إلا أنه رجح وفاته قبل سقوط الدرعية؛ كما في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ١٦٩).

(٢) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «عنوان المجد» (١/ ٩٤، ٢١٢، ٢١٣)، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٦/ ٣٢-٣٣).

(٤) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، وقال البسام: «لم أقف علىٰ تاريخ وفاته»، «علماء نجد» (٣/ ١٢١-١٢٢).

(٥) «عنوان المجد» (١/ ٩٤)، «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٢/ ٥١-٥٢).

(٦) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٣/ ٤٤٣-٤٤٤).

١٦- الشيخ حمد بن إبراهيم، قاضي «مرات»، و«صهره».

١٧- الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

١٨- الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين، قاضي «الوشم»(١).

رابعًا: مؤلفات الإمام:

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في ترجمة الإمام في الجزء الثاني عشر من «الدرر السنية»، مؤلفاته، فذكر منها:

١- كتاب «التوحيد» (وهو الكتاب الذي قمنا بشرحه).

٢- كتاب «كشف الشبهات».

٣- كتاب «أصول الإيمان».

٤- كتاب «فضائل الإسلام».

٥- كتاب «فضائل القرآن».

٦- كتابة «السيرة المختصرة».

٧- كتاب «السيرة المطولة».

٨- كتاب «مجموع الحديث علىٰ أبواب الفقه».

٩- كتاب «مختصر الإنصاف والشرح الكبير».

١٠- كتاب «مختصر الصواعق».

---

(١) انظر: «علماء نجد خلال قرون» (١/ ١٦٧-١٦٨).

١١- كتاب «مختصر فتح الباري».

١٢- كتاب «مختصر الهدي»، وهو «مختصر زاد المعاد».

١٣- كتاب «مختصر العقل والنقل».

١٤- كتاب «مختصر المنهاج».

١٥- كتاب «مختصر الإيمان».

١٦- كتاب «آداب المشي إلىٰ الصلاة»[(١)].

١٧- «أحاديث الفتن».

١٨- «مسائل الجاهلية».

١٩- «الكبائر»[(٢)].

٢٠- «الأصول الستة».

٢١- «القواعد الأربعة».

خامسًا: دعوته الإصلاحية[(٣)]:

أ- حالة المسلمين عند ظهور دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

ذكر المؤرخون مثل: ابن غنام، وابن بشر، وغيرهما، حالة أهل نجد خصوصًا، والعالم الإسلامي عمومًا؛ فذكروا الشيء الكثير من ظهور البدع والخرافات

---

(١) وانظر كتاب: «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» (١/ ١٩١).

(٢) انظر: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ١٤٩-١٥٠).

(٣) انظر: كتاب «من مشاهير المجددين في الإسلام» للشيخ د. صالح الفوزان (ص٧٩-٨٣).

والجهل والشركيات، والبعد عن الدين المنزل المؤيد بالآيات، ففي نجد كانت القبور والأشجار والأحجار والمغارات تعبد مع الله تعالىٰ بأنواع من القربات، ويظنون أن ذلك هو دين الإسلام، وهكذا في باقي مدن الإسلام، ولم يسلم من هذه البلية التي طمت البشرية إلا بقايا من العلماء وأهل الفطر السوية من الغوغاء، وهم نَزْر يسير.

ب- بدء دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

في تلك الفترة التي كان الشرك قد عم، والبدع قد زخرفت، سطعت دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، فبدأ بدعوته في قريته، ثم ما لبث أن جهر برفع راية التوحيد؛ فقال للناس: هذا شرك، وهذا توحيد، وهذه سنة وتلك بدعة.

فقام بدعوة الناس إلىٰ التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل من أجله الكتب، ورَغَّبهم في السنن، وحَذَّرهم من البدع.

قال تلميذه وحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «ثم رجع إلىٰ نجد وهم علىٰ الحالة التي لا يحبها الله، ولا يرضاها، من الشرك بعبادة الأموات، والأشجار، والأحجار، والجن؛ فقام فيهم يدعوهم إلىٰ التوحيد، وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله، وأن يتركوا ما كانوا يعبدونه من قبر، أو طاغوت، أو شجر، أو حجر، والناس يتبعه الواحد منهم والاثنان، فصاح به الأكثرون وحذروا منه الملوك وأغروهم بعداوته»[1].

---

(١) «الدرر السنية» (٩/ ٢١٦).

ج- المراحل التي مرت بها دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

كان بَدْءُ دعوة الشيخ بالمرحلة الخاصة التي كان يبديها لخواصه، سواء كان في بلدته، أو في مكة مع مشايخه، أو في المدينة مع أساتذته، ثم أظهر ذلك أكثر في البصرة في سفرته الأخيرة، وكذلك في الأحساء.

وقد أدرك الإمام أن الدعوة لابد لها من مساند، وليس لغريب مساند، فرجع إلىٰ أهله في حريملاء لوجود والده فيها فبدأ الدعوة من هناك.

ولم تكن الظروف مواتية للدعوة في حريملاء فترك هذه البلدة، وتوجه إلىٰ غيرها؛ فاتجه إلىٰ بلدة العيينة مسقط ولادته، واتصل بأميرها عثمان بن معمر؛ فساعده في أول الأمر، واجتمع حوله طلبة العلم، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية، فأقام حد الزنا بتفويض من الأمير؛ وهدم بعض القباب الشركية.

ثم إن ابن معمر تخلىٰ عنه خوفًا بعد تهديدات بعض أمراء المناطق الآخرين، فأخرج الشيخ من العيينة، بل أرادوا قتله وغيلته في الطريق، لكن الله حفظه، فتوجه الشيخ إلىٰ بعض طلابه في الدرعية، واتصل بأميرها محمد بن سعود وعرض عليه دعوته؛ فقبلها وبايعه علىٰ مناصرته، وصدق في ذلك، وهنا استقر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقام بالدعوة خير قيام، قام يدعو إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، واتباع الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعمله، ولسانه، وقلمه، وجهاده؛ واستقر الأمر للإمامين فصارت الدرعية درعًا للموحدين، وقام الشيخ بتعليم الناس، ووفد إليه الطلاب من كل صوب وحدب، وصارت هذه البلدة بلدة العلم والتوحيد والسنة؛ وصارت الولاية مستقرة بيد أميرها الإمام محمد بن سعود، والتوجيه

العلمي والإرشاد الديني للإمام محمد بن عبد الوهاب.

امتدت الدعوة إلىٰ البلاد المجاورة، وأصبح المعارضون يمنعون نشر الدعوة الحقة؛ فقام الإمامان بنشر الدعوة عن طريق الجهاد، فأقاموا التوحيد، وهدموا أضرحة الشرك، وتوحدت في مدة يسيرة جميع البلدان النجدية تحت راية التوحيد.

وامتدت الدعوة إلىٰ بلاد الحجاز، وعسير، وشمال الجزيرة، وكان ذلك بفضل الله تعالىٰ، ثم بمؤازرة الإمامين، وقيامهم بحق الله تعالىٰ في التوحيد والاتباع، وصدق الله وعده، وأنجز قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠].

د- ثمرات دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وآثارها:

كل عمل تعرف قيمته بطيب أصولها، وأعلام نشأتها، ونفح ثمراتها، وزكاء آثارها، ولما كانت دعوة الإمام قائمة علىٰ أصلين عظيمين: الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وأعلامها أئمة مشهورون، وبالعلم معروفون، كانت ثمرتها يانعة، وآثارها طيبة.

ومن أهم هذه الآثار:

١- تصحيح العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع والخرافات، وإرجاعها إلىٰ ما كانت عليه في عهد خير القرون، عقيدة مبنية علىٰ الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة.

٢- من أهم دلائل مباركة الله تعالىٰ لهذه الدعوة بقاؤها -مع ما حيكت لها

من مصائب، ومع ما اجتمع عليها الأعداء- علىٰ مر قرون ثلاثة متتالية، ولله الحمد والمنة، ونسأل الله تعالىٰ أن يبقي دولة التوحيد شامخة بالتوحيد، عالية رافعة للسنة.

٣- امتداد هذه الدعوة في الجزيرة العربية، بل وامتدت إلىٰ أرجاء المعمورة، وصار الموحدون متميزين في كل قطر ومصر؛ في الشام، واليمن، ومصر، والمغرب العربي، وإفريقيا، والسودان، واليمن، والعراق، والهند، وباكستان، وأندونيسيا، وغيرها.

٤- ظهور التحرر من ربقة التقليد الأعمىٰ، فانتشر التعليم في المساجد، تعليم الكتاب والسنة، وما يتعلق بهما من علوم شرعية أصلية أو مساعدة، وتخرج أفواج من العلماء الصلحاء للقضاء والدعوة والإمامة علىٰ يد المؤسس الإمام محمد بن عبد الوهاب، وعلىٰ يد تلاميذه، ثم أسست الدولة المباركة الجامعات الإسلامية التي قامت بدور متميز في إحياء العلوم الشرعية، والدراسات الإسلامية العالية، وانتشر الدعاة المسلحون بالعلم الشرعي في أنحاء المعمورة بفضل هذه الجامعات المباركة.

٥- نشاط حركة التأليف والنشر؛ فقد قام علماء هذه الدعوة، وأئمتها، بنشر الكتب والرسائل الكثيرة في الأصول والفروع، ومن ذلك:

- مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة، في الفقه، والعقائد، والتفسير، والحديث، والسيرة.

- مجموع الفتاوىٰ والرسائل لعلماء الدعوة النجدية.

- كتب الردود التي ألفها أئمة الدعوة في الرد علىٰ خصوم دعوة التوحيد، من الرافضة، والمتصوفة، والأشاعرة، والعقلانيين وغيرهم.

- نشر كتب السلف وتوزيعها علىٰ المسلمين في موسم الحج وغيره، خصوصًا كتب شيخي الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم، علاوة علىٰ نشر كل مفيد.

الرسائل الجامعية المقومة المؤصلة التي تهتم بعقيدة السلف، ومنهجهم، وفقههم.

سادسًا: الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام الإصلاحية:

أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية شبهات كثيرة أجاب عليها الشيخ، وكذلك تلامذته من بعدهم.

لكننا سنقتصر علىٰ أهم الشبهات التي أثيرت فيما يتعلق بموضوع الكتاب، ألا وهو حقيقة التوحيد، وأنواعه، وخاصة توحيد الألوهية، مستفيدين من كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترىٰ عليه» للقاضي العلامة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي.

الشبهة الأولىٰ: إنكار أن يكون توحيد الألوهية من أقسام التوحيد:

يقول مخالفو الدعوة من الخرافيين والقبوريين: إن تقسيم التوحيد إلىٰ: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. هذا لم يقله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، فتوحيد الربوبية هو نفس توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية هو نفس توحيد

الربوبية، وأن أول من قسم هذا التقسيم هو ابن تيمية، وتبعه علىٰ ذلك محمد بن عبد الوهاب، وبناء علىٰ هذا التقسيم كفَّروا من يتوسلون ويستغيثون بالأنبياء والصالحين، ويطلبون منهم قضاء الحاجات، ويقولون: إنهم مشركون.

وتشبث هؤلاء الخرافيون بشبهٍ، هي:

١- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لم يذكروا هذا التقسيم.

٢- قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤].

٤- حديث سؤال الملكين: إن الملكين يقولان لمن وضع في قبره: «من ربك؟». ولا يقولان: من إلهك؟ ولو كان بين الإله والرب فرق لما اقتصرا علىٰ السؤال عن أحدهما؟

والجواب عن الشبهة الأولىٰ من أوجه:

١- من قال: إن تقسيم التوحيد لم يرد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ يقال له: إن ترد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل به لا لفظًا ولا معنًىٰ؛ فهذا باطل؛ فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله...**» الحديث[1]، وهذا هو توحيد الألوهية، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه علموا الداخلين في الإسلام بألَّا يعبدوا إلَّا الله، وهو ما نريده.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، (ح٢٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب أمرت أن أقاتل الناس...، ح(٢٢).

وأكثر القوم كانوا معترفين بالربوبية؛ فكانوا عارفين بمعاني الألفاظ لا يحتاجون إلىٰ تفرقة؛ فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، عرفوا ما تدل عليه الجملة الأولىٰ والثانية، وأنت حين توازن بين قوله تعالىٰ إخبارًا عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، يظهر لك ما قلناه بجلاء ووضوح.

علىٰ أنه لا يضرنا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه لم يصطلحوا هذا الاصطلاح؛ لأنا نقول: تؤخذ الأشياء بمعانيها، ولا يلزم أن يكون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يمشون علىٰ النهج المصطلح عليه.

وغاية قولنا: أن معنىٰ الرب في اللغة غير معنىٰ الإله، فيدل الأول علىٰ الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، ويدل الثاني علىٰ المعبود بحق أو باطل.

٢- إن لم يقسم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام فلم يحصره في قسم واحد -كما تزعم- ومعنىٰ الألفاظ الواردة في القرآن والسنة، واللغة، تساعدنا علىٰ ذلك، وليس معك ما يناصرك علىٰ دعواك، والسؤال في الآية التي أوردتموها عن التوحيدين، قال تعالىٰ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ سؤال عن الربوبية والرب، ثم قال بعدها مباشرة: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣]؛ فهذا نهي عن اتباع الآباء في الشرك؛ فالآية فيها إثبات الربوبية، والثانية فيها التحذير من الشرك في الطاعة، ويتضمن الأمر بتوحيد الله وحده لا شريك له،

فالتوحيدان متغايران.

٣- **نقول**: ليس النزاع علىٰ الألفاظ؛ فهبوا أن الرب يطلق علىٰ الإله لغة، فهل يدل هذا علىٰ أن توحيد الألوهية الذي يراد منه إفراده بالعبادة هو توحيد الربوبية الذي يُراد منه الإيمان بأن الله خالق كل شيء، بيده كل شيء، يا ليت هؤلاء يهتدون إلىٰ محل النزاع.

٤- **أما الجواب عن حديث سؤال الملكين، وأنهما يقولان للمقبور: «من ربك»**[1] إلخ؛ فنقول:

أولًا: قرر العلماء أنه إذا أطلق لفظ الرب فإنه يشمل معنىٰ الربوبية والألوهية، وكذلك العكس، كلفظ الفقير والمسكين، فإذا أطلق الفقير دخل المسكين في المعنىٰ، ولكن يفترقان في المعنىٰ إذا أفرد الرب بلفظ والإله بلفظ، وكذلك الفقير والمسكين، والإيمان والإسلام، ولهذا يقال: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

ثانيًا: إن الملائكة تسأل الميت عن ثلاثة أشياء: عن الرب، والرسول، والدين، ولا شك أن السؤال عن الرسول التصديق له هو سؤال عن كل شيء جاء به، ومنه توحيد الألوهية، وأن السؤال عن الدين والإقرار بالإسلام يشمل السؤال عن كل ما هو دين، ومنه أن لا إله غير الرب؛ فالإيمان بذلك هو إيمان

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب السنة، باب المسألة في القبر، (ح٤٧٥٣)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة إبراهيم، (ح٣١٢٠)، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

بذاك؛ فقولهم: إن السؤال كان عن الرب فقط غلط فاحش.

ثالثًا: هناك أدلة كثيرة في الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية، ومنها:

أ- الألوهية هي العبودية لله تعالىٰ بالصلاة وسائر الطاعات، وأما الربوبية فهي: إثبات ملكية الله تعالىٰ للعالم، وتصرفه فيه، وإيجاده له، ولا ريب أن توحيد أحد الأمرين المتباينين غير توحيد الأمر الآخر المباين؛ ولا ريب أن هذا معلوم في اللغة والشرع؛ فلا وجه لإنكاره.

ب- إن القول بأنه لا فرق بين الربوبية والألوهية يعني: أنه لا فرق بين حقيقتيهما لا اسميهما؛ فقولهم هذا يتناول ثلاثة معان:

أحدها: أن يكون الشيئان شيئًا واحدًا، وهذا هو قول النصارىٰ في التثليث، حيث يقولون: الثلاث يساوي الواحد.

والثاني: أن يكونا شيئين لكنهما متلازمان، فيقال: من أين اكتسب التلازم بينهما، والصواب: أن توحيد الربوبية يقتضي توحيد الألوهية، ولهذا فإن الله تعالىٰ يذكر ربوبية ويأمرهم بألوهية؛ لأن مقتضىٰ الربوبية هو الألوهية، ولا ريب أن الألوهية متضمنة للربوبية؛ إذن بينهما دلالة اقتضاء من جهة، وتضمن من جهة، وأما أنهما متلازمان فلا.

والثالث: أنه ليس هناك توحيد عبادة وألوهية، ولا شيء يسمىٰ بهذا الاسم، وإنما التوحيد هو توحيد الربوبية، وهو الإيمان بأن الله خالق الكون ومالكه فقط!

وهذا باطل ضرورة، وباتفاق المسلمين؛ فإنه لم يقل أحد من المسلمين: إن الإيمان بأن الله هو الخالق ينجي العبد من العذاب ويجعله مؤمنًا.

ج- التأله والتعبد، من فعل العباد؛ فإذا قيل: فلان أتىٰ بتوحيد الألوهية؛ فهذا يعني أنه عبد الله وحده؛ لأن «الألوهية» من «أَلَه؛ إذا عبد» فالعبادة من العبيد للرب تعالىٰ، وأما «الربوبية» فهو فعل الحق عَزَّوَجَلَّ، ومنه: إيجاده المخلوقات، وأنه خالق كل شيء؛ فإذا قيل: هذا هو هذا؟ كان لازم ذلك أن فعل العبد هو فعل الرب، وفعل الرب هو فعل العبد؟! وهذا هو قول أهل الحلول والاتحاد.

فليحذر المسلم من هذه المقولات التي عاقبتها إلىٰ البوار.

د- لو كان توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية لكان من أقر بالربوبية مؤمنًا ناجيًا مهما عمل، ومهما عمل بالمكفرات!

وهذا معلوم البطلان عند المسلمين؛ فإن مجرد الإقرار بربوبية الله تعالىٰ ليس منجيًا حتىٰ يكون مع ذلك توحيد الألوهية.

هـ- ورد في القرآن الكريم أن الكفار كانوا يسمون أصنامهم آلهة، قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود:٥٣]، ولم يخبر في آية أنهم قالوا لها: أرباب؛ فلو كان لا فرق بين اللفظين لسموها أربابًا كما سموها آلهة، وهم نفوا ترك عبادة أصنامهم مع اعترافهم بأن الخالق هو الله؛ فهذا دل علىٰ أن الكفار عرفوا الفرق بين الإقرار بالربوبية، وبين ما نفوه من الألوهية.

و- الذي يحقن دم المشرك أن ينطق بالشهادة: «أشهد أن لا إله إلا الله» ولا يحقن دمه أن يقول: أشهد أن الخالق هو الله، وهذا بإجماع المذاهب، ولو كان معنىٰ الإله والرب واحدًا لعصم دمه أحد اللفظين دون الآخر.

ز- يقال: رب الدار لصاحبها، ورب الإبل لمالكها، ورب القبيلة لسيدها؛ فإن كان معنىٰ الإله هو الرب -كما زعموا- لجاز أن يقال: إله الدار لصاحبها، وإله الإبل لمالكها، وإله القبيلة لسيدها!

وهذا منكر باتفاق الأولين والآخرين، إذ بين الكلمتين اختلاف ولا شك.

٥- استدل خصوم الشيخ بأن الكفار كانوا ينكرون وجود الله، أو ينكرون أن يكون الرب خالق كل شيء، واحتجوا لهذا الزعم الباطل بآيات، ومنها:

الآية الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠].

والجواب عن هذا الاستدلال من أوجه:

١- ليس في الآية الكريمة ما يدل علىٰ إنكار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإنما فيها الاستفهام عن «الرحمن» بـ «ما». التي يسأل بها عن حقيقة الشيء، والمصدق بوجود الشيء يسأل عنه به، ولا خلاف بين اللغويين في ذلك؛ فهم يقولون: ما الملائكة؟ ما الجن؟ ويعنون: ما حقيقتهم؟، ولا يعنون إنكار وجودهم.

٢- روىٰ البخاري[(١)] في خبر صلح الحديبية عن الزهري قال في حديثه:

(١) كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد...، (ح٢٥٨١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، (ح١٧٨٤).

«فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا؛ فدعا النبي ﷺ الكاتب؛ فقال النبي ﷺ: **بسم الله الرحمن الرحيم**. قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم؛ كما كنت تكتب؛ فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال النبي ﷺ: **اكتب باسمك اللهم**».

فقول سهيل يدل علىٰ أمرين: علىٰ أنهم يؤمنون بالله، وأنهم يستعينون به في أمورهم، وعلىٰ أن الذي ينكرون هو وصفه بالرحمن، وما كانوا ينكرون ذاته؛ كما يزعم المعارضون لدعوة التوحيد.

٣- هذه الآية علىٰ زعمهم وفهمهم مخالفة لتسمية العرب مشركين بالله، والناس قاطبة يقولون: إنهم كانوا مشركين بالله؛ فلو كانوا جاحدين لَمَا كانوا مشركين به، ولسُمُّوا ملاحدة؛ فتسميتهم مشركين بالله يدل أنهم مؤمنون بوجوده، ولكن عبدوا معه غيره.

٤- الآيات القرآنية الكثيرة دالة علىٰ أنهم يقرون بالله تعالىٰ، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦٣]. وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩]. وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]. وغير ذلك من الآيات.

الآية الثانية: قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣].

والجواب: أن المجادلة في أمر ليست جحدًا له في قول الناطقين جميعًا؛ فقول القائل: جادل فلان فلانًا في القضاء والقدر، أو في علم زيد وجهله، لا يدل علىٰ أنه ينفي وجود القضاء والقدر، ووجود زيد، وإنما يعني ذلك إثبات وجود القضاء وزيد، ولكن هذا الإثبات في كيفيته وقعت المجادلة.

قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]. فهل هذا يدل علىٰ أن زوجها غير موجود؟

وقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤]، فهل يقول عاقل: إن إبراهيم يجادل في وجود قوم لوط، وأنه ليس لهم وجود؟

الآية الثالثة: قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

والجواب عن هذا من وجوه:

١- أن في هذه الآية إثبات أنهم مقرون بوجود الله تعالىٰ، ولا ينكرون وجوده، لأنه ليس معقولًا أن يسُبَّ أحدٌ أحدًا إلا إذا كان يقر بوجوده؛ لأن المعدوم لا يسب، ولا يتوجه إليه الخطاب.

٢- لو كان سبهم لله إنكارًا لوجود الله تعالىٰ للزم من ذلك أن سب المؤمنين يعني: عدم وجود آلهة المشركين؟

٣- أن هذه الآية تدل علىٰ أن المشركين يعرفون الله تعالىٰ، ويقرون به، ولكن من شركهم أنهم ينقصون من قدره؛ إذ يعتقدون أن غير الله ينفع ويضر، وهذا من السب والنقص في حق الله تعالىٰ، وهكذا كل من صرف عبادة لغير الله تعالىٰ فقد نقص وبخس حق الله تعالىٰ، وحقه أن يُعبَد وحده لا شريك له.

الشبهة الثانية: ادعاء أن الإمام محمدًا وأتباعه يكفرون المسلمين بأدنىٰ شبهة:

أورد المبتدعة شبهة هي أكبر شبهة وأحد سلاح عندهم وبأيديهم؛ لتنفير الناس عن الدين الحق، وعن التوحيد والاتباع، فيشوهون الدعوة السلفية بقولهم: إن الشيخ محمدًا وأتباعه يكفرون المسلمين بأدنىٰ شبهة! فتراهم يكفرون المتوسل بالأنبياء والصالحين، والمستغيثين بغير الله، ويكفرون من أتىٰ بأقل بدعة، بل ويكفرون كل من خالفهم، ولا يرون أحدًا مسلمًا إلا من كان موافقًا لعقيدتهم! ويقول شيخ من معادي الدعوة -وهو النبهاني-:

ويعتقدون الأنبياء كغيرهم سواء عقيب الموت لا خير لا شرًّا

رموا بضلال الشرك كل موحد إذا لم يكن منهم عقيدته تبرا

واستدلوا علىٰ مقالتهم بأن المسلم لا يكفر بعد النطق بالشهادتين بشبهات كثيرة، ليس هذا مجال ذكرها والرد عليها.

والمقصود هنا: أنهم زعموا أن الإمام وأتباعه يكفرون المسلمين بغير دليل.

والجواب عن هذه الفرية من وجوه:

أ- أن هذه فرية مكشوفة مفضوحة، يريدون من ورائها تنفير الناس عن الدعوة الحقة، والتشنيع علىٰ الموحدين، والشيخ الإمام وأتباعه بل وسائر السلفيين يتبرءون من تكفير المسلمين بغير مُكَفِّر في الشرع، بل ويحذرون الناس من طريقة الخوارج الذين يكفرون المسلمين بما ليس بمكفر، ولكنها كما قيل: رمتني بدائها وانسلت، والله تعالىٰ يعلم براءة الإمام وأتباعه من هذه الفرية كبراءة الذئب من دم يوسف.

ب- هذا جواب أحد أحفاد الإمام في جوابه علىٰ عراقي زعم أن الشيخ يكفر المسلمين؛ فقال: وأما القول بأنا نكفِّر الناس عمومًا، ونوجب الهجرة إلينا علىٰ من لم يقدر علىٰ إظهاره دينه، وأنا نكفر من لم يكفُر ولم يقاتل معنا، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، هو من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم؛ فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يقاتل معنا؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. اهـ

يريد الشيخ أنهم لا يكفرون العوام الجهال الذين لم تبلغهم الحجة من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من بلغته الحجة، وعاند وأصر علىٰ شركه؛ فلا شك في شركه وكفره.

ج- **هؤلاء المنتقدون يصدق عليهم القول:** حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء، فهم حفظوا أن من تشهد بالشهادتين من الكفار فقد دخل دين الإسلام، وأصبح مسلمًا له ما للمسلمين، وعليه ما علىٰ المسلمين، ولكن جهل هؤلاء المنتقدون أن كلمة الشهادتين منضبطة بضوابط شرعية، وشروط مرعية، وأن من لم يأتِ بتلك الشروط فإنها لا تنفعه، وإن لم يبتعد عن نواقضها لم ينتفع بالتلفظ بها؛ لأنه بالإجماع من تلفظ بالشهادتين ثم وقع منه ما ينقضه؛ فإنه لا عبرة بتشهده الأول إذا كان عالمًا ذاكرًا، ولم يكن جاهلًا ولا ذاهلًا.

د- تبين من النصوص الشرعية وبالاستقراء التام أن للشهادة شروطًا، وهي:

١- **العلم المنافي للجهل**؛ فمن لم يعرف المعنىٰ فهو جاهل بمدلولها، ومعناها: البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده.

٢- **اليقين المنافي للشك**؛ لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها؛ فإذا لم يكن صاحب هذه الكلمة متيقنًا من معناها ومقتضاها فإنها لا تنفعه.

٣- **الإخلاص المنافي للشرك**؛ فمن لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركًا ينافي الإخلاص، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

٤- **الصدق المنافي للكذب والنفاق**؛ فإن المنافقين كانوا يقولونها، ومع ذلك لم تنفعهم؛ لأنهم كانوا يقولونها كذبًا ونفاقًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿**يَقُولُونَ**

﴿بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

٥- **القبول المنافي للرد**؛ فمن قالها ولو كان عالمًا بمعناها ولم يقبل ما دلت عليه إما كبرًا أو حسدًا، أو غير ذلك من الأسباب فإنها لا تنفعه.

٦- **الانقياد المنافي للترك**؛ فمن لم ينقد للشرع فإنه لا يكون مؤمنًا، والانقياد هو العمل بالشرع حسب الطاقة والوسع، وحقيقته التي لا يكون الرجل مسلمًا إلا به هو الالتزام، وهذا الالتزام يكون قبولًا في القلب، وقبولًا بالعمل، وإذا تخلف الأول كان الرجل منافقًا، وإذا تخلف الثاني كان الرجل فاسقًا، وحقيقة الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان:٢٢].

٧- **المحبة المنافية لردها أو بغضها**: فمن قالها مبغضًا أو كارهًا -ولو كان عالمًا وفي الظاهر منقادًا- فإنها لا تنفعه حتىٰ يكون محبًّا لهذه الكلمة، ومحبًّا لما دلت عليه هذه الكلمة من التوحيد، ومحبًّا لأهل هذه الكلمة.

وبهذا يعلم أن من أتىٰ بالتوحيد، وبالشهادة، ثم إنه تخلف أحد الشروط فإن هذه الكلمة لا تنفع، كما لو صلىٰ رجل بدون شروط الصلاة، أو بدون أحدها عامدًا متعمدًا فإن الصلاة لا تنفعه، فكذلك هذه الشهادة.

٥- أن المسلم قد يكفر بعد إيمانه وإسلامه؛ كما قد حذر الله تعالىٰ عباده من الكفر بعد الإسلام؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة:٥٤].

وقد ذكر الفقهاء ما يرتد به المسلم عن دينه؛ إما بقول أو فعل؛ أو اعتقاد، وهذه كتب أحكام الردة في كتب الفقهاء فيها الشيء الكثير من بيان نواقض الإسلام والشهادتين.

ومن هذه النواقض المشهورة والمعروفة التي عليها مدار النواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم؛ أو يسألهم الشفاعة من دون الله، ويتوكل عليهم؛ فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كمن يصحح مذهب النصارىٰ، أو اليهود، ونحوهم.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أكمل من هديه**، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه؛ فهو كافر قد نقض الإسلام.

الخامس: **من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه ولو عمل به كفر.

السادس: **من استهزأ بشيء من دين الرسول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ثوابه، أو عقابه، كما قد كفَّر الله المستهزئين؛ فقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

السابع: **السحر**؛ ومنه الصرف والعطف؛ فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم علىٰ المسلمين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله تعالىٰ لا يتعلمه، ولا يعمل به، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢].

فإذا عرف المسلم أن الإنسان وإن تلفظ بالشهادة فإنه قد يكفر إذا نقضها،

كما لو أن إنسانًا توضأ ثم انتقض وضوؤه فإن الوضوء لا تصح به الصلاة، وكما لو عقد الصلاة ثم نقضها بمبطلاتها؛ فإنها لا تكون مقبولة عند الله تعالىٰ.

فإذا كان هذا الشأن في الوضوء والصلاة فكيف بالتوحيد؟ الأمر أعظم، فلا يقول عاقل إنه لا ينتقض توحيد من تلفظ بالشهادة مطلقًا إلا جاهل، ثم كيف يكون من يتشهد الشهادة وينقضها بدعاء غير الله، أو الاستغاثة بالأموات أو الجمادات، كيف لا يكون نقض الشهادة؟ إذن متىٰ يكفر؟

ويتوجه إلىٰ هؤلاء الذين يقولون: إن من تلفظ بالشهادة فإنه لا يكفر؛ ما حكم من تشهد شهادة الحق، وصلىٰ، وصام، وحج البيت، ثم أخذ ورقة من المصحف وألقاها في القاذورات عامدًا عالمًا؟ هل يقول من عنده مسكة عقل إنه لا يكفر، وأن الشهادة لا تنتقض؟ فإن قالوا: لا يكفر فقد خالفوا أهل الإسلام، وإجماع المسلمين؛ كما سنورد النصوص في بيان ذلك.

وإن قالوا: يكفر بهذا الفعل؛ فقد نقضوا أصلهم وأساسهم الذي به كانوا يشنعون علىٰ أهل التوحيد، حيث زعموا أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه يكفرون من تشهد بالشهادتين.

ونسأل هؤلاء: مَن أحق بالكفر: مَن وقع في الشرك الصريح، أو مَن وقع في إهانة أو رد شيء من الدين؟

فكيف يقال بعد ذلك: إن من دعا غير الله لا يكفر، وأن من أهان المصحف، أو سب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكفر؛ فهذا التفريق لا أساس له من الصحة؛ فكل من أتىٰ بناقض من نواقض الإسلام فإنه يكفر إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.

و- حتىٰ يتبين للمنصف أن الإمام وأتباعه إنما كفروا من وقع في الكفر والشرك، وأنهم بذلك لم يكونوا مخالفين لعلماء الأمة، فضلًا عن المنهج الحق؛ فإنا ننقل كلام بعض الأئمة والمذاهب:

مذهب الإمام أبي حنيفة:

قال العلامة ابن نجيم زين العابدين الحنفي في كتابه «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (ج٥/ ص١٢٩): «فيكفر إذا وصف الله تعالىٰ بما لا يليق به، أو سخر باسم من أسمائه، أو بأمر من أوامره، أو أنكر وعده ووعيده.

ويكفر بقوله: يجوز أن يفعل الله فعلًا لا حكمة فيه، وإن اعتقد أن الله تعالىٰ يرضىٰ بالكفر، وبقوله: إذا أنصفني الله تعالىٰ يوم القيامة انتصفت منك، أو إن قضىٰ الله يوم القيامة، أو إذا أنصف الله.

وبقوله: بارك الله في كذبك، وبقوله: لا أريد اليمين بالله، وإنما أريد اليمين بالطلاق، أو بالعتاق عند البعض خلافًا للعامة.

وبقول الظالم: أنا أفعل بغير تقدير الله.

وبقوله: لا أسمع شهادة فلان وإن كان جبرائيل أو ميكائيل عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ.

ويكفر إذا أنكر آية في القرآن، أو سخر بآية، وبوضع رجله علىٰ المصحف عند الحلف مستخفًّا، وبقراءة القرآن علىٰ ضرب الدف، وباعتقاد أن القرآن مخلوق حقيقة، والمزاح بالقرآن؛ كقوله: التفت الساق بالساق، أو ملأ قدحًا وجاء به وقال: ﴿وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا﴾ [النبأ:٣٤]». اهـ

هذه بعض المكفرات التي ذكرها العلامة ابن نجيم الحنفي، ولو ذهبنا نحصي المكفرات التي ذكرها علماء الحنفية لما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا، ولهم في ذلك مؤلفات مستقلة، يبينون فيها المكفرات، والألفاظ، والأعمال التي يكفر بها الإنسان.

تأمل -وفقك الله- في بعض المكفرات التي أتىٰ بها ابن نجيم في كلامه السابق مثل قوله: «أو سخر باسم من أسمائه، أو بأمر من أوامره، أو أنكر وعده ووعيده، وبقوله: لا أريد اليمين بالله، وبقول الظالم: أنا أفعل بغير تقدير الله، وبقوله: لا أسمع شهادة فلان وإن كان جبرائيل أو ميكائيل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ».

ثم وازن بين هذا وبين من يستغيث بغير الله تعالىٰ، ويستهزئ بالتوحيد، ويستهزئ بالتحذير من الشرك، ويدعو غير الله، أو لا يرضىٰ بالله مغيثًا، بل قد يحث الناس علىٰ دعاء غير الله؛ كدعاء عبد القادر الجيلاني، أو البدوي، أو الجن، أو الملائكة، أو الأنبياء.

أي الطائفتين -بعد الموازنة- يكون أشد كفرًا، وأرسخ في نواقض الإسلام وقوعًا؟

فليحذر المسلمون من هذه النواقض، وأعظمها الشرك، والاستهزاء بدين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بالمستقيمين علىٰ دينه، أو بشيء من سنته.

مذهب الإمام مالك:

قال في «أقرب المسالك وشرحه» للدردير[1]: «الردة: كفر مسلم بصريح

(١) المطبوع بهامش «بلغة السالك» للصاوي (٢/ ٤١٦).

من القول، أو قول يقتضي الكفر؛ كقوله: جسم كالأجسام -يقصد الرب-، أو فعل يتضمنه؛ كإلقاء مصحف أو بعضه، ولو كلمة، وكذا حرقه استخفافًا لا صونًا، ومثل إلقائه: تركه بمكان قذر ولو طاهرًا كبصاق.

وشد زنار -أي: لبسه- ميلًا لكفر مع دخول الكنيسة، أو أنكر مجمعًا عليه، كوجوب الصلاة، أو تحريم الزنا، أو أحل مجمعًا علىٰ عدم إباحته مما علم من الدين ضرورة من القرآن أو السنة المتواترة.

أو سب نبيًّا مجمعًا علىٰ نبوته، أو مَلَكًا مجمعًا علىٰ ملكيته، أو ألحق بنبي أو ملك نقصًا، وإن ببدنه كعرج أو شلل، أو وفور علمه، بأن قال: لم يكن علىٰ غاية من العلم والزهد».اهـ.

مذهب الإمام الشافعي:

قال في «المنهاج وشرحه مغني المحتاج»(١): «الردة هي: قطع الإسلام بنية كفر، أو قول كفر، سواء قاله استهزاء أو عنادًا أو اعتقادًا.

فمن نفىٰ الصانع -أي: الخالق- أو كذب رسولًا، أو حلل محرمًا بالإجماع كالزنا، والظلم، وشرب الخمر، وعكسه: بأن حرم حلالًا بالإجماع كالبيع، والنكاح، أو نفىٰ وجوبًا مجمعًا عليه، كأن ينفي وجوب ركعة من الصلوات الخمس، أو عكس بأن اعتقد وجوب ما ليس بواجب بالإجماع، كزيادة ركعتين من الصلاة المفروضة، أو وجوب صوم يوم من شوال، أو عزم علىٰ الكفر غدًا،

---

(١) (٤/ ١٣٣).

أو تردد فيه هل يكفر أو لا، كفر.

والفعل المكفر ما تعمده استهزاء صريحًا بالدين، أو جحودًا له كإلقاء مصحف بقاذورة؛ لأنه صريح في الاستخفاف بكلام الله، ويلتحق بالمصحف كتب الحديث، وسجود لشمس أو غيرها من المخلوقات».

مذهب الإمام أحمد:

قال في «المقنع»(١): «وهو الذي يكفر بعد إسلامه؛ فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته، أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو اتخذ لله صاحبة، أو ولدًا، أو جحد نبيًّا، أو كتابًا من كتب الله تعالىٰ، أو شيئًا منه، أو سب الله تعالىٰ، أو رسوله؛ فقد كفر.

ومن جحد وجوب العبادات الخمس، أو شيئًا منها، أو أحل الزنا، أو الخمر، أو شيئًا من المحرمات الظاهرة المجمع عليها لجهل، عُرف ذلك، وإن كان ممن لا يجهل ذلك كفر، وإن ترك شيئًا من العبادات الخمس تهاونًا، لم يكفر، وعنه يكفر، إلا الحج لا يكفر بتركه بحال».

وبعد هذه النقول والأدلة لعله تبين للمنصف أن تلك الشبهة أصبحت كالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فمن قرأ ما ذكرناه، تنور وأصبح مدركًا لبطلان هذه الشبهة، ومدىٰ دناءتها.

وزيادة في إبطالها نقول: قولهم: يكفِّرون المسلمين بأدنىٰ شبهة، ويكفرون

---

(١) المطبوع مع «الشرح الكبير» (٢٧/ ١٠٧-١١٤).

المستغيثين بالنبيين والصالحين.

والجواب: أن قولهم: يكفرون المسلمين بأدنىٰ شبهة؛ فهذا كذب وافتراء، وهذه كتب أئمة الدعوة فليبينوا من كتبهم أين كفَّروا المسلمين، وأين حكموا بذلك، ودون ذلك خرط القتاد.

وأما قولهم: يكفرون المستغيثين بالنبيين والصالحين؛ فهذا صحيح، ولكن بعد قيام الحجة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإذا أصر وعاند بعد البيان فحينها يطلقون عليه حكم الكفر والشرك، وأما قبل ذلك فإنما الوصف والحكم عندهم علىٰ الفعل، وعلىٰ سبيل العموم، لا علىٰ التعيين والتخصيص.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن الإمام محمدًا وأتباعه -بل وسائر أئمة أهل السنة سلفًا وخلفًا- لا يكفرون بأدنىٰ شبهة، ولا بمعصية من الكبائر أو الصغائر، إلا إذا استحل ما حرم الله علىٰ المسلمين مما هو محرم بالإجماع، كمن شرب الخمر مستحلًّا لها، أو سرق معتقدًا حلها.

وأما مرتكب الكبيرة دون استحلال فهذا عند أهل السنة وأئمتها يكون فاسقًا، ولا يكون كافرًا ولا مشركًا، بل القول بأنه يكفر بالكبيرة هو قول الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم.

الشبهة الثالثة: قولهم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بأنهم: ينقصون قدر الأنبياء والأولياء والصلحاء؛ كما قال نبهانيهم:

ويعتقدون الأنبياء كغيرهم ... سواء عقيب الموت لا خير لا شرا

رموا بضلال الشرك كل موحد ... إذا لم يكن منهم عقيدته تبرا

وللجواب عن هذه الشبهة ننقل ما قاله الشيخ علي بن سليمان التميمي:

لك الويل قد أبعدت في المين نجعة ... وقارفت يا ذا الجهل في نقلك الوزرا

فحاشا بني نجدٍ بأن ينتقصوا ... حقوق أنبياء الله أو ينطقوا هجرا

فإن مقام الأنبياء معظم ... فهم رحمة في ذي الحياة وفي الأخرىٰ

وما منهم إلا شفيع مشفع ... ومن لم يدن حقًّا فقد ألف الكفرا

وحقًّا عقيب الموت لا نفع عندهم ... لمن يرتجي نفعًا ولم يملكوا ضرا

ولكن نضيف النفع والضر للذي ... بتدبير هذا الكون قد دبر الأمرا

وقد خصهم بعد اصطفاء وعصمة ... بمقعد صدق عنده يوجب الشكرا

وحرم من أن تأكل الأرض لحمهم ... فأجسادهم في القبر كالورد أو أطرا

وخص التهامي الحبيب محمدًا ... برد سلام بعد ما سكن القبرا

ونعرف للهادي مقامًا معظمًا ... ومن لم يتابعه فقد ربح الخسرا

الشبهة الرابعة: أن بلد الشيخ محمد «نجد» قد ذمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنها أرض الفتن:

قال المبتدعون: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذم نجدًا، وامتنع أن يدعو لهم؛ فقد ثبت في الصحيح[1] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا**، قالوا: وفي نجدنا، قال: **اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا**. قالوا: وفي

(١) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل، (ح٩٩٠)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نجدنا؛ فأظنه قال في الثالثة: **هناك الزلازل، والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»، وفي حديث آخر: «**رأس الكفر قبل المشرق**»[(١)].

قالوا: ومحمد بن عبد الوهاب خرج من نجد، وهناك الفتن؛ فدعوته دعوة فتنة؟

وقد خرج قبله من اليمامة: مسيلمة الكذاب يدعي النبوة، وطليحة بن خويلد الأسدي، فنجد موضع الفتن، وفي الحديث: «**رأس الكفر قبل المشرق**». ونجد تقع شرق المدينة؛ فمن هنا نعلم أن دعوته دعوة ضالة، وأن أكثر المسلمين علىٰ خلاف ما يقول؛ وقد أتىٰ بما لم يسبق إليه أحد.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١- لا ريب أن هذا الحديث الذي تشبث به المبتدعون صحيح، ولكن ليس المعنىٰ هو الذي ذهبوا إليه، فليس الذم واردًا لنجد اليمامة، ولبيان ذلك لابد من معرفة معنىٰ نجد في اللغة العربية، حتىٰ نعرف المراد بالخبر المذكور.

٢- «نجد» في اللغة مصدر، معناه: الرفعة والعلو، يقال لكل شيء عال: نجدٌ، ولكل قطعة من الأرض مرتفعة عما حواليها، وهذا مذكور في جميع كتب اللغة، كـ:«القاموس»، و«لسان العرب»، و«تاج العروس»، وغيرها، وبذلك فسر الحديث الشراح قاطبة.

قال الكرماني في شرح البخاري في بيان معنىٰ «نجد»: «ما ارتفع من الأرض

---

(١) سيأتي تخريجه (ص٥٥).

وهو خلاف الغور»، وكذا قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» عند شرحه لهذا الحديث، والقسطلاني.

واتفقت كلمة شراح الحديث وأئمة اللغة أن نجدًا ليس اسمًا لبلد خاص، ولا اسمًا لبلدة بعينها، بل يقال لكل قطعة من الأرض المرتفعة عما حواليها.

قال الأصمعي(١): «هي نجود عدة، منها: نجد برق، وادٍ باليمامة، ونجد خال، ونجد عفر، ونجد كبكب، ونجد مريع».

وذكر الحموي زيادة علىٰ الأصمعي(٢): «نجد ألوذ، ونجد أجأ، ونجد الشرىٰ، ونجد العقاب، ونجد اليمن».

قال الزبيدي(٣): «كل ما وراء الخندق علىٰ سواد العراق هو نجد».

وقال الكرماني في شرحه لحديث: «نجد قرن الشيطان»: «هو الأرض المرتفعة من تهامة إلىٰ العراق». وأصرح منه قوله: «ومن كان بالمدينة المنورة -علىٰ ساكنها أفضل الصلاة وأزكىٰ السلام- كان نجده بادية العراق، وهي مشرق أهلها».

وقال الخطابي -وقد نقله الحافظ ابن حجر(٤)**، والحافظ العيني**(٥)**،**

---

(١) «معجم البلدان» للحموي (٥/ ٣٠٣-٣٠٥).

(٢) انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٠٧).

(٣) «شرح الإحياء» (٢٢٨).

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٤٧).

(٥) «عمدة القاري» (٢/ ٢١٨، ٩/ ١٣٧، ٢٤/ ٢٠٠).

والمباركفوري[١]: «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق، ونواحيها».

وبهذا تعلم -أيها المنصف- أن المراد بالحديث هو نجد العراق، لا نجد اليمامة.

ويؤيد أن المراد به نجد العراق: الألفاظ الأخرىٰ التي وردت، وهي:

أ- «**رأس الكفر قِبَل المشرق**»[٢].

ب- «**رأس الكفر نحو المشرق**»[٣].

ج- «**ومن هاهنا جاءت الفتن، نحو المشرق**»[٤].

د- «رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشير نحو المشرق: **إن الفتنة هاهنا، إن الفتنة هاهنا**»[٥].

هـ- «وهو مستقبل المشرق، يقول: **إن الفتنة هاهنا**»[٦].

---

(١) «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٣١٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، (ح٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم، (ح٣١٢٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، (ح٣٣٠٧)، عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق، (ح٢٩٠٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الفتنة من قبل المشرق**»، =

تبين من هذا أن المراد بنجد هي المشرق، ومشرق المدينة هي نجد العراق، لا نجد تهامة.

قال صاحب كتاب «أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان» ما نصه: «مقصود الأحاديث: أن البلاد الواقعة في جهة المشرق من المدينة المنورة هي مبدأ الفتنة والفساد، ومركز الكفر والإلحاد، ومصدر الابتداع والضلال.

فانظروا في خريطة العرب بنظر الإمعان يظهر لكم أن الأرض الواقعة في شرق المدينة إنما هي أرض العراق فقط، موضع: الكوفة، والبصرة، وبغداد، والراسخون في العلم يعلمون هذا من إلقاء النظرة علىٰ الخريطة».

ومما يؤكد أن المقصود بنجد في الأحاديث التي فيها الذم هي: نجد العراق، لا نجد تهامة -زيادة علىٰ ما سبق بيانه- ما حصل في شرق المدينة في بلاد العراق من الفتن والمحن ما لم يحصل عشرها في بلاد نجد تهامة، وهذه الفتن والمحن هي:

أ- وقعة الجمل.

ب- وقعة صفين.

وهما الوقعتان اللتان فرقتا شمل المسلمين، وهاتان الوقعتان كانت بداية

=

(ح٦٦٨٠)، ومسلم، كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق، (ح٢٩٠٥)، كلاهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لخروج الفرق الضالة، وتشتيت المسلمين، وتكفير بعضهم بعضًا، فقد ظهرت الخوارج، والشيعة، والنصب، والرافضة، وغيرها من الفرق.

ج- حادثة مقتل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وهي من أكبر الفتن جرت الوبال علىٰ المسلمين، وأشعلت نار الفرقة بينهم.

د- ظهور المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق: وادعىٰ الثقفي الوصاية ثم الولاية، ثم دعوىٰ نزول الوحي.

هـ- حادثة قتل زيد بن علي بن الحسين.

و- ظهور المعتزلة: وكان ظهورهم في العراق.

ز- ظهور القدرية: وكان مبدأ ظهورهم في البصرة.

ح- حادثة فتنة القول بخلق القرآن: وكانت في بغداد، حيث وقف المأمون من الأئمة موقفًا مخزيًا، وامتحن الناس في القول بخلق القرآن، وعلىٰ رأسهم إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، وجاء المعتصم بعده، وسار علىٰ نهج أخيه، ثم الواثق، ثم رفع الله المحنة بالمتوكل.

ط- ظهور الفتن في الخلافة العباسية: حيث كثر القتل والنهب، والفتن، بسبب الطوائف في بغداد، وتطاول الوزراء علىٰ الناس.

ي- مجيء التتار وتخريبهم عاصمة الخلافة: وكان ذلك أكبر فتنة للمسلمين، وقد جاءت هذه الفتنة من المشرق.

ك- ولا زالت المحن في العراق بين المسلمين حتىٰ الزمن القريب، حيث

جاء عبد الكريم قاسم، وقتل من قتل من الملوك والعلماء، ودعا الناس إلىٰ مذهب الشيوعية والإلحاد، ولا زالت الفتن تترىٰ.

ل- ثم فتنة صدام التي جاءت علىٰ المسلمين كالقاصمة للظهر.

فليتأمل المنصف هل ظهر في نجد اليمامة التي هي نجد بالنسبة إلىٰ تهامة حوادث كحوادث العراق أو عشرها؟

وإن كان قد ظهر في نجد اليمامة مسيلمة الكذاب، وادعىٰ النبوة؛ فقد ظهر الكذابون المدعون للنبوة في اليمن، وفي غيرها؛ فلماذا يغض الطرف عنها، والكيل بمكيالين؟

يقول نبهانيهم عائبًا علىٰ أهل نجد اليمامة بخروج مسيلمة:

مسيلمة الكبير وعرسه ... سجاح لكل منهم الجدة الكبرىٰ

وقد أجابه المرزوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال:

نعم كان في ذاك الزمان مسيلم ... وأسود في صنعا وطلحة ذو الأغرا

ومثلهم المختار في كوفة افترىٰ ... غداة حكىٰ جبريل أوحىٰ له الأمرا

ففي يمن كانوا ونجد وكوفة ... أتغضب من نجد وترضىٰ عن الأخرىٰ

فماذا علىٰ نجد من العيب والأذىٰ ... بمن قد خلا من كافر عنه وازورا

تعير نجدًا في سجاح وزوجها ... وذنبك في الإسلام قد جاوز الحصرا

ثم يقال أيضًا: إن البقاع التي ذمت إنما وقع الذم عليها لو ثبت فيها، وأما أهلها فقد يكونون من خيار الناس، فهذا نجد العراق وقد ذم -علىٰ قول جمهور

شراح الحديث- أليس من العراق العلماء والشجعان والصلحاء؟ فالذم إنما هو متوجه إلىٰ المنطقة وعدم بركتها، وإن البقاع لا تقدس شخصًا ولا تدنس، وإنما التقديس يكون بموافقة الشرع، والتدنيس بمخالفة الشرع.

ثم أيضًا: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا**». وقد أخذ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه العلم من كتب شيخي الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم، وهما شاميان؛ إذن حصل البركة له ولأتباعه باتباع العلم الشامي الذي كان بسبب كتب شيخي الإسلامي الشاميين.

هل بقي بعد هذا البيان اللغوي، والحديثي، والتاريخي، والنقول، شك أن المتشبثين بحديث: «**نجد قرن الشيطان**». مبطلون، وأنهم إنما أخذوا المتشابه، ولم يستندوا إلىٰ أقوال الإمام المبنية علىٰ الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة، ولا إلىٰ أفعال الإمام وأتباعه التي شهد لها المنصفون بأنهم كانوا علىٰ السنة الغراء، وأنهم في هذه الأزمان المتأخرة كانوا متشبثين وبقوة بطريقة السلف الصالح، بلا ريب ولا شك.

❁❁❁



الفصل الثاني: التعريف بالكتاب

ويشتمل علىٰ ما يأتي:

أولًا: اسم الكتاب

ثانيًا: تاريخ تأليف الكتاب ومكانه

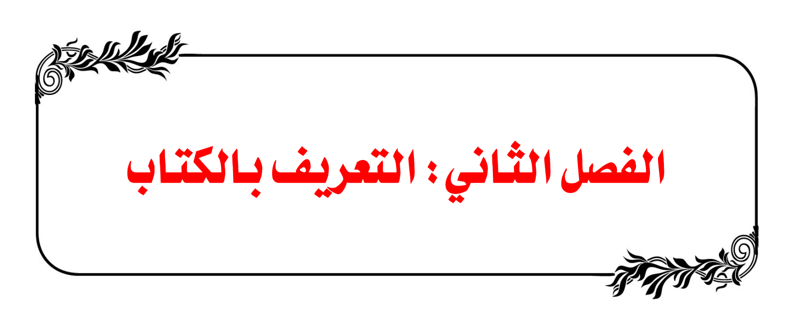
ثالثًا: موضوع الكتاب

رابعًا: أهمية الكتاب

خامسًا: منهج الشيخ الإمام في تأليف الكتاب

سادسًا: مباحث الكتاب

سابعًا: شروح الكتاب



الفصل الثاني: التعريف بالكتاب

أولًا: اسم الكتاب:

العنوان الكامل لهذا السفر العظيم هو: «**كتاب التوحيد الذي هو حق علىٰ العبيد**». سماه المؤلف بذلك.

لكن الاسم المشهور، والمتعارف عليه بين طلبة العلم، هو: «**كتاب التوحيد**»[(١)]، ويلاحظ أن الإمام قد اقتبس «التوحيد» من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما بعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ اليمن فقال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ**»[(٢)].

وقد فهم الإمام البخاري بفهمه الثاقب هذا المعنىٰ من الحديث فجعل كتابه الأخير في صحيحه بهذا العنوان أيضًا: «كتاب التوحيد»، وبوب عليه في الباب الأول، ثم استدل بحديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والإمام المصنف فيه نفس البخاري، ولهذا -والله أعلم- أنه فهم ذلك كما فهمه الإمام البخاري، فعنون به كعنوان الإمام البخاري.

---

(١) والإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنون لآخر الكتاب في «صحيحه» بعنوان: كتاب التوحيد.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، (ح٦٩٣٧)، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويلاحظ أن الجزء الأخير من العنوان وهو: «حق الله علىٰ العبيد» أيضًا مأخوذ من الشطر الأخير من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ فيه: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»[1].

ثانيًا: تاريخ تأليف الكتاب ومكانه:

اختلفت الروايات في تاريخ تأليف الكتاب؛ فيذكر حفيد المؤلف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن أن تأليفه كان في مدينة البصرة.

أما رواية ابن غنام[2] ففيه أن الإمام ألف «كتاب التوحيد» في أثناء إقامته في بلده بـ «حريملاء».

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن بداية تأليف «كتاب التوحيد» كان في البصرة، ثم أكمله لما استقر في حريملاء.

أو يقال: إنه ألفه في البصرة وبيضه، وأظهره في بلده حريملاء، وعلىٰ كل حال فمن المتفق عليه بين المصادر أن «كتاب التوحيد» هو أول مصنفات الإمام.

ثالثًا: موضوع الكتاب:

موضوع الكتاب يفهم من عنوانه واسمه: «**كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد**»، «والمراد بالتوحيد هو توحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية؛ فكان

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، (ح٥٩١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا، (ح٣٠).

(٢) «روضة الأفكار» (١/ ٣٠)، وهذا يدل عليه كلام الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/ ٣٨١).

هذا التوحيد أعظم حظًّا من حظ ما سواه من أنواع التوحيد.

والسبب في ذلك: أن هذا التوحيد يتضمن أنواع التوحيد كلها؛ فلا يتصور إله حق ليس هو خالقًا رازقًا، محييًا مميتًا، ليس متصفًا بصفات الكمال، ومسمىٰ بأفضل الأسماء وأحسنها»[١].

قال الإمام عبد الرحمن بن حسن مبينًا موضوع الكتاب من حيث الإجمال[٢]:

«فموضوعه في بيان: ما بعث به الله رسله:

أ- من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة.

ب- وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه».

فمقصود الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تأليف هذا الكتاب العظيم هو بيان أصلين عظيمين مهمين، هما:

الأصل الأول: توحيد الألوهية والعبادة، بذكر أحكامه، وحدوده، وشروطه، وفضله، وبراهينه، وأصوله، وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزيد به ويقويه، أو يضعفه ويوهنه، وما به يتم أو يكمل[٣]، وحماية الرسول ﷺ له.

---

(١) كتاب «تعريف الخلف بمنهج السلف» (ص٢٠٤).

(٢) انظر: «مقدمة فتح المجيد».

(٣) انظر: «القول السديد» (ص٣٩)، ط: دار القبس.

ويمثل ما ذكرناه من الأصل الأول الأبواب التالية:

١- باب قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

٣- باب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

٤- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

٥- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

٦- باب ما جاء في حماية الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد.

٧- باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد، وسد طرق الشرك.

٨- باب ما جاء في منكري القدر.

٩- باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات.

١٠- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.

١١- باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، وغير ذلك من الأبواب.

وأما الأصل الثاني: ما يناقض أصل التوحيد وهو الشرك، والشرك تشريك غير الله في العبادة أيًا كان، ولذلك سمي شركًا.

وقد بين المؤلف في هذا الكتاب حقيقة الشرك، ووسائله، وأسبابه، والأعمال والألفاظ الشركية.

وتضمن هذا الأصل أبوابًا في الرد علىٰ بعض شبهات القبوريين، ومن هذه الأبواب:

١- «باب ما جاء في أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان». فهو جواب لشبهة القبوريين أن الشرك لا يقع في هذه الأمة.

٢- «باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم هو الغلو في الصالحين». فهو جواب لمن زعم أن الغلو في الصالحين قربة إلىٰ الله.

٣- «باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح». فهو جواب لمن زعم أنه يعبد الله عند القبر، ولا يعبد القبر.

٤- «باب ما جاء في الغلو في قبور الصالحين». فهو متضمن الجواب لمن زعم أنه لا بأس بالبناء علىٰ قبور الصالحين، وأن ذلك من تعظيمهم.

وغير ذلك من الأبواب، وسيأتي تفصيلها في ثنايا الشرح.

رابعًا: أهمية الكتاب:

كتاب التوحيد من الكتب الأثرية المهمة التي تبين عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد العملي، توحيد الألوهية والعبادة.

وكذلك تبين التوحيد العلمي، توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وكذلك يتميز الكتاب بذكر نواقض التوحيد ونواقصه، ويمكن أن نجمل أهمية الكتاب فيما يأتي:

١- العلم إنما يشرف بشرف معلومه، وإذا كان كتاب التوحيد إنما يتحدث عن حق الله تعالىٰ؛ فهو له أهمية خاصة، فهو مهم من جهة أنه يبين حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ العبد، وما ينبغي أن يعتقد فيه من اتصافه بصفات الجمال والجلال والعظمة، وإفراده وحده بالعبادة.

٢- أن الكتاب يتميز بتوضيح أصل الدين، الذي لا يقبل الله من العبد غيره بدونه، إذ الفرع من دون الأصل لا يقوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وهذا الأصل هو التوحيد، وهو أصل الدين، الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الرسل، وأنزل الكتب».

٣- أن الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك هو التوحيد، لذا هو المنجي في الآخرة من النار، ومن الخلود فيها، وهو العاصم للدم، والمال، والذرية في الدنيا، كما في الحديث[2]: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم علىٰ الله**».

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، (ح٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله...، (ح٢٢)، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٤- أن الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له هي دعوة الرسل، بل هي لب دعوة الرسل، وأصلها، وذروتها، بل هي الغاية من خلق الثقلين، الجن والإنس.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

٥- أهمية الموضوعات والأبواب التي ذكرها المصنف في ثنايا الكتاب من نواقض التوحيد، ونواقصه، وبيان الشرك وحقيقته، وبيان شعبه وأقواله، وأعماله، ووسائله، وذكر الحجج في إبطال الشرك ووسائله كبيره وصغيره.

٦- ما غلب علىٰ الناس من انتحال البدع الاعتقادية من الغلو في قبور الأنبياء، والصالحين، والطواف بها، والدعاء عندها، وتقديم القرابين والنذور لها، ونحو ذلك من الأعمال الشركية والبدعية.

٧- تزداد أهمية الكتاب إذا عُلِم أنه لم يؤلف كتاب علىٰ منواله في بابه، ولا مثل طريقته الفذة؛ فهو كتاب فريد من كتب الاعتقاد؛ فريد في تأليفه، وترتيبه، ومبتكر ومتميز في طريقة عرضه وسرده، ولا يعرف كتاب من كتب العقائد يشابهه في ذلك أو يقاربه(١).

٨- من أهم ما تميز به الكتاب: أنك تجد فيه نَفَسَ السلف الصالح، وطريقتهم

---

(١) انظر: كتاب «تعريف الخلف» (ص٣١٢).

في التأليف، وتبويباتهم، فالمؤلف فيه نفس البخاري إن لم يكنه، فهو يبين فقهه في تراجمه، ويذكر تحت الباب ما يدل علىٰ الباب من الكتاب والسنة، وهذا مفقود في كتب الاعتقاد المتأخرة، حيث فيها علم العقائد مخلوط بالمنطق والفلسفة.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن كتاب التوحيد من أهم وأعظم ما كتب في توضيح عقيدة التوحيد، لذا تتابع ثناء العلماء الفضلاء عليه، وهذه بعض كلماتهم:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: «هو كتاب فرد في معناه، لم يسبق إليه سابق، ولا لحقه فيه لاحق».

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «جمع علىٰ اختصاره خيرًا كثيرًا، وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي من وفقه الله، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله».

قال العلامة المؤرخ ابن بشر: «ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه؛ فإنه أحسن فيه وأجاد، وبلغ الغاية والمراد».

قال الشيخ أحمد بن مشرف في منظومته:

وألف في التوحيد أوجز نبذة ... بها قد هدىٰ الرحمن للحق من هدىٰ

نصوصًا من القرآن تشفي من العمىٰ ... وكل حديث للأئمة مسندا

قال الشيخ سليمان بن حمدان: «كتاب التوحيد بديع الوضع، عظيم النفع،

لم أَرَ من سبق إلىٰ مثاله، أو نسج في تأليف علىٰ منواله، فكل باب منه قاعدة من القواعد يبنىٰ عليه كثير من الفوائد، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، واعتقدوه دينًا فلا يتاب منه ولا يستغفر؛ فألفه عن خبرة ومشاهدة للواقع؛ فكان لذاك الداء كالدواء النافع»[1].

خامسًا: منهج الشيخ الإمام في تأليف الكتاب:

منهج المؤلف الإمام محمد في كتاب التوحيد منهج فريد في بابه؛ من جهة الجمع، ومن جهة طريقة العرض، ومن جهة ترتيب الأبواب، مع الدقة في الاستنباط.

ويمكن بيان طريقة الإمام ومنهجه في الكتاب في الفقرات الآتية:

١- تقسيم الكتاب إلىٰ أبواب: حيث بلغت (٦٧) بابًا، فوضع عنوان الباب ليعبر به عما سيذكره من معانٍ عقدية.

٢- ترتيب الأبواب: يلحظ المتأمل أن الإمام اعتبر فيها أولويات الموضوعات؛ بحسب أهميتها، وقربه من الموضوع الرئيسي للكتاب، وهو توحيد الألوهية، وإن لم يخلُ من إشارات لغيره من أنواع التوحيد.

٣- وأيضًا: فإن الترتيب بديع بين الأبواب، من حيث إن أول باب يعرف بالتوحيد، ثم يبين فضل هذا التوحيد الذي عرف به، ثم يقسمه إلىٰ توحيد كامل يتحقق به دخول الجنة ابتداء، وتوحيد واجب يحصل به النجاة من الخلود، ثم

---

(١) «الدر النضيد» (ص٣)، وانظر: «كتب أثنىٰ عليها العلماء» لعبد الإله الشايع (ص١٨٧-١٩١).

يبين أهمية الخوف عليه من نواقضه، ثم الدعاء إلىٰ هذا التوحيد، ثم بيان بعض مسائل هذا التوحيد من مثل تفسيره، وهكذا.

٤- يذيل كل باب بعد الأدلة بمسائل مستنبطة من نصوص الباب، وهي في الحقيقة أحكام الباب، أو ما يستفاد من الفوائد التي وردت في نصوص الباب.

٥- يرتب المسائل المستنبطة في الباب علىٰ حسب ترتيب نصوص الباب.

٦- ترتيب نصوص الكتاب.

٧- يذكر بعد كل باب الآيات القرآنية أولًا، والأحاديث التي تدل علىٰ موضوع الباب ثانيًا، والأقوال عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بعد ذلك، أو عن التابعين وأتباعهم، ثم يورد بعض الإفادات عن شيخي الإسلام: ابن تيمية، وابن القيم.

٨- وردت أبواب قليلة لم يرد فيها شيء من القرآن، مثل: باب ما جاء في النشرة، باب ما جاء في الكهان ونحوهم، باب ما جاء في التنجيم، وغير ذلك من الأبواب.

٩- وبهذا يتبين أن الإمام حرص كل الحرص علىٰ أن يكون كتابه مشتملًا علىٰ الآيات والأحاديث، وأقوال السلف، ولم يذكر شيئًا من كلامه إلا فهمه للباب والمسائل، وقبل ذلك وبعده: الترتيب، وحسن التبويب.

١٠- يتبين لمن سبر كتاب التوحيد أن دعوة المصنف الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ مبنية علىٰ الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح[(١)].

---

(١) انظر: «تعريف الخلف» (ص٢٠٦).

سادسًا: مباحث الكتاب:

اشتمل الكتاب علىٰ مباحث مهمة، تظهر للمتأمل في أبواب الكتاب التي بلغت (٦٧) بابًا.

ويمكن أن نجمل هذه المباحث في المسائل الآتية:

١- ابتدأ المصنف الكتاب بوضع عنوان هو: كتاب التوحيد؛ فهو كالمقدمة لما سيأتي.

٢- بعد ذلك شرع في التشويق والترغيب إلىٰ هذا التوحيد ببيان فضل التوحيد، وبيان ثمرة من حققه.

٣- ثم بدأ بذكر التخويف والترهيب من ضده وهو الشرك.

٤- شرع في بيان أهمية الدعاء إلىٰ هذا التوحيد، وفسره بباب حتىٰ لا يُدعىٰ إلىٰ غيره.

٥- ذكر بعض الأمور التي تنقض التوحيد، أو تنقصه في (٨) أبواب متتالية، وهي:

١) باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.

٢) باب ما جاء في الرقىٰ والتمائم.

٣) باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

٤) باب ما جاء في الذبح لغير الله.

٥) باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغيره.

٦) باب من الشرك النذر لغير الله.

٧) باب من الشرك الاستعاذة بغير الله.

٨) باب من الشرك أن يستغيث بغير الله، أو يدعو غيره.

٦- ثم ذكر أبوابًا تدل علىٰ ضعف الشركاء وعجزهم، وأبوابًا تدل علىٰ عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن من عظمته أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وإلا فيمن أذن فيه، وأن الأمور بيد الله تعالىٰ؛ فهو الذي يهدي من يشاء هداية التوفيق والإلهام.

٧- تضمن الكتاب مباحث عدة في الأسباب المؤدية إلىٰ الشرك، مثل باب: ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، باب ما جاء من النهي عن عبادة الله تعالىٰ عند القبور، باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا.

٨- اشتمل الكتاب علىٰ بابين في بيان حماية الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جناب التوحيد، وأنه سد كل طريق موصل إلىٰ الشرك، وهذا فيه التأكيد علىٰ البلاغ التام الكامل.

٩- أوضح المصنف بعض أنواع الشرك الصريح، وذلك في أبواب متتالية من باب ما جاء في السحر إلىٰ باب القنوط من رحمة الله.

١٠- تضمن الكتاب بيان بعض شعب التوحيد ودلالاته، مثل: باب الصبر من الإيمان.

١١- أورد المصنف بعض ما قد يكون شركًا ويخفىٰ علىٰ بعض الناس، مثل: الرياء، إرادة الإنسان بعمله الدنيا، إطاعة العلماء والأمراء طاعة مطلقة في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله.

١٢- اشتمل الكتاب علىٰ أبواب عدة متعلقة بمباحث توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، ابتداء من: باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، إلىٰ باب قول الله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ [آل عمران:١٥٤].

١٣- في الكتاب باب في الرد علىٰ منكري القدر.

١٤- الأبواب الخاتمة جعلها المصنف في بيان عظمة الله تعالىٰ، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وذلك ابتداء من: باب ما جاء في المصورين، إلىٰ باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

سابعًا: شروح الكتاب:

اعتنىٰ بشرح «كتاب التوحيد» العلماء قديمًا وحديثًا، ولا يكاد يوجد طالب علم سلفي المعتقد إلا وقرأه ودرسه مع بعض شروحه.

وقد شرح الكتاب أئمة أجلاء، ومشايخ فضلاء، وإليك بيان شروح هؤلاء، مستفيدين مما قرره وبسطه مؤلف كتاب «عناية العلماء بكتاب التوحيد»(١).

١- «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»:

---

(١) انظر منه (ص٥٤-٨٨)، والكتاب للأخ/ عبد الإله الشايع.

تأليف: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ)، وهو أول شرح لكتاب التوحيد، ويعد من أطول شروحه.

لكن شارحه لم يكمله، حيث وافته المنية قبل أن يكمله، وكان وقف في نهاية باب: «ما جاء في منكري القدر».

وطلب الناشر للكتاب من سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت١٣٨٩هـ) إكمال الأبواب السبعة الباقية فلم يتيسر ذلك؛ فقام الناشر بنقل الشرح من كتاب «فتح المجيد».

وقد أثنىٰ العلماء علىٰ هذا الشرح ثناء عاطرًا؛ فقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (١٢٨٥هـ)[(١)]: «تصدىٰ لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله تعالىٰ- فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ت١٣٩٢هـ)[(٢)]: «أول من تصدىٰ لشرحه وأجاد، حفيده الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله».

وقال الشيخ البسام: «هو من نفائس الشروح»[(٣)].

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب مرات عدة، الأولىٰ سنة (١٣٨٢هـ) نشر المكتب الإسلامي،

---

(١) كما في مقدمة «فتح المجيد» (ص٧).

(٢) «مقدمة حاشية كتاب التوحيد» لابن قاسم.

(٣) «علماء نجد خلال قرون» (٢/ ٣٥٤).

بيروت، عن ثلاث نسخ خطية.

ثم طبع في نفس المكتب طبعات عدة أخرىٰ بلغت سبع طبعات.

مميزات هذا الشرح:

أ- هو أكبر شرح لكتاب التوحيد، وأوسع شرح.

ب- يذكر المتن مع الشرح.

ج- يمتاز بالنقل الكثير عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن حجر.

د- يرمز بحرف (ش) عند بداية الشرح، أو يقول: قلت.

هـ- اعتنىٰ بتخريج الأحاديث عناية تامة، حتىٰ يورد طرقها وشواهدها.

و- يفسر الآيات القرآنية.

ز- يمتاز بكثرة ما فيه من الأحاديث والآثار حتىٰ بلغت (٦١٥) حديثًا وأثرًا تقريبًا.

٢- «**تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد**»:

تأليف الشيخ: عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي البكري العجيلي (١٢٦٢هـ).

ومنهج المؤلف في شرحه علىٰ النحو الآتي:

أ- يورد الباب ويدخل الشرح بين كلمات الباب.

ب- يذكر جزءًا من النص ثم يشرحه، ثم يأتي بالجزء الذي بعده ويشرحه وهكذا.

ج- ينقل أقوال المفسرين في الآيات، ويشرح الحديث مع ذكر طرق الحديث.

د- يزيد بعد بيان الآية أو الحديث الأقوال المأثورة عن السلف ومن بعدهم.

هـ- يذكر أحيانًا مناسبة الآية أو الحديث للترجمة.

و- يترجم ترجمة مختصرة لبعض الرواة.

ميزات الكتاب:

١- عنايته بالألفاظ الغريبة، وضبطها، وبيان معانيها اللغوية من مصادرها.

٢- تحلية الشرح بالأبيات الشعرية.

٣- كثرة تعقيباته بعد الباب أو تفسير آية أو حديث.

٤- وجود بعض الإضافات العلمية والفوائد التي قد لا توجد في غيرها.

والكتاب مطبوع بتحقيق د. حسن بن علي حسين العواجي، طبعة دار أضواء السلف، الرياض (١٤١٩هـ) في مجلدين، يقع في (٥٨٨ صفحة).

٣- «**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**»:

تأليف: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ).

هذا الشرح هو من أشهر شروح كتاب التوحيد، وأكثرها انتشارًا، وهو أكثر ترتيبًا من «تيسير العزيز الحميد».

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[١]: «قرأت شرحه فرأيته أطنب في مواضع، وفي بعضها تكرار يُستغنىٰ بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله؛ فأخذت في تهذيبه، وتقريبه، وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة».

ثناء العلماء علىٰ الكتاب:

قال الشيخ ابن عيسىٰ:

ففي الفقه والتوحيد بحر غطمطم	**وفي بحثه التوحيد نادرة العصر**
فيضحىٰ عويص المشكلات موضحًا	**بتحقيق أبحاث أرق من الشعر**
فسل عنه في التوحيد (تهذيبه) الذي	**غدا بين تيك الكتب كالكوكب الدري**

طريقة المؤلف في الشرح:

١- يذكر النص مبينًا بقوله: قال المصنف، ثم يبدأ الشرح بحرف: (ش).

٢- يكثر النقل عن إمام المفسرين ابن جرير، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن كثير.

٣- ينبه علىٰ ذكر مناسبة النص للباب وعلاقته به.

٤- يذكر بعض المسائل الفقهية والأصولية، وبعض الفوائد والتنبيهات المهمة.

---

(١) مقدمة في «فتح المجيد» (ص٧).

٥- يترجم لبعض الأعلام.

٦- اعتنىٰ بتخريج الأحاديث النبوية.

٧- يعتمد علىٰ المصادر الأصلية، ويحيل إليها.

٨- يهتم بضرب الأمثلة لتقريب المعاني.

يتبين من خلال ما سبق أن الكتاب ليس هو تهذيبًا لتيسير العزيز الحميد، كما يظنه كثير من الناس، وإنما هذبه وزاد عليه، كما يتضح ذلك من خلال طريقته السابقة.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات كثيرة جدًّا، فقد طبع في دلهي سنة (١٣١١هـ)، ثم بالمطابع السلفية في القاهرة سنة (١٣٤٧هـ)، ثم بمطبعة أنصار السنة، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، وتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، ثم توالت الطبعات في مصر، والسعودية، ولبنان، وغيرها.

وطبع الكتاب مع تعليقات الفقي، وتعقيبات الشيخ عبد العزيز بن باز في المكتبة السلفية بالمدينة النبوية سنة (١٣٩٧هـ).

وأخيرًا صدر الكتاب عن دار الصميعي، ت/ د. الوليد الفريان، في مجلدين (٩١٢ صفحة)، قابلها المحقق علىٰ ثلاث نسخ خطية، ومطبوعتين، كما قابل متن كتاب التوحيد علىٰ مخطوطتين.

٤- «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»:

تأليف الشيخ العلامة: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وهو عبارة عن حاشية وتعليق علىٰ كتاب التوحيد، وقد اختصره مؤلفه من كتابه الكبير «فتح المجيد».

طريقة الشرح وميزاته:

١- لم يذكر المسائل التي في الأبواب.

٢- لم يسمِّ المؤلف كتابه بهذا الاسم، وإنما سماه ابنه الشيخ العلامة عبد اللطيف.

٣- رائع في أسلوبه مع اختصاره، قوي في حججه مع جزالة ألفاظه.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات عدة، أقدمها طبعة مطبعة المنار، حيث طبعوا الكتاب مع مجموعة التوحيد، سنة (١٣٤٦هـ).

وهو أيضًا مطبوع في مكة المكرمة ضمن «الجامع الفريد».

ثم طبع طبعات أخرىٰ مصرية، وسعودية، ومنها طبعة دار الإفتاء، بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٥- «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد»:

تأليف: الشيخ حمد بن علي بن عتيق (١٣٠١هـ).

وهو تلخيص لكتاب «تيسير العزيز الحميد»، مع بعض الزيادات، وقد ألفه سنة (١٢٥٥هـ).

يذكر المؤلف متن كتاب التوحيد، ثم التعليق علىٰ المتن.

طبع الكتاب طبعات عدة، من أهمها الطبعات التي قدم لها الشيخ إسماعيل ابن سعد بن عتيق.

٦- **«فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد»:**

تأليف: الشيخ حامد بن محمد بن حسن بن محسن.

ولم يعرف للمترجم ترجمة كما ذكر ذلك الشيخ بكر أبو زيد في مقدمة الكتاب، وقد قيل: إنه من علماء الهند، وقيل: إن أصله من اليمن.

وتأكد لدىٰ الشيخ بكر أبو زيد أنه من «الشارقة» من الإمارات، وأنه في أول القرن الثالث عشر.

وقد ذكر المؤلف في أول كتاب التوحيد أن سبب تأليفه لهذا الكتاب أن الله لما من عليه بالتوحيد، أراد أن يسلك مع السالكين في التوحيد، ليبين معاني التوحيد، وشعب الشرك.

طبع الكتاب في «أمرتسار» بالهند سنة (١٣١٧هـ)، وهو أول شرح يطبع كاملًا لكتاب التوحيد، ثم طبع بتحقيق وتعليق الشيخ د. بكر بن عبد الله أبو زيد، ويقع في (٤٩٨ صفحة).

طريقة المؤلف في الكتاب:

١- يربط بين المتن والشرح.

٢- يفسر الآيات والأحاديث، مع الإكثار في النقل عن شيخ الإسلام، وابن القيم.

٣- يوضح ترجمة كل باب.

٤- ترك التعليق علىٰ مسائل الباب.

٥- يكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية.

٧- **«الدر النضيد شرح كتاب التوحيد»:**

تأليف الشيخ: أحمد بن حسن النجدي.

وقد طبع الكتاب سنة (١٣١١هـ) في دلهي بالهند.

ولا يعرف الآن شيء عن الكتاب، ولا عن المؤلف.

٨- **«كتاب التوحيد»:**

تحقيق وتعليق: الشيخ محمد منير الدمشقي (١٣٦٧هـ) وهو من علماء الأزهر، وصاحب المطبعة المنيرية في القاهرة.

طبع الكتاب في الكويت في (١٣٢ صفحة).

٩- **«القول السديد في مقاصد التوحيد»:**

تأليف: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٦٧هـ).

طريقة المصنف في الكتاب:

١- ذكر مقدمة مختصرة مشتملة علىٰ مجملات عقيدة أهل السنة والجماعة في الأصول.

٢- يذكر المتن قبل الشرح.

٣- لا يعلق علىٰ مسائل الكتاب.

٤- قد يترك التعليق علىٰ بعض الأبواب لما يرىٰ من وضوحه، وإن كان يشرح في الغالب، ويذكر مناسباتها.

٥- يذكر المعنىٰ الإجمالي للباب.

٦- اختصر المصنف في الشرح.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات كثيرة، منها: طبعة مؤسسة النور في (١٣٨صفحة)، باعتناء الشيخ علي المحمد الصالحي، وطبعة الجامعة الإسلامية، سنة (١٤٠٩هـ).

وطبع الكتاب ضمن المجموعة الكاملة للشيخ السعدي، منشورات مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، سنة (١٤١١هـ).

١٠- «**حاشية كتاب التوحيد**»:

تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم القحطاني النجدي (ت ١٣٩٢هـ).

وقد انتخبها مصنفه من شروح كتاب التوحيد، مثل: «تيسير العزيز الحميد»، «فتح المجيد»، «قرة عيون الموحدين»، «إبطال التنديد»، مع الاستفادة مما كان يلقيه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت ١٣٣٩هـ)، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩هـ)، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت ١٣٨٩هـ)، ذكر ذلك المؤلف في مقدمة كتابه.

طريقة المصنف في الكتاب:

١- يذكر متن كتاب التوحيد في أعلىٰ الكتاب.

٢- يتكلم علىٰ الأسانيد والروايات المختلفة، ويترجم للرواة.

٣- يذكر فوائد لغوية ونحوية أيضًا.

٤- يكثر من النقول عن العلماء، خاصة شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم.

٥- صدر الكتاب بترجمة للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٦- لا يذكر المسائل التي في الباب.

وقد طبع الكتاب طبعات عدة، ومنها طبعة ابن المؤلف، عام (١٤٠٨هـ) في (٤١٠ صفحات).

١١- **«الدر النضيد في شرح كتاب التوحيد»:**

تأليف: الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان (ت ١٣٩٧هـ)، وقد انتهىٰ من تأليف الكتاب في ٢٣/ ٥/ ١٣٨٦هـ في مدينة الطائف.

طبع الكتاب في المطبعة السلفية سنة (١٣٩٦هـ) في (٣٤٧ صفحة).

وقد أثنىٰ الشيخ بكر أبو زيد علىٰ الكتاب فقال[١]: «وكان تأليفه لكتاب الدر النضيد في شرح كتاب التوحيد، ونظم الفرائض من حصيلة تدريسه سنين طويلة، لهذا كان شرحه «الدر النضيد» من أنفس شروح كتاب التوحيد».

وقال: «وهي من أحسن مؤلفاته، بل هي من أنفس شروح هذا الكتاب مطبوعة».

طريقة المؤلف:

١- يورد متن كتاب التوحيد في أعلىٰ الصفحة.

٢- أتبع كل آية أو حديث بما استنبطه المصنف من الفوائد.

٣- اعتنىٰ بشرح وتفسير الآيات.

٤- يركز علىٰ شرح المسائل التي في متن كتاب التوحيد.

٥- الكتاب فيه خلاصة ما ذكره شراح كتاب التوحيد.

١٢- «إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»:

تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي (ت ١٤٠٤هـ).

يقع الكتاب في (٢٤٣ صفحة)، صدر عن دار اللواء، وقد قدم له الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد.

طريقته في الشرح ومميزاته:

١- يذكر كتاب التوحيد في أعلىٰ الصفحة مع الرمز له بحرف (م)، وعند

---

(١) مقدمة الشيخ بكر أبو زيد لكتاب «هداية الأريب الأمجد في معرفة أصحاب الإمام أحمد».

بداية الشرح يرمز بحرف (ش).

٢- الشرح من الشروحات المتوسطة.

٣- يتعرض للخلاف القوي ويرجح أيضًا.

٤- جعل في نهاية كل باب أسئلة.

٥- يربط بين الباب والذي قبله.

٦- ذكر مراجعه التي اعتمد عليها، ومنها: «تيسير العزيز الحميد»، «فتح المجيد»، «تفسير ابن كثير»، «تفسير الشوكاني»، وكتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، و«شرح الطحاوية» وغيرها.

١٣- «**التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد**».

تأليف: الشيخ عبد الله بن محمد الدويش (ت ١٤٠٩هـ)، انتهىٰ مؤلفه من الكتاب في (٥/ ٩/ ١٤٠٨هـ) في مكة المكرمة.

طبع الكتاب في (١٢٠صفحة) في مطابع القصيم في الرياض، وطبع ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الله الدويش.

والكتاب -كما هو واضح من اسمه- شرح لمسائل كتاب التوحيد، مع ذكر الأدلة عليها، وبيان أهميتها، وطريقته في الشرح الاختصار وعدم الإطناب.

وهو الكتاب الوحيد الذي أفرد في شرح مسائل كتاب التوحيد.

١٤- «**الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة علىٰ كتاب التوحيد**»:

جمع وتحقيق: الشيخ عبد الله بن جار الله الجار الله (ت ١٤١٤هـ).

هذا الكتاب هو شرح متوسط، وضعه مؤلفه علىٰ طريق السؤال والجواب، وقد استفاد من «تيسير العزيز الحميد»، و«فتح المجيد»، و«إبطال التنديد».

يحتوي الكتاب علىٰ ما يقارب (٢٠٠) سؤال وجواب في التوحيد.

طريقته في الكتاب:

١- يذكر أولًا متن كتاب التوحيد.

٢- يبين معاني المفردات مع الشرح الإجمالي.

٣- يذكر ما يستفاد من النصوص.

٤- يبين مناسبة النصوص للباب، أو لكتاب التوحيد.

٥- يبين مناسبة الأبواب لكتاب التوحيد.

٦- يبين مراد المؤلف من الباب.

٧- حذف المسائل من متن كتاب التوحيد.

٨- كل ذلك موضوع علىٰ طريقة السؤال والجواب.

طبعات الكتاب:

طبع الكتاب طبعات كثيرة في حياة المؤلف، ومن آخرها طبعة الصميعي في (٣٤٤صفحة).

١٥- «**التعليق المفيد علىٰ كتاب التوحيد**»:

تعليق: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ).

وقد طبع الكتاب في مكتبة التراث الإسلامي بمصر في (٣٠٢صفحة)، ولم يقدم الشيخ للكتاب.

يذكر المتن في أعلىٰ الصفحة ثم التعليق، ولم يشرح الشيخ بعض الأبواب، وقد وضع عليها الناشر الشرح من «فتح المجيد».

١٦- **«الدر النضيد علىٰ كتاب التوحيد»**:

تأليف: الشيخ سعيد بن عبد العزيز الجندول.

وطبع الكتاب سنة (١٣٩٨هـ) في الرياض، في (٢٩٦صفحة)، وطبع الطبعة الرابعة بتقديم الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ.

وطريقته أنه يذكر بعد كل باب الهدف منه، ثم يشرح نصوصه، وخلاصة ما تقدم غالبًا بطريقة ميسرة، وقد ذكر الشارح في مقدمة الكتاب طريقته في التأليف.

١٧- **«التعليق المختصر المفيد علىٰ كتاب التوحيد»**:

تأليف: الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان.

وهو تعليق مختصر علىٰ كتاب التوحيد، يدرس للمرحلة المتوسطة في المعاهد العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والتعليقات مستفادة من شروح كتاب التوحيد المطولة والمختصرة، وغيرها.

ويقع الكتاب في (١٧٢صفحة)، وقد طبع عدة طبعات مدرسية، وغيرها.

طريقة المؤلف:

١- أَوْرَدَ المتن في أعلىٰ الصفحة.

٢- يذكر موضوع كل كتاب وما يتحدث عنه.

٣- يبين المعنىٰ الإجمال للآيات ومناسبتها وما يستفاد منها، وكذلك الأحاديث.

١٨- «**إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**»:

تأليف: الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان.

وقد طبع في مؤسسة الرسالة، بيروت، في مجلدين (٩٩٧صفحة)، وهذا الشرح في الأصل كان في أشرطة ثم فرغ وطبع علىٰ شكل كتاب، بعد أن هذبه الشيخ ونقحه بنفسه.

طريقة الشيخ في الكتاب:

١- وضع المتن في أعلىٰ الصفحة.

٢- يبين مناسبة الباب لكتاب التوحيد.

٣- يفسر الآيات، ويشرح الأحاديث.

٤- تضمن الشرح فوائد لغوية وأصولية.

٥- يبين الأعلام الوارد ذكرهم في كتاب التوحيد من الصحابة وغيرهم.

٦- يبين دلالات الآيات، والأحاديث علىٰ التوحيد.

١٩- «**حاشية المستفيد علىٰ مواضع من فتح المجيد**»:

تأليف: الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي.

وقد طبع الكتاب مع «فتح المجيد» في مطابع دار الطرفين، ودار العليان، سنة (١٤١٩هـ)، في (٧٣٩صفحة) مع «فتح المجيد».

وهذه التعليقات قليلة، وعلىٰ بعض المواضع.

٢٠- «**فوائد من شرح كتاب التوحيد**» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين:

إعداد: الشيخ د. عبد العزيز بن محمد السدحان.

صدر عن دار المسلم، ويقع في (١٣٧صفحة)، وطبع طبعة أخرىٰ.

وهذه الفوائد علقها الشيخ السدحان من دروس الشيخ الجبرين، وهذه الفوائد متنوعة في: التفسير، الحديث، العقيدة -وهي الأكثر-، وقد بلغت هذه الفوائد (٢٥٤) فائدة.

٢١- «**القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد**»:

تأليف: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ).

يقع الكتاب في مجلدين في (١١٦٦صفحة)، وهو من أكبر شروح كتاب التوحيد وأشملها، وأصله من دروس ألقاها الشيخ علىٰ طلابه، وسجلت علىٰ أشرطة، ثم فرغت هذه الأشرطة.

طريقة المؤلف:

١- جعل كتاب التوحيد في أعلىٰ المتن.

٢- يشرح عنوان الباب.

٣- يفسر الآيات والأحاديث ويأتي بفوائد منها.

٤- يشرح مسائل الكتاب ويوضحها.

٥- يستشهد بالأبيات الشعرية.

٦- يورد تنبيهات مهمة، وفوائد جمة، وخلاصة المسائل، وبعض الملاحظات.

٧- يبين مناسبة الترجمة للكتاب ومناسبة الآيات والأحاديث للأبواب.

٨- يورد بعض المسائل الفقهية.

٩- يترجم لبعض الرواة ويبين حالهم.

١٠- ينقل في الشرح عن العلماء المتقدمين، خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية.

١١- احتوىٰ الكتاب علىٰ الكثير من المباحث اللغوية والنحوية أيضًا.

٢٢- «**الفوائد المنتقاة من شرح كتاب التوحيد**» للشيخ محمد بن صالح العثيمين:

إعداد: إسماعيل بن مرشود الرميح.

وقد صدر عن دار طويق في (٩٩صفحة)، وذكر معده (٩٦) فائدة من شرح الشيخ لكتاب التوحيد، وأكثر هذه الفوائد في مسائل الاعتقاد، ويحتوي علىٰ

بعض الفوائد في الأحكام الشرعية، واللغوية، والتحذير من بعض الألفاظ المخالفة للشرع.

٢٣- «**الجديد في شرح كتاب التوحيد**»:

تأليف: الشيخ محمد بن عبد العزيز القرعاوي.

ذكر المصنف طريقته في الشرح؛ فقال(١):

«**أولًا**: إيراد النص؛ فإذا كان النص آية، وصاحب المتن لم يكملها، كملتها تتميمًا للفائدة، وقد يستلزم المعنىٰ إيراد آية قبلها أو بعدها.

ثانيًا: شرح الكلمات.

ثالثًا: الشرح الإجمالي.

رابعًا: استخراج الفوائد.

خامسًا: المناسبة، وتنقسم إلىٰ قسمين: مناسبة النص للباب، وهذه المناسبة تورد في كل باب، ومناسبة النص للتوحيد فهذه قد تورد أحيانًا إذا اقتضىٰ الأمر ذلك.

سادسًا: قد تكتب ملاحظة بعد المناسبة أحيانًا إذا اقتضىٰ الأمر ذلك.

سابعًا: المناقشة علىٰ النص».

وقد أثنىٰ علىٰ الكتاب الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

---

(١) «مقدمة الجديد شرح كتاب التوحيد» (ص٥-٦).

وطبع الكتاب عدة طبعات، منها طبعة مكتبة السوادي، جدة، اعتنىٰ به محمد أحمد سيد أحمد.

٢٤- «كتاب التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد مع تعليقات مختصرة مفيدة تبين مجمله وتوضح غريبه»:

أعدها: محمد بن عبد العزيز المسند.

وقد راجع الكتاب جمع من العلماء، وطبع في دار السلسبيل بحجم صغير، في (١١٢ صفحة)، وقد طبع طبعات خيرية، ووزع في مشروع مراسلة.

٢٥- «فضل الغني الحميد تعليقات مهمة علىٰ كتاب التوحيد»:

تأليف: ياسر برهامي.

وقد طبع في الإسكندرية، في (١٧٧صفحة)، علق مؤلفه علىٰ أهم مقاصد كتاب التوحيد، بشكل مختصر مع التوسع في بعض القضايا.

٢٦- «كتاب التوحيد مع شرح مختصر من فتح المجيد»:

من إصدارات دار ابن حزم، بيروت، ويقع في (١٩٩صفحة)، ولم نعرف المُختَصِر.

٢٧- «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»:

تأليف: الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

وكان أصل الكتاب عبارة عن دروس سجلت، ثم فرغت، وتداولها طلبة

العلم مصورة، ثم نظر فيها الشيخ فأذن بإخراج الكتاب مطبوعًا.

قال المؤلف في مقدمة الكتاب: «هذا شرح لكتاب التوحيد، شرحته في مجالس متصلة في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بحي سلطانة في مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، وقد فرغ من الأشرطة المسجلة، وأصلحت بعض الألفاظ بما يناسب المكتوب؛ فلم أقصد إلىٰ تأليف شرح...».

وقد طبع الكتاب دار التوحيد في الرياض، في (٦٣١صفحة)، وهو متداول منشور.

٭٭٭



القسم الثاني

شرح الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

١- كتاب التوحيد(٢)

(١) ابتدأ المصنف كتابه بالبسملة اتباعًا للكتاب العزيز، واقتداء بالسنة النبوية، حيث كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبتدئ كتبه ورسائله بالبسملة، ولأنها تفيد التوكل علىٰ الله تعالىٰ، وطلب العون منه، والتجرد من الحول والقوة.

(٢) (كتاب) مصدر: كتب يكتب كتابًا، والمصدر يطلق ويراد به الفعل، ويطلق ويراد به المفعول؛

فعلىٰ الأول يكون المعنىٰ: هذا ما كتبته وجمعت فيه أبواب التوحيد.

وعلىٰ الثاني يكون المعنىٰ: هذا مكتوب مجموع فيه أبواب التوحيد.

والإمام يريد بهذا التنبيه إلىٰ أن هذا كتاب جُمع فيه أبواب عدة متعلقة بالتوحيد، تعريفًا به، وبيانًا لمعناه، وتنويهًا بمقتضاه، وذكرًا لضده، وإشارة إلىٰ مكملاته ونواقصه.

وذكر المصنف تحت هذا العنوان آيات وأحاديث؛ مما يدل علىٰ أنه أراد بذلك الإشارة إلىٰ التوحيد، وبيان المراد من عنوان الكتاب بما ذكره من الآيات والأحاديث.

(التوحيد) تفعيل، **وهو لغة علىٰ أربعة معانٍ**:

الأول: جعل الشيئين شيئًا واحدًا. انظر: «القاموس المحيط» مادة (وحد).

الثاني: الحكم علىٰ الشيء بأنه واحد. «التعريفات» للجرجاني (ص٩٦).

الثالث: نسبة الشيء إلىٰ الوحدانية والانفرادية ونفي الشركاء عنه. «الكواكب الدراري» (٢٥/ ٩٥).

الرابع: العلم بأن هذا الشيء واحد لا شريك له. «التعريفات» للجرجاني (ص٩٦)، «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٣٤٥).

واصطلاحًا: هو الاعتقاد بأن الله واحد في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، لا شريك له ولا نظير له ولا ندَّ له في ذلك كله. «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٣)، «القول السديد» (ص١١)، «دعوة التوحيد» (ص٧-٨)، «الكواشف الجلية» (ص٤١٧).

١ – قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

٢ – ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

٣ – ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

٤ – ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦].

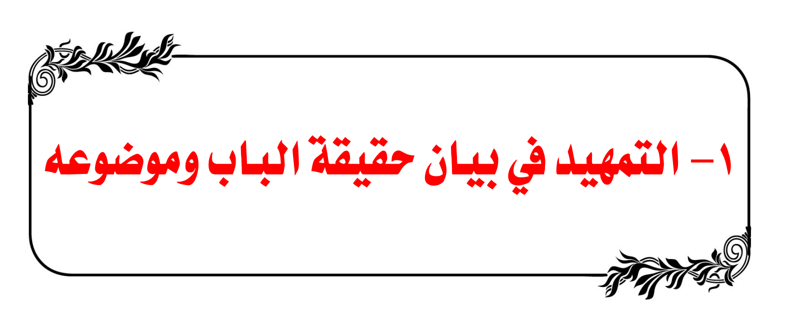
٥ – ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام:١٥١].

٦ – وعن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت رديف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حمار، فقال لي: **يا معاذ، أتدري ما حق الله علىٰ العباد وما حق العباد علىٰ الله؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد علىٰ الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: **لا تبشرهم فيتكلوا**». أخرجاه في الصحيحين[(١)].

٧ – قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من أراد أن ينظر إلىٰ وصية محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ الآية».

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٢٧٠١)، ومسلم (١/ ٥٨) حديث رقم (٣٠).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

وجوب التوحيد وأنه الفرض الأعظم علىٰ جميع العبيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

أي: هذا الكتاب في بيان معنىٰ التوحيد، وحقيقته، ومكملاته، ونواقضه، ونواقصه.

والتوحيد هو حق الله الواجب، والفرض الأعظم علىٰ جميع العبيد، ومعناه: توحيد الله تعالىٰ في ذاته، وأفعاله، وأسمائه، وصفاته، وإفراده بالعبادة دون غيره، وهو ثلاثة أنواع:

١- **توحيد الربوبية:** وهو توحيد الله بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإقرار بأنه المنفرد بكل ذلك[1].

---

(١) **تنبيه:** اعلم أن الفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية حقيقة واقعية، وهذا الفرق معلوم من دين الرسل بالضرورة، والقول بعدم الفرق بينهما والقول باتحادهما منشأ ضلال كثير من الفرق الضالة كالقبورية والصوفية والمتكلمين.

وهذا الفرق من عدة وجوه:

=

٢- **توحيد الألوهية**[١]: وهو توحيد الله بأفعال العباد؛ كالصلاة، والذبح، والنذر، والدعاء، والاستغاثة، وعدم صرف شيء من العبادة لغيره.

=

الأول: أن توحيد الربوبية دليل علىٰ توحيد الألوهية، كما تدل عليه آيات كثيرة من القرآن، والدليل غير المدلول هنا.

الثاني: أن توحيد الربوبية جزء من توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية كُلٌّ.

الثالث: أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وشامل له دون العكس، فمن حقق توحيد الألوهية، فقد حقق توحيد الربوبية ولا عكس.

الرابع: أن توحيد الربوبية أمر اعترف به المشركون دون توحيد الألوهية، فتوحيد الألوهية هو مفترق الطرق بين المسلمين وبين الكافرين.

الخامس: أن من قال (لا إله إلا الله) فقد أسلم، دون من قال: (لا رب إلا الله)، فإن هذا لا يكفي.

انظر: «شرح الطحاوية» (ص١٥-٣٢).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «الدرر السنية»** (٢/ ٦٧-٦٨):

«**الأصل الأول**: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به المشركون في زمن الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والآيات علىٰ هذا أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر.

والأصل الثاني: هو توحيد الألوهية فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه». اهـ

وقد سبق بيان شيء من هذا في المقدمة (ص٣١).

(١) (الألوهية) هي العبودية، والإله: فعال، بمعنىٰ المألوه؛ أي: المعبود، وكل ما اتخذ معبودًا فهو إله عند متخذه.

انظر: «القاموس»، مادة (أله).

والإله يطلق علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ كل معبود غير الله تعالىٰ، فالإله يطلق علىٰ المعبود بحق وعلىٰ المعبود بباطل، وأما «الله» فلا يطلق إلا علىٰ الإله الحق، وهو الخالق لهذا الكون، الرازق لعباده، الرب للكائنات.

انظر: «تاج العروس» (٩/ ٣٧٥)، وانظر: «اللسان» (١٣/ ٤٦٨-٤٦٩).

٣- **توحيد الأسماء والصفات**: وهو توحيد الله بأسمائه وصفاته بأنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من الأسماء والصفات وإثبات حقيقتها مع تنزيه الله عن مشابهة الخلق.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عقد هذا الباب الإشارة إلىٰ التوحيد الذي أَلَّف فيه؛ وبيَّن أنه إنما يبين التوحيد الذي هو حق الله علىٰ العبيد، وهو الذي من أجله خلق الله الخلق، وأرسل به الرسل، وأن كل ما جاء في فضل التوحيد إنما هو هذا التوحيد الذي سيبينه ويذكره فيما يأتي من الأبواب.

د- مناسبة الباب:

مناسبة هذا التبويب لما بعده من الأبواب ظاهر؛ فهي كالمقدمة للكتاب، حيث فيها الإشارة إلىٰ التوحيد الذي سيبينه بالأبواب الآتية، من حيث فضله، ونواقضه، ونواقصه، ومكملاته.

هـ- وجه استشهاد المصنف بالآيات والأحاديث:

الآية الأولىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾: فيها الإخبار علىٰ أن الله تعالىٰ أنه ما أوجد الجن والإنس إلا لعبادته، وهذه الحكمة الشرعية من خلقهم، فخلقهم ليوحدوه، ويعلمهم أنه خالقهم، ورازقهم، وابتلاهم بالأوامر والنواهي ليعبدوه، وحتىٰ تكون العبادة علىٰ بصيرة أنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ كما دل علىٰ ذلك الآية الثانية.

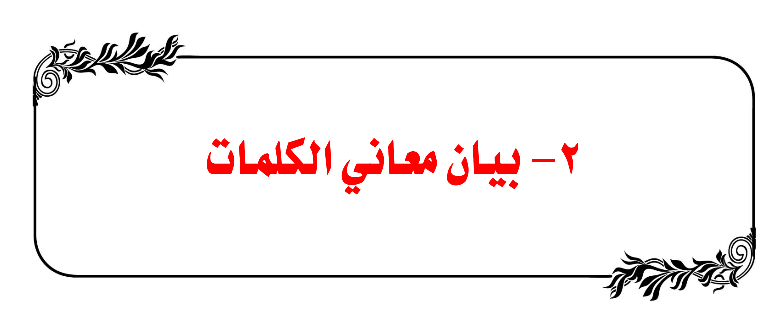
الآية الثانية: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾: فيها الدلالة على أنه أرسل الرسل في كل طائفة من الناس يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة ما سواه، فيؤمرون بالتوحيد، وينهون عن الشرك.

الآية الثالثة: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾: فيها الدلالة على أن الله أمر وأوصى بالتوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وألا يعبد غيره، وأمر بما يكمل التوحيد من الأفعال.

الآية الرابعة: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾: فيها الدلالة على أن عبادة الله من دون البعد عن الشرك غير مجدٍ، بل المنجي: عبادة الله وحده، والبعد عن الشرك.

الآية الخامسة: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾: فيها الدلالة على أن أول المحرمات الشرك، وأنه هو أعظم المحرمات؛ فبدأ به؛ لأنه مناقض للتوحيد.

حديث معاذ مرفوعًا: «**حق الله على العباد**»: أراد المصنف من إيراد الحديث بيان حق الله تعالى على العباد بإخبار رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عبادته وحده لا شريك له، وهو التوحيد.

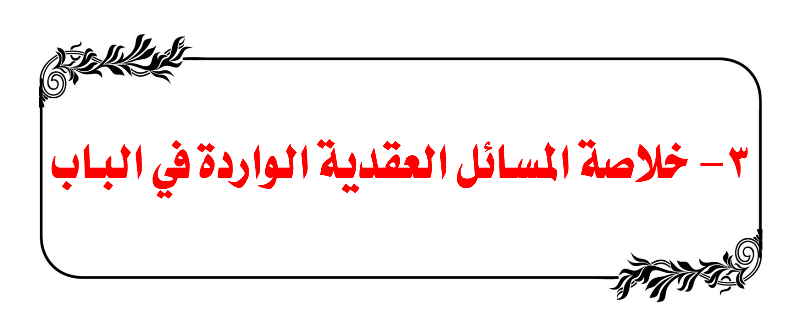


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
بعثنا	أرسلنا.
كل أمة	كل طائفة وقرن من الناس.
رسولًا	الرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.
اعبدوا الله	أفردوه بالعبادة.
واجتنبوا	اتركوا وفارقوا.
الطاغوت	الشيطان، وكل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ.
قضىٰ	أمر ووَصَّىٰ.
ربك	الرب هو المالك المتصرف الذي ربىٰ جميع العالمين بنعمه.
وبالوالدين إحسانًا	الإحسان إلىٰ الوالدين هو البر بهما والدعاء لهما.
لا تشركوا	الشرك هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.
تعالوا	هلموا وأقبلوا.

أتل	أقص عليكم وأخبركم.
حرم	الحرام لغة: الممنوع، وشرعًا: ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه امتثالًا.
أتدري	هل تعرف.
حق العباد على الله	ما كتبه علىٰ نفسه تفضلًا منه وإحسانًا.
أبشر الناس	أخبرهم بذلك ليسروا به.
يتكلوا	يعتمدون علىٰ ذلك فيتركون التنافس في الأعمال الصالحة.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الحكمة من خلق الجن والإنس:

هي عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فأخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه ما أوجد الجن والإنس إلا لعبادته، وعبادته: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهىٰ عنه وزجر.

وأصل العبادة: التذلل والخضوع، وهي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ب- التوحيد هو أول دعوة الرسل:

التوحيد هو أول دعوة الرسل، وأول ما أمر الله به من الواجبات؛ فجميع الكتب السماوية، وجميع الرسل -وخصوصًا نبينا محمدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعوا إلىٰ التوحيد بإفراد الله وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده، ونهوا عن ضده من الشرك، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، فأخبر الله تعالىٰ أنه أرسل في كل طائفة من الناس رسولًا يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة ما سواه، فدين الأنبياء واحد وهو إخلاص العبادة لله، وإن اختلفت شرائعهم، قال تعالىٰ:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عن كل من أرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾».

ج- إخلاص العبادة لله وعدم الشرك به:

ذلك هو دين الأنبياء والرسل الكرام؛ فيجب إفراد الله بالعبادة، والعبادة لا تصح إلا بالكفر بالطواغيت التي عُبدت من دون الله، وقد قرن الله تعالىٰ الأمر بعبادته في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]. بالنهي عن الشرك به فيها؛ فدل علىٰ أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة.

قال العلامة النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد نبَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أن أفضلها التوحيد المتعين علىٰ كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته».

والشرك حرام قليله وكثيره، كبيره وصغيره، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [المائدة:١٥١]، فالآية والتي قبلها تدل علىٰ وجوب إفراد الله سبحانه بالعبادة دون غيره، فلا يجوز أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ١٥٤).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٤).

فإخلاص الدين لله، وعبادته وحده، هو الركن الركين، ومن لم يأت به، فليس بمسلم، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بني الإسلام علىٰ خمسة: علىٰ أن يوحدوا الله...**».

وفي رواية: «**علىٰ أن يعبدوا الله، ويكفروا بما دونه**»[1].

وفي رواية: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه علىٰ الله**»[2].

د- التوحيد أول الطاعات وأفضلها:

التوحيد أول الطاعات وأفضلها، فمن بركة التوحيد الطاعة بعدها، ومن شؤم السيئة -ولا أشأم من سيئة الكفر والشرك- أن تتلوها سيئات وموبقات.

هـ- بيان حق الله علىٰ العباد وحق العباد علىٰ الله:

حق الله علىٰ العباد هو عبادته وحده لا شريك له، وذلك هو التوحيد.

وحق العباد علىٰ الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا؛ فاقتصر علىٰ نفي الشرك؛ لأنه يقتضي تحقيق التوحيد.

وهذا الحق هو الذي جعله الله تعالىٰ علىٰ نفسه كرمًا منه وفضلًا، ومعناه متحقق لا محالة؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم علىٰ توحيده.

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإيمان، (ح١٦)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، (ح٢٣).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١ - أن التوحيد هو أول ما أمر الله به من الواجبات، وآكد الحقوق الواجبة علىٰ الخلق، ويدل لهذا حديث معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين أرسله النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ اليمن حيث قال له: «**فأول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**». وسيأتي.

وهذا يدل علىٰ أن أول واجب هو الإقرار بالشهادتين والاعتقاد بهما، ويدل أيضًا علىٰ فساد قول المعتزلة والماتريدية والأشعرية وغيرهم[1]: حيث زعموا أن أول واجب هو النظر، أو القصد إلىٰ النظر، أو هو الشك، وكل هذه الأقوال لا ريب في بطلانها، بالدليل السابق وغيره.

٢- أن الشرك أعظم المحرمات؛ سواء كان في الأقوال، أو الأفعال، أو الإرادات.

٣- أهمية القضايا الواردة في آيات سورة الإسراء، وهي:

- الوصية بعبادة الله وحده لا شريك له.

- الوصية بالإحسان إلىٰ الوالدين.

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية» (ص١٦).

- إعطاء ذي القربىٰ، والمسكين، وابن السبيل -المسافر- حقوقهم.

- النهي عن التبذير والإسراف، والنهي عن الإمساك والشح.

- النهي عن قتل الأولاد -مهما كان الدافع- ولو كان خشية الحاجة والفاقة.

- النهي عن الزنا، وأنه فاحشة وسبيل سوء لقضاء الوطر، وعاقبته وخيمة.

- النهي عن قتل النفس المعصومة بغير جرم شرعي يوجب قتلها.

- النهي عن قربان مال اليتيم إلا بالنفع والكمال اللذين يعودان علىٰ المال بالأحسن.

- وجوب الوفاء بالعهود.

- وجوب الوفاء بالكيل والوزن.

- خطورة القول علىٰ الله بغير علم والنهي عنه.

- النهي عن المشي في الأرض مرحًا، وهو كناية عن التكبر والتجبر والتبختر.

٤- أهمية الوصايا الواردة في سورة الأنعام، وهي:

- تحريم الإشراك بالله.

- الأمر بالإحسان إلىٰ الوالدين.

- تحريم قتل الأولاد مهما كان الدافع، ولو كان الدافع الخوف عليهم من الفقر.

- تحريم إتيان الفواحش الظاهرة والخفية.

- تحريم قتل النفس بغير حق.

- تحريم أكل مال اليتيم، ومشروعية العمل علىٰ إصلاحه.

- وجوب الوفاء بالكيل والوزن، والعمل بالعدل حسب الوسع والقدرة.

- وجوب العدل في الأقوال والأفعال للقريب والبعيد.

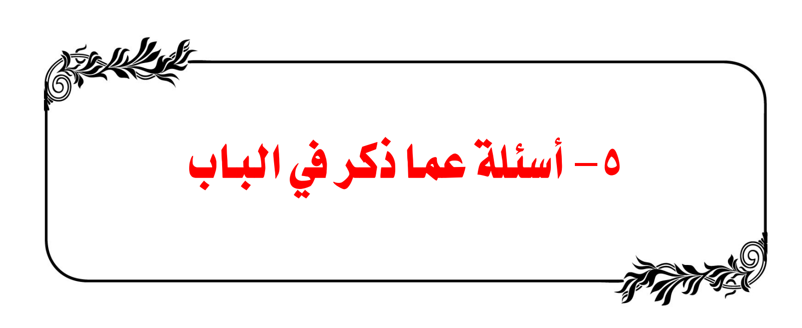
- وجوب الوفاء بالعهد.

- وجوب اتباع الصراط المستقيم، وهو طريق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاعتقاد، والعبادة، والسلوك، والعلم، والعمل، وعدم الزيغ إلىٰ طرق البدعة والضلالة، فإن اتباع الطرق سبب للتفرق والتشرذم.

٥- معرفة حق الله علىٰ العباد وحق العباد علىٰ الله، وهو أن يعبدوه وحده لا شريك له.

٦- فضل التوحيد وجزاء من تمسك به.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما المراد بالتوحيد لغة واصطلاحًا؟

س٢- اذكر أنواع التوحيد؟

س٣- بين بعض الفروقات بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية؟

س٤- ما غرض المصنف من افتتاح كتاب التوحيد بهذا العنوان؟

س٥- ما معنىٰ الكلمات التالية (الطاغوت، قضىٰ، حرَّم)؟

س٦- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب؟

س٧- وضح بعض الفروقات بين الوصايا في سورة الأنعام وسورة النساء؟

❊❊❊

٢- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

١- قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢][١].

٢- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة علىٰ ما كان من العمل**». أخرجاه[٢].

---

(١) **أقول**: هذه الآية قد فسرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن تفسير بحيث تدل علىٰ فضل التوحيد، وعظم أمره، ورفيع مكانته، وأن التوحيد صاحبه ناجٍ ولابد ولو عُذِّب ببعض ذنوبه، ولكنه آخر الأمر يدخل الجنة بفضل الله تعالىٰ.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قلت: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟ قال: **ليس كما تقول، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بشرك؛ ألم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**». رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب رقم (١٢)، حديث رقم (٣١٨١).

فعلم من هذا أن من وحد الله تعالىٰ ولم يشرك به شيئًا فهو لابد أن يكون من أهل الجنة، ولو بعد حين، وإن بلغت ذنوبه عنان السماء، وهذا دليل علىٰ فضل التوحيد وعظم شأنه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢٦٧)، حديث رقم (٣٢٥٢).

٣- ولهما في حديث عتبان: «**فإن الله حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(١)].

٤- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال موسىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسىٰ: لا إله إلا الله. قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسىٰ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**». رواه ابن حبان، والحاكم وصححه[(٢)].

٥- وللترمذي وحسنه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تعالىٰ: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»[(٣)].

❀❀❀

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، حديث رقم (٤١٥)، ومسلم في «صحيحه»، حديث رقم (٣٣).
وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في «فتح الباري»** (١/ ٥٢٢): «قيل: المراد أن من قالها مخلصًا لا يترك الفرائض؛ لأن الإخلاص يحمل علىٰ أداء اللازم، وتعقب بمنع الملازمة، وقيل: المراد تحريم التخليد، أو تحريم دخول النار المعدة للكافرين لا الطبقة المعدة للعصاة، وقيل: المراد تحريم دخول النار بشرط حصول قبول العمل الصالح».

(٢) رواه ابن حبان «موارد الظمآن» (ص٥٧٧)، حديث رقم (٢٣٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) «سنن الترمذي» (٥/ ٥٤٨)، كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥٤٠).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان شيء من فضائل التوحيد، وآثاره الحميدة، ونتائجه الجميلة، وأنه أعظم الأعمال في تكفير الذنوب؛ لأنه أساس الأعمال، وأصلها، والأعمال لا تقبل إلا بعد وجوده.

ب- شرح ترجمة الباب:

أراد أن هذا باب فيه ذكر لبعض الآيات والأحاديث الدالة علىٰ فضل وثمرة التوحيد، وبيان ما يغفره الله من الذنوب بسببه، وما يتجاوز الرب عن العبد لأجله، وفضل التوحيد هو ثمراته، وأجره، وثوابه.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

ساق المؤلف هذا الباب لبيان فضل التوحيد، وآثاره الحميدة، وثمراته الجميلة العظيمة في الدنيا والآخرة.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب السابق أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول

الحقوق الواجبة علىٰ العباد ناسب أن يذكر فضل التوحيد، حتىٰ يكون ذلك أدعىٰ للقبول، وأدعىٰ لرغبة الناس فيه.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: فيها بيان فضل التوحيد الكامل، وأن الأمن التام يحصل بالتوحيد الكامل، ومن نقص توحيده ينقص بقدره أمنه واهتداؤه.

والحديث الأول: حديث عبادة: «**من شهد أن لا إله إلا الله...**»: فيه بيان أن الموحد يدخل الجنة وهذه فضيلة كبيرة من فضائل التوحيد، سواء كان دخوله أوليًّا كما هو حال السابقين، أو دخولًا بعديًّا كما هو حال الظالمي أنفسهم، ولا ريب أن هذه الشهادة ينتفع بها من أتىٰ بالتوحيد قلبًا وعملًا، ولا يحصل التوحيد دون اعتقاد وعمل.

وأما الحديث الثاني: حديث عتبان: «**فإن الله حرم علىٰ النار**»: فيه بيان خبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل التوحيد ممنوعون من دخول النار، وهذا إنما يكون لمن قالها يريد وجه الله ومرضاته، وأهل هذه المرتبة إيمانهم وإخلاصهم الكامل يردعهم عن السيئات وعن الإصرار عليها، فيدخل الجنة ابتداء مع أول الداخلين[1].

والثالث: حديث أبي موسىٰ: «**يا موسىٰ، لو أن السموات...**»: أورد

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص١٩).

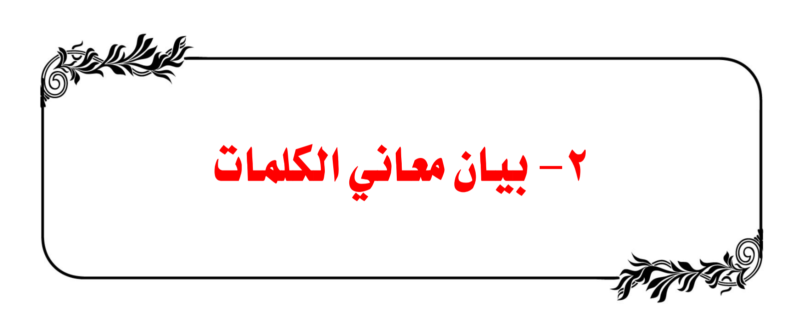
المصنف الحديث لأنه يدل علىٰ فضل كلمة التوحيد، وأنها ذكر، ودعاء، ومن قالها بصدق ويقين حصل له رجحان الميزان، والفوز والسعادة، وهذا من فضائل التوحيد.

والرابع: حديث أنس: «**يا ابن آدم، لو لقيتني**»: أورده المصنف لبيان أن الخطايا مرجوحة مع حسنة وحقيقة التوحيد، وكما رجحت هذه الكلمة علىٰ المخلوقات، فإنها ترجح قائلها علىٰ جميع سيئاته وذنوبه[1]، فهذا يدل علىٰ سعة فضل الله، وعظيم ثواب التوحيد عند الله، وأنه مُكفِّر للذنوب[2].

❊❊❊

(١) انظر: المصدر السابق (ص٢١).

(٢) «الجامع الفريد» (ص٢١).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
آمنوا	صدقوا بقلوبهم، وأقروا بألسنتهم، وعملوا بجوارحهم طاعة لله ورسوله.
يلبسوا إيمانهم	يخلطوا توحيدهم.
بظلم	بشرك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وسمي الشرك ظلمًا؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وصرف لها لغير مستحقها.
الأمن	طمأنينة النفس وزوال الخوف في الدنيا والآخرة.
مهتدون	أي: إلىٰ الصراط المستقيم، ثابتون عليه.
وكلمته	أي: خلقه بكلمة، وهي قوله: (كن) بدون أب[(١)].

(١) **نقول**: دلَّ هذا علىٰ أن كلمة (كن) من كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة، وأن الله تعالىٰ إذا أراد خلق شيء يقول له: (كن)؛ فيخلقه الله بكلمة (كن)، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

=

=

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام:٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

وكذلك كلمة: (كوني)، قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وكذلك لفظة: (كونوا)، قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥].

وقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد، فقال: باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية.

انظر: «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧١٤)، وله كلام مهم في هذا الباب، انظر: «خلق أفعال العباد» (ص٢٢)، ونقله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٥٤).

وقال الإمام أبو نصر السجزي الوائلي (٤٤٤هـ): «فبين الله أنه يقول للشيء (كن) إذا أراد كونه، ولم يقل للقيامة بعد (كوني)...، وقال لآدم: ...(كن)...». «درء التعارض» (٢/ ٨٨)، نقلًا عن «الإبانة» للسجزي، وانظر: «رسالة السجزي في الحرف والصوت» (ص١٥٦).

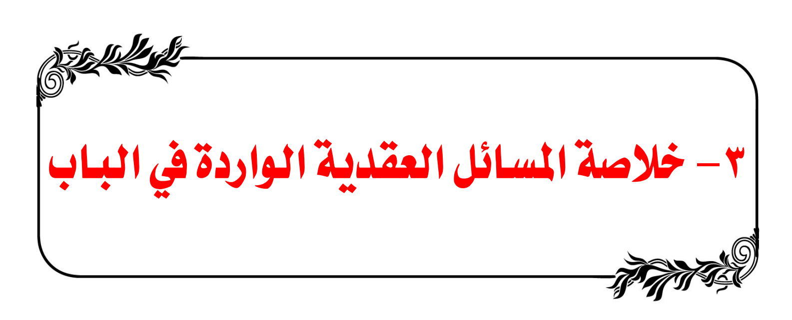
أقول: انتبه أيها المسلم إلىٰ هذه النصوص القرآنية والسنية، فقد دلت علىٰ أن الله تعالىٰ يتكلم بكلمة (كن) إذا أراد خلق شيء، لكن الحنفية الماتريدية قالوا: ليس هو قول من الله (كن) بالكاف والنون، ولكنه عبارة بأوجز كلام، وأن (كن) مجاز عن سرعة التكوين. انظر: «تأويلات الماتريدي» (١/ ٢٦٨)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (١/ ٤٦٥)، و«مدارك النسفي» (١/ ٨٣)، و«إرشاد العقل السليم» (١/ ١٥١)، و«كشف الأسرار» للعلاء البخاري (١/ ١١٢-١١٣)، وهذا يدل علىٰ أن هؤلاء الماتريدية والأشعرية جهمية معطلة، والله المستعان.

وقد صرح الإمام أبو الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة بأن الله تعالىٰ يتكلم بكلمة (كن) فيكون المكون، وأن كلمة (كن)، هو قوله علىٰ الحقيقة.

راجع: «الإبانة» (ص٦٥-٦٦)، و«الاعتقاد» (ص٩٤)، و«الأسماء والصفات» (ص١٩٢) كلاهما للبيهقي، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٥٤).

ألقاها إلىٰ مريم	أرسلها إليها بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وروح	أي: أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ روح من الأرواح التي خلقها الله تعالىٰ.
علىٰ ما كان من العمل	أي: وإن كانت له ذنوب دون الشرك.
حرم علىٰ النار	أي: لا يدخلها أبدًا.
يبتغي بذلك وجه الله	يريد بذلك مرضاة الله تعالىٰ فقط.
موسىٰ	هو موسىٰ بن عمران من ذرية يعقوب، أرسله الله إلىٰ فرعون وبني إسرائيل، وهو كليم الرحمن.
أذكرك	أثني عليك وأحمدك به.
وأدعوك به	أتوسل به إليك إذا دعوتك.
يقولون هذا	ينطقون بهذه الكلمة.
وعامرهن	ساكنهن من الملائكة.
في كفة	أي: لو وضعت هذه المخلوقات في كفة من كفتي الميزان، ووضعت هذه الكلمة في الكفة الأخرىٰ.
مالت بهن	رجحت عليهن.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- بيان فضائل التوحيد:

وفضائل التوحيد كثيرة، ومن ذلك ما دل عليها الآيات والأحاديث الواردة في الباب، وهي:

١. أن التوحيد يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنىٰ قدر، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية.

٢. أن جميع الأقوال والأعمال موقوفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب علىٰ التوحيد.

٣. أن الله تكفل لأهل التوحيد بالفتح والنصر في الدنيا والعز والشرف، وحصول الهداية، وإصلاح الأحوال.

٤. أن الله يدفع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

٥. أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم إلىٰ عبودية الخالق التي فيها سعادته وأمنه ونجاته.

٦. أنه يخفف علىٰ العبد المكاره، ويهون عليه الآلام، فبسبب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقىٰ المكاره، والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليم بأقدار الله المؤلمة للعبد.

٧. أنه يكفر الذنوب والخطايا.

ب- نعمة الأمن من ثمرات التوحيد:

إن من حقق التوحيد فله الأمن، وطمأنينة النفس، وزوال الخوف والشقاء، والهداية إلىٰ الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا لا بشرك، ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، والمشرك لا يحصل له هداية ولا أمن بل حظه الضلال والشقاء.

ج- «لا إله إلا الله» هي الكلمة الطيبة:

«لا إله إلا الله» هي الكلمة الطيبة العالية، الشريفة الغالية، وهي كلمة التوحيد، وأصلها تصديق بالقلب، وفرعها إقرار باللسان، وأكملها عمل بالأركان، من استمسك بها فقد سلم، ومن اعتصم بها فقد عصم[١].

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (٢/ ١١٢-١١٣).

د- معنىٰ شهادة أن (لا إله إلا الله) ومتىٰ تنفع قائلها:

معنىٰ هذه الكلمة الطيبة شهادة أن لا إله إلا الله: أي: لا معبود حق إلا الله وحده، وتنفع قائلها: إذا كان عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، ويدل لفظ «شهد» علىٰ أن هذه الكلمة لا تنفع إلا عن علم، ويقين، وإخلاص، وصدق، كما هو الحال في الشاهد، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا يقين بها، ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك، وإخلاص القول، والعمل لله، فغير نافع.

هـ- المخالفون لأهل السنة في فهمهم لكلمة التوحيد:

اعلم أخي المسلم: أن كثيرًا من الناس قد أخطئوا في فهم كلمة التوحيد، وإجمال ذلك فيما يلي:

١- الوجودية الصوفية الاتحادية: قالوا: معناها: لا موجود إلا الله؛ لأنهم ظنوا أن كل موجود من الكلب والخنزير، والقردة والفهد، والسماء والأرض، والبر والبحر، هو الله تعالىٰ بعينه[1].

٢- كثير من المتكلمين من المعتزلة، والماتريدية، والأشعرية، فسروا الإله بالرب، والصانع، والخالق فقط[2].

(١) راجع لمعرفة بطلان قولهم رسالة «حقيقة مذهب الاتحاديين» لشيخ الإسلام، وهي مطبوعة في «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٢-١١٤).

(٢) راجع لبيان بطلان هذا التفسير رسالة «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«الرد علىٰ البكري».

و- حصول السمو والرفعة لأهل «لا إله إلا الله»:

أهل (لا إله إلا الله) يحصل لهم الرفعة والسمو في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

قال الشيخ صالح الفوزان: «فدلت الآية علىٰ أن التوحيد علو وارتفاع، وأن الشرك هبوط وسقوط.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه، فمنها هبط إلىٰ الأرض، وإليها يصعد منها، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلىٰ أسفل سافلين، من حيث التضييق الشديد، والآلام المتراكمة، والطير التي تخطف أعضاءه، وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالىٰ، وتهزه وتزعجه، وتلحقه إلىٰ مكان هلاكه، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله علىٰ إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء»[١].

ز- مقتضىٰ «شهادة أن محمدًا رسول الله»:

تقتضي هذه الشهادة الإيمان بمحمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وأنه -عليه الصلاة والسلام- عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، وأن طاعته ومحبته وتوقيره

---

(١) «محاضرات في العقيدة والدعوة» (١/ ٧٢-٧٣).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يلزم منها عبادته؛ فطاعته ليست استقلالية، إنما هي تابعة لطاعة الله تعالىٰ، وكذا محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ح- عبودية عيسىٰ ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

عيسىٰ المسيح ابن مريم البتول عبد الله، ورسوله إلىٰ بني إسرائيل، أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عن الكفر والشرك، وزهدهم في الدنيا وحثهم علىٰ التقوىٰ، هذا منتهىٰ ما وصل إليه عيسىٰ من مراتب الكمال البشري إلىٰ أعلىٰ حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة والعبودية التي هي أعلىٰ الدرجات، وأجل المثوبات.

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالىٰ، وكلما ازداد العبد تحقيقًا لعبوديته ازداد كماله وعلت درجته، وحصلت هذه المرتبة لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كملت عبوديته لله تعالىٰ؛ لذا ذكره الله باسم العبد في أشرف المقامات، فقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١].

ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل؛ فهو من أجهل الخلق، وأضلهم، بل يكفر بذلك[(١)].

ط- معنىٰ قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «علىٰ ما كان من العمل»:

هذه الكلمة تعني علىٰ ما كان من العمل دون الشرك والكفر، أما الشرك

---

(١) فجمع بين الرجلين -في الحديث السابق- محمد وعيسىٰ -عليهما الصلاة والسلام- فتبين أن عيسىٰ مثل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه عبد ورسول، وليس ربًّا ولا ابنًا للرب تعالىٰ، وأن انفراد عيسىٰ عن محمد في أصل الخلقة لا يقتضي خروجه عن مرتبة العبودية لله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ مرتبة الألوهية، كما ضلت في ذلك النصارىٰ.

فلا يغفر الله لصاحبه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومعنىٰ قوله: «علىٰ ما كان من العمل»، أي: من صلاح أو فساد، لكن أهل التوحيد لابد لهم من دخول الجنة.

ويحتمل أن يكون معنىٰ قوله: «علىٰ ما كان من العمل»، أي: يدخل أهل الجنةِ الجنةَ علىٰ حَسَب أعمال كل منهم في الدرجات».

ي- معنىٰ قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «فإن الله حرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله»:

أي: من قال: لا إله إلا الله عارفًا بمعناها، عاملًا بمقتضاها.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتىٰ بالشهادتين حرم علىٰ النار؛ كهذا الحديث...

وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها؛ كما جاءت مقيدة، وقالها: «**خالصًا من قلبه**»، «**مستيقنًا بها قلبه**»، «غير شاك فيها» بصدق ويقين؛ فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلىٰ الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلىٰ الله تعالىٰ بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا؛

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٤٧٥).

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٦٥-٦٧).

فإذا مات علىٰ تلك الحال نال ذلك؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة.

وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول: «لا إله إلا الله» يدخل النار، ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم علىٰ النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم؛ فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله.

وتواترت بأنه يحرم علىٰ النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشىٰ عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة، ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»[1]، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣].

وحينئذٍ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص، ويقين تام، لم يكن في هذه الحال مصرًّا علىٰ ذنب أصلًا؛ فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن

(١) قطعة من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد سبق تخريجه (٣٤) بلفظ: «**من ربك؟**».

يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذن لا يبقىٰ في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم من النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة، وهذا الإخلاص، وهذه المحبة، وهذا اليقين، لا يتركون له ذنبًا إلا يُمحىٰ كما يُمحىٰ الليل بالنهار».

ك- الإيمان بالجنة والنار:

أخبر الله تعالىٰ في كتابه أنه أعد للموحدين المتقين جنة عرضها السموات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾ [آل عمران:١٣٣]. فالجنة حق ثابت لا شك فيه، وكذلك النار أعدها الله للكافرين، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ [الكهف:٢٩]. فهي حق لا شك فيه.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- فضل التوحيد وثمراته الكثيرة في الدنيا والآخرة.

٢- سعة فضل الله وجوده ورحمته وعفوه وإحسانه.

٣- إثبات أن الله فوق السموات.

٤- إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يليق بجلاله.

٥- تحريم أهل التوحيد الكامل علىٰ النار.

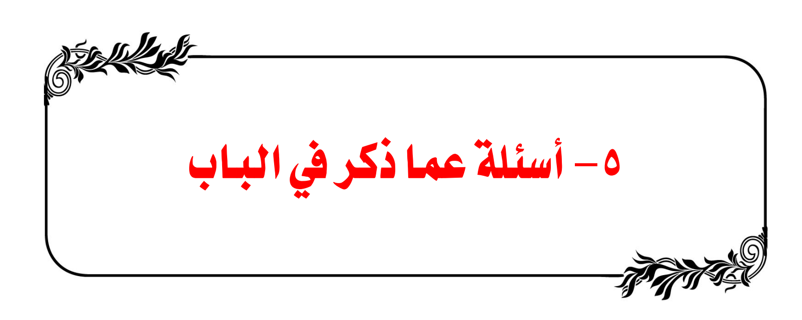
٦- أن عصاة الموحدين لا يخلدون في النار إن دخلوها بذنوبهم.

٧- أن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تعالىٰ وعلىٰ سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨- عظم «لا إله إلا الله» لما تتضمنه من التوحيد والإخلاص.

٩-أن من قال «لا إله إلا الله» وهو يدعو غير الله فلن تنفعه هذه الكلمة، كحال عُبَّاد القبور اليوم يقولون: «لا إله إلا الله» وهم يدعون الموتىٰ ويتقربون إليهم.

١٠- إثبات صفة الوجه لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يليق بجلاله.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما المراد بفضل التوحيد؟

س٢- وضِّح مناسبة الباب لما قبله.

س٣- بَيِّن معاني الكلمات التالية: (يلبسوا، أدعوك به، عامرهن).

س٤- اذكر شيئًا من فضائل التوحيد.

س٥- بيِّن مقتضىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله.

س٦- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❀❀❀

٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

١ - قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠].

٢- وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٩].

٣- عن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأىٰ الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك علىٰ ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟

قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: **عُرِضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي؛ فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.**

ثم نهض، فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئًا، وذكروا أشياء.

فخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، فقال: **هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**. فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: **أنت منهم**، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: **سبقك بها عكاشة**»[(١)].

❊❊❊

(١) رواه البخاري في «الصحيح» في مواضع، منها: (ح٦٥٤١)، ومسلم في «الصحيح» (١/ ١٩٩).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن من حقق توحيده، وسَلِمَ من الشرك والبدع والمعاصي؛ دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا الباب عقده المصنف لبيان فضل من حقق التوحيد، وأنه سبب لدخول الجنة بغير حساب، ولا عذاب، **وتحقيق التوحيد هو**: الإتيان به علىٰ أكمل وجه، وأتم صورة، من غير إخلال بشيء من واجباته، ولا مستحباته، والبُعد عن جميع نواقصه، فضلًا عن نواقضه.

ونواقض التوحيد: الكفر، والشرك، والنفاق.

ومن نواقصه: البدع المفسقة، والمعاصي.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف من هذا الباب بيان ما لمحقق التوحيد من فضل، وبيان أن الناس يكونون في تحقيق التوحيد علىٰ أحوال؛ فمنهم من يحقق التوحيد؛ فله

هذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل، ومنهم من يأتي بالتوحيد الواجب فهو أقل من هذه المرتبة، وفي هذا إشارة إلىٰ أن الناس من أهل التوحيد ليسوا في مرتبة واحدة، وأنهم علىٰ مراتب بحسب تحقيقهم للتوحيد وعدمه.

د- **مناسبة الباب**: لما ذكر في الباب السابق فضل التوحيد وثمراته، ناسب أن يذكر بعده ثمرة عظيمة له -وهي ثمرة خاصة لأهلها الخاصين به-، وهي أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾: أوردها المصنف لبيان أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قد حقق كمال التوحيد؛ إذ اتصف بصفات هي الغاية في تحقيق التوحيد.

الآية الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾: أوردها لبيان صفات أهل التوحيد والإيمان، الذين يستحقون دخول الجنان، وأنهم كانوا موحدين لله، مخلصين له، خالصين من الشرك، مع عبادتهم وخوفهم لله، وهذا كمال التوحيد، فمن أجل هذا دخلوا الجنة بسبب إخلاصهم لله بالتوحيد، وسلامتهم من الشرك.

وأما حديث ابن عباس: فقد أورده المصنف كذلك لبيان بعض صفات من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم من حصلوا كمال الإيمان والتوحيد، فأدوا الواجبات، وتركوا المحرمات والشركيات، واعتمدوا وتوكلوا علىٰ الله،

وفوضوا أمورهم إليه مع أخذهم بالأسباب المباحة، لكن تركوا ما يحوجهم إلىٰ الناس كالاسترقاء، وأنهم ابتعدوا عن بعض المباحات التي فيها نقص؛ فجازاهم الله بأن أدخلهم الجنة بلا حساب[1].

❊❊❊

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص٣٢).



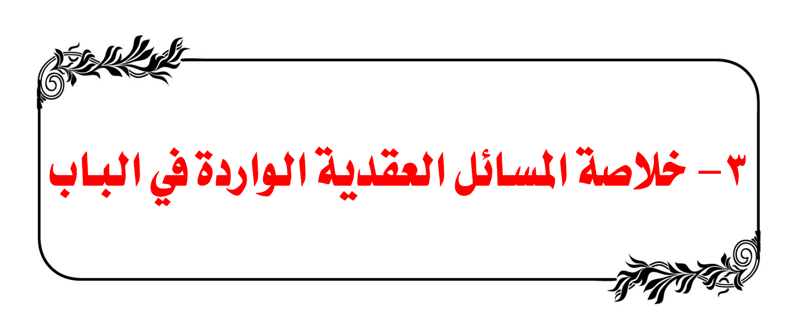
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
أمة	قدوة وإمامًا يُقتدىٰ به، فسماه أمة لجمعه خصال الخير.
قانتًا	القانت: الخاشع المطيع لله علىٰ الدوام.
حنيفًا	الحنيف والأحنف: المائل المنحرف، والمراد: أنه مال عن الشرك إلىٰ التوحيد، وصار مجانبًا لأهل الشرك.
والذين هم بربهم لا يشركون	أي: ومن صفات المؤمنين أنهم لا يعبدون مع ربهم غيره، بل يعبدونه وحده لا شريك له.
الكوكب	النجم.
انقض	أي: سقط.
البارحة	هي أقرب ليلة مضت، يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد الزوال: رأيت البارحة.
لدغت	أي: لسعتني عقرب.
ارتقيت	طلبت من يرقيني، والرقية: قراءة القرآن والأذكار المشروعة علىٰ المصاب بمرض ونحوه.

ما حملك علىٰ ذلك	ما الذي دفعك إلىٰ ذلك.
إلا من عين	العين: إصابة العائن (الحاسد) غيره بسبب نظره إليه.
أو حمة	سم العقرب وشبهها.
أحسن من انتهىٰ إلىٰ ما سمع	أي: أخذ بما بلغه من العلم بخلاف من يعمل علىٰ جهل أو لا يعمل بما يعلم.
عرضت علي الأمم	قيل: كان ذلك ليلة الإسراء، وقيل: كان في المنام.
الرهط	الجماعة دون العشرة.
ليس معه أحد	أي: لم يتبعه من قومه أحد.
سواد عظيم	عدد كبير من الناس.
فظننت أنهم أمتي	أي: لكثرتهم وبعده عنهم فلا يميز أعيانهم.
ثم نهض	أي: قام.
فخاض الناس	أي: تباحث الحاضرون في تحديد المذكورين في الحديث.
فأخبروه	أي: ذكروا للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلافهم في المراد بهؤلاء السبعين ألفًا.
لا يسترقون	لا يطلبون من أحد أن يرقيهم استسلامًا للقضاء، أو استغناء عن الناس.
ولا يكتوون	لا يسألون غيرهم أن يكويهم بالنار طلبًا للشفاء.

ولا يتطيرون	لا يتشاءمون بالطيور ونحوها.
وعلىٰ ربهم يتوكلون	يعتمدون في جميع أمورهم عليه لا علىٰ غيره، ويفوضون أمورهم إليه.
سبقك بها عكاشة	أي: إلىٰ طلب الدعاء، أو إلىٰ إحراز هذه الصفات.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ تحقيق التوحيد وجزاء من يحققه:

تحقيق التوحيد هو: تهذيب التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي؛ فلا يعمل الموحد شركًا يحبطه، ولا بدعة تقدح فيه، ولا معصية تنقص من كماله.

فمن حقق التوحيد بأن امتلأ قلبه بالإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلىٰ الله، ولم ينقص ذلك التوحيد بالإصرار علىٰ شيء من المعاصي؛ فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلىٰ دخولها.

ب- علامات تحقيق التوحيد:

من علامات تحقيق التوحيد أنه إذا كمل في قلب العبد حبب الله لصاحبه الإيمان، وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فتحبيبه سبحانه الإيمان إلىٰ عباده المؤمنين هو

(١) «شفاء العليل» (ص٥٧).

إلقاء محبته في قلوبهم، وهذا لا يقدر عليه سواه، وأما تحبيب العبد الشيء إلىٰ غيره فإنما هو بتزيينه، وذكر أوصافه، وما يدعو إلىٰ محبته؛ فأخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين: حبه، وحسنه الداعي إلىٰ حبه، وألقىٰ في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان».

وكذلك من علامات تحقيق التوحيد: أن يتقبل العبد المؤمن أقدار الله المؤلمة بنفس راضية؛ فهاهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم من حقق التوحيد، يتقبل أقدار الله المؤلمة والمكاره والآلام؛ بقلب منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم تام.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخلت علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يوعك وعكًا شديدًا؛ فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكًا شديدًا؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**. فقال عبد الله: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أجل**»(١).

ج- أعظم ما به يكون تحقيق التوحيد إخلاص الدين لله:

من الناس من يحقق التوحيد بالإخلاص الكامل التام؛ فيكون من أولئك السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، وهذا يكون بخلوص القلب لله تعالىٰ، وبخلوص الأعمال، والأقوال، فلا يلتفتون إلىٰ أحد سوىٰ الله تعالىٰ، وليس في قلوبهم رغبة إلىٰ أحد سوىٰ الله تعالىٰ، ولا يطلبون الرقية -وإن

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٦٦٠)، ومسلم (ح٢٥٧١).

كانت مباحة- حتىٰ لا تتعلق قلوبهم بغير الله، والحامل علىٰ ذلك قوة توكلهم علىٰ ربهم، وإيمانهم بقضاء الله لهم، وتسليمهم لقدر الله عليهم؛ فيفوضون أمورهم لله، ويفزعون إليه وحده.

د- مراتب الناس في تحقيق التوحيد:

الناس علىٰ مراتب في تحقيق التوحيد علىٰ النحو الآتي:

١- **أعلاها**: من حقق التوحيد بأن امتلأ قلبه بالإيمان والتوحيد والإخلاص، ولم ينقص ذلك التوحيد بالإصرار علىٰ شيء من المعاصي، مع كمال القنوت لله، وقوة التوكل علىٰ الله، بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يتطلع إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها، مقصودًا بها وجه الله، متبعًا فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهل هذه المرتبة علىٰ مراتب وتفاوت فيما بينهم، بقدر ما قام بقلوبهم من كمال التوحيد.

٢- **وأدناها**: من حقق التوحيد بأن لم يلبس إيمانه بشرك، ولكنه ينقص ذلك بفعل شيء من المعاصي وعمل السيئات، فهذا لا يحصل له كمال تحقيق التوحيد كما حصل لأهل المرتبة الأولىٰ، وأهل هذه المرتبة أيضًا علىٰ مراتب نزولًا حتىٰ لا يكون في قلبه من التوحيد إلا مثقال الذرة، وقد يرتفع حتىٰ يصل إلىٰ المرتبة العليا بقدر مجاهدته لنفسه؛ فلعل وعسىٰ أن يصل إلىٰ مرتبة من فوقه بالبعد عن هذه الشوائب والنواقص.

هـ- صفات إمام الموحدين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الواردة في الآية:

وصف الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات هي الغاية في تحقيق التوحيد، وسبيل مؤدٍّ إلىٰ تحقيقه، وهي:

١- أنه كان أمة قدوة وإمامًا ومعلمًا للخير.

٢- أنه كان قانتًا؛ أي: مداومًا علىٰ طاعة الله وعبادته.

٣- أنه كان حنيفًا؛ أي: مقبلًا علىٰ الله معرضًا عمَّا سواه.

٤- أنه لم يكون من المشركين، لا في القول، ولا في العمل، ولا في الاعتقاد، لصحة إخلاصه، وكمال صدقه، وبعده عن الشرك.

و- ما يدل علىٰ تحقيق التوحيد:

يدل علىٰ تحقيق التوحيد أمور، هي:

١- امتلاء القلب بالإيمان والتوحيد والإخلاص.

٢- تصديق ما في القلب من الإيمان بالأعمال الصالحة بأن تنقاد الجوارح لأوامر الله طائعة منيبة.

٣- كمال القنوت لله، وقوة التوكل علىٰ الله، بحيث لا يلتفت القلب إلىٰ المخلوقين في شأن من شئونه، ولا يتطلع إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله المسألة المحرمة(١) التي تنافي كمال التوحيد الواجب.

---

(١) لما روىٰ مسلم في «صحيحه»، رقم (١٠٤١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من سأل الناس أموالهم تكثرًا؛ فإنما يسأل جمرًا، فليستقل أو ليستكثر**».

٤- ألَّا ينقص ذلك التوحيد بالإصرار علىٰ شيء من المعاصي.

ز- الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل علىٰ الله:

التوكل علىٰ الله: هو الاعتماد علىٰ الله في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، والثقة به في تسهيل ذلك.

والتوكل من أعظم الأسباب؛ فإنه سبب لوقاية الله وكفايته؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

والأخذ بالأسباب المادية المشروعة لا ينافي التوكل علىٰ الله، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب، وكذا مباشرة الأسباب والتداوي علىٰ وجه مشروع غير قادح في التوكل.

فإن الأخذ بالأسباب العادية الكونية والشرعية من الشرع، وذلك من التوكل، وإنما القادح في التوحيد الاتكال علىٰ الأسباب لوحدها دون تعلق القلب برب الأسباب، الذي إن شاء أن يقع المسبب يقع، وإن شاء ألا يقع لا يقع.

وترك الأسباب قادح في الشرع والعقل، فينبغي الأخذ بالسبب مع تعلق القلب بالله تعالىٰ، الذي يرتب -إن شاء- المسببات علىٰ أسبابها.

ح- معنىٰ قول بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لا رقية إلا من عين»:

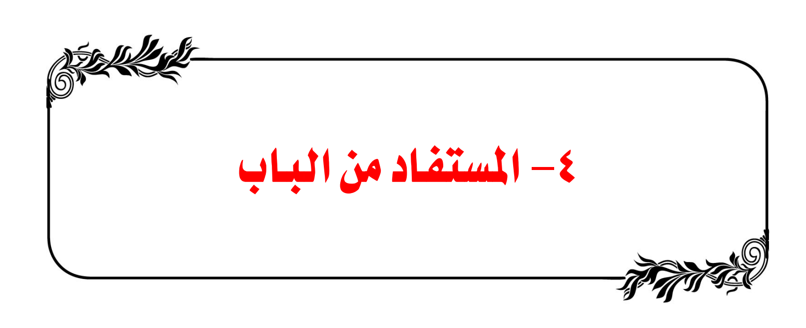
هذا القول يدل علىٰ حصر الرقية في العين، أو للملدوغ، والنفي في أوله

ليس منصبًّا علىٰ الوجود، ولا علىٰ التحريم، وإنما هو منصب علىٰ الأولية، فيكون المعنىٰ: لا رقية أشفىٰ، أو أولىٰ من رقية العين والحمة.

وإنما حمل الحديث علىٰ نفي الأولية؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَىٰ، ورُقي[(١)].

❀❀❀

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص١٠٤).



٤- المستفاد من الباب

١- وجوب الابتعاد عن الشرك والمشركين والبراءة من ذلك.

٢- فضيلة السلف وحرصهم علىٰ الإخلاص وشدة ابتعادهم عن الرياء.

٣- فضيلة هذه الأمة كمًّا وكيفًا، أما كمًّا فبأنهم أكثر الأمم عددًا في الجنة، وأما كيفًا فلأن فيهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلىٰ ربهم يتوكلون.

٤- في الحديث دليل من أدلة نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أخبر أن عكاشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فقتل شهيدًا في حروب الردة.

٥- إباحة الرقية، وأن تركها هي والكي من تحقيق كمال التوحيد.

❊❊❊

٥- أسئلة عمَّا ذكر في الباب

س١ - اذكر نواقض التوحيد ونواقصه؟

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٤- ما معنىٰ المفردات التالية: (حنيفًا، حُمَةٍ، الرهط، فخاض الناس، لا يسترقون)؟

س٥ - بيِّن مراتب أهل التوحيد؟

س٦- عدِّد صفات إمام الموحدين إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-؟

س٧- هل الأخذ بالأسباب ينافي التوكل؟

س٨- اذكر بعضًا مما يستفاد من هذا الباب.



٤- باب الخوف من الشرك

١- قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨].

٢- قال تعالىٰ علىٰ لسان الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥][١].

٣- وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**. فسئل عنه، فقال: **الرياء**»[٢].

---

(١) يضاف إلىٰ هذه الآيات في التحذير من الشرك والخوف منه، هذه الآيات أيضًا:

١- ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج:٣١].

٢- ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

٣- ذكر الله تعالىٰ في سورة الأنعام أسماء ثمانية عشر رسولًا، ثم قال: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨].

٤- ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة:٧٢].

٥- ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣].

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٩).

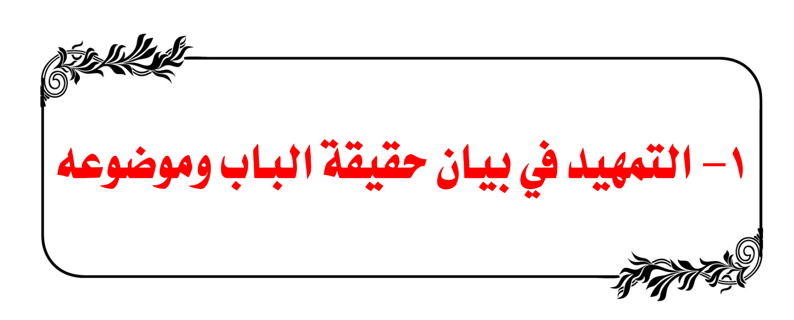
٤- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**»[١].

٥- ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار**»[٢].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤/ ١٦٣٦)، حديث رقم (٤٢٢٧).

(٢) رواه مسلم في «الصحيح» (١/ ٩٤)، حديث رقم (٩٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

وجوب الخوف من الشرك ومن خطورته، فالمؤمن يخاف من الشرك، ومن المعاصي، ويبتعد عنها، وخاصة الشرك، ولا يأمن ذلك علىٰ نفسه.

ب- شرح ترجمة الباب:

لما كان الشرك ينافي التوحيد، ويحبط العمل، ويوجب دخول النار، والخلود فيها، وحرمان الجنة، إذا كان شركًا أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة من الشرك، ذكر المؤلف أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعىٰ في الفرار منه، ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله عَزَّوَجَلَّ العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء، والأصفياء، وخيار الخلق[(١)].

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن هذا التوحيد له ضد، وأنه لا يتحقق إلا بالبعد عن ضده، ولا يأتي إلا

(١) «لما كان الشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به -اشتد الخوف منه-، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب علىٰ ذنب سواه؛ من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه، نبه المصنف بهذه الترجمة علىٰ أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه، ويحذره، ويعرف أسبابه ومبادئه، وأنواعه؛ لئلا يقع فيه».
«تيسير العزيز الحميد» (ص٨٢).

بترك ضده؛ فالشرك ينافي التوحيد من كل وجه، ولا يجتمع الشرك الأكبر والتوحيد في قلب امرئ، بل الشرك والتوحيد متناقضان؛ فإذا وُجِدَ أحدُهما انتفىٰ الآخر، ولهذا ينبغي الخوف منه.

وأيضًا فإن في عقد هذا الباب الرد علىٰ من زعم أن التوحيد مفهوم ولا يحتاج إلىٰ مدارسة وتكرار، فذكر المصنف بعض الأدلة التي تدل علىٰ خوف الأصفياء منه؛ فكيف بعامة الناس؟!

وأيضًا للدلالة علىٰ أن الخوف من الشرك من كمال التوحيد، فيلجأ العبد إلىٰ ربه الذي يعينه؛ فيخلصه من الشرك وحبائله.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، ناسب أن يذكر أن من وقع في الشرك دخل النار، وصار من أهلها المخلدين فيها، ولأجل ذلك ينبغي أن يكون الموحد علىٰ خوف من الوقوع فيه، والخوف من الشرك ومن الوقوع فيه والخوف من إحباط العمل من كمال التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾: أوردها المصنف لعظيم ما دلت عليه، حيث إنها تبين عظم الشرك، وخطورته؛ لأن الإنسان إذا مات عليه لم يُغفَر له، بل هو خالد مخلد في النار، بخلاف سائر المعاصي فهي تحت المشيئة، إن شاء عذبه بقدرها، ودخل الجنة، وإن شاء غفر له ابتداءً؛ فالآية جاءت محذرة مخوفة من الشرك بأنه ذنب لا يغتفر.

الآية الثانية: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾: استدل بها المصنف لبيان خطورة الشرك؛ لأن إمام الحنفاء إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان يخاف من الشرك؛ فوجب التأسي به، وأن نكون أولىٰ بالخوف منه.

وأما الحديث الأول: «**أخوف ما أخاف**»: ففيها الدلالة علىٰ خوف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من الرياء، وأنه خطرٌ جسيمٌ -لا سيما علىٰ الصالحين-؛ فإذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خاف علىٰ أصحابه من الشرك الأصغر، مع كمال إيمانهم؛ فكيف بمن دونهم؟

الحديث الثاني: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**»: استدل به المصنف علىٰ أن اتخاذ الأنداد سببٌ لدخول النار والخلود فيها، واتخاذ الأنداد هو الشرك الذي بوَّب عليه المصنف، وهو: أن تشرك غير الله معه في العبادة.

الحديث الثالث: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة**»: ذكره المصنف لبيان وجوب الخوف من الشرك، والتحذير منه.

والحديث فيه موجبتان:

الموجبة الأولىٰ: أن من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة.

والثانية: أن من لقيه وهو مشرك دخل النار(١).

❊❊❊

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٣٨).

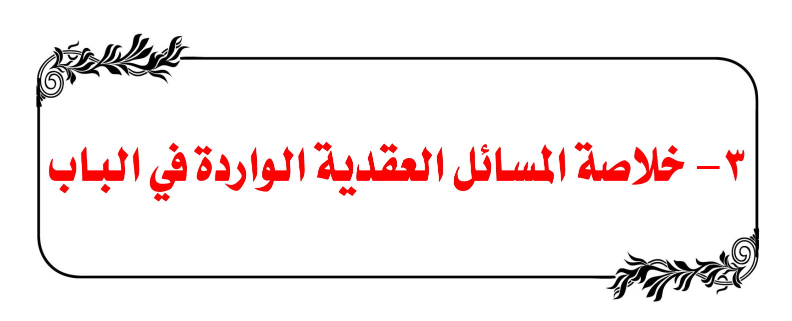


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
لا يغفر أن يشرك به	أي: لا يعفو عن الشرك.
ويغفر ما دون ذلك	أي: يعفو عن الذنوب التي هي دون الشرك.
الخليل	الذي بلغ أعلىٰ درجات المحبة، والمراد به إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي اتخذه الله خليلًا.
اجنبني وبني	اجعلني وإياهم في جانب وحيز بعيد عن الشرك، وأبعدنا عنه.
الأصنام	جمع صنم، وهو ما كان منحوتًا علىٰ صورة البشر، أو علىٰ أي صورة.
أخوف	أشد ما أخاف عليكم.
يدعو	الدعاء هنا: النداء والسؤال، يقال: دعاه، إذا ناداه وسأله، واستغاث به.

من لقي الله	أي: مات فلقي الله علىٰ ذلك العمل.
لا يشرك به	لم يتخذ معه شريكًا في الألوهية ولا في الربوبية.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الشرك: معناه، وأنواعه:

الشرك هو: صرف شيء من العبادة لغير الله، وهذا هو الشرك الأكبر.

والشرك من حيث هو نوعان:

الأول: الشرك الأكبر:

وهو أن يجعل لله شريكًا في عبادته، يدعوه، ويرجوه، ويخافه، أو يحبه كمحبة الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة، فهذا هو الشرك الذي حرم الله علىٰ مرتكبه الجنة ومأواه النار.

الثاني: الشرك الأصغر:

وهو جميع الأقوال والأفعال التي تؤدي إلىٰ الشرك الأكبر؛ كالحلف بغير الله، والرياء، وعدم الإخلاص في العمل لله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما الشرك فهو نوعان: أكبر، وأصغر؛ فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو: أن يتخذ من دون الله ندًّا، يحبه كما يحب الله،

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٣٩).

وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة؛ كما هو حال أكثر مشركي العالم».

ومن أهل العلم من يقسم الشرك إلىٰ ثلاثة أقسام: قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «واعلم أن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي...»، ثم بين كفارة الشرك الأصغر فذكر حديث معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: «انطلقت مع أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فقال: **يا أبا بكر، لَلشِّرْك فيكم أخفىٰ من دبيب النمل**. فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهًا آخر؟ قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **والذي نفسي بيده للشرك أخفىٰ من دبيب النمل، ألا أدلك علىٰ شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟** قال: **قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[(٢)].

ب- التعلق بغير الله تعالىٰ أساس الشرك:

أساس الشرك وقاعدته التي بُنِيَ عليها التعلق بغير الله تعالىٰ، ولا ريب أن

---

(١) «الدرر السنية» (٢/ ٦٩-٧٠)، «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/ ٦٦١-٦٦٢).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ح٧١٦)، وصححه الألباني كما في «صحيح الأدب المفرد».

من تعلق بغير الله تعالىٰ فإنه مخذول.

قال تعالىٰ: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء:٢٢].

أي: مذمومًا لا حامد لك، ومخذولًا لا ناصر لك، إذ قد يكون بعض الناس مقهورًا محمودًا؛ كالذي قهر بباطل، وقد يكون مذمومًا منصورًا؛ كالذي قهر وتسلط عليه بباطل، وقد يكون محمودًا منصورًا؛ كالذي تمكن وملك بحق، والمشرك المتعلق بغير الله قسمه أردأ الأقسام الأربعة، لا محمود ولا منصور[1].

ج- حكم الأعمال والأقوال التي خالطت الشرك:

الأعمال والأقوال إذا قامت علىٰ التوحيد، وإخلاص الدين، أثمرت وأينعت، وآتت أُكُلها، وعادت بالخير علىٰ صاحبها في الدنيا والآخرة.

أما إذا خالطت شائبة من الشرك كدرت صفوها، وسلبت خيرها، وعادت وبالًا علىٰ صاحبها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد قوله تعالىٰ:** ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]: «فهذه هي أعماله التي كانت في الدنيا علىٰ غير سُنة رسله وطريقتهم، ولغير وجهه، يجعلها الله هباء منثورًا، لا ينتفع بها صاحبها بشيء أصلًا، وهذا من أعظم الحسرات علىٰ العبد يوم القيامة، أن يرىٰ سعيه كله ضائعًا لم ينتفع منه بشيء، وهو أحوج ما كان العامل إلىٰ عمله، وقد سَعِدَ أهل السعي النافع بسعيهم»[2].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٥٨).

(٢) «الرسالة التبوكية» (ص٤١)، «زاد المهاجر» (ص٥٢).

د- بيان الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
١- يخرج العبد من ملة الإسلام.	لا يخرج العبد من ملة الإسلام.
٢- يحبط الأعمال كلها جملة.	لا يبطل العمل إلا إذا خالطه من أصله أو غلب عليه.
٣- موجب للخلود في النار.	لا يوجب الخلود في النار، فصاحبه تحت مشيئة الله.
٤- يحل النفوس والأموال.	لا يحل النفوس والأموال.
٥- لا يغفر الله لصاحبه.	قد يغفر الله لصاحبه.

هـ- الشرك سبب في ضلال كثير من الناس وفضيلة من سلم منه:

الشرك سبب في ضلال كثير من الناس عن طريق الحق والصواب إلىٰ طريق الباطل والضلال، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦].

وإضلال الناس كان بعبادتهم للأصنام، والافتتان بها؛ فضلوا وتاهوا في أودية الشرك، فإذا افتتن خلائق كثيرة من الناس بعبادة الأصنام والشرك، ووقعوا فيه؛ فهذا يدل علىٰ فضيلة الأقلية من الناس الذين سلموا من الشرك.

و- خوف إمام الموحدين إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الشرك:

دعا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِي

وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وقد استجاب الله دعاءه في بعض بنيه دون بعض؛ فإذا كان خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي كسر الأصنام بيده، اشتد خوفه علىٰ نفسه وعلىٰ بنيه من الشرك بسبب الافتتان بالأصنام، فسأل الله له ولبنيه الوقاية من عبادتها؛ فنحن أولىٰ بالخوف منه لضعف إيماننا؛ فيجب التأسي به، وأن نكون أولىٰ بالخوف منه.

ز- الرياء من الشرك الأصغر:

الرياء: مأخوذ من الرؤية، وهو أن يتظاهر الإنسان بالأعمال الصالحة ليحمده الناس، وقد يبتلىٰ به الصلحاء، وهو شرك أصغر، وقد خافه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أصحابه مع كمال إيمانهم؛ لأنه أكثر موافقة للنفس، ومحبة عندها، وأسهل للنفوذ إليها، فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا علىٰ الصحابة -مع كمال إيمانهم- فينبغي لك أيها المسلم أن تخاف من الشرك الأصغر لتحقيق الإيمان.

ح- اتخاذ الأنداد من الشرك الأكبر:

معنىٰ اتخاذ الأنداد: إشراك غير الله مع الله في العبادة. والأنداد: جمع ند، وهو الشبيه والنظير، أي: اتخذ شبيهًا ونظيرًا يدعوه مع الله، ويستغيث به، ويساويه بالله في المحبة والتعظيم، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وهو من أسباب دخول النار؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**»[(١)]. هذا هو النوع الأول من اتخاذ الأنداد.

---

(١) رواه البخاري في «الصحيح» (٨/ ١٣٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٦٢، ٤٦٤).

أما النوع الثاني: فما كان من الشرك الأصغر، وله أمثلة وصور، ومنها:

١- قول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت.

٢- الحلف بغير الله، إذا لم يصاحبه اعتقاد آخر في المحلوف به.

٣- الرياء في العمل.

٤- السمعة.

وهذا النوع من الشرك لا يوجب الخلود في النار، وإن دخلها.

ط- لقاء الله في الآخرة:

معنىٰ: «**لقي الله**»: واجه الله وقابله، وهذا اللقاء يكون يوم القيامة؛ فإن لقي الله لا يشرك به دخل الجنة، وإن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب الخوف من الشرك؛ فإن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام الحنفاء خاف من الشرك؛ فكيف بمن دونه؟

٢- شدة الخوف من الوقوع في الشرك الأصغر، وذلك من وجهين:

الأول: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخوف من وقوعه تخوفًا شديدًا.

الثاني: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخوف من وقوعه في الصالحين الكاملين، فمن دونهم من باب أولىٰ.

٣- شدة شفقته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته، وحرصه علىٰ هدايتهم، ونصحه لهم.

٤- أن كل من دعا مع الله نبيًّا أو وليًّا، أو حجرًا أو شجرًا؛ فقد جعله ندًّا لله.

٥- أن الشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة منه؛ وذلك بتوحيد الله وعبادته وحده.

٦- أن ما عدا الشرك من الذنوب داخل تحت مشيئة الله، إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذب به.

٧- قرب الجنة والنار من العبد، وأنه ليس بينه وبينهما إلا الموت.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر بعض الآيات الدالة علىٰ التحذير من الشرك؟

س٢- ما غرض المصنف من عقد الباب؟

س٣- بيِّن مناسبة الباب لما قبله؟

س٤- وضِّح معاني الكلمات: (الخليل، اجنبني، لقي الله)؟

س٥- ما أنواع الشرك؟ واذكر بعض الفروقات بينهما.

س٦- علىٰ ماذا يدل خوف إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الشرك وطلبه النجاة منه؟

س٧- اذكر بعض صور الشرك الأصغر؟

س٨- عدِّد بعض الفوائد من هذا الباب؟

٥- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

١- قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** -وفي رواية-: **إلىٰ أن يوحدوا الله- فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ علىٰ فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**». أخرجاه[1].

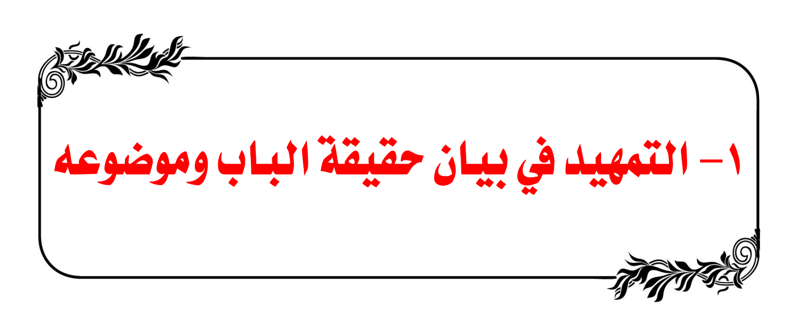
٣- ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه**. فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؛ فلما أصبحوا غدوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها؛ فقال: **أين علي بن أبي طالب؟**

(١) رواه البخاري (٤/ ١٥٨٠) حديث رقم (٤٠٩٠)، ومسلم (١/ ٥٠) حديث رقم (١٩).

فقيل: هو يشتكي عينيه، قال: **فأرسلوا إليه**. فأُتي به، فبصق في عينيه، ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: **انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[1]. يدوكون: أي: يخوضون.

❁❁❁

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٥٧)، ومسلم (٦٠٤٢).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو وجوب الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فموضوع الباب: الدعوة إلىٰ التوحيد، وإلىٰ اتباع الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالواجب علىٰ العلماء وطلبة العلم والدعاة أن يلتزموا الدعوة إلىٰ التوحيد، والإيمان الخالص بالله، وأن يحذروا من الشرك، وأن يدعوا إلىٰ الاتباع الكامل لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتحذير من مخالفته.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من التوحيد الدَّعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن أعظم الدعوة الدعوة إلىٰ التوحيد، والدعاء إلىٰ التوحيد يكون بالقول والفعل.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

مقصود الإمام مجدد الدعوة بعقد هذا الباب بيان أن المقصد الأسمىٰ، والهدف الأسنىٰ، والغاية العظمىٰ، من خلق الإنس والجن، بل من خلق الكون كله، ومن إنزال الكتب السماوية، وتشريع الشرائع الدينية، وإرسال الرسل، هو تحقيق التوحيد، وعبادة الله تعالىٰ، والدعوة إلىٰ ذلك.

ولأجل تحقيق هذا الهدف كان أول دعوة الرسل لأقوامهم هي دعوتهم إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، وعبادته وحده لا شريك له، ولم يكن دعوة الرسل إلىٰ توحيد الربوبية أو إلىٰ الإيمان بوجود الله فحسب، أو إلىٰ النظر في الأدلة الكلامية كما هو عليه أهل الكلام(١).

---

(١) **قال الإمام ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ)، وتبعه العلامة الملا علي القاري الحنفي (١٠١٤هـ) واللفظ للأول:** «اعلم أن التوحيد -يعني: توحيد العبادة- أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣].

وقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**».

ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلىٰ النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، من المعتزلة، والماتريدية، والأشعرية.

وأئمة السلف كلهم متفقون علىٰ أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان...، فالتوحيد أول ما يدخل المرء به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**».

وهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره؛ أعني توحيد الإلهية، فإن التوحيد =

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، وما ينبغي من الخوف من ضده، نبه بهذا الباب علىٰ أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر علىٰ نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

أما قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: فاستشهد بها المصنف ليبين أن الدعوة الواجبة هي الدعوة إلىٰ التوحيد، واتباع الرسول، وهي الدعوة إلىٰ الكلمة الطيبة بشقيها، وأن ذلك هو المتعين الواجب علىٰ العلماء؛ ومن كانت دعوته قائمة علىٰ الدعوة إلىٰ توحيد الله تعالىٰ في العبادة، واتباع الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الشرع؛ فهو من أتباعه.

والحديث الأول: وفيه: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»: أورده المصنف لبيان أن أول ما يبدأ به في الدعوة هو الدعوة إلىٰ التوحيد، وأنه هو أول الواجبات، ولا يلتفت إلىٰ شبه الخصوم وعلومهم.

والحديث الثاني: وفيه: «**ادعهم إلىٰ الإسلام**»: بين المصنف بالاستدلال

=

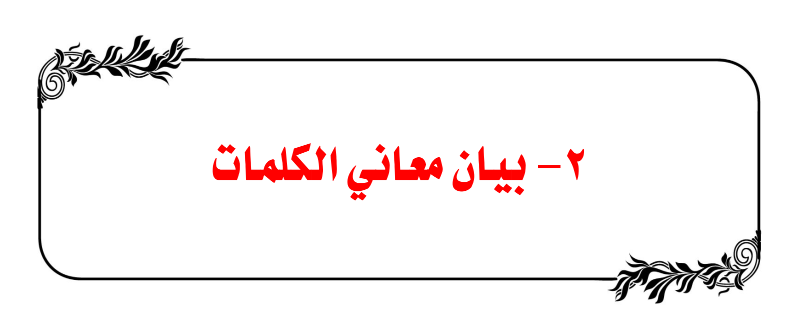
يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، والثالث: توحيد الألوهية...، فاعلم أن المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية». «شرح العقيدة الطحاوية» (ص١٥-١٧، ٢٣)، و«شرح الفقه الأكبر» (ص١٧).

بهذا الحديث أن الدعوة إلىٰ الإسلام قبل القتال في حق من لم تبلغهم الدعوة، ولو كانوا قد دعوا من قبل، وهذا من باب إقامة الحجة وكمال المعذرة، وهذا يدل علىٰ أنه ينبغي الاهتمام بالدعوة إلىٰ الإسلام، والحرص عليه قبل القتال.

ويستحب تكرار الدعوة عند الحاجة، خاصة مع من يُرجىٰ له الصلاح والقبول[1].

❊❊❊

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٤٣-٤٤).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
قل	الخطاب لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
هذه سبيلي	طريقتي ودعوتي ومسلكي.
ومن اتبعني	سار علىٰ طريقتي في الدعوة.
وسبحان الله	وأنزه الله وأقدسه عن الشرك والنقص.
وما أنا من المشركين	أي: وأنا بريء من أهل الشرك.
بعث	أرسل.
أهل الكتاب	هم اليهود والنصارىٰ.
شهادة أن لا إله إلا الله	أي: إلىٰ التوحيد.
أطاعوك لذلك	أي: شهدوا وانقادوا لدعوتك وكفروا بما يعبد من دون الله.
افترض	أوجب.

أطاعوك لذلك	آمنوا بفرضيتها وأقاموها.
صدقة	المراد بها: الزكاة.
إياك	كلمة تحذير.
كرائم	خيار المال ونفائسه.
اتق دعوة المظلوم	احذرها واجعل بينك وبينها وقاية بفعل العدل وترك الظلم.
يوم خيبر	أي: يوم حصار خيبر سنة (٧هـ).
الراية	علم الجيش الذي يرجعون إليه عند الكر والفر.
يفتح الله علىٰ يديه	إخبار علىٰ وجه البشارة بحصول الفتح.
علي بن أبي طالب	هو ابن عم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوج ابنته فاطمة، والخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين، ومن أسبق السابقين إلىٰ الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، قتل سنة (٤٠هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
يشتكي عينيه	أي: تؤلمانه من الرمد؛ فلا يستطيع المجيء.
فبصق	فتفل.

انفذ	امضِ.
علىٰ رسلك	علىٰ رفقك من غير عجلة.
بساحتهم	فناء أرضهم وما قرب من حصونهم.
إلىٰ الإسلام	الذي هو معنىٰ الشهادتين، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.
حمر النعم	أي: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الدعوة إلىٰ التوحيد طريقة الأنبياء:

الدعوة إلىٰ الدين الإسلامي واجبة، ويبدأ الداعي بالدعوة إلىٰ التوحيد؛ لأنه أعظم الفروض، وأوجب الواجبات، وهو الأساس لجميع الأعمال؛ فلا يقبل أي عمل إلا بعد صحة التوحيد، والدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**».

وطريقة جميع الأنبياء أنهم أول ما يدعون قومهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وعبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام، ودعا إلىٰ سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، لم يفتر ولم يضعف، حتىٰ أقام الله به الدين، وهدىٰ به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه، ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلىٰ شهادة أن (لا إله إلا الله) وإلىٰ توحيد الله قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة في صحتها وقبولها علىٰ التوحيد.

ب- معرفة شهادة أن (لا إله إلا الله) فرض قبل الصلاة وغيرها:

معرفة معنىٰ الشهادة فرض واجب قبل الصلاة والصوم.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اعلم -رحمك الله- أن فرض معرفة شهادة أن لا إله إلا الله قبل فرض الصلاة، والصوم؛ فيجب علىٰ العبد أن يبحث عن معنىٰ ذلك، أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة، والصوم، وتحريم الشرك، والإيمان بالطاغوت، أعظم من تحريم نكاح الأمهات والجدات».

ج- شهادة أن (لا إله إلا الله) أعظم مراتب الإيمان:

أعظم مراتب الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله، ومعنىٰ ذلك: أن يشهد العبد أن الإلهية كلها لله، وإخلاص العبادة هي حق الله علىٰ عباده[٢].

د- طريقة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في الدعوة:

الدعوة إلىٰ الله أشرف مقامات العبد، وأجلها، وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعىٰ به، وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلىٰ حد يصل إليه السعي المقصود.

وإن الدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة وعلم هي طريق الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه، فعلينا أن نفعل ذلك لنكون من أتباعه، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٣٣).

(٢) انظر: المصدر السابق.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال الفراء وجماعة: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ معطوف علىٰ الضمير: ﴿أَدۡعُوٓاْ﴾ يعني: ومن اتبعني يدعو إلىٰ الله كما أدعو.

هذا والقولان متلازمان؛ فلا يكون الرجل من أتباعه حقًّا حتىٰ يدعو إلىٰ ما دعا إليه».

ويستفاد من الآية:

١- أن الدعوة إلىٰ الله طريق من اتبع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

٢- التنبيه علىٰ الإخلاص في الدعوة إلىٰ الله.

٣- أن البصيرة -وهي العلم- من الواجبات علىٰ الداعي إلىٰ الله.

٤- ابتعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

هـ- مضمون كلمة التوحيد:

كلمة الإخلاص هي كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله، ومضمونها نفي الإلهية عما سوىٰ الله[(٢)]، وإخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

و- تفاوت الناس في كلمة التوحيد:

كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» قد سماها الله تعالىٰ كلمة التقوىٰ، والعروة

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٢٩٥).

الوثقىٰ، والناس يتفاوتون في هذه الكلمة بحسب ما لهم علمًا وعملًا؛ فمنهم من يقولها وهو يجهل مدلولها، ومقتضاها، فلا يعرف معنىٰ النفي الموجود في الكلمة، ولا يعرف الإلهية المثبتة لله تعالىٰ بأداة الاستثناء؛ فيأتي بما يناقضها وهو لا يدري، فهي لا تنفعه بلا ريب(١).

ز- شروط (لا إله إلا الله):

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «واعلم أن لها شروطًا ثقالًا، منها: العلم بمدلولها ومقتضاها وحقوقها ولوازمها ومكملاتها، ومن شروطها: الصدق، واليقين، وإرادة وجه الله، والكفر بما يُعبد من دون الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

قال ابن جرير: يعلمون حقيقة ما شهدوا به».

وقال الشيخ حافظ حكمي في منظومته المسمَّاة بسلم الوصول:

وبشروط سبعة قد قيدت	**وفي نصوص الوحي حقًّا وردت**
العلم، واليقين، والقبول	**والانقياد؛ فادرِ ما أقول**
والصدق، والإخلاص، والمحبه	**وفقك اللَّه لِمَا أحبه**

❁❁❁

(١) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٢٩٦).

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ٢٩٥-٢٩٦).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١ - أن الدعوة إلىٰ شهادة (أن لا إله إلا الله) هي طريقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعه.

٢- أن شهادة أن (لا إله إلا الله) أول واجب، وهي أول ما يُدعىٰ إليه الناس.

٣- أن الدعوة تكون بالتدرج فيطلب من الكافر أولًا الدخول في الإسلام بالنطق بالشهادتين، ثم يؤمر بفرائض الإسلام بعد ذلك، فالصلاة أعظم الواجبات بعد الشهادتين، والزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة.

٤- فضل الدعوة إلىٰ الإسلام وما فيها من الخير للمدعو والداعي، فالمدعو قد يهتدي والداعي يثاب ثوابًا عظيمًا.

٥- التنبيه علىٰ أنه ينبغي للإنسان -خصوصًا الداعية- أن يكون علىٰ علم وبصيرة من دينه.

٦- إثبات محبة الله لأوليائه -محبة تليق به كسائر صفاته المقدسة- ومحبة أوليائه له تعالىٰ.

٧- دليل من أدلة نبوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك ببشارته بفتح حصن خيبر -القلعة الكبرىٰ فيها- قبل وقوعه، وشفاء المرض بريقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٨- فضيلة ظاهرة لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشهادة من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بموالاته لله ولرسوله وشهادة بإيمانه.

٩- التحذير من الظلم، وأن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافرًا.

١٠- جواز الحلف على الفتيا إذا اقتضت المصلحة والفائدة.

١١- بيان أن النصر ليس مرتبطًا بالعَدَد والعُدَّة فقط، بل مرتبط بطاعة الله والامتثال لرب العبيد؛ فالنصر واقع لا محالة إذا وُجِدَ الإيمان الصحيح، واتخاذ السبب، وقد يتخلف إذا تخلَّف أحدُهُما.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٢- ما هو أول واجب علىٰ المكلف، مع ذكر الدليل علىٰ ما تقول؟

س٣- بيِّن مناسبة الباب لما قبله؟

س٤- ما معنىٰ الكلمات التالية: (سبيلي، كرائم، علىٰ رِسلك، حُمْرُ النَّعم)؟

س٥- ما هي طريقة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ باختصار؟

س٦- عدِّد بعض ما استفدته من هذا الباب؟

❁❁❁

٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

١- قال الله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء:٥٧][1].

---

(١) دلت هذه الآية الكريمة علىٰ أن الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، وأولياءه المتقين، إنما يعبدون الله وحده لا شريك له ليحصلوا علىٰ رضا الله تعالىٰ عنهم، ولينجوا بذلك من عقابه، ويفوزوا بجناته ونعيمه، فالإيمان بين الخوف والرجاء، وهذا هو عقيدة الأنبياء والمرسلين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وأما زعم كثير من الصوفية، والملاحدة الزنادقة، والحلولية، والاتحادية الإباحية، أنهم يعبدون الله لذات الله، لا لأجل النجاة من النار، ولا لأجل الفوز بالجنات، ولا لأجل الخوف، ولا لأجل الرجاء، وأن من عَبَدَ الله لأجل الخوف من النار، أو لأجل الرجاء في نعيم الله تعالىٰ؛ فهو عامل وأجير، وليس بإنسان كامل.

انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٥٦)، و«الأنوار المقدسة» للغزالي (٢/ ٣٤).

فهذا كله زندقة وإلحاد في دين الله، ومناقضة لمنهج الأنبياء والمرسلين، ولقد صرح سلف هذه الأمة أن من عبد الله بالحب فقط فهو زنديق كبعض غلاة الصوفية، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي حروري، ومن عبد الله بالإخلاص وحده فهو رافضي مبتدع، ومن عبد الله بالمتابعة وحده دوه الإخلاص فهو مراءٍ منافق، ومن عبد الله بالخوف والرجاء والحب والإخلاص والمتابعة فهو موحد سني.

=

٢- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

٣- ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

٤- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

٥- وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله** عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب[(٢)].

❀❀❀

=

راجع: «العبودية» (ص٣٧)، «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٠٧)، «مدارج السالكين» (ص٨٥، ١٥٦-١٥٧).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣)، (ح٢٣).

(٢) أي: أن ترجمة الباب تتبين من الأبواب الآتية التي تفيد أن للتوحيد مُكملات، ونواقض، ونواقص، وأن مجرد اللفظ لا يكفي في تحصيل منافع وفوائد التوحيد.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو بيان حقيقة التوحيد، وتفسير معنىٰ الشهادة، وبيان ما يوافق مقتضاها، وما يضادها، والعطف من باب عطف الدال، وهو الشهادة علىٰ المدلول وهو التوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا الباب يفسر فيه المصنف معنىٰ التوحيد، ومعنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، وذلك من خلال ما سيذكر من الأدلة التي توضح التوحيد، وتبين معنىٰ شهادة التوحيد، وأن هذا التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

وغرض المصنف من عقد هذا الباب هو أنه يريد أن يبين أن التوحيد له معنىٰ، وليس التوحيد مجرد كلمة تقال، وأن للشهادة معنىٰ، وليس اللفظ فقط هو المعتبر، وإنما المراد اللفظ والمعنىٰ؛ فلابد في التوحيد من الإتيان بالشهادة مع التزام معناها الذي هو التوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم علىٰ جميع العبيد، وذكر فضله، وآثاره الحميدة، والخوف من ضده، وأن العبد يكمل بذلك نفسه، ثم يسعىٰ في تكميل غيره بالدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، ناسب أن يذكر هنا تفسير التوحيد، ومعنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾: فسر المصنف التوحيد بهذه الآية، وأنه لا يصح إلا إذا بُني علىٰ أساس من الإيمان بالله، وإخلاص العبادة له، وأن دعاء غير الله مضاد له، وأن دعاء الله وحده هو التوحيد، واعتقاد أن غير الله ينفع ويضر هو الشرك، واعتقاد أن الله هو النافع والضار وحده تعالىٰ هو التوحيد، قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦].

والآية الثانية: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾: وجه الاستشهاد به هو أن التوحيد معناه: تجرد الإنسان من الشرك، وإنكاره له، وإخلاص العبادة لله وحده؛ فمعنىٰ التوحيد وتفسيره: البراءة من عبادة غير الله، واعتقاد بطلانها، والرد عليها، وصرف العبادة لله تعالىٰ بجميع أنواعها.

الآية الثالثة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: دلت الآية علىٰ أن من أطاع غير الله في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام؛ فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا، وجعله شريكًا لله، وذلك ينافي التوحيد، الذي هو إفراد الله

بالعبادة، وإفراده بالحكم، وأنه هو الذي يحلل ويحرم، فمن اتخذ راهبًا أو حبرًا فقد شابه أهل الكتاب الذين أطاعوا علماءهم وعبادهم في التحليل والتحريم، فصاروا بذلك عابدين لهم.

الآية الرابعة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾: استدل بها المصنف علىٰ تفسير التوحيد، وأن منه إخلاص الحب لله تعالىٰ، وأن الحب التعبدي إذا صُرِفَ لغير الله كان منافيًا له، فمن أحب شيئًا حب تعظيم وعبادة، أو دعا، أو استغاث بغير الله، فقد وقع في الشرك الصريح الذي هو ضد التوحيد[1].

وأما حديث: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله**»: أورده المصنف لبيان أن من التوحيد الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو الكفر بالطواغيت التي تُعبد، ويُصرف لها العبادة.

فتبين بهذا أن التوحيد معناه: اعتقاد أن العبادة لله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك طاعة الله تعالىٰ، والبراءة من الشرك وأهله، وبغض الشرك وأهله، وأنه لا تغني في التوحيد الألفاظ المجردة التي لا تكون مصحوبة بالاعتقاد والعمل الموافق له؛ فإنه لابد من أن يتطابق العلم والاعتقاد، والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة، متىٰ تخلَّف واحد منها تخلفت البقية[2].

❊❊❊

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٥٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٥٣).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يدعون	يعبدون من دون الله.
يبتغون	يطلبون.
الوسيلة	القربة.
براء	براء مأخوذ من البراءة، والمعنىٰ: تارك ومبتعد.
فطرني	خلقني، وهو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.
اتخذوا	جعلوا.
أحبارهم	علماء اليهود، وقيل: هم مطلق علماء أهل الكتاب.
ورهبانهم	علماء النصارىٰ، وقيل: هم مطلق عُبَّاد أهل الكتاب.
أربابًا	أي: مشرعين لهم يحللون ويحرمون.
المسيح ابن مريم	هو عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، نسب إلىٰ أمه؛ لأنه خلق من غير أب.
يتخذ	يجعل.
أندادًا	نظراء وشركاء، جمع (ند).

كحب الله	أي: يساوونهم بالله في المحبة المقتضية الذلَّ للمحبوب والخضوع له.
حرم ماله ودمه	أي: لا يجوز سلب ماله، ولا قتله وسفك دمه.
وحسابه علىٰ الله	أي: أن الله تعالىٰ هو الذي يتولىٰ حساب من تلفظ بهذه الكلمة، فيجازيه حَسَب نيته، واعتقاده، وعمله.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله:

معنىٰ تفسير التوحيد والشهادة: هو العلم، والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال، وإخلاص العبادة له، **وذلك يرجع إلىٰ أمرين**:

الأمر الأول: نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق، وهذا يُسمَّىٰ **ركن النفي**.

الأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالىٰ وحده لا شريك له وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهذا **ركن الإثبات**؛ إذ شهادة التوحيد فيها ركنان: النفي والإثبات، ولا يكفي أحدهما في التوحيد، بل لابد من اعتقاد المعنيين، والقول بالنفي والإثبات، وبهذا يعلم أن التوحيد قائم علىٰ النفي والإثبات، كما في شهادة التوحيد: لا إله إلا الله.

ويعلم أن من تمام تفسير كلمة الإخلاص وتحقيقها: البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله، أو يطيعهم كطاعة الله، أو يعمل لهم كما يعمل لله، ينافي معنىٰ (لا إله إلا الله) أشد المنافاة.

ب- طاعة غير الله في تحليل الحرام وتحريم الحلال ينافي التوحيد:

إن من معنىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: طاعة الله في التحليل والتحريم، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والرسول ﷺ مبلغ عن ربه، لا مشرع من نفسه، وطاعته طاعة لله تعالىٰ، وأما من أطاع مخلوقًا في تحريم الحلال، وتحليل الحرام؛ فقد اتخذه ربًّا ومعبودًا، وجعله شريكًا لله في خصيصة من خصائصه، وهي التحليل والتحريم، وذلك ينافي التوحيد.

ولا شك أن الدين لله تعالىٰ، وهو يشرع ما يشاء، وليس لأحد حق التشريع، ولابد علىٰ المكلف أن يعتقد ذلك، ويجب عليه أن يتحاكم إلىٰ شريعة الله تعالىٰ، وعليه أن يطبق الشرع في نفسه، وأهله، وما ولي، وعلىٰ الراعي أن يحكم بالمُنزَّل، ولا يجوز له أن يحكم بالأمور المخترعة والأهواء المتبعة.

ج- المحبة الشركية:

إن من معنىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: المحبة المقتضية للذل والخضوع، فمن اتخذ مع الله ندًّا يحبه كمحبة الله فقد جعله شريكًا لله في العبادة، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اتخذ من دون الله نظيرًا ومثيلًا، يساوونهم بالله في العبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة، فهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره.

ومحبة المؤمن لربه أشد وأعظم وأكبر من محبة المشرك لربه، وذلك أن المشرك يحب الله ويحب غيره كحبه؛ فقلبه ليس مشغولًا بحب الله وحده حب

العبادة، بخلاف المؤمن، ولذلك كان المؤمن أشد حبًّا لله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأصل الشرك بالله الإشراك مع الله في المحبة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]، وأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به من دونه فيتخذ الأنداد من دونه، يحبهم كحب الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم».

د- شهادة أن لا إله إلا الله تعصم الدم والمال:

الأصل أن دماء الكفار المحاربين -بخلاف المعاهدين والمستأمنين والذميين- وأموالهم وذراريهم ليست معصومة، بل هي مهدورة بحكم الشرع، وقد علق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عصمة المال والدم بأمرين:

الأول: قول (لا إله إلا الله).

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، من الأصنام والأوثان وغيرها.

فعلم من هذا أن الشهادة وحدها لا تكفي؛ بل لابد مع التلفظ بها من وجود المعنىٰ، واعتقاد ما دل عليه اللفظ، ومن جملة ذلك اعتقاد بطلان ما عليه الكفار من العقائد الباطلة، وأنها باطلة.

❁❁❁

(١) «الجواب الكافي» (ص٢٥٤)، «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٣٢).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- معنىٰ أن لا إله إلا الله توحيد الله؛ وذلك بإخلاص العبادة له، والبراءة من عبادة كل ما سواه.

٢- أن من مقتضىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله طاعة الله في التحليل والتحريم.

٣- أن من معنىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله إفراد الله بالمحبة المقتضية للذل والخضوع.

٤- أن من أطاع مخلوقًا في تحليل الحرام، أو تحريم الحلال؛ فقد اتخذه شريكًا.

٥- أن المشركين يحبون الله حبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ لأنهم أشركوا معه غيره.

٦- أن من أتىٰ بالتوحيد والتزم شرائع الإسلام ظاهرًا وجب الكف عنه حتىٰ يتبين منه ما يخالف ذلك.

٧- أن مجرد النطق بشهادة أن لا إله إلا الله لا يكفي قائلها حتىٰ يكفر بما يعبد من دون الله.

٨- حرمة مال المسلم ودمه إلا بالحق.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - لماذا يعبد الأنبياء والصالحون والأولياء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- وضِّح مناسبة الباب لما قبله؟

س٤ - اذكر معاني الكلمات: (الوسيلة، فطرني، أربابًا، أندادًا).

س٥ - ما الأمران اللذان بنيت الشهادة عليهما وهما ركناها؟

س٦- علق النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عصمة المال والنفس بأمرين، فما هما؟

س٧- عدِّد بعض الفوائد التي تستفاد من هذا الباب؟

❊❊❊

٧- باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

١- قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

٢- عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رأىٰ رجلًا في يده حلقة من صفر؛ فقال: **ما هذه؟** قال: من الواهنة، فقال: **انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»(١). رواه أحمد بسند لا بأس به.

٣- وله عن عقبة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ مرفوعًا: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٥) بسند لا بأس به، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

٤- وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**»[(١)].

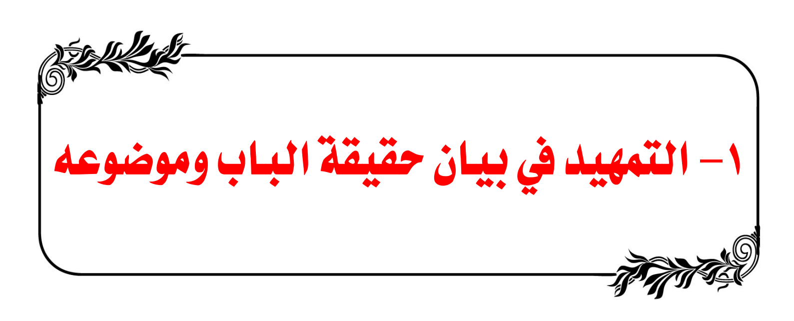
٥- ولابن أبي حاتم عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]»[(٢)].

❁❁❁

(١) «المسند» للإمام أحمد (٤/ ١٥٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣): رجال أحمد ثقات.

(٢) ذكره ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٥٥).





١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

ذكر حكم الحلقة والخيط لرفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله، وحكم من فعل ذلك، وأن من يلبس ذلك معتقدًا فيها النفع والضر فقد أشرك في الربوبية؛ حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، والنفع والضر، وأشرك في الألوهية حيث تَأَلَّه بذلك لغير الله، وعَلَّق به قلبه طمعًا ورجاء لمنفعة.

ب- شرح ترجمة الباب:

معنىٰ ترجمة هذا الباب: أن من الشرك -إما الأكبر أو الأصغر- لبس حلقة الحديد ونحوه من الصفر، والذهب والفضة، أو حلقة من الخيط، ونحو ذلك؛ لأجل رفع المصائب إذا وقعت أو منعها قبل وقوعها.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيان أن لبس الحلقة ونحوها لجلب النفع أو دفعه من الشرك مطلقًا، فلا يخلو من أن يكون ناقضًا للتوحيد أو منقصًا له، وأن لبس الحلقة والخيط ينافي التوحيد ويخالفه، إما منافاة ومخالفة تامة، أو ناقصة، بحسب ما يقوم بقلب المُعلِّق ونيته.

وأن دفع الضر وجلب النفع من خصائص الله تعالىٰ، فيكون طلب ذلك من غير الله كالخيط والحلقة ونحوهما شركًا كطلبها من الأصنام.

د- مناسبة الباب:

لمَّا بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير التوحيد في الباب السابق، وتبين أمر التوحيد وعرف صورته وحقيقته ناسب أن يذكر بعض نواقضه ونواقصه، التي تخالف حقيقة التوحيد وصورته؛ فبدأ بذكر أمر مشترك يكون أحيانًا ناقضًا للتوحيد، ومخالفًا للشهادة بكل حال، ويكون أحيانًا منقصًا للتوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

استشهد المصنف بالآية: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: لأنها صريحة في الدلالة علىٰ أن الأمر كله لله تعالىٰ، وأن المدعوين من دون الله لا يقدرون علىٰ كشف الضراء، ولا علىٰ منع السراء؛ لأن ذلك كله لله تعالىٰ؛ فلا فرق بين اعتقاد المشركين في الأصنام وأنها وسائط لجلب الخير، وبين من يعتقد أن الخيط أو الحلقة ونحوهما مما يفعله بعض الجهال، ويعتقدون أنها تنفع، ومعلوم أن الله تعالىٰ وحده المنفرد بالأمر، والنفع والضر[1].

وأما حديث: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»: فيه دلالة علىٰ ضرر الشرك، وأنها تبعد الإنسان عن الرحمن، فإنه نوع شرك لا يغفره الله إلا بالتوبة[2].

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٤١).

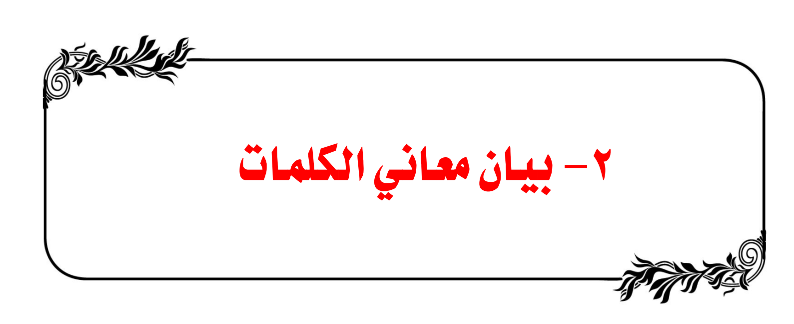
(٢) انظر: المصدر السابق (ص٤٢).

وحديث عقبة مرفوعًا: «**من تعلق تميمة**»: الحديث دل علىٰ أن من علق تميمة أو خيطًا معتقدًا أنها تنفع فقد أتىٰ بما يخالف الشرع، ولذا دعا عليه النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك فإنه لا يكون في دعة وسكون.

وحديث حذيفة: «**أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط**»: استشهد به المصنف ليبين أن الصحابة فهموا أن وضع الخيط ونحوه، والاعتقاد فيه، نوع من أنواع الشرك، ولذلك أزاله حذيفة رضي الله عنه، واستدل بالآية[1].

❀❀❀

(١) انظر: المصدر السابق (ص٤٣).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الحلقة	كل شيء مستدير.
ونحوهما	من كل ما يلبس أو يعلق لهذا الغرض.
رفع البلاء	إزالته بعد نزوله.
ودفعه	منعه قبل نزوله.
أفرأيتم	أخبروني.
ما تدعون	ما تطلبون منه قضاء حاجاتكم.
من دون الله	غيره من الأنداد والآلهة.
بضر	بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة.
كاشفات ضره	مزيلات ما ينزله بكم مما تكرهون.
برحمة	صحة وعافية وخير وكشف بلاء.
ممسكات رحمته	مانعاتها عني.

حسبي الله	هو كافيني، فهو تعالىٰ يكفي من توكل عليه.
ما هذه	استفهام إنكار.
الواهنة	نوع من المرض يصيب اليد.
انزعها	اطرحها، والنزع: هو الجذب بقوة.
وهنًا	ضعفًا.
ما أفلحت	الفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.
وله	أي: وروىٰ الإمام أحمد.
تعلق تميمة	أي: علقها علىٰ نفسه أو علىٰ غيره معتقدًا بها، والتميمة: خرزات كانت العرب تعلقها علىٰ أولادهم يتقون بها العين، وهي عامة في كل معلق من خرز، أو حجب، أو كتابة.
فلا أتم الله له	دعاء عليه بألَّا يتم الله أموره.
ودعة	الودعة: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يعلقونه علىٰ أجسامهم يتقون به العين.
فلا ودع الله له	أي: لا جعله في ودعة وسكون، أو: لا خفف الله عنه ما يخافه.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- النافع والضار هو الله وحده:

يجب علىٰ العبد أن يعلق قلبه بالله وحده، طمعًا ورجاءً وخوفًا، وأن يعتمد علىٰ الله وحده، وأن يفوض الأمور كلها لله وحده، فهو وحده الدافع للبلاء، وهو الضار والنافع[1]، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧].

فالله تعالىٰ هو المتفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء، فإذا كان وحده النافع والضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية، وأما غير الله فلا يملك كشف الضر أو جلب النفع.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ

---

(١) لقد صرح جمع من فقهاء الحنفية: «بأن من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله فاعتقاده ذلك كفر». انظر: «البحر الرائق» (٢/ ٢٩٨)، و«رد المحتار» (٢/ ٤٦٧)، و«فتح المنان» للآلوسي (ص٤١٧)، و«الإبداع في مضار الابتداع» (ص١٨٩).

وقال العلامة الآلوسي وتبعه ابنه وحفيده: «وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرىٰ ولا يسمع!». «روح المعاني» (١١/ ٩٨)، «جلاء العينين» (ص٥٠٣)، «غاية الأماني» (٢/ ٣١٥).

كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

ب- أحكام الأسباب:

إن معرفة أحكام الأسباب وتفصيل القول فيها أمر مهم.

وقد فصَّلها الشيخ السعدي فقال[(١)]: «**يجب علىٰ العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:**

أحدها: ألا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا.

ثانيها: ألا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد علىٰ مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه علىٰ النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت؛ فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، لا خروج لها عنه.

والله تعالىٰ يتصرف فيها كيف يشاء، إن شاء أبقىٰ سببيتها جارية علىٰ مقتضىٰ حكمته، ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها، والمعلولات بعللها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء، لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق، والإرادة المطلقة لله وحده.

فهذا هو الواجب علىٰ العبد في نظره، وعمله بجميع الأسباب».

---

(١) «القول السديد» (ص١٠٦).

ج- المقصود بالحلقة والخيط وحكم لبسهما لرفع البلاء أو دفعه:

الحلقة: طوق من النحاس كان المشركون يجعلونها في عضودهم، يزعمون أنها تحفظهم من العين والجن ونحو ذلك.

الخيط: في الأصل ما يخاط به، وكان المشركون يعقدون الخيوط علىٰ أيديهم ورقابهم يزعمون أنها تدفع عنهم الحمىٰ.

وحكم لبس الحلقة والخيط إذا اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهو شرك أكبر، أما إذا اعتقد أنها سبب لرفع البلاء فهو شرك أصغر، والكل حرام.

أما في الصورة الأولىٰ فالأمر واضح؛ لأنه شرك صريح، وأما في الصورة الثانية فإن الله لم يشرع لنا أن نتسبب بهذه الأمور إلىٰ دفع البلاء أو رفعه، وليست هي من الأمور التي ترتب عليها الأسباب عقلًا أو تجربة وحسًّا؛ فاعتقاد سببيتها في النفع والضر نوع من الشرك.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله؛ فقد أشرك؛ لأنه إذا اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر، وهو شرك في الربوبية، حيث اعتقد شريكًا مع الله في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تألَّه لذلك وعلق به قلبه طمعًا ورجاء لنفسه.

وإن اعتقد أن الله هو النافع وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء؛

(١) المصدر السابق.

فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًّا ولا قدريًّا سببًا، وهذا محرم وكذب علىٰ الشرع والقدر».

وإن كان تعليق هذه الأمور عادة بدون أن يعتقد فيها أنها تدفع البلاء أو ترفعه، فحينئذٍ يكون هذا العمل شركًا أصغر؛ لأن هذا من أفعال أهل الجاهلية.

ونظير هذا الحلف بغير الله إن كان مصحوبًا باعتقاد أن المحلوف به يضره فهو شرك أكبر، وأما إن كان بدون هذا الاعتقاد فهو شرك أصغر.

ولما كان ظاهر أحوال من يلبس هذه الخيوط والحلق أنهم يعتقدون فيها النفع والضر، فقد حكم مجدد الدعوة بأنها من الشرك.

د- آثار تعلق القلب بغير الله:

من علَّق قلبه بغير الله تعالىٰ؛ فإنه سيجد أمورًا وآثارًا مترتبة علىٰ هذا التعلق، ومن هذه الآثار:

١- عدم الفلاح والفوز والظفر والسعد في الدنيا والآخرة.

٢- القلق والتعب النفسي وعدم الراحة والدعة والسكون، وهذه آثار لدعوة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلا ودع الله له**»؛ أي: لا يجعله في دعة وسكون.

٣- يصبح عبدًا للمُعلَّق، أو عبدًا لمُعطي المُعلَّق، وتتشتت عليه الأمور.

٤- يترك الدعاء، والرقية، واتخاذ الأسباب الشرعية والكونية، لظنه كفاية المعلق.

٥- يكون متوكلًا علىٰ المعلق.

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب الاعتماد علىٰ الله وحده وتفويض الأمور كلها إليه.

٢- أن من اعتمد علىٰ غير الله عامله الله بنقيض قصده.

٣- التحذير من لبس الحلقة والخيط وغيرهما لجلب النفع أو دفع الضر وأنه شرك.

٤- تحريم تعليق التمائم والودع بقصد دفع البلاء أو رفعه، والوعيد علىٰ ذلك واعتباره من الشرك.

٥- التغليظ في الإنكار علىٰ فعل شيء من الشرك.

٦- الدعاء علىٰ من علق التمائم والودع لرفع البلاء بما يفوت عليه مقصوده.

٧- النهي عن التداوي بالحرام.

٨- أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، ومع هذا هم مشركون؛ لأنهم لم يخلصوا في العبادة لله.

٩- بيان أن الأفعال الشركية تُزال علىٰ الفور وجوبًا، ويحذر منها.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- متىٰ يكون لبس الحلقة والخيط شركًا أكبر، ومتىٰ يكون شركًا أصغر؟

س٢- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- وضِّح مناسبة الباب لما قبله؟

س٤- بيِّن معاني المفردات: (الحلقة، حسبي الله، الواهنة، التميمة، ودعة)؟

س٥- اذكر الدليل علىٰ أن الله تعالىٰ وحده هو النافع والضار؟

س٦- ما هي آثار تعلق القلب بغير الله تعالىٰ؟

س٧- عدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❁❁❁

٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم

١- في الصحيح[١]، عن أبي بشير الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره، فأرسل رسولًا: ألَّا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت».

٢- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»[٢]. رواه أحمد، وأبو داود.

التمائم: شيء يعلق علىٰ الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرقىٰ: هي التي تسمىٰ العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها، والرجل إلىٰ امرأته.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٠٠٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢١١٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨١)، وأبو داود في «سننه» (٣٨٨٣)، وابن ماجه (ح ٣٥٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

٣- وعن عبد الله بن عكيم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**من تعلَّق شيئًا وكل إليه**»[(١)].

رواه أحمد والترمذي.

٤- وروىٰ الإمام أحمد[(٢)]، عن رويفع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قال لي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابة، أو عظم، فإن محمدًا بريء منه**».

٥- وعن سعيد بن جبير قال: «**من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**».

رواه وكيع[(٣)].

٦- وله عن إبراهيم النخعي: «**كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن**»[(٤)].

❁❁❁

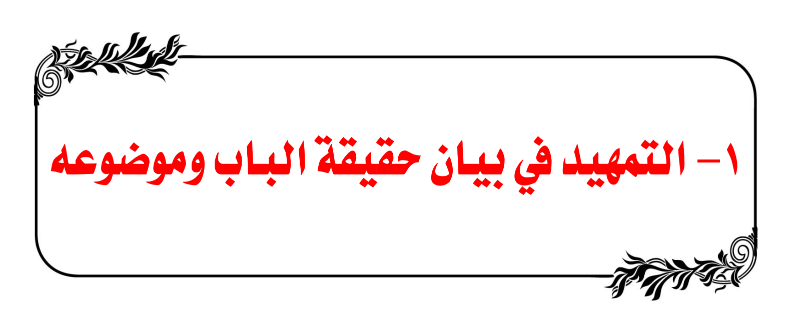
(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣١٠-٣١١)، والترمذي في «سننه» (٢٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٩).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٣٤٧١).

قال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» (ص١٧٣): «هذا عند أهل العلم له حكم الرفع؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي؛ فيكون علىٰ هذا مرسلًا؛ لأن سعيدًا تابعي».

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (٦٠)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤٦٧).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

تحريم التمائم كما وردت في النصوص الواردة، والتفصيل في الرقىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا الباب المراد به بيان ما يتعلق بالرقىٰ والتمائم، وهل هي من المنهي عنها، وهل يكون شركًا أو لا؟ ولما كان أمر التمائم والرقىٰ بحسب التميمة والرقية؛ لم يبين المصنف الحكم في ترجمة الباب لذلك، وإنما أبهمه، فكأنه قال: باب ما جاء في بيان حكم التمائم والرقىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أحكام التمائم وبيان ما جاء في التمائم من النهي، وخاصة التي تشتمل علىٰ الاستغاثة بالشياطين، ولبيان الجائز والممنوع منها.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف في الباب السابق أن لبس الحلقة والخيط ونحوهما لدفع البلاء أو جلبه من الشرك، بَيَّن حكم نوع خاص من المعلقات وهي التمائم،

وحكم نوع خاص مما يطلب به دفع الضر، وجلب الخير، وهي الرقىٰ.

ولما كان قد عقد فيما مضىٰ بابًا في بيان التوحيد وتفسيره، فإن هذه الأبواب كلها لبيان نواقض التوحيد ونواقصه، ومن جملة ذلك التمائم والرقىٰ؛ فإنها قد تكون ناقضة للتوحيد من كل وجه، وقد تكون مُنقصة للتوحيد، وقد تكون جائزة، ففي كلٍّ بحسبه.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**فأرسل رسولًا ألَّا يبقين في رقبة**»: استدل المصنف بإنكار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه القلائد، وأمره بقطعها وإزالتها؛ علىٰ أن التمائم والقلائد والأوتار محرمة، وهي نوع شرك، وإذا كان باعتقاد نفعها كان شركًا أكبر[(١)].

الحديث الثاني: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»: أورده المصنف للاستدلال به علىٰ شركية المعلقات التي تكون القلوب معلقة بها، وأن من علق قلبه بها فقد أشرك.

الحديث الثالث: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»: استشهد به المصنف للدلالة علىٰ أن العبد لا ينبغي له أن يعتمد، ولا أن يتوكل، في طلب خير أو دفع شر، إلا علىٰ الله، ومن اعتمد علىٰ غيره، أو توكل عليه؛ فإنه يوكل إلىٰ ذلك الغير[(٢)].

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٤٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٤٦).

الحديث الرابع: «**فأخبر الناس أن من عقد لحيته**»: أورده المصنف؛ لأن فيه أن من تقلد وترًا، وجعله قلادة؛ فقد وقع فيما نهىٰ عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التعلق بغير الله تعالىٰ[1].

وأما أثر سعيد بن جبير: «**من قطع تميمة**»: فأورده المصنف للدلالة علىٰ فضل قطع التمائم.

❀❀❀

(١) انظر: المصدر السابق (ص٤٧).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
وتر	هو وتر القوس الذي يرمىٰ به.
يعلق علىٰ الأولاد	أي: بأعناق الصبيان.
من العين	أي: لدفع الإصابة بالعين.
العزائم	جمع (عزيمة)، وهي كل مكتوب في ورق أو إناء ونحوه، وقد يكون من القرآن وقد يكون من غير القرآن، تقرأ علىٰ ذوي العاهات، أو تقرأ في ماء ويسقاه المريض، أو تكتب في صحن ونحوه، وتمحىٰ الكتابة بماء ونحوه، ويسقاه المريض.
وخص منه	أي: أخرج من عمومه المنهي عنه.
الدليل	وهي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا رقية إلا من عين أو حُمة**». كما سبق في باب: «من حقق التوحيد...».
مرفوعًا	المرفوع هو الحديث المنسوب إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
تعلق شيئًا	التفت قلبه عن الله إلىٰ شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه.

وكل إليه	أي: وكله الله إلىٰ ذلك الشيء الذي تعلق به من دون الله.
عقد لحيته	قيل معناه: ما يفعلونه في الحروب من فتلها وعقدها تكبرًا، وقيل معناه: معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد علىٰ وجه التأنث والتنعم. وقيل: المراد عقدها في الصلاة؛ أي: كفها، ويمكن أن يكون المعنىٰ عامًّا يشمل كل نوع من أنواع عقد اللحية.
تقلد وترًا	جعله قلادة في عنقه، أو عنق دابته، من أجل الوقاية من العين.
برجيع دابة	الرجيع: الروث.
كعدل رقبة	أي: كان له مثل ثواب من أعتق رقبة.
كانوا	أي: أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهم من سادات التابعين[1].

❊❊❊

(١) قال الشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» (ص١٧٤): «مراده بذلك أصحاب ابن مسعود؛ كعلقمة، والأسود، وأبي وائل، والحارث بن سويد، وعبيدة السليماني، ومسروق، والربيع بن خيثم، وسويد بن غفلة، وغيرهم من أصحاب ابن مسعود».



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ القلادة من الوتر وحكم تعليقها:

المقصود بالقلادة: ما كان يصنعه أهل الجاهلية من التقليد بالأوتار، والوتر: أحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا بلي الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوا به الدواب؛ اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدابة العين، أما حكم تعليق القلادة لدفع الضر، وجلب النفع فإنه شرك أبطله الإسلام، فدفع الضر وجلب النفع والدعاء والاستغاثة والاستعانة من خصائص الله، وهذه الأوتار وغيرها ليست أسبابًا شرعية ولا أسبابًا كونية.

ب- أنواع التعاليق بالنسبة إلىٰ محلها:

١- ما يعلق علىٰ الحيوان: وهي القلادة من الوتر ونحوه، تعلق علىٰ الدابة ونحوها.

٢- ما يعلق علىٰ الإنسان: وهي التمائم التي يتقون بها العين، ويعلق علىٰ الأولاد من خرزات وتعاويذ وخيوط وحلق وغيرها.

٣- ما يعلق علىٰ باب الدار والدكان ونحوهما، باعتقاد أنه يجلب الرزق، ويدفع العين والضر، ونحو ذلك، ومثل هذا ما في هذا العصر مما يعلقه بعض الناس علىٰ سياراتهم وبيوتهم من تعليق الأحذية، أو الخرزات، ونحو ذلك.

ج- أقسام التعاليق بالنسبة إلىٰ نوعها:

١- المعلق من الألفاظ الشركية، والطلاسم التي لا تعرف معناها، أو الحسابات والأشكال الهندسية التي هي رموز لأهل الطلاسم.

٢- المعلق من القرآن والسنة، أو ما كان مفهوم المعنىٰ وليس فيه شيء من الشرك.

٣- المعلق من القرآن والسنة وما هو مفهوم المعنىٰ بشيء مخلوط بالسحر والدجل مما فيه شرك، أو طلاسم، أو حسابات، أو استغاثات بالجن والشياطين، وغيرهم من المخلوقين.

د- بيان أقسام التمائم بالنسبة إلىٰ الحكم عليها:

١- **التمائم الشركية**: وهي تعليق تعاويذ تشتمل علىٰ الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم، فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، وهذا النوع من التمائم لا شك في أنه شرك، وأن من فعل ذلك فقد فعل الشرك، ومن هذا النوع ما كان فيه خلط القرآن بالشرك.

٢- **التمائم المحرمة**: وهي تعليق تعاويذ فيها أسماء لا يفهم معناها، وليس فيها استغاثة بغير الله؛ فهي حرام؛ لأنها تَجُر إلىٰ الشرك، ومن هذا النوع ما اشتمل علىٰ القرآن وغير مفهوم المعنىٰ مما ليس بشرك؛ فهذا محرم بكل حال.

٣- التمائم من القرآن الكريم، أو مما هو مفهوم المعنىٰ مما فيه دعاء وطلب من الله تعالىٰ وحده لا شريك له.

فالنوعان الأولان من أنواع التمائم لا شك في حرمتهما، وأنهما من نواقض

التوحيد أو نواقصه، ولذا حرم الإسلام هذه التمائم وأبطلها، لكن يستثنىٰ من ذلك إذا كان المعلق من القرآن، فقد اختلف فيه العلماء: فرخص فيه بعضهم وأجاز تعليقه، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه وهو الصحيح، وعليه دلت الأدلة، **وذلك لما يأتي**:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم ولا مخصص للعموم.

٢- أن تعليق القرآن يكون سببًا في امتهانه، فلابد أن يمتهنه المعلق فيحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.

٣- كونه ذريعة إلىٰ تعليق ما ليس من القرآن.

٤- لم يعهد ذلك من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يثبت عنه أنه علق تميمة، أو أجاز تميمة، ولو كان مشروعًا لبينه وأجازه، كما بين أن الرقىٰ بالكتاب والسنة جائزة، ولذلك رقىٰ نفسه، وكان يرقي غيره بالكتاب والدعاء.

هـ- أجر من قطع تميمة من إنسان:

من قطع تميمة تشتمل علىٰ الشرك من إنسان فله من الأجر مثل أجر من أعتق رقبة كما قال ذلك سيد التابعين سعيد بن جبير، وتوجيه ذلك أنه حرره من الرق لغير الله تعالىٰ، وحرره من الشرك.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وفي الحديث -يعني حديث سعيد بن جبير- فضل قطع التمائم، وأنه كعدل رقبة؛ لأنه سيخلص هذه الرقبة

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٤٧).

من النار، ومن الشرك؛ فيكون أفضل من عتق رقبة».

و- معنىٰ الرقىٰ وحكمها:

الرقىٰ جمع رقية، وهي العوذة التي يرقىٰ بها صاحب المرض، وتسمىٰ العزائم، أما حكم الرقية فإنما يتبين بمعرفة ما يُرقىٰ به، ولا يخلو الأمر من أن تكون الرقية:

أ) جائزة: وهي ما تجردت من الشرك، واجتمع فيها شروط ثلاثة:

١- أن تكون باللسان العربي وما يعرف معناه.

٢- أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، أو بكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله.

ب) رقية محرمة شركية: وهي ما يدعىٰ بها غير الله، ويطلب الشفاء من غيره؛ فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

ج) رقية محرمة: وهي التي ليس فيها شيء من الشرك، ولكنه يحتوي علىٰ ما هو غير مفهوم المعنىٰ؛ فإن ذلك ذريعة إلىٰ الشرك وباب إليه.

ز- التولة من الشرك:

التولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها، والزوج إلىٰ امرأته، وهو نوع من السحر، ولذلك كان شركًا، ويدخل فيه سحر التفريق، وهذا قد ذكر في القرآن الكريم، وأن ذلك من أفعال السحرة، حيث قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

وإنما كان من الشرك لما يراد به من جلب المنافع ودفع المضار من غير الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

ولا شك أنه يدخل في التولة كل نوع سحر أو دجل يزعم أنه يحبب المرأة إلىٰ زوجها، أو الرجل إلىٰ زوجه.

ح- خطورة الاعتماد علىٰ غير الله:

يجب أن يكون اعتماد العبد علىٰ الله تعالىٰ، وأن يتعلق القلب به وحده، وفعل الأمور بيد الله تعالىٰ وحده؛ فالكون ملكه، ولا يجري في ملكه إلا ما يكون في تصرفه وتدبيره؛ وأن من اعتمد علىٰ غير الله في طلب خير أو دفع شر وكله الله إلىٰ ذلك الشيء الذي اعتمد عليه، ولهذا كان المشرك علىٰ خطر عظيم من نواحٍ كثيرة، منها:

١- أنه معتمد علىٰ غير الله.

٢- أنه يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن، ويرىٰ النفع فيما لا ينفع لا عقلًا ولا حسًّا.

٣- أنه يعرض نفسه للأرباب المتفرقين؛ فيصبح قلبه في شتات، وهمه في غيابات.

٤- أنه يعرض نفسه -بالوقوع في الشرك- للنار، والخلود فيها إن مات علىٰ الشرك.

٥- أنه يتعلق بكل شيء؛ لأن قلبه خاوٍ عن التوكل علىٰ الله تعالىٰ، وذهنه مصروف عن الله تعالىٰ إلىٰ غيره، وأعماله موجهة إلىٰ غير الله تعالىٰ.

٦- أنه يعيش في الضنك والحياة التعيسة الشقية.

٧- أنه محروم عن توحيد الوجهة، فتراه يتخبط في ظلمات الكفر والشرك.

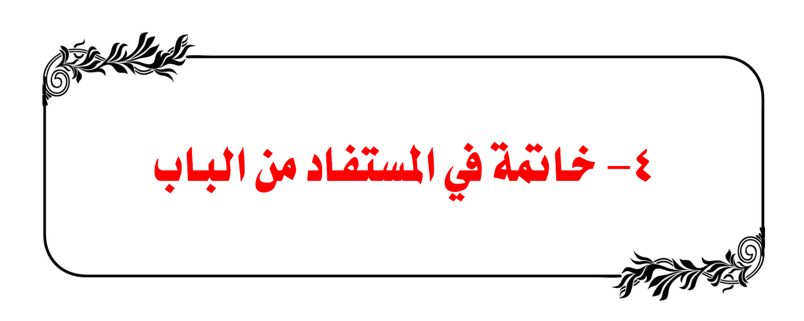
ط- براءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم:

حرم الدين الإسلامي الحنيف عقد اللحية، وتقلد الوتر، والاستنجاء برجيع دابة، أو عظم، وتبرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن فعل شيئًا من ذلك.

وكانت هذه الأعمال من أفعال أهل الجاهلية؛ فإنهم كانوا في الحرب يعقدون لحاهم تكبرًا، ومثل هذا ما هو حاصل من عقد اللحىٰ في المشركين السيخ في الهند، ويحملون القلادة في عنق الدابة، وهو شرك، ونهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الاستنجاء والاستجمار بالروث والعظم؛ لأنه طعام الجن[(١)].

❊❊❊

(١) جاء هذا في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فآتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**. قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد؟ فقال: **لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**». رواه مسلم في «صحيحه» (٤٥٠).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب التعلق بالله في جميع الأمور.

٢- النهي عن التعلق بغير الله.

٣- تحريم تعليق التمائم مطلقًا عند جماعة من التابعين، وتحريم التمائم مما فيه شرك بالإجماع.

٤- تحريم اتخاذ القلادة لدفع المحذور وأنه شرك.

٥- فضل قطع التمائم؛ لأن ذلك من إزالة المنكر وتخليص الناس من الشرك.

٦- حرص السلف علىٰ صيانة العقيدة عن الخرافات.

٧- مشروعية إكرام اللحية وإعفائها، وتحريم العبث بها بحلق، أو قص، أو عقد، أو تجعيد، أو غير ذلك.

٨- تحريم الاستجمار بالروث والعظم.

٩- في الحديث دليل من أدلة النبوة، فإن رويفعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طالت حياته إلىٰ سنة (٥٦هـ).



٥- أسئلة عما ذكر الباب

س١- بَيِّن مناسبة الباب لما قبله؟

س٢- وضِّح معاني المفردات التالية: (وتر، العزائم، عقد لحيته، التمائم، الرقىٰ).

س٣- لماذا كان الجاهليون يعلقون الوتر؟

س٤- اذكر أنواع التعاليق من التمائم بالنسبة إلىٰ محلها؟

س٥- كم أقسام التعاليق من التمائم بالنسبة إلىٰ نوعها؟

س٦- بيِّن أقسام التمائم بالنسبة إلىٰ الحكم عليها؟

س٧- منع بعض السلف من التمائم ولو كان من القرآن فما وجه منعهم لها؟

س٨- الرقية إما أن تكون جائزة أو محرمة، والمحرمة إما أن تكون شركًا أو لا؛ فبيِّن ذلك؟

س٩- المشرك علىٰ خطر عظيم من عدة نواحٍ، اذكر بعضها؟

س١٠- اذكر السبب في النهي عن الاستجمار برجيع دابة أو عظم؟

❊❊❊



٩- باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما[(١)]

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم:١٩-٢٣].

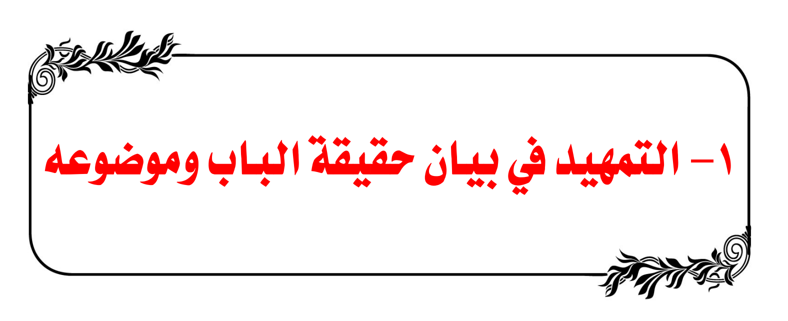
٢- عن أبي واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط؛ فمررنا بسدرة؛ فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسىٰ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم**».

رواه الترمذي وصححه[(٢)].

---

(١) «كبقعة وغار وعين وقبر ونحو ذلك، مما يعتقد كثير من عباد القبور وأشباههم فيه البركة؛ فيقصدونه رجاء البركة؛ ويعني بقوله: (تبرك)، أي: طلب البركة ورجاها واعتقدها؛ أي: ما حكمه هل هو شرك أم لا؟»، قاله الشيخ سليمان آل الشيخ في «تيسير العزيز الحميد». تحت هذا الباب.

(٢) في «جامعه» (٤/ ٤٧٥)، حديث رقم (٢١٨٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢١٨)، وصححه الألباني، كما في «صحيح الجامع» (ح٣٦٠١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

في حكم التبرك، وأن التبرك بالأحجار والأصنام والشجر من أعمال المشركين.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم التبرك بالأحجار والأشجار وما شابههما، وهل هذا يجوز أو لا، وإن كان لا يجوز فهل يكون فاعله مشركًا أم لا، وهل يعذر إذا قاله ولم يعمله إن كان جاهلًا؟[1].

---

(١) **نقول: لم يحكم الإمام حكمًا صريحًا؛ لأن التبرك نوعان كما سيأتي:**

١- نوع مشروع: وهو التبرك بالقرآن وبآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا ثبت أن هذا الشيء من آثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالجبة ونحوها يجوز التبرك به وإلا فلا؛ إذن لابد من التثبت والثبوت القاطع؛ فإذا كنا نتثبت في صحة الحديث، وهل ثبت أم لا، فالتثبت في الآثار من هذا الباب واجب، وليس كل ما قيل أنه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل حتىٰ يكون هناك إسناد لهذا المنقول ثابت.

فما شاع في كثير من البلاد أن هناك شعرة من شعر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو هناك جبة أو نحو ذلك مما لا دليل علىٰ ذلك ولا سند له، فالتبرك بمثل هذه الأمور باطل.

٢- وتبرك ممنوع غير مشروع: وهو قسمان:

=

=

القسم الأول: **تبرك شركي**: وهو ما كان فيه طلب الخير والنماء من غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ؛ كأن يعتقد المتبرك -بصيغة اسم الفاعل- أن المتبرك به -بصيغة اسم المفعول- من غير الله يعطي الخير والنماء فوق الأسباب العادية.

وهذا النوع شرك أكبر، بل هو شرك في الربوبية؛ لأنه يرجع إلىٰ التصرف في الكون.

والقسم الثاني: **تبرك بدعي**: وهو ما لم يكن فيه طلب الخير والنماء من غير الله تعالىٰ؛ ولكن يكون فيه طلب الخير والنماء من الله تعالىٰ بواسطة شيء لم يرد الشرع به، أو ورد الشرع بخلافه.

وهذان النوعان من التبرك الممنوع الغير المشروع الشركي والبدعي موجودان عند القبورية بكثرة كاثرة كما صرحوا بها في كتبهم: كالتبرك بقبور الأولياء. «كشف النور» للنابلسي (ص١٦)، و«كشف الارتياب» (ص٤٢٩)، و«مرام الكلام» (ص٦).

والتبرك بوضع تمثال قبر الحسين في البيت. «بدر الأنوار» للبريلوي (ص٥٧).

وكتبرك بعض الصوفية كالديوبندية ونحوهم بحجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتبركهم بغلاف قبره الشريف، وتبركهم بتمر المدينة علىٰ غير الوجه المشروع -وهو التداوي به لأجل السحر والسم-، وتبركهم بنوىٰ تمر المدينة، وتبركهم بتراب الحجرة النبوية، وتبركهم بأقمشة المدينة، وتبركهم بالزيت المحروق في المسجد النبوي، وفي الحجرة النبوية، وإدخالهم الأطفال إلىٰ الحجرة للتبرك، وتبركهم بالقبر الشريف، وتبركهم بموضع جلوس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتبركهم بكل ما مسته يده الشريفة، وتبركهم بكل ما مرت عليه قدمه الشريفة، وتبركهم بالمنبر النبوي.

انظر: «الشهاب الثاقب» (ص٥٢-٥٤)، و «فضائل الحج» (ص١٠٤)، ضمن «تبليغي نصاب».

والتبرك بكتاب «الإحياء» للغزالي. «إمداد المشتاق» (ص٩٢).

والتبرك بكتاب «المثنوي» للرومي. «إمداد المشتاق» (ص٨٧-٨٨)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٥٨٧).

والتبرك بقصيدة البردة للبوصيري الخرافي. انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٣٣١).

=

=

وكتبرك الحنفية بكتاب «مختصر القدوري في الفقه الحنفي». انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٦٣١).

الحاصل: أن التبرك بشيء لم يرد التبرك به شرعًا باطل ممنوع غير مشروع؛ لأنه إما شرك، وإما وسيلة إلىٰ الشرك، وكل ذلك من أعمال أهل الجاهلية كما صرح به أهل هذا الشأن.

قال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ) بعدما ذكر حديث النهي عن شد الرحال إلىٰ غير المساجد الثلاثة: «أقول: كان أهل الجاهلية يقصدون مواضع معظمة بزعمهم يزورونها ويتبركون بها -وفيه من الفساد ما لا يخفىٰ- فَسَدَّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفساد؛ لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله؛ والحق عندي أن القبر ومحل عبادة ولي من أولياء الله، والطور، كل ذلك سواء في النهي». «حجة الله البالغة» (١/ ٥٤٣) ط محققة.

وقد ذكر الشاه ولي الله أنواع التبرك الشركي، فقال: «ومنها أنهم كانوا يتلون أسماءهم رجاء بركتها، فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾». «حجة الله البالغة» (١/ ١٨٥).

وقد صرح الإمام ابن القيم أن تبرك القبورية، إنما هي بالصلاة عند القبور، أو بالدعاء عندها، أو التبرك بالمساجد المبنية عليها.

وصرح أن هؤلاء المشركين من القبورية، قد قلبوا الدين وعاكسوه في استنزال البركات من الميت. انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٩-٣١٠).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ **بعد ما ساق قصة دانيال**: ففي هذه القصة أن غيب قبره المهاجرون والأنصار لئلا يفتتن به الناس، ولم يزوروه للدعاء عنده والتبرك به. «إغاثة اللهفان» (١/ ٣١٩).

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أن قبورية دمشق بالشام كانوا يتبركون بالنصب الذي كان تحت الطاحون عند مقابر النصارىٰ، والنصب الذي كان عند الرحبة، وكان هؤلاء القبورية يتبركون به، وأنصاب أخرىٰ أيضًا يعبدها القبورية فكسرها الله علىٰ يد شيخ الإسلام، وأيد حزب الله الموحدين. «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٢٩).

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن التبرك بالأحجار والأشجار وكل ما ليس بمشروع التبرك به -من نحو الأشجار والأحجار- فإنه لا يجوز، بل هو من الشرك، وأن ذلك التبرك لا ينفع، وإنما الذي ينفع هو ما ورد في الشرع.

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المصنف شيئًا من حال أهل الجاهلية وما تعلقوا به من أمور الشرك كالتمائم ونحوها ناسب أن يذكر مظهرًا آخر من مظاهر الشرك عند أهل الجاهلية، وهو التبرك بالأشجار والأحجار والبقع والمشاهد، وجاء الإسلام فأبطل ذلك؛ فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يؤدي إلىٰ دعائها وعبادتها، وهذا الفعل ناقض للتوحيد ومُنقص له.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

أما الآية: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾: ذكرها المؤلف لبيان أن التبرك بالشجر والحجر هو عبادة المشركين الذين كانوا يعبدون اللات والعزىٰ، والتبرك بالقبور من جنس أفعال المشركين عند أوثانهم؛ فمن فعل ذلك فقد شابههم في فعلهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم[1].

وحديث أبي واقد الليثي وفيه: «**قلتم كما قالت بنوا إسرائيل لموسىٰ**»: استشهد المؤلف بالحديث؛ لأنه يفيد أن التبرك بالأشجار والأحجار من الشرك،

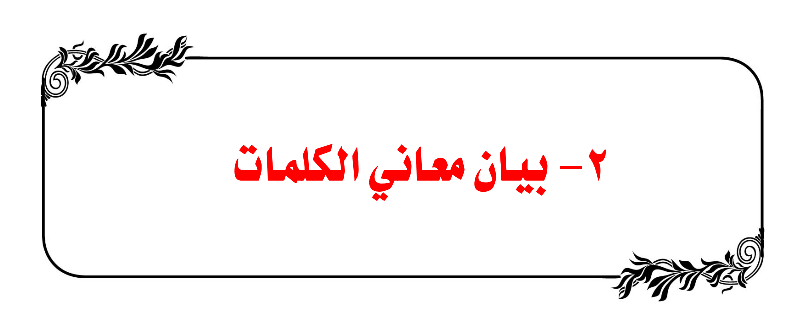
---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٤٩).

والحديث يدل علىٰ أن الأعتبار بالحقائق لا بالألفاظ؛ لأنهم طلبوا شيئًا يعظمونه، ويتبركون به؛ فشبه النبي ﷺ فعلهم بفعل بني إسرائيل الذين طلبوا أن يكون لهم إله يتقربون إليه كالعجل؛ فالنظر إنما يكون إلىٰ المعنىٰ لا إلىٰ اللفظ فحسب[١].

❀❀❀

(١) انظر: المصدر السابق (ص٥١).

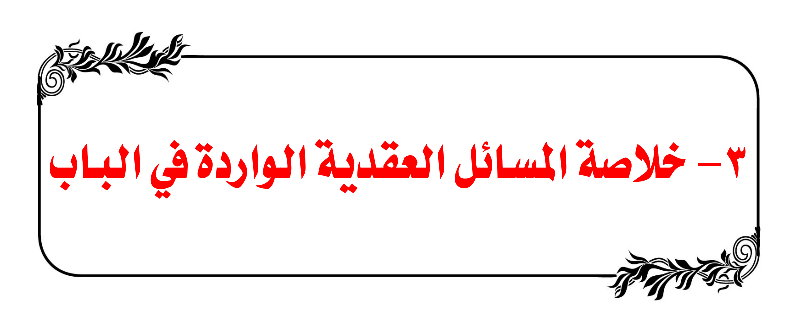


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ونحوهما	ما أشبههما من بقعة، أو مغارة، أو قبر، أو مشهد، أو أثر، يتبرك به.
أفرأيتم	أخبروني.
اللات	اسم لرجل كان يَلُتّ السويق للحاج، فمات فعكفوا علىٰ قبره، وكانت اللات بالطائف، وقيل اسم صخرة كانوا يعبدونها.
العزىٰ	شجرة (سمرة) قد بُني حولها وجُعِلَ لها أستار بين مكة والطائف.
مناة	صنم بالمشلل بين مكة والمدينة.
الثالثة الأخرىٰ	ذم لمناة، لكونها متأخرة في الرتبة عندهم عن الأوليين.
ألكم الذكر	تجعلون لكم ما تحبون وهو الذكر.
وله الأنثىٰ	تجعلون له الإناث حيث تقولون: الملائكة بنات الله.

قسمة ضيزىٰ	قسمة جائرة باطلة.
حنين	واد يقع بين مكة والمدينة، قاتل فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هوازن.
يعكفون	يلبثون ويقيمون عندها ويعظمونها ويتبركون بها.
ينوطون بها أسلحتهم	يعلقون عليها للبركة.
اجعل لنا ذات أنواط	اجعل لنا شجرة مثلها نعلق عليها أسلحتنا ونعكف عندها.
الله أكبر	أَجَلُّ وأعظم، قال ذلك تعجبًا من هذه المقالة.
السُّنن	الطرق؛ أي: سلكتم كما سلك من قبلكم الطرق المذمومة.
إسرائيل	هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -عليهم الصلاة والسلام-، وبنو إسرائيل هم اليهود.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ التبرك بالأشجار والأحجار وحكم ذلك:

معنىٰ التبرك بالأشجار والأحجار: أي: طلب البركة والنماء والزيادة والخير منها، والتبرك بما لم يشرعه الله تعالىٰ حرام؛ فمن تبرك بهذه الأحجار والأشجار والقبور والتراب، واعتقد أنها تنمي وتزيد وتبارك في العمر أو المال، أو تعطي أو تنفع بنفسها؛ فهذا هو الشرك الأكبر، وهذا فعل المشركين.

ب- المشركون كانوا يتبركون باللات، والعزىٰ، ومناة:

اللات والعزىٰ ومناة أسماء لأوثان، كان المشركون يعبدونها في الجاهلية، ويتبركون بها؛ فيتبركون باللات ويعبدونها، وهي: صخرة بالطائف، ويتبركون بالعزىٰ ويعبدونها، وهي: شجرة في وادي نخلة بين مكة والطائف، ويتبركون بمناة ويعبدونها، وهي: صخرة بين مكة والمدينة، وقد أزيلت هذه الأصنام يوم فتح مكة.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، والمعنىٰ: أخبروني عن هذه الآلهة التي تتبركون بها، وتعبدونها من دون الله، هل نفعت أو ضرت حتىٰ تكون شركاء لله تعالىٰ؟

ج- التبرك المشروع والتبرك الممنوع:

ينقسم التبرك إلىٰ تبرك مشروع، وتبرك ممنوع، والتبرك الممنوع ينقسم إلىٰ تبرك هو شرك أكبر، وتبرك هو شرك أصغر.

والتبرك المشروع: هو ما عُلم شرعًا أن فيه بركة، وأذن الشارع في قصدها، والانتفاع بها، وذلك كبيت الله؛ فإنها موضع للعبادة مبارك، والأجر فيها مضاعف، وماء زمزم لما شرب له، والمساجد الثلاثة التي يشد الرحال إليها كلها مباركة، فإن الصلاة فيها أعظم من غيرها.

والتبرك الممنوع: هو ما لم يأذن به الشارع، وذلك كفعل جهلة المسلمين اليوم من شد الرحال إلىٰ زيارة قبر فلان، أو ضريح فلان، وإقامة الحفلات حولها، والنزول بساحتها، والعكوف عندها، وتشبيهها ببيت الله تعالىٰ، وإقامة الليلة والليلتين عندها باسم التبرك، وهذا باطل منهي عنه.

وإن كان المتبرك يعتقد أن هذا المتبرك به يبارك بنفسه فهذا شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن الله هو الذي يجعل البركة في هذه الأشجار والأحجار والقبور فيتبرك بها -مع أن الله لم يأذن في ذلك- فهذا شرك أصغر؛ لأنه وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر، وهو حرام بكل حال.

د- ناقل قول الشرك دون العمل والاعتقاد لا يكون واقعًا في الشرك:

وأصل ذلك أن ناقل الشرك ليس بمشرك إذا كان ينقله علىٰ سبيل الحكاية والحاجة للكلام، فإذا كان الشخص يقول الكفر والشرك وهو لا يعتقده

ولا يعمل به وإنما ينقل؛ فإنه يقال في حقه: ناقل الكفر ليس بكافر.

وإنما يؤاخذ الإنسان إذا قال الكفر والشرك استهزاءً أو اعتقادًا، أو عمل بالكفر، ولهذا فإن هؤلاء حدثاء العهد بالإسلام لما طلبوا بلسانهم التبرك بالأحجار وهم لم يعملوا ذلك بعدُ رجاء انتظار أمر رسول الله ﷺ، فأخبرهم رسول الله ﷺ أن فعل ذلك هو عين فعل المشركين، وأن طلب ذلك لا يجوز، وأن طلب هذا الأمر عظيم؛ فشبه طلبهم بطلب بني إسرائيل، حين قالوا لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، ولم يحكم عليهم بالكفر والشرك لمجرد هذا القول.





٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن التبرك بالأشجار والأحجار والقبور من أفعال المشركين.

٢- أن السبب في عبادة الأصنام هو تعظيمها والعكوف عندها والتبرك بها.

٣- الإخبار عن وقوع الشرك في هذه الأمة، وقد وقع.

٤- النهي عن التشبه بأهل الجاهلية واليهود والنصارىٰ.

٥- أن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنُّه يُقَرِّبُهُ إلىٰ الله تعالىٰ وهو يُبعده عنه.

٦- أنه ينبغي للمسلم أن يسبح ويكبر إذا سمع ما لا ينبغي أن يقال في الدين.

٧- في الحديث دليل من أدلة نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث وقع ما أخبر به.

٨- بيان سد الذرائع: وهي الطرق الموصلة إلىٰ الحرام، ومن أعظمها ما كانت مفضية إلىٰ الشرك.

٩- أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني، لا بالأسماء والمباني، وأن الأسماء لا تغير من حقائق المسميات.

١٠- قد يخفىٰ علىٰ بعض الناس الأحكام الشرعية؛ فإذا بين لهم انقطع

عنهم العذر، ولم يكن لهم حينئذٍ ما يتعلقون به، بل يجب عليهم الرجوع إلىٰ الحق.

١١- خفاء بعض الأحكام علىٰ الصحابة؛ فكيف بمن دونهم؟! قاله المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٢- أن التبرك منه ما هو ممنوع، ومنه ما هو جائز.



٥- أسئلة عما ذكر في البـاب

س١- اشرح ترجمة الباب.

س٢- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- لماذا لم يذكر المصنف حكم التبرك في ترجمة الباب؟

س٤- ما مناسبة الباب لما قبله من الأبواب؟

س٥- اذكر بعض الأمثلة التي توضح التبركات الشركية والبدعية؟

س٦- وضِّح معاني المفردات التالية: (ضيزىٰ، يعكفون، ينوطون).

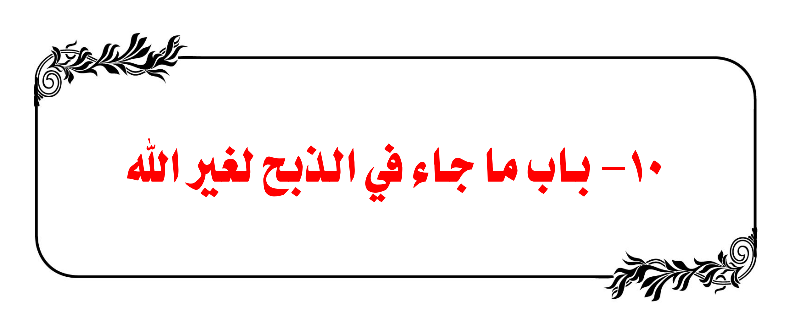
س٧- ما معنىٰ التبرك بالأشجار والأحجار؟

س٨- اذكر بعض صور التبرك المشروع ووجهه؟

س٩- التبرك منه ما هو ممنوع، ومنه ما هو جائز، وضح ذلك؟

س١٠- عدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب؟

❁❁❁



١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

٢- وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

٣- عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربع كلمات: **لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوىٰ محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض**»[(١)]. رواه مسلم.

٤- وعن طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **مَرَّ رجلان علىٰ قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتىٰ يقرب له شيئًا، قالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب؟ قالوا: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا؛ فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله** عَزَّ وَجَلَّ**، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة**»[(٢)]. رواه الإمام أحمد.

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٦٧)، حديث رقم (١٩٧٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص١٥)، وأبو نُعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣)، والبيهقي في
=



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو ما جاء في النصوص الشرعية من الوعيد للذي يتقرب إلىٰ غير الله تعالىٰ بقصد التعبد، وأن ذلك من الشرك الأكبر.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم الذبح -ويدخل فيه النحر، والتقرب بالدم علىٰ أي وجه كان- لغير الله تعالىٰ، وأنه شرك ناقض للتوحيد، ومخالف ومجانب لمعنىٰ شهادة الإسلام.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن الذبح لغير الله تعالىٰ شرك، وأنه مخالف للتوحيد، ومخالف لشهادة أن لا إله إلا الله، وأن الذبح لغير الله تعالىٰ عبادة، والعبادة لا تصح إلا لله تعالىٰ، فمن صرفها لغير الله تعالىٰ فقد ناقض التوحيد ووقع في الشرك.

=

«شعب الإيمان» (٥/ ٤٨٥)، قال الشيخ ابن باز في «التعليقات» (ص٧٢): «حديث طارق رواه أحمد في الزهد، وذكره ابن القيم بسند جيد».

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المصنف شيئًا من مظاهر الإشراك، والتعلق بغير الله، انتقل إلىٰ ذكر بعض أنواع العبادات التي لا تنبغي إلا لله، والتي يشرك بعض الناس بصرفها لغير الله، فبدأ بذكر الذبح؛ فإنه عبادة لله، والذبح لغير الله شرك ينافي التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، والآية الثانية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾: بين المصنف أن الآيتين أفادتا أن الذبح من أنواع العبادة يجب إخلاصه لله تعالىٰ، فمن ذبح لغير الله تعالىٰ فقد صرف عبادةً لغيره، وصرف العبادة لغير الله شرك.

حديث: «**لعن الله من ذبح...**»: أورده المصنف للاستدلال به علىٰ عظم عقوبة من ذبح لغير الله، حيث استحق اللعن.

حديث طارق: «**قالوا: قرب ولو ذبابًا...**»: ذكره المصنف لبيان عظم ذنب من يتقرب إلىٰ غير الله تعالىٰ بالذبح، ولو كان شيئًا يسيرًا.

❀❀❀

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
نسكي	ذبحي.
محياي	ما آتيه في حياتي.
مماتي	ما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح.
لعن الله	اللعنة: الطرد والإبعاد من رحمة الله.
ذبح لغير الله	تقرب بالذبح للأصنام أو الأولياء أو الصالحين أو الجن أو غير ذلك.
لعن والديه	سواء باشر لعنهما، أو تسبب فيه، بأن يلعن والدي شخص فيرد عليه بالمثل، والمراد بالوالدين: أبويه -الأب والأم-، وإن علوا.
آوىٰ محدثًا	حمىٰ جانيًا، أو رضي ببدعته ودافع عن صاحبها.
غير منار الأرض	أزال العلامات التي تفصل بين الحقوق في الأراضي، أو غيَّر مكانها بتقديم أو تأخير ليجور علىٰ حق غيره.
في ذباب	أي: بسبب ذباب.

صنم	ما كان منحوتًا علىٰ صورة.
لا يجاوزه	لا يمر به ولا يتعداه.
يقرب	يذبح.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الذبح لله من أجل العبادات:

نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه الكريم، وقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره: إنني أخلصت صلاتي وذبحي وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته مأمورون بالذبح لله تعالىٰ أيًّا كان ذبحهم وباسم الله تعالىٰ، كما يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بالذبح في الأضاحي، والنذور، والهدي، والذبح لله تعالىٰ إكرامًا للضيف.

وإذا ثبت أن الذبح لله من أجلِّ العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن الإسلام(١).

---

(١) قال نظام الدين الحسن بن حمد النيسابوري المعروف بالأعرج: «قال العلماء: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة، وقصد بذبحها التقرب إلىٰ غير الله صار مرتدًّا، وذبيحته ذبيحة مرتد». «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (١/ ٧٢).

ب- الذبح لغير الله سبب لدخول النار:

الذبح لله عبادة، والذبح لغير الله تقربًا إلىٰ غير الله شرك أكبر مخرج عن الإسلام، وإن مات فاعله علىٰ ذلك دخل النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة:٧٢]، وكما في حديث طارق بن شهاب: «**دخل النار رجل في ذباب**»؛ أي: من أجل أنه تقرب إلىٰ غير الله بذلك.

ومن الذبح لغير الله تعالىٰ -وهو شرك- ما يفعله بعض الجهلة من الذبح للسحرة والمشعوذين أنواعًا من القرابين، كذبح دجاجة سوداء، ومن ذلك ما يفعله بعضهم من ذبح دجاجة ونحوها عند شراء سيارة جديدة، وإزهاق الدم علىٰ عجلاتها، وما يفعله بعضهم من ذبح شاة ونحوها وتوزيع دمها علىٰ أبواب البيت وداخل جدرانها تقربًا إلىٰ الجن، أو زعمًا منه أن ذلك يكفيه شرهم!

وأعظم انتشارًا ما هو جارٍ عند قبور من يُزعم أنه ولي من الذبح له والتقرب إليه، حتىٰ ليخيل إليك أنك في منىٰ من كثرة الذابحين! وهذا لا شك أنه من الشرك المبين، الذي حرمه رب العالمين.

ج- الذبائح علىٰ أرواح الأولياء من أعمال الجاهلية:

إن ما عرفه جهلة المسلمين وتعارفوا عليه من الذبائح علىٰ أضرحة الأولياء، وعلىٰ المشاهد والقباب في المواسم التي تقام باسم أولئك الصالحين، وسَوْق البقر والغنم لتُذبح هناك حول أضرحة الصالحين، كل هذا ضلال وباطل، وهو من الشرك في عبادة الله تعالىٰ، ومن أعمال الجاهلية الأولىٰ، كما في قصة طارق بن شهاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابقة. ولهذا أمر الله نبيه أن

يخالفهم، وألا يذبح إلا لله تعالىٰ، فقال له: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢].

وأمة الإسلام مأمورة باتباع نبيها، وعليها ألا تتقرب بذبح لغير الله تعالىٰ؛ فكما أنهم يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ في الأضاحي؛ فكذلك يجب عليهم ألا يتقربوا إلىٰ غير الله تعالىٰ بمثل هذه الأضاحي.

د- الأعمال المتوعد فاعلها بلعنة الله كما في الحديث:

اللعن من الله: هو الطرد والإبعاد عن رحمته، والأعمال التي تُوعِّد فاعلها عليها بلعن في هذا الحديث هي:

١- الذبح لغير الله.

٢- من لعن والديه، وهذا قد يقع بإحدىٰ صورتين:

أ- اللعن المباشر، وهو أن يواجه الوالدين باللعنة.

ب- لعن بالتسبب؛ كأن يلعن الرجل أبا رجل آخر فيلعن ذاك أباه.

٣- من آوىٰ محدثًا: أي مجرمًا، أو مبتدعًا، وحماه من أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه، والمُحدِث هو: من فعل شيئًا يجب فيه حق الله أو حق الآدميين.

٤- من غيَّر منار الأرض: فمن بدل علامات وحدود الأرض ومعالمها، فإنه ملعون علىٰ لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن الذبح عبادة يجب صرفها لله وحده.

٢- أن الذبح لغير الله محرم شديد التحريم، وشرك في العبادة.

٣- خطورة الشرك ولو في شيء قليل.

٤- أن الشرك يوجب دخول النار، وأن التوحيد يوجب دخول الجنة.

٥- أن الإنسان قد يقع في الشرك وهو لا يدري.

٦- التحذير من الذنوب وإن كانت صغيرة في نظر الناس.

٧- أن المسلم إذا فعل الشرك بطل إسلامه ودخل النار؛ لأن المذكور في الحديث كان مسلمًا بدليل قوله: «**دخل النار في ذباب**».

٨- فضل الصبر علىٰ التوحيد، وعلىٰ الحق؛ فإن الرجل المذكور في الحديث صبر علىٰ القتل ولم يشرك؛ فكان عاقبته الجنة، والنجاة من النار.

٩- تحريم لعن الوالدين وسبهما مباشرة أو تسببًا، وأن سبهما سبب للطرد من رحمة الله.

١٠- تحريم مناصرة المجرمين، وحمايتهم من تطبيق الحد الشرعي عليهم، وتحريم الرضا بالبدع.

١١- تحريم التصرف في حدود الأرض بتقديم أو تأخير.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر آية تدل علىٰ وجوب الذبح لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

س٢ - اذكر حديثًا يبين تحريم الذبح لغير الله تعالىٰ تقربًا.

س٣- بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٤ - وضِّح معاني المفردات التالية: (نسكي، آوىٰ محدثًا، منار الأرض).

س٥- اذكر بعض صور الذبح لغير الله تعالىٰ ممَّا يفعله الجهلة وعبَّاد القبور.

س٦- هل كان الذبح لغير الله تعالىٰ معروفًا في الجاهلية؟ اذكر الدليل.

س٧- اذكر بعض ما يستوجب لعنة الله علىٰ العبد؟

س٨- عدِّد بعض فوائد هذا الباب.

❁ ❁ ❁

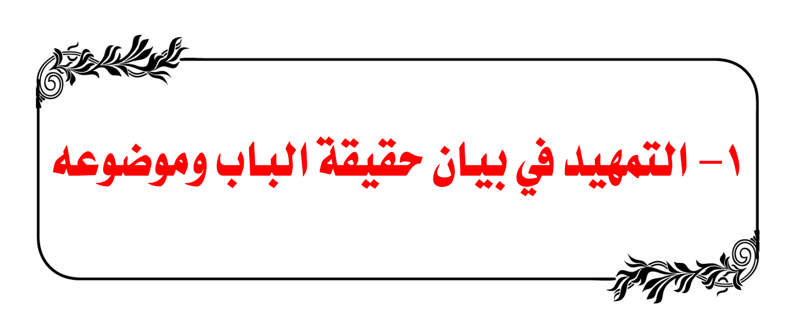
١١- باب: لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

٢- عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **هل كان فيها وثن من أوثار الجاهلية يعبد؟** قالوا: لا، قال: **هل كان فيها عيد من أعيادهم؟** قالوا: لا؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَوْفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[1]. رواه أبو داود، وإسناده علىٰ شرطهما.

❊❊❊

(١) في «سننه» (٣/ ٦٠٧)، حديث رقم (١٣١٣)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (ح٢٥٥١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

النهي عن الذبح لله تعالىٰ في الأماكن التي يتقرب فيها إلىٰ غير الله تعالىٰ، والنهي عن التشبه بهم في أفعالهم، والنهي عن مشاركتهم في عباداتهم.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أنه لا يذبح لله تعالىٰ في المكان الذي يُذبح فيه لغير الله تعالىٰ، وأن الذبح لله تعالىٰ تقربًا في مكان يذبح فيه لغير الله محرم[(١)].

---

(١) قال العلامة محمود شكري الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٤٢هـ): «نهىٰ رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؛ حسمًا لمادة الشرك، وقطعًا لوسائله، وسدًّا لذرائعه، وحماية للتوحيد، وصيانة لجنابه؛ فمن المستحيل شرعًا وفطرة وعقلًا أن تأتي هذه الشريعة المطهرة الكاملة وغيرها بإباحة دعاء الموتىٰ والغائبين في الكربات، والاستعانة بهم في الملمات والمهمات؛ كقول النصراني -القبوري-: يا والدة المسيح اشفعي لي إلىٰ الله، أو يا عيسىٰ أعطني كذا وافعل بي كذا.

وكذلك قول القائل -القبوري: الرافضي أو الصوفي-: يا علي، يا حسين، يا عباس، أو يا عبد القادر، أو يا عيدروس، أو يا بدوي، أو يا فلان وفلان، أعطني كذا، أو أجرني من كذا، أو أنا في حسبك، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التي تتضمن العدل بالله تعالىٰ والتسوية به -تعالىٰ وتقدس-؛ فهذا لا تأتي شريعة ولا رسالة بإباحته قط؛ بل هو من شُعب الشرك الظاهرة الموجبة للخلود في النار، ومقت العزيز الغفار». «فتح المنان» (ص٤٢١، ٤٤٥-٤٤٦).

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

لما ذكر المصنف أن الذبح لغير الله شرك، عقد هذا الباب لبيان تحريم الذبح لله في مكان يذبح فيه المشركون لغير الله، والغرض من ذلك منع مشابهة المشركين بمشاركتهم في أماكن تعبدهم؛ إذ قد يُنسَب المرء إليهم، أو يظن به السوء، والواجب علىٰ المؤمن أن يبتعد عن ذلك كله.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف في الباب السابق حكم الذبح لغير الله تعالىٰ، وأنه من نواقض التوحيد، وأنه من الشرك، بيَّن حكم الذبح تقربًا لله تعالىٰ في مكان يتقرب فيه إلىٰ غير الله، وأن ذلك لا يجوز، وأن من ذبح لله تعالىٰ في مكان يذبح فيه لغير الله، فإنه قد خالف الأمر ونقص توحيده؛ لأجل تلك المخالفة.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: استدل به المصنف علىٰ النهي عن القيام في الأماكن التي يتقرب فيها إلىٰ الله تعالىٰ كمساجد الضرار؛ فكيف بمن يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ عند القبور التي يذبح فيها لغير الله تعالىٰ؟ فإذا كان المسجد المعد بقصد تفرقة المسلمين وبقصد النفاق صار محل غضب الله لأجل ذلك؛ فلا تجوز الصلاة فيها؛ فكذلك الذبح لا يجوز في الأماكن التي يذبح فيها لغير الله تعالىٰ[1].

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٥٧).

وأما حديث ثابت وفيه: «**هل كان فيها وثن؟**»: استدل به المصنف علىٰ أن المؤمن لا ينبغي له أن يفعل الطاعة في مكان من أماكن الجاهلية؛ كأماكن الشرك والمعاصي، ولا يجوز للمؤمن التشبه بأهل الشرك فضلًا عن مشاركتهم في أماكن تعبدهم؛ حتىٰ لا ينسب إليهم، ولأن ذلك محل ريبة[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٧٣).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
لا تقم فيه	لا تصلِّ في مسجد الضرار.
أُسس	بُني.
علىٰ التقوىٰ	علىٰ طاعة الله وطاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
المطهرين	الذين يتطهرون من الأنجاس الحسية والمعنوية.
نذر	النذر: إلزام المكلف نفسه شيئًا لم يكن لازمًا عليه بأصل الشرع.
بوانة	هضبة من وراء ينبع.
وثن	الوثن: كل ما عبد من دون الله من قبر وغيره.
عيد	اسم لِمَا يَعُود ويتكرر من الاجتماع علىٰ وجه معتاد.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغيره:

المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقربًا إليها قد صار مشعرًا من مشاعر الشرك؛ فإذا ذبح المسلم ذبيحة قصده الله فقد تشبَّه بالمشركين، وشاركهم في مشعرهم، ثم قد ينسب إليهم أو يظن به السوء، والمؤمن يبتعد عن ذلك: «**فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرْضه**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين يعود إلىٰ الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا محسوس».

وبهذا يتبين أن مشاركة المشركين في أفعالهم التعبدية محرم من باب أولىٰ؛ فإذا كان لا يجوز للمسلم أن يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ في مكان خاص بآلهة المشركين فكيف بمشاركة المشركين في أعيادهم وعباداتهم؟ لا شك أن ذلك كله محرم.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، رقم (١٥٩٩).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٨٠-٨٢).

ب- سبب نزول الآية وعلاقتها بالباب:

نزلت هذه الآية في شأن طائفة من المنافقين بنوا مسجدًا لمضارَّة المؤمنين -أهل مسجد قباء- والتفريق بينهم، وليكون ما بنوه ملجأ للكفرة، وزعموا أنهم بنوه للضعفاء والمساكين ليقيهم من المطر والبرد والحر، وسألوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي فيه؛ فنزلت هذه الآيات في خبر المسجد؛ فبعث إليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة فهدموه.

ومناسبة الآية للباب: أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أُعِدَّ لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك فلا تجوز الصلاة فيه لله، بل وجب هدمه.

ج- النهي عن مشابهة الكفار:

المؤمن لا يجوز له مشاركة المشركين في أمورهم الدينية، ولا في أماكن تعبدهم بفعل الطاعة لله، فإذا فعل ذلك فقد تشبه بالمشركين ولو لم يقصد هو التشبه بهم؛ إذ إن حصول التشبه لا يشترط فيه القصد.

ولا يجوز للمسلم أن يشارك الكفار في مشاعرهم، ولا في أعيادهم، ولا فيما هو من خصائصهم؛ وذلك لأن الموافقة الظاهرة تدعو إلىٰ الموافقة الباطنة، والميل في الظاهر سبب للميل في القلب.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- منع الذبح لله في المواضع المعدة للذبح لغيره، قياسًا علىٰ منع الصلاة في المسجد المؤسس علىٰ معصية الله.

٢- سد الذريعة المفضية إلىٰ الشرك.

٣- ترك مشابهة المشركين في عباداتهم وأعيادهم، وإن كان لا يقصد ذلك.

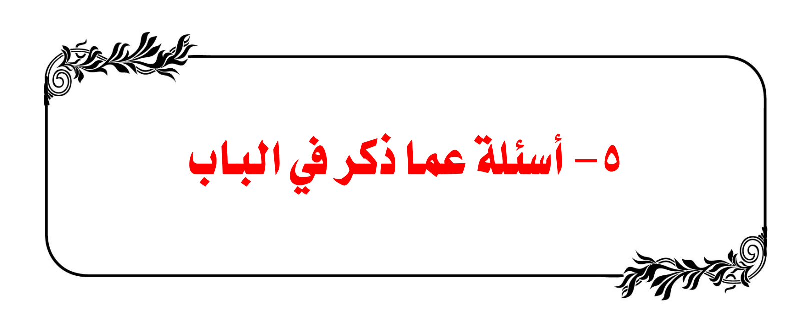
٤- أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون أو يتخذونه محلًّا لعيدهم معصية.

٥- المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان الذي عين له وثن ولو بعد زواله.

٦- المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.

٧- أنه لا يجب علىٰ العبد الوفاء بالنذر فيما لا يملك، أو فيما حرم الله، بل إن ذلك محرم.

٨- إثبات المحبة لله علىٰ الوجه اللائق به سبحانه كسائر صفاته.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما مراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعقد هذا الباب؟

س٢- ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٣- لماذا جاء النهي عن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله تعالىٰ؟

س٤- وضِّح معاني الكلمات (أسس، بوانة، وثن).

س٥- ما مناسبة الآية للباب؟

س٦- بيِّن حكم مشاركة الكفار في أعيادهم وعباداتهم؟

س٧- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❀❀❀



١٢- باب من الشرك النذر لغير الله

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان:٧].

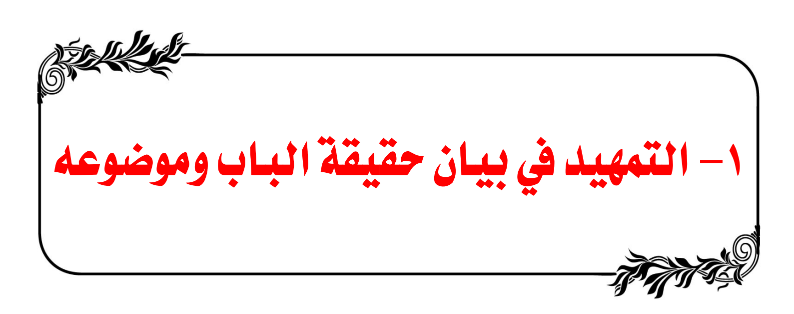
٢- وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ [البقرة:٢٧٠].

٣- وفي الصحيح عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**»[(١)].

❊❊❊

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٤٦٤)، حديث رقم (٦٣٢٢).

أ- موضوع الباب:

هو النذر، وأنه يكون لله وحده، ومن صرفه لغير الله تعالىٰ فقد أشرك الشرك الأكبر، وهو شرك الجاهلية، وشرك عباد القبور، الذين ينذرون للمقبورين، ويتقربون إليهم بمختلف أنواع القرابين.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من أنواع الشرك النذر لغير الله تعالىٰ، والنذر نوع من أنواع القربات والعبادات التي إذا صرفت لغير الله تعالىٰ كانت شركًا، وإذا صرفت لله تعالىٰ كانت قربة، وعبادة.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

مقصود المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عقد هذا الباب بيان أن من نواقض التوحيد صرف النذر لغير الله تعالىٰ، وأن النذر لغير الله تعالىٰ شرك، وأن النذر لله تعالىٰ عبادة.

وبيان أن من نذر الطاعة فعليه بالوفاء؛ لأن ذلك قربة، ومن نذر معصية فلا يجوز له الوفاء؛ لأن ذلك معصية؛ فكيف إذا صرف النذر لغير الله تعالىٰ؟

د- مناسبة الباب:

بعد أن تكلم المصنف عن الذبح، انتقل إلىٰ عبادة أخرىٰ لا تنبغي إلا لله، وهي النذر، فالنذر لله من أنواع العبادة، وصرفه لغير الله شرك ينافي التوحيد؛ ولذلك ذكره يعتبر من باب ذكر ناقض آخر من نواقض التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾: استشهد به المصنف لأنها دلت علىٰ وجوب الوفاء بالنذر، ومدح من فعل ذلك؛ فالله مدح المؤمنين بأنهم يوفون نذورهم؛ فدل ذلك علىٰ أنه عبادة؛ فمن نذر لغير الله متقربًا إلىٰ المنذور فقد أشرك.

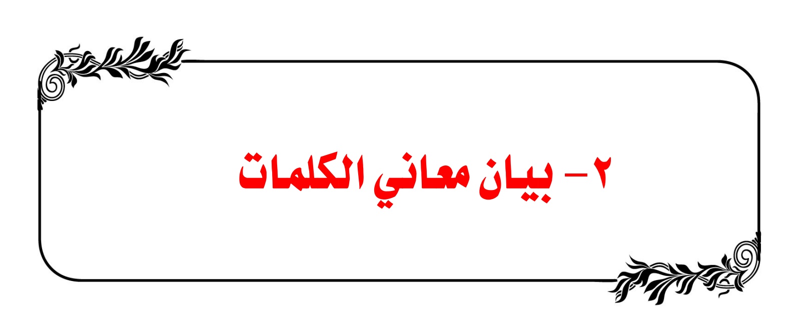
الآية الثانية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: ذكرها المصنف لأن الله أخبر بها أنه تعالىٰ يعلم النفقات، ويعلم النذور، ويجازينا عليها؛ فدل ذلك علىٰ أن النذر عبادة فمن صرفها لغير الله فقد أشرك[(١)].

وأما حديث عائشة مرفوعًا وفيه: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»: دل الحديث علىٰ أن نذر الطاعة يجب الوفاء به؛ فهو مرغوب فيه شرعًا؛ فإذن هو عبادة، وصرف العبادة لغير الله تعالىٰ شرك[(٢)].

❊❊❊

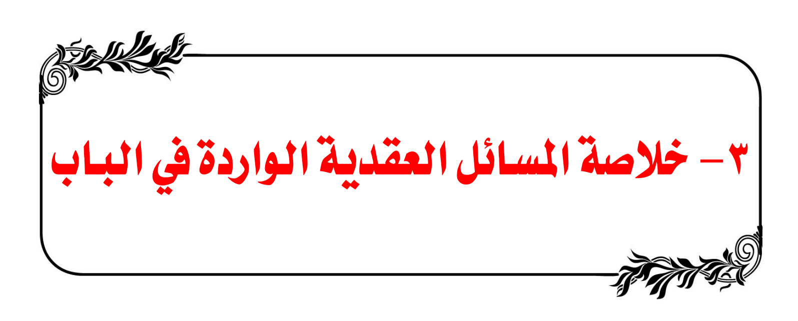
(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٥٩).

(٢) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص٧٨).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
من الشرك	أي: الأكبر.
يوفون	ينفذون ما ألزموا به أنفسهم من نذر الطاعة.
أنفقتم من نفقة	يشمل كل صدقة مقبولة وغير مقبولة.
أو نذرتم من نذر	يشمل كل نذر مقبول وغير مقبول.
فإن الله يعلمه	فيجازيكم عليه.
فليطعه	أي: ليفعل ما نذره من طاعة الله.
فلا يعصه	أي: فلا يفعل ما نذره من المعصية.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ النذر:

النذر لغة: الالتزام، والإيجاب.

وشرعًا: إيجاب المكلف علىٰ نفسه ما ليس واجبًا عليه بالشرع.

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنذر لغة: التزام خير أو شر، وفي الشرع: التزام المكلف شيئًا لم يكن عليه منجزًا أو معلقًا»(١).

والنذر الشرعي هو: إيجاب المكلف علىٰ نفسه ما هو من جنس القربات مما ليس واجبًا عليه بنص الشرع(٢).

وهذا التعريف أجمع التعاريف؛ فإنه جامع مانع؛ فبهذا التعريف يخرج النذر إذا كان من قبيل المعصية؛ كمن نذر أن يضرب فلانًا بغير حق، أو أن يغصب مال فلان؛ فهذا نذر معصية لا يجوز الوفاء به، بل يجب تركه وعدم الوفاء به.

ويخرج ما ليس بقربة أصلًا؛ كالمباحات؛ كأن ينذر علىٰ نفسه الوقوف في الشمس، أو أن يمنع نفسه من شرب الماء البارد، ونحو ذلك مما هو مباح.

---

(١) «سبل السلام» (٤/ ١١٠).

(٢) انظر هذه التعاريف في: «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف» للمناوي (ص٦٩٤-٦٩٥).

ويخرج ما كان محرمًا فعله؛ كمن نذر أن يذبح لغير الله تعالىٰ؛ فإن هذا ليس بنذر شرعي، بل هو نذر شركي بدعي يحرم الوفاء به، ويجب التوبة منه.

ويخرج الواجبات الشرعية فلا يقال عنها: إنها نذور؛ كالصلوات الخمس، وصوم رمضان، ونحو ذلك.

ويخرج بهذا التعريف النوافل؛ فإن العبد يقوم بها وليست بواجبة عليه لا شرعًا، ولا بإيجابه هو علىٰ نفسه؛ فإنه مخير بين تركها وفعلها، وإن كان الفعل أفضل وأحسن.

ب- أقسام النذر الشرعي:

ينقسم النذر الشرعي إلىٰ:

نذر مطلق: وهو ما لم يعلق علىٰ سبب؛ كأن يقول العبد: لله علي صوم يوم، وهذا يجب بمجرد التلفظ به، وليس هو علىٰ الفور.

ونذر مقيد بشرط: كأن يقول العبد: إن شفىٰ الله مريضي فلله علي أن أتصدق بكذا، ونحو ذلك، فهذا النوع يجب الوفاء به إذا وقع الشرط، ولا يجب إذا لم يقع الشرط.

ج- حكم ابتداء النذر:

اختلف العلماء في حكم النذر[1]؛ أي: حكم الابتداء بالنذر؛ فقد كرهه

---

(١) انظر: «سبل السلام» للصنعاني (٤/ ١١٠).

جماعة من أهل العلم المحققين، بناء علىٰ ما جاء في الحديث عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره، وإنما يستخرج به من البخيل**»(١).

وفي لفظ: «**ثم إنه نهىٰ عن النذر، وقال: إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**»(٢).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنه قال: «ثم إنه نهىٰ عن النذر، وقال: **إنه لا يغني من القدر شيئًا، وإنما يُستخرج به من البخيل**»(٣).

وقال بعض العلماء: إن النذر المكروه هو النذر المعلق، أما النذر المطلق فليس بمكروه، وقال آخرون: إن نذر الطاعة مطلقًا ليس بمكروه، وإنما هذه الأحاديث محمولة علىٰ من استثقل الوفاء -والله تعالىٰ أعلم-(٤).

د- الوفاء بالنذر:

مدح الله الموفين بالنذر؛ فقال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧]، وأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالوفاء بالنذر إذا كان في طاعة الله؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٢٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٣٩).
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٢٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٤٠) واللفظ له.
(٤) انظر: «سبل السلام» للصنعاني (٤/ ١١٠).

وكل أمر مدحه الشارع، وأثنىٰ علىٰ من قام به، أو أمر به؛ فهو عبادة؛ فمن نذر لغير الله متقربًا له بذلك فقد أشرك؛ لصرفه عبادة النذر لغير الله.

ويجب الوفاء بنذر الطاعة، كمن نذر أن يصلي لله تعالىٰ ركعتين، أو نذر صومًا، أو نذر حجة أو عمرة، ونحو ذلك.

أما الوفاء بنذر المباح كمن نذر ألا يستظل تحت ظل، أو نذر أن يقف يومًا، فإنه لا يصح الوفاء به عند جمع من أهل العلم؛ لأن من شرط صحة النذر كون جنس المنذور طاعة في نفسه، والمباحات ليست من جنس القربات في نفسها[١].

ويجب عدم الوفاء بنذر المعصية سواء كانت المعصية شركًا كالنذر لغير الله تعالىٰ، أو كانت المعصية كبيرة، كمن نذر أن يسرق.

هـ- النذور للأولياء والصالحين من أعمال الجاهلية:

إن ما ينذره جهلة المسلمين -من نذور للأولياء والصالحين وأموات المسلمين- كأن يقول: يا سيدي فلان إن رزقني الله كذا أجعل لك كذا؛ فهو نذر لغير الله، وعبادة صُرفت لغيره تعالىٰ؛ فهذا من الشرك الأكبر المحرم في الإسلام بإجماع علماء المسلمين، ولم يعهد النذر لغير الله تعالىٰ في عهد السلف؛ فإنهم كانوا أبعد الناس عن الشرك وعن ذرائعه، ويكفي الناذر لغير الله خذلانًا أنه ذل نفسه لعبد، ولم يرتَقِ إلىٰ درجة العبودية لله الواحد القهار

(١) وانظر أقوال أهل العلم في حكم الوفاء بنذر المباح في «المغني» (١٣/ ٦٢٦).

(١).

(١) **اعلم أخي المسلم أن القبوري لا ينذر لأهل القبور إلا مقرونًا بثلاث عقائد -وكل واحدة منها شرك وكفر في نفسها؛ فكيف إذا اجتمعن، ظلمات بعضها فوق بعض- وهي:**

الأولىٰ: أن الناذر يعتقد أن المنذور له يعلم حال هذا الناذر، ولهذا ينذر له؛ فإنه يرجو منه سماع الحال، والاطلاع لرفع المآل، ولو علم وتيقن أنه لا يعلم حاله، وأنه مشغول إما بنعيم أو بجحيم لما تقرب إليه، وهذا الاعتقاد كفر؛ لأنه اعتقاد أن الأموات الذين هم تحت الثرىٰ يعلمون الغيب، ومعلوم أن هؤلاء الأموات لو كانوا أحياء في الدنيا لما كان لهم أن يتصفوا بعلم الغيب؛ فكيف بعد موتهم؟

الثانية: أن الناذر يعتقد أن الميت المنذور له يتصرف في الأمور لمصالح هذا الناذر، فتجده ينذر له رجاء النفع، أو رجاء دفع الضر، ولو علم أنه لا يملك له حولًا ولا قوة لما نذر له، واعتقاد أن الأموات ينفعون ويضرون هي من العقائد الشركية القبورية عند الأمم، ولا شك أن اعتقاد ذلك شرك بواح، وكفر صراح.

الثالثة: أن الناذر يعتقد أن الميت المنذور له يسمع دعاء هذا الناذر ونداءه، وسؤاله وطلبه من هذا الميت المنذور له، مع أن المنذور له قد يكون في المشرق، والناذر في المغرب؛ فكيف يقع السماع؟ لو كان حيًّا لما أمكنه السماع فكيف بعد الموت، وهو مشغول إما بنعيم، أو بعذاب؟! ولا شك أن اعتقاد أن المنذور له يسمع من مثل هذه المسافات شرك آخر، إذ فيه تشبيه لهذا الميت بالسميع العليم الذي لا يعزب عنه شيء.

واختلف العلماء في سماع الأموات لو كان المنادي لهم قريبًا بجوار القبر أو عنده، هل يسمعه أم لا؟ فقول المحققين منهم أن الميت لا يسمع إلا ما أسمعهم الله تعالىٰ -كيف شاء- كما أسمع أهل قليب بدر كلام النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكما أسمع الميت قرع نعال المشيعين له إذا ولوا عنه، وكما أسمع النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلوات أمته عليه بواسطة ملك موكول بذلك، كما جاء في الخبر، وأما ما سوىٰ ذلك فغيب لا يتكلم فيه إلا بالنص.

وفيما يلي بعض نصوص العلماء بتحقيق أن نذر القبورية لأهل القبور من أعظم أنواع الشرك، وطريق واسع إلىٰ الوثنية:

=

=

قال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي (٨٧٩هـ)، وابن نجيم الحنفي (٩٧٠هـ)، وخير الدين الرملي (٩٩٣هـ)، وسراج الدين عمرو بن نجيم الحنفي (١٠٠٥هـ)، وعلاء الدين الحصكفي (١٠٨٨هـ)، وابن عابدين الشامي (١٢٥٢هـ)، والعلامة محمود شكري الآلوسي (١٣٤٢هـ)، والعلامة الخجندي (١٣٧٩هـ)، والشيخ علي محفوظ المصري (١٣٦١هـ): «وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام علىٰ ما هو مشاهد، كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو حاجة ضرورية فيأتي بعض قبور الصلحاء فيجعل سترة علىٰ رأسه، فيقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي؛ فلك من الذهب كذا، ومن الفضة كذا، ومن الطعام كذا، ومن الماء كذا، ومن الشمع كذا، ومن الزيت كذا؛ فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر للمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق.

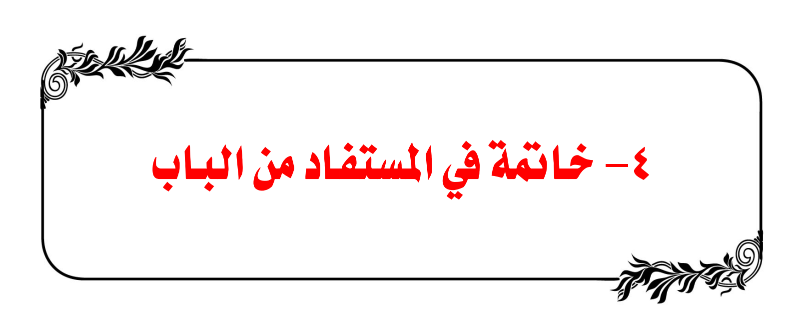
ومنها: أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.

ومنها: أنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالىٰ فاعتقاده ذلك كفر، وقد ابتلي الناس بذلك، ولا سيما في هذا الأعصار، ولا سيما في مولد البدوي». انظر: «البحر الرائق» (٢/ ٢٩٨)، «الفتاوىٰ الخيرية» (١٧/ ٢١٨)، «الدر المختار مع رد المحتار» (٢/ ٤٦٧-٤٦٨)، «فتح المنان» (ص٤١٧)، «حكم الأحد الصمد» (١٠-١٣)، و«الإبداع في مضار الابتداع» (ص١٨٩).

وقال العلامة الشاه ولي الله الدهلوي مبيناً أنواع الشرك: «ومنها: النذر لغير الله، ينذرون لهم، يتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور...؛ فأوجب الله تعالىٰ عليهم أن يقولوا في صلاتهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]». «حجة الله البالغة» (١/ ١٨٥).

قال العلامة المفسر محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي (١٢٧٠هـ) في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. مبيناً أن النذر لغير الله شرك أكبر، وأن القبورية في نذورهم للأموات مشركون: «ومن أولئك عبدة القبور، الناذرون لها، المعتقدون للنفع والضر ممن الله أعلم بحاله فيها -أي: في القبور- وهم اليوم أكثر من

=



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن النذر عبادة وصرفه لغير الله شرك أكبر.

٢- وجوب الوفاء بنذر الطاعة.

٣- مدح الذين يوفون بنذور الطاعة.

٤- تحريم الوفاء بنذر المعصية.

٥- تحريم النذر فيما لا يملك الإنسان.

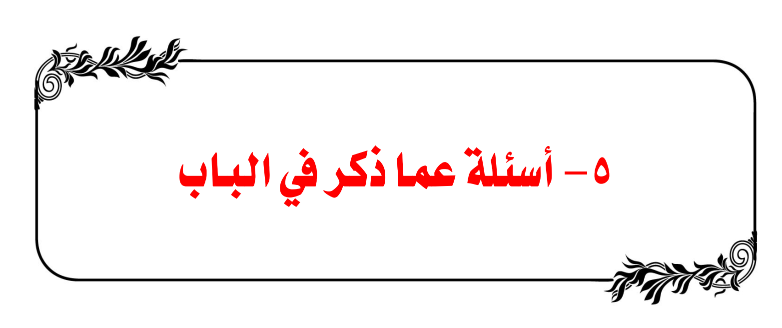
٦- النذر الشرعي ما كان بجنس عبادة مشروعة في أصل الشرع.

٧- إثبات صفة العلم لله تعالىٰ -علىٰ الوجه اللائق به- بحيث لا يخفىٰ عليه شيء من خلقه.

=

الدود». «روح المعاني» (١٣/ ٦٧) ط قديمة، «روح المعاني» (١٣/ ٩٦) ط جديدة.

تنبيه: لقد صرح جمع غفير من الفقهاء بأن من نذر لغير الله شيئًا هو حرام أكله وفعله، وإن ذكر اسم الله عليه؛ فلا يحل المنذور، ولا يطهر بذكر اسم الله تعالىٰ، ما دام نية الناذر أن المنذور لفلان؛ لأن النذر لغير الله تعالىٰ قد وصل في النجاسة والحرمة إلىٰ حد لا يمكن حله ولا تطهيره بذكر التسمية. انظر: «الفتاوىٰ العزيزية» (١/ ٥٦)، و«تبصير الرحمن» (١/ ١٧٨)، و«تنوير الأبصار مع شرحه الدر المختار مع حاشيته رد المحتار» (٦/ ٣٧٩)، و« مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣٥٨).



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

س٢ - ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (يوفون، فليطعه).

س٤ - وضح معنىٰ النذر لغة واصطلاحًا؟

س٥ - بيِّن أقسام النذر الشرعي؟

س٦- ما حكم ابتداء النذر؟

س٧- اذكر حكم: نذر الطاعة، نذر المعصية، النذر لغير الله تعالىٰ.

س٨- القبوري ينذر لغير الله تعالىٰ وهو يعتقد فيه ثلاثة أمور، فما هي؟

س٩- النذر للأموات شرك بالإجماع، وذلك من وجوه، اذكر بعضها؟

س١٠ - عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب؟



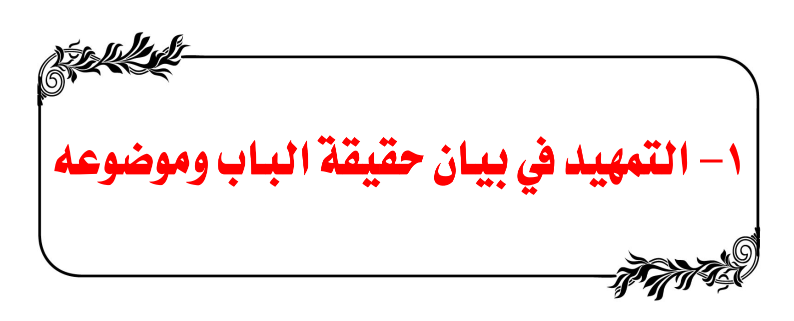
١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

١- وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

٢- وعن خولة بنت حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك**»(١). رواه مسلم.

❊❊❊

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٨٠-٢٠٨١)، حديث رقم (٢٧٠٨).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو الاستعاذة، وأنها من العبادة، وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك؛ فالاستعاذة لا تكون إلا بالله وحده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من أنواع الشرك الاستعاذة بغير الله تعالىٰ، وأن الاستعاذة بغير الله ينقض التوحيد، ويهدمه، وأن الاستعاذة لا تكون إلا بالله تعالىٰ، القادر علىٰ كل شيء، المحيط بكل شيء.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المصنف بهذا الباب أن يذكر نوعًا آخر من العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالىٰ، فانتقل إلىٰ الكلام عن الاستعاذة بالله وحده من الشرور كلها، فهي من أنواع العبادة، ولا يجوز صرف شيء منها لغير الله.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر في الأبواب السابقة بعض ما ينقض التوحيد الذي بين فضائله من

قَبلُ، وبين حقيقته من قَبلُ، أردف تلكم الأبواب ببعض ما ينقض هذا التوحيد ويهدمه، ومن جملة ذلك الاستعاذة بغير الله تعالىٰ.

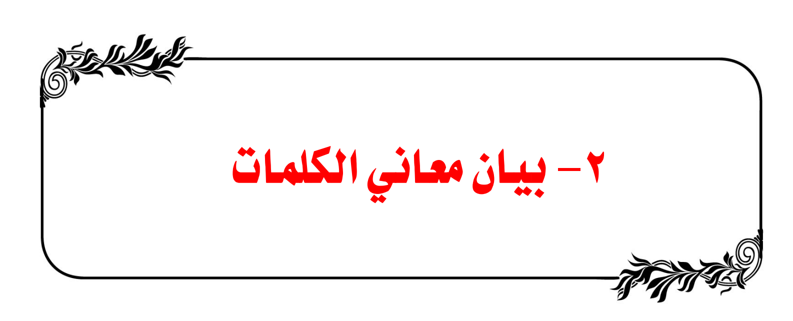
هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: بين بها المصنف أن الاستعاذة لا تكون إلا بالله وحده، من الشرور كلها، وفي الآية إخبار الله تعالىٰ عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا به، ذكروا من أعمالهم الجاهلية بعض الشركيات، ومنها: الاستعاذة بغير الله.

وأما حديث خولة مرفوعًا: «**من نزل منزلًا**»: أورده المنصف لبيان ما ينبغي أن يستعاذ به، وما أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعاذ به، وأنها لا تكون إلا بالله تعالىٰ، وبأسمائه وصفاته[1].

❊❊❊

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٦٢).

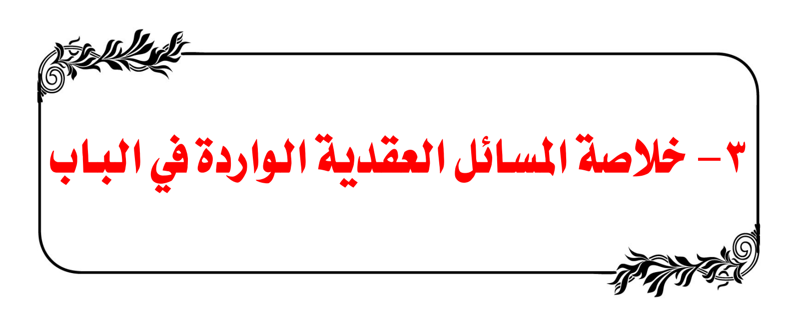


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الاستعاذة	الالتجاء والاعتصام بالله من شيء تخافه.
يعوذون برجال	يلجئون إليهم مما يخافون.
رهقًا	خوفًا أو إثمًا.
بكلمات الله	المراد بها الكونية والشرعية.
التامات	الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب[(١)].
من شر ما خلق	أي: من كل شر في أي مخلوق.

❀❀❀

(١) فكلام الله تعالىٰ تام من كل وجه، إذ الكلام لا يخلو إما أن يكون خبرًا، أو يكون طلبًا؛ وكلام الله تعالىٰ تام الصدق في الأخبار، تام العدل في الأحكام، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥].



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- بيان معنىٰ الاستعاذة، وحكم الاستعاذة بغير الله(١):

الاستعاذة: هي مأخوذة من العوذ، والعوذ: اللجأ من متخوف لكافٍ يكفيه، وقيل: العوذ: الالتجاء إلىٰ الغير، والتعلق به.

---

(١) بمناسبة ذكر الاستعاذة، نذكر معاني عدة كلمات يكثر ورودها في كتب التوحيد:

معنىٰ النداء: هو إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ.

وفي الاصطلاح: تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه، وتطلب منه، وقيل: النداء: رفع الصوت وظهوره، وقيل: الصوت المجرد، وقيل: الاستحضار. انظر: «كليات أبي البقاء الكفوي» (٦/ ٩٠٦-٩٠٧)، و«فتح المنان» (ص٤٤٨-٤٤٩).

والنداء أعم من الاستنصار والاستمداد والاستعانة والاستغاثة؛ لأن النداء قد يكون لمجرد الإقبال والمحبة، وأما الاستنصار، والاستمداد، والاستعانة، والاستغاثة، هو طلب النصر والمدد والعون والغوث مع النداء أخص من النداء المطلق.

والاستنصار: طلب النصر علىٰ الأعداء، والاستمداد: طلب المدد للنصرة، والاستعانة: طلب العون مطلقًا، والاستغاثة: طلب الغوث، وهو العصمة والنجاة من مخوف؛ فعلم بهذا أن النداء أعم هذه الأنواع، وهذه الأنواع هي نداءات خاصة، لأسباب خاصة، وفي أشياء خاصة.

وهذه الأمور إذا كان طلبها من غير الله فوق الأسباب؛ فلا شك أنها شرك وكفر؛ لأنها تدخل تحت العبادة، وعبادة غير الله شرك وكفر.

وفي الشرع: الالتجاء والاعتصام بالله تعالىٰ[(١)].

وحكم الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله: شرك أكبر ينافي التوحيد، وذلك كأن يطلب من إنسان ميت أن يعيذه من مرض، أو فقر، أو عدو.

أما لو استعاذ بإنسان فيما يدخل تحت قدرته ووسعه، مما هو في طاقته وقوته؛ فهذا ليس استعاذة شركية، بل هي من اتخاذ الأسباب؛ فهي استعاذة عادية؛ كأن يقول لإنسان حي قادر حاضر: أنا أستعيذ بك من فلان؛ فيحفظه ويمنعه.

ب- الاستعاذة بغير الله معناها وآثارها:

الاستعاذة بغير الله هي الالتجاء والاعتصام بغير الله من كل مخوف لا يقدر علىٰ دفعه إلا الله؛ كأن يستعيذ بميت أو حجر أو شجر من أن يحفظه من مرض كذا، ونحو ذلك.

وآثار الاستعاذة بغير الله هي كما يلي:

١- عدم حصول المأمول في دفع الشرور التي لا يقدر العبد علىٰ دفعها.

٢- زيادة الخوف والرهق، وعدم الطمأنينة والأمن، نتيجة التجائه إلىٰ غير الله، وهذه من آثار الاستعاذة الشركية كما تدل علىٰ ذلك الآية التي أوردها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- الوقوع في الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله تعالىٰ لمن مات عليه.

---

(١) انظر: «القاموس» (ص٤٢٨).

ج- الاستعاذة المشروعة:

هي الالتجاء والاعتصام بالله، والاستعاذة بجنابه تعالىٰ من كل مخوف لا يقدر المرء علىٰ دفعه لخفائه، أو لعدم القدرة عليه، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١]، أي: أعتصم وألتجئ وأتحصن برب الناس ومالكهم.

د- أثر الاستعاذة بالله:

١- وقاية العبد من الشرور -التي لا يقدر علىٰ دفعها- لاستجارته وتحصنه برب الناس وخالقهم.

٢- الإجارة من شياطين الجن والإنس.

٣- حفظ الله للعبد الذي استعاذ به والتجأ إليه؛ فيصير في حرز وحصن من الشيطان.

٤- حصول الطمأنينة والأمن بعد الخوف لمن التجأ إلىٰ الله واعتصم به.

هـ- مواضع الاستعاذة:

الأصل أن الاستعاذة تُطلب من الله تعالىٰ وقت الحاجة، وهذه استعاذة مطلقة، وهناك استعاذات مقيدة بأوقات وأمكنة خاصة وردت في الشرع، فعلىٰ العبد معرفتها، والتعبد بها لله تعالىٰ، ومن هذه الأوقات والأمكنة:

١- الاستعاذة عند نزول منزل.

٢- الاستعاذة عند قراءة القرآن.

٣- الاستعاذة عند دخول الخلاء -دورات المياه- من الخبث والخبائث.

٤- الاستعاذة بعد الصلاة الإبراهيمية من: «جهنم، عذاب القبر، فتنة المسيح الدجال، فتنة المحيا والممات».

٥- استعاذة المريض من شر ما يجد وما يحاذر.

٦- الاستعاذة عند نهيق الحمار.

٧- الاستعاذة عند السفر من وعثائه، وكآبته، ومن سوء المنقلب.

٨- الاستعاذة من شر النفس وشر الشيطان إذا أصبح وإذا أمسىٰ.

و- الأشياء التي يسن الاستعاذة منها؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذ منها، وهي كثيرة، منها:

١- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غضب الله وسخطه، وعذابه، وعقابه.

٢- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إبليس وشره.

٣- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شر الحاسد.

٤- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوسواس الخناس.

٥- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شر النفاثات (الساحرات) في العُقَد.

٦- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شر ما عملتُ، ومن شر ما لم أعمل.

٧- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من شر النفس.

٨- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المأثم والمغرم (الدَّين).

٩- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكفر، والفقر.

١٠- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كل مخوف.

١١- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجبن، والبخل، والكسل، والهرم، والهم، والحَزَن.

١٢- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سيئ الأسقام.

١٣- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دعوة لا يستجاب لها.

١٤- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فتنة الدنيا.

١٥- استعاذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الذلة والفقر(١).

❁❁❁

(١) انظر كتاب: «الاستعاذة من سنن النسائي الكبرى» (٤/ ٤٣٧)، وما بعدها، وكتاب «الاستعاذة من سنن النسائي (المجتبى)» (٨/ ٢٥٠).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن الاستعاذة بغير الله شرك؛ لأن مؤمني الجن قالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، ثم ذكروا بعد ذلك علىٰ وجه الاستنكار ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهذا وجه إيراد المصنف الآية للاستدلال بها علىٰ أن الاستعاذة بغير الله شرك.

٢- بيان الاستعاذة المشروعة، وهي ما كانت بأسماء الله وصفاته.

٣- الاستعاذة بكلمات الله؛ لأنها من صفاته.

٤- أن الاستعاذة بغير الله تورث الخوف والضعف.

٥- أن الاستعاذة بالله تورث قوة وأمنًا.

٦- أن نواصي المخلوقات بيد الله، فهو الضار والنافع لعباده.

٧- عموم رسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للثقلين.

٨- بيان أن الشرع لا يبطل أمرًا من أمور الجاهلية إلا ذكر ما هو خير منه، فأبطل الاستعاذة الشركية وأجاز الاستعاذة الشرعية التي هي الاستعاذة بأسمائه وصفاته.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر الآية التي أوردها المصنف في أن الاستعاذة بغير الله مضرة.

س٢- ماذا يقول المسلم إذا نزل منزلًا؟

س٣- اذكر بعض آثار الاستعاذة بغير الله.

س٤- بيِّن بعض آثار الاستعاذة بالله تعالىٰ.

س٥- عَدِّد بعض مواضع الاستعاذة المقيدة.

س٦- اذكر بعض ما يستعاذ به مطلقًا.

س٧- اذكر بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

١٤- باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

٢- وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

٣- وقوله: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

٤- وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

٥- وقوله تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

٦- وروىٰ الطبراني بإسناده: «أنه كان في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منافق يؤذي المؤمنين؛ فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من

هذا المنافق؛ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله»**[(١)].

۞۞۞

(١) عزاه الهيثمي للطبراني في «المعجم»؛ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث». وقد أخرج قريبًا من لفظه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣١٧)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٨٧) كلهم من طريق ابن لهيعة.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو الاستغاثة، وأن من الشرك الاستغاثة بغير الله تعالىٰ، فالاستغاثة عبادة تكون لله وحده لا شريك له، وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك أكبر.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من الشرك الاستغاثة بغير الله تعالىٰ، وأن هذا الفعل شرك أكبر، مناقض للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن من الشرك الأكبر المخالف للتوحيد الاستغاثة بغير الله تعالىٰ، وأن هذه الاستغاثة مخالفة للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المصنف حكم الاستعاذة بغير الله انتقل إلىٰ الكلام عن الاستغاثة بالله، وهي من مظاهر الاستعاذة بالله.

والاستغاثة بالله ودعاؤه من أنواع العبادة التي أمر الله بها، وكل ما كان عبادة

فصرفه لغيره شرك ينافي التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: استدل بها المصنف لبيان أن النفع والضر بيد الله؛ فإذن لماذا يُطلَب من غيره؟ وإذا كان هو النافع والضار فطلبه من غيره شرك[(١)].

الآية الثانية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: استشهد بها المصنف؛ لأنها دالة علىٰ أن المتصرف بالعطاء والمنع، والخير والنفع، هو الله تعالىٰ؛ فيقتضي ذلك أن يكون الله وحده هو المدعو المعبود.

الآية الثالثة: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: أورده للدلالة علىٰ أن الله تعالىٰ أمر بطلب الرزق من عنده وحده دون ما سواه؛ لأنه القادر عليه؛ فمن طلب إنزال المطر ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ فقد أشرك.

الآية الرابعة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: ذكرها المصنف لأنها تبين ضلال من يدعو غير الله، وأنه في خسران لا يستجاب له أبدًا، وأن المدعوين من دون الله غافلون عن دعاء عابديهم؛ فمن استغاث بغير الله،أو دعا غير الله؛ فقد أشرك بالله[(٢)].

الآية الخامسة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾: فيها الدلالة علىٰ أن

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٦٤).

المشركين يعلمون أن الله تعالىٰ هو مجيب المضطرين، وعلموا أنه هو كاشف السوء وحده، وأورد الله هذه الحجة عليهم ليبين ضلالهم في استغاثتهم بغير الله مع علمهم بأن الله وحده المغيث؛ فدل هذا علىٰ أن من علم أن الله هو كاشف الضر وحده ثم صرف نوعًا من العبادة لغير الله فإنه يكون مشركًا.

وأما حديث: «**إنه لا يستغاث بي**...»: أورده المصنف لبيان أنه لا يستغاث بغير الله إلا فيما يقدر عليه الحي الحاضر القادر، وفي الحديث دلالة علىٰ أن من استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك[١].

❀❀❀

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٦).

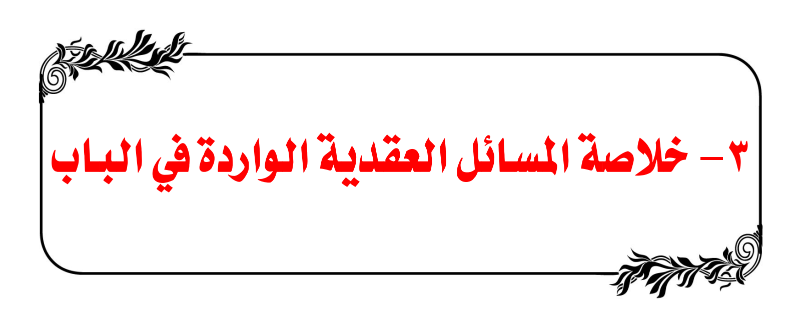
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ما لا ينفعك	أي: لا يقدر علىٰ نفعك.
ولا يضرك	أي: لا يقدر علىٰ مضرتك.
فإن فعلت	أي: دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك.
من الظالمين	من المشركين.
وإن يمسسك	وإن يصبك.
بضر	بفقر أو مرض، أو غير ذلك من أنواع الضر.
فلا كاشف	فلا رافع.
فلا راد	فلا دافع.
فابتغوا	فاطلبوا.
واعبدوه	أخلصوا له العبادة.
واشكروا له	اعترفوا بنعمته، وافعلوا ما يجب من طاعته، واتركوا معصيته.

ترجعون	تردون إليه يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله.
ومن أضل	أي: لا أحد أشد ضلالًا.
من دون الله	غير الله.
لا يستجيب له	لا يقدر علىٰ إجابته بإعطائه ما طلب منه.
وهم	أي: المدعوون.
عن دعائهم	أي: عن دعاء من دعاهم من المشركين.
غافلون	لا يشعرون بدعاء من دعاهم؛ لأنهم إما أموات، أو جماد، أو ملائكة مشغولون بما خُلِقُوا له.
وإذا حشر الناس	جُمعوا ليوم القيامة.
كانوا	أي: صارت الآلهة التي يدعونها من دون الله.
لهم أعداء	أي: يتبرءون ممن دعاهم ويعادونهم.
كافرين	جاحدين لعبادة من عبدهم.
أَمَّن	أي: من هو؟
المضطر	المكروب الذي وقع في ضرورة.
منافق	هو عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين، والنفاق هنا: إظهار الإسلام، وإخفاء الكفر.
نستغيث برسول الله	نطلب من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَّ هذا المنافق عن الأذىٰ.

إنه لا يستغاث بي	كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه تأدبًا مع الله، والاستغاثة بالمخلوق تجوز بشرطين: **الأول**: أن يكون حيًّا حاضرًا. **الثاني**: أن يكون قادرًا علىٰ الإغاثة، كالنصرة في الحرب، والإعانة علىٰ العدو، والإنقاذ من الغرق والحريق ونحو ذلك.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- دعاء غير الله وحكم ذلك:

كل من دعا غير الله من نبي أو ملك أو ولي فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك.

وكل هؤلاء المدعوين ليس عندهم من النفع والضر مثقال ذرة؛ لا لأنفسهم، ولا لغيرهم، بل الكل فقراء إلىٰ الله في كل شئونهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:١٠٦]، الظلم المراد به هنا: الشرك.

ب- الرازق النافع الضار هو الله وحده:

الخير كله بيد الله يعطيه من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو المالك للضر والنفع وحده، وهو الذي عنده الرزق دون سواه؛ لأنه القادر عليه وحده، فمن طلب الرزق، أو طلب كشف الضر، أو طلب جلب النفع من غيره ممن لا يقدر عليه فقد أشرك.

فينبغي عليك -أيها المسلم- أن تعقد قلبك علىٰ أن الخالق المالك المدبر هو وحده الذي يستحق أن تستغيث به فيكشف عنك الضر، وهو وحده القادر علىٰ أن يزيل عنك الضرر.

ج- الاستغاثة معناها وأنواعها والفرق بينها وبين الدعاء:

الاستغاثة: هي طلب الغوث -والغوث مصدر يراد به هنا المفعول- وهو إزالة الشدة من الله تعالىٰ.

أنواع الاستغاثة ثلاثة:

١- **واجبة**: وهي التي تُطلب من الله وحده.

٢- **محرمة**: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالاستغاثة بالأموات والغائبين في جلب نفع أو دفع ضر.

٣- **جائزة**: وهي الاستغاثة بالحي الحاضر القادر علىٰ نصرته.

وأما الفرق بين الدعاء والاستغاثة:

فالاستغاثة لا تكون إلا من المكروب في حالة الشدة، والدعاء: عام في كل الأحوال، ويكون من المكروب وغيره، فكل مستغيث داعٍ، وليس كل داعٍ مستغيثًا.

د- أقسام الدعاء والتعريف بكل قسم:

ينقسم الدعاء إلىٰ قسمين:

١- **دعاء عبادة**: وهو التقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة التي شرعها الله لعباده وأمرهم بها، وهذه مقيدة بأوقات وشروط وأمكنة معينة؛ فهي خاصة من هذه الجهة.

٢- **دعاء مسألة**: وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر، ويكون في دعاء العبادة، كمن يدعو بشفاء مريضه في الصلاة، أو يكون خارجًا

عن دعاء العبادة؛ فهي عامة غير مخصصة بوقت أو زمان أو شرط، بل تفعل متىٰ أراد العبد.

هـ- الاستغاثة بالنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معناها وحكمها:

الاستغاثة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو الطلب منه أمرًا لا يقدر عليه أحد إلا الله؛ بجلب نفع أو دفع ضر، كأن يقول بعد مماته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنا في حماك، وأنا دخيلك، فمن فعل ذلك فقد صرف عبادة الاستغاثة لغير الله، وهو شرك ينافي التوحيد.

و- دعاء الأولياء الصالحين من أعمال الجاهلية:

إن دعاء الصالحين الأموات، أو الأحياء الغائبين، والاستغاثة بهم؛ كأن يقول: يا سيدي فلان، ومولاي فلان، خذ بيدي، وكن لي كذا، وادع الله لي بكذا، وأنا بك وبالله، وغير ذلك من كلمات الشرك والباطل؛ ومن أعمال الجاهلية ومن الضلال، والإسلام بريء منه، ولم يأذن فيه، بل حرمه ومنعه، وهو شرك يخرج فاعله من الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحبط عمله.

ز- آثار دعاء غير الله:

١- عدم إجابة دعوته وتحقيق ما طلبه وعدم كشفه السوء.

٢- إهانة الإنسان؛ وذلك لدعائه مخلوقًا مثله لا ينفع ولا يضر يتخذه معبودًا مطاعًا، وهو مخلوق مثله ليس له من الأمر شيء.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب إفراد الله تعالىٰ بتوحيد الألوهية؛ لتفرده بتوحيد الربوبية من جهة النفع والضر وغيرهما.

٢- وجوب دعاء الله وحده وطلب الرزق منه.

٣- بطلان دعاء غير الله؛ لعجزه عن نفع من دعاه ودفع الضر عنه.

٤- بيان عجز آلهة المشركين وبطلان عبادتهم.

٥- أن الدعاء عبادة، فمن دعا غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر.

٦- أن الأوثان لا تسمع من دعاها ولا تستجيب له، عكس ما يتصور المشركون فيها.

٧- إثبات المشيئة لله سبحانه.

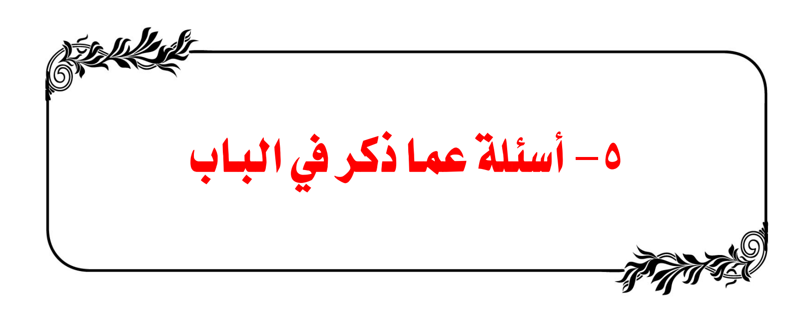
٨- إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله.

٩- وجوب شكر الله علىٰ نعمه.

١٠- إثبات البعث والجزاء.

١١- بطلان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

١٢- الذي يغيث المضطر هو الله تعالىٰ وحده، وهو المغيث وحده.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما مراد المصنف بعقد هذا الباب؟

س٢- اذكر آية تدل علىٰ أن الله تعالىٰ وحده هو النافع الضار؟

س٣- بين معاني الكلمات: (يمسسك، فلا راد، من أضل، المضطر).

س٤- ما هي أنواع الاستغاثة؟

س٥- ما الفرق بين الدعاء والاستغاثة؟

س٦- ما المراد بدعاء العبادة؟

س٧- ما هي الآثار السيئة للاستغاثة بغير الله تعالىٰ؟

س٨- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب؟

❊❊❊

١٥- باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢]

١- وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

٢- وفي الصحيح، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شُجَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، وكسرت رباعيته؛ فقال: **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**؛ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»[1].

٣- وفيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: **اللهم العن فلانًا وفلانًا**، بعدما يقول: **سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**؛ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»[2].

٤- وفي رواية: «يدعو علىٰ صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٤٩٣)، ورواه مسلم (٣/ ١٤١٧) حديث رقم (١٧٩١).

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٤٩٣-١٤٩٤) حديث رقم (٣٨٤٢).

ابن هشام؛ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»[١].

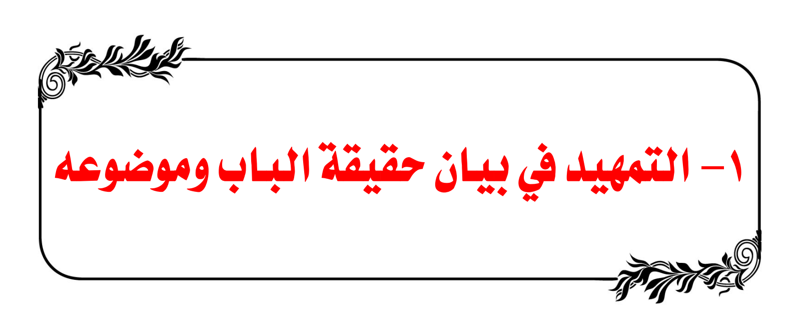
٥- وفيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل الله عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]؛ فقال: **يا معشر قريش**، أو كلمة نحوها- **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا؛ يا صفية عمة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[٢].

❀❀❀

❀❀❀

(١) رواه البخاري مع «الفتح» (٧/ ٣٦٥) حديث رقم (٤٠٧٠).

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٧٨٧-١٧٨٨) (ح٤٤٩٣)، ومسلم (١/ ١٩٢-١٩٣) (ح٢٠٦).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان شيء من أنواع الشركيات التي كان عليها أهل الشرك عند مبعث النبي ﷺ، حيث دعاهم إلىٰ منابذة هذه الشركيات، واجتنابها، وقاتلهم لأجلها؛ وفي الآية الدلالة علىٰ أن المستحق للألوهية هو من يخلق، هو الخالق، وأن المخلوق لا يجوز أن يكون مألوهًا؛ فمن كان مخلوقًا محتاجًا فكيف يتوجه إليه والحال أنه هو محتاج فقير؟!

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان قبح الشرك، وأن من صرف العبادة لغير الله تعالىٰ فقد صرف العبادة لمن لا يملك ولا يرزق ولا يخلق ولا يدبر؛ فكيف يُعبد من دون الله؟! وبيان أن أقرب الناس منزلة عند الله تعالىٰ لا يملك مع الله تعالىٰ شيئًا، وأن الأمر كله لله تعالىٰ؛ فلذا لا يعبد أحد سواه، ولو كان نبيًّا، أو ملكًا، أو وليًّا.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن المعبودات من دون الله تعالىٰ لا تملك شيئًا لنفسها فضلًا عن أن تملك لغيرها، وأنها مخلوقة مرزوقة؛ فكيف تُعبد من دون الله؟ وأنهم لا يملكون

مع الله تعالىٰ شيئًا؛ فدل ذلك علىٰ أنها لا تستحق العبادة، وإنما المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له، الذي خلق السموات والأرض، وبيده الأمر كله؛ فمن خلق ورزق ودبر هو الذي يجب أن يُعبَد وأن يُوحَّد في العبادة؛ فكما خَلَقَ ومَلَكَ وحده فكذلك يجب أن يعبد وحده لا شريك له(١).

وأن أي أحد لا يستحق العبادة، ولو كان ذا منزلة وجاه عند الله تعالىٰ؛ فإن الأنبياء والصالحين إنما يُتَّبَعون ولا يُعْبَدُون، وهم لا يملكون مع الله تعالىٰ شيئًا، بل هم مملوكون لله تعالىٰ، وهم تحت تصرف الله تعالىٰ؛ فأراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عقد هذا الباب بيان ما عليه أهل الشرك في عبادتهم غير الله لأنهم:

---

(١) دل هذا الباب علىٰ أن الله تعالىٰ هو المتصرف في الكون، وأنه لا تصرف لأحد في الكون فوق الأسباب؛ فمن اعتقد في غير الله أنه يتصرف في الكون فوق الأسباب فقد أشركه بالله في التصرف والقدرة والربوبية.

ولهذا عَدَّ كثير من الفقهاء هذه العقيدة من عقائد الكفر، فقد صرح جمع من العلماء بهذا حيث قالوا: «من ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقاده ذلك، كفر». «البحر الرائق» (٢/ ٢٩٨)، و«رد المحتار» (٢/ ٤٦٧).

وقالوا: «من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر» «الجامع الوجيز» (٦/ ٣٢٦)، «البحر الرائق» (٥/ ١٢٤).

وقال العلامة الرازي محمد بن محمد الكردي الحنفي (٨٢٧هـ): «سئل الزعفراني عمن يزعم أنه رأىٰ إبراهيم بن أدهم يوم التروية بالكوفة، ورآه أيضًا في ذلك اليوم بمكة؟ قال ابن مقاتل: يكفر، وقال محمد بن يوسف: يكفر، وعلىٰ هذا ما يحكيه جهلة خوارزم أن فلانًا كان يصلي سنة الفجر بخوارزم وفرضه بمكة».

أقول: مثل هذه العقائد في التصرف في الكون المنتشرة في عامة القبورية كثيرة، وكلها من الكفريات والشركيات، والله المستعان.

أ- لا يخلقون شيئًا.

ب- أن معبوداتهم مخلوقة لله تعالىٰ.

ج- أن معبوداتهم لا يستطيعون لهم نصرًا.

د- أنهم لا ينصرون أنفسهم، ومن كان هذه صفته فلا يستحق العبادة؛ فهذا فيه بيان بطلان الشرك، وضلاله.

د- مناسبة الباب:

أراد المصنف أن يبين أن هذه المعبودات التي يدعىٰ ويستغاث بها من دون الله لا تملك شيئًا، فهي لا تخلق، ولا ترزق، بل ولا ينفعون أنفسهم، فكيف يُدعَون من دون الله؟! فناسب أن يبوب هذا الباب الذي فيه بيان عجز المعبودات الباطلة.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾: استشهد به المصنف؛ لأن فيها الدلالة علىٰ حال المدعوين من دونه، وأنهم عاجزون ضعفاء، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك، وسماع الدعاء، والقدرة علىٰ استجابة الدعاء؛ ففيها بيان قبح دعاء غير الله تعالىٰ.

أما الحديث الثاني والثالث والرابع: بيَّن المصنف بهذه الأحاديث أن أفضل الخلق، وأقرب الناس منزلة عند الخالق، وأفضل الأنبياء -صلوات الله وسلامه

عليه-، لم يستطع أن يدفع عن نفسه، ولا عن أصحابه، وإذا كان كذلك لم يستحق أن يُعبد من دون الله ويُشرك به معه(١).

الحديث الخامس: وفيه: «**لا أغني عنكم من الله شيئًا**»: دل علىٰ أن المرء لا ينتفع بقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير التوحيد، وأن الذي ينفع هو التوحيد والإيمان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا هو طريق النجاة، وهذا هو الذي ينفع القرابات؛ أما فيما يتعلق بماله فهو يستطيع أن ينفعهم به؛ فعلم أن العبادة حق الله تعالىٰ، وأنه لا تنفع قرابة من دون التوحيد؛ فإذا كان هذا حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنه لا ينفع من دون الله فغيره من باب أولىٰ(٢).

٭٭٭

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٨٨).



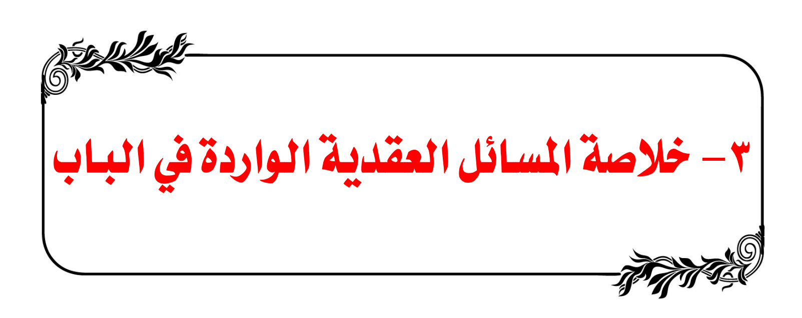
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
أيشركون	استفهام إنكار وتوبيخ علىٰ من يشرك في العبادة مع الله.
ما لا يخلق شيئًا	أي: المعبودون مع الله لا يقدرون علىٰ الخلق وليس فيهم ما يستحقون به العبادة.
وهم يخلقون	أي: وهؤلاء المعبودون مخلوقون من عدم، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق.
ولا يستطيعون لهم نصرًا	أي: وهؤلاء المعبودون لا يقدرون علىٰ نصر عابديهم.
ولا أنفسهم ينصرون	أي: ولا يقدرون علىٰ أن يدفعوا عن أنفسهم من أراد بهم ضرًّا فكيف يدفعونه عن غيرهم.
والذين تدعون من دونه	كل معبود غير الله من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها.
قطمير	القطمير: اللفافة التي تكون علىٰ نواة التمر.
لا يسمعوا دعائكم	لأنهم أموات أو ملائكة مشغولون بما خلقوا له، وليس لهم قدرة علىٰ تحقيق ما يطلب منهم.

ما استجابوا لكم	لا يقدرون علىٰ ما تطلبون منهم.
يكفرون بشرككم	ينكرونه ويتبرءون ممن أشرك بهم مع الله.
ولا ينبئك	يخبرك بعواقب الأمور ومآلها.
مثل خبير	عالم بها وهو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
شج	الشجة: الجرح في الرأس والوجه خاصة.
يوم أحد	وقعة أحد التي حصلت بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمشركين في السنة الثالثة من الهجرة، وكانت عند جبل أحد فنسبت إليه.
الرباعية	هي الأسنان التي بعد الثنية، والإنسان له أربع رباعيات من أعلىٰ وأسفل.
من الأمر	من الحكم في العباد.
أنه سمع رسول الله	أي: بعدما شج وكسرت رباعيته يوم أحد.
اللهم العن	أي: اطرد وأبعد من رحمتك.
سمع الله لمن حمده	يسمع من حمده ويجيب ويتقبل منه.
الحمد	ضد الذم، ويكون علىٰ محاسن المحمود مع المحبة له.
عشيرتك	عشيرة الرجل هم بنو أبيه.
الأقربين	أي: الأقرب فالأقرب منهم.

يا معشر	المعشر: الجماعة.
اشتروا أنفسكم	أي: خلصوها من العذاب بتوحيد الله وطاعته، ولا تعتمدوا علىٰ شرف النسب.
لا أغني عنكم من الله شيئًا	دفع لما قد يتوهم أنه يغني عنهم من الله شيئًا بشفاعته.
سليني من مالي	اطلبي منه؛ لأن هذا هو الذي أقدر عليه، وما كان من أمر الله فلا قدرة لي عليه.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- البراهين علىٰ صحة التوحيد:

إن البراهين الدالة علىٰ صحة التوحيد كثيرة، ومن أجَلِّ ذلك طريقة القرآن حيث يذكر الله تعالىٰ فيها أفعاله الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد، وأسماءه وصفاته، وربوبيته للاستدلال بها علىٰ ألوهيته تعالىٰ، **ومن جملة ذلك:**

١- تفرد الله بالخلق، فهو الخالق لكل مخلوق.

٢- تفرد الله بالتدبير للخلق، فهو الرازق لكل مرزوق، الضار النافع المعطي المانع المدبر للأمور كلها.

٣- كبرياء الرب وعظمته التي تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي وجميع المخلوقات.

٤- تفرد الله بملكوت كل شيء فإليه يرجع كل شيء وله يخضع كل شيء.

٥- نصر الله لرسله وأوليائه.

٦- إجابة من دعاه وكشف الضر.

فتفرده تعالىٰ بهذه الأمور كلها براهين علىٰ صحة التوحيد، ومن كانت هذه

صفته فيلزم أن يكون هو المدعو وحده والمعبود وحده، أما الخالق فجميعهم كلهم فقراء إليه، وعاجزون ولا يخلقون شيئًا وهم يُخلقون، ولا يملكون ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ب- سبب نزول آية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾:

يبينه الحديث الذي ذكره المصنف عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «شج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: **كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، فنزلت:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾».

ج- النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يدفع عن نفسه الضر فغيره من باب أولىٰ:

الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بشر يصيبه ما يصيب البشر من الابتلاء والامتحان؛ فقد شُجَّ رأس النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم أحد، وكسرت رباعيته؛ فالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يملك النفع ولا دفع الضر عن نفسه، قال تعالىٰ عنه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]. أي: قل يا محمد: أنا بشر شرفت بالرسالة، وحملت تلك الأمانة؛ فلا أملك لنفسي أي نفع كان، ولا أدفع عن نفسي أي ضر كان إلا ما شاء الله، وأنا بشر لا أعلم الغيب، وإنما الغيب عند الله وحده، ولو كنت أعلم الغيب حقيقة لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء أبدًا.

فإذا كان الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فكيف يطلب منه ذلك؟! وإذا كان الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يملك ذلك فهل دونه من العباد

يملك؟ إذا عرفت هذا ظهر لك ضلال أقوام يدعون الموتىٰ سائلين ضارعين عند قبورهم.

هـ- النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك نفع أقرب الخلق إليه فكيف بغيره:

النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينفع أهله وقرابته، فالهداية بيد الله، ولا يملك شيئًا من أمور الآخرة، فليس بيده شيء من هذه الأمور؛ فلا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضر عمن لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، والدعوة والبيان؛ فهذا نفعه -عليه الصلاة والسلام-، ومن هنا يظهر جهل من يقصد النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضر، وإذا كان الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك النفع فهل دونه من العباد يملك؟!



٤- المستفاد من الباب

١- بطلان الشرك من أساسه؛ لأنه تعلق بمخلوق عاجز.

٢- بيان الشروط التي يجب توفرها في المدعو المُستَغاث به، وهي:

أ- الملك.

ب- سماع الدعاء.

ج- القدرة علىٰ الإجابة، وهذه كلها لا تكون إلا لله سبحانه.

٣- بطلان الشرك بالأولياء والصالحين وغيرهم؛ لأنه إذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك من الأمر شيئًا فغيره من باب أولىٰ.

٤- بطلان التعلق بالأولياء والصالحين لطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

٥- الرد علىٰ عُبَّاد الأنبياء والصالحين الذين يتعلقون بالمخلوقين في قضاء حوائجهم التي لا يقدر عليها إلا الله.

٦- أنه لا يجوز أن يطلب من العبد إلا ما يقدر عليه.

٧- أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح لا الاعتماد علىٰ

مجرد الانتساب للأشخاص الطيبين.

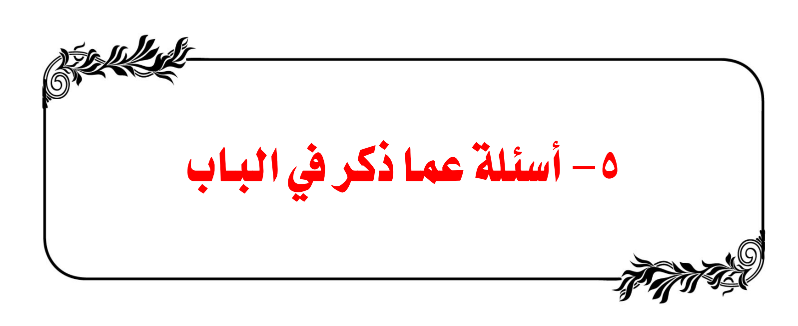
٨- أن أولىٰ الناس برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أهل طاعته ومتابعته، لا مجرد قرابته بدون متابعة.

٩- إثبات علم الله بعواقب الأمور حيث أخبر بعواقب الشرك يوم القيامة.

١٠- مشروعية الصبر، وتحمل الأذىٰ والضر في سبيل الدعوة إلىٰ الله.

١١- ابتلاء الله أنبياءه بالمصائب، لبيان افتقارهم إلىٰ باريهم، وإبطال دعوىٰ الألوهية في حقهم، إذ لو كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلهًا لكان أولىٰ بدفع الضر وجلب النفع لنفسه.

❁❁❁



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - لماذا عقد المصنف هذا الباب؟

س٢- ما حكم من اعتقد أن غير الله يتصرف في الكون، أو يتصرف مع الله تعالىٰ؟

س٣- بَيِّن معاني الكلمات التالية: (قطمير، ينبئك، شج، الرباعية).

س٤ - اذكر بعض البراهين علىٰ وجوب توحيد الله تعالىٰ.

س٥- النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فهل غيره يملك؟

س٦- النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينفع أمته في أمور معينة، فما هي؟

س٧- المعبود المستغاث المنادىٰ به يجب أن يتوفر فيه شروط؛ فما هي هذه الشروط؟

س٨- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❀❀❀

١٦- باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]

١- في الصحيح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله: كأنه سلسلة علىٰ صفوان، يَنفُذُهم ذلك:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، **فسمعها مسترق السمع** -ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- **فسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته، ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن؛ فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه؛ فيكذب معها مائة كذْبَة؛ فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؛ فيصدق بتلك الكلمة التي سُمِعت من السماء**»[(١)].

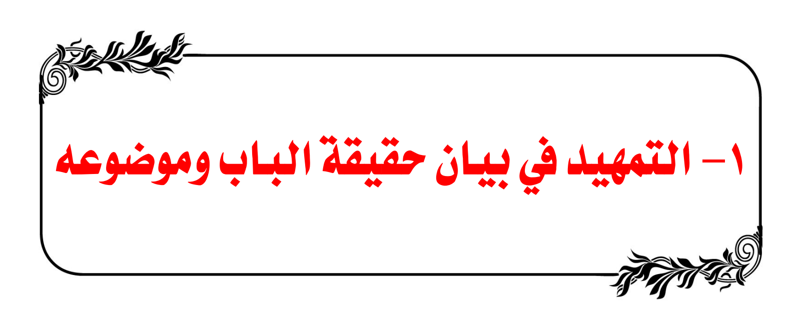
٢- وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أراد الله تعالىٰ أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة شديدة- خوفًا من الله** عَزَّ وَجَلَّ**؛ فإذا سمع ذلك أهل السموات**

(١) رواه البخاري (٤/ ١٨٠٤)، حديث رقم (٤٥٢٢).

صعقوا، وخروا سجدًا؛ فيكون أول من يرفع رأسه جبريل؛ فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل علىٰ الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير؛ فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل؛ فينتهي جبريل بالوحي إلىٰ حيث أمره الله عَزَّوَجَلَّ »(١).

❁ ❁ ❁

(١) **قال الهيثمي**: «رواه الطبراني عن شيخه يحيىٰ بن عثمان بن صالح، وقد وُثِّق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات». «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٥).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

الرد علىٰ عباد القبور، والأصنام، وعباد الملائكة، وغيرهم؛ فبين أن الملائكة تخاف الله، وتخاف عذابه إن خالفت أمره؛ فكيف تستحق أن تعبد؟ كيف يطلب الأمن ممن يخاف؟ وإذا كان هذا حال الملائكة فغيرهم من باب أولىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الملائكة يخافون من الله تعالىٰ خوفًا يجعلهم يفزعون إذا تكلم الرب العظيم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن الملائكة المقربين عند الله يخافون من الله تعالىٰ؛ فإذن لا يجوز أن يُعْبَدوا مع الله تعالىٰ؛ فالمعبود بحقٍّ هو الذي يُخَاف منه ولا يَخَاف هو، ويَمْلك ولا يُملك، ويَرزق ولا يُرزق، ويَخلق ولا يُخلق.

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب السابق أنه لا يملك النفع والضر إلا

الله، حتىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك لأهله ضرًّا ولا نفعًا، أراد بهذا الباب الرد علىٰ عباد الملائكة والأصنام والقبور وغيرها، فبين أن الملائكة إذا كانت تخاف الله، وتخاف عذابه إن خالفت أمره؛ فهي كذلك لا تملك لغيرها نفعًا ولا ضرًّا؛ فكيف تستحق أن تعبد من دون الله؟

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الحديث الأول، وفيه: «**إذا قضىٰ الله الأمر في السماء**»: بين المؤلف أن هذا الحديث الذي أورده مع الآية التي بوب بها فيهما بيان حال الملائكة الذين هم أقوىٰ وأعظم من عُبد من دون الله؛ فإذا كانت هذه هيبتهم وخوفهم من الله تعالىٰ؛ فكيف يُدعىٰ من يَخاف ويَهاب؟ فإذا كانوا لا يستحقون العبادة فغيرهم من باب أولىٰ؛ ففيها الرد علىٰ جميع فرق المشركين، وخاصة عباد الملائكة، وعباد القبور، وعباد الأصنام(١).

وأما الحديث الثاني: «**أخذت السموات رجفة خوفًا من الله**»: استشهد به المصنف لبيان خوف المخلوقات من الله تعالىٰ، وتقرير التوحيد؛ فإن الملائكة تعظم الخالق عَزَّ وَجَلَّ الذي هو وحده المستحق للعبادة؛ فإنه الكامل في ذاته، وصفاته، وملكه، وغناه عن خلقه؛ فلا يجوز أن يجعل له شريك مع كمال غناه، ومطلق ملكه، وعظيم قدرته(٢).

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٧٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص٧٦).



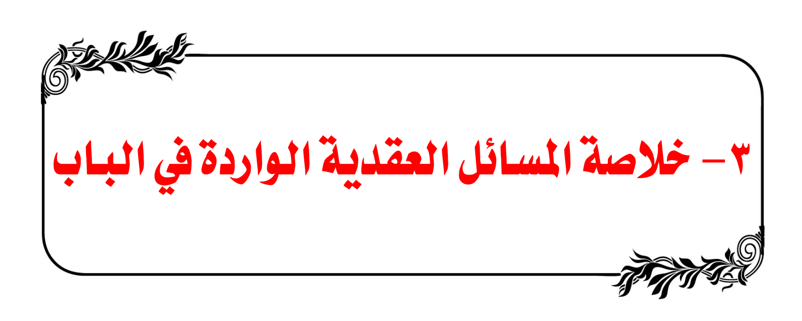
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
فزع عن قلوبهم	أزيل الفزع عن قلوب الملائكة من الغشية التي تصيبهم عند سماع كلام الله بالوحي إلىٰ جبريل.
قالوا	أي: قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.
قالوا الحق	أي: قال الله الحق.
وهو العلي	الذي له علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، وهو العلو المطلق.
الكبير	أي: الذي لا أكبر، ولا أعظم منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.
إذا قضىٰ الله الأمر	إذا تكلم به.
خضعانًا	أي: خاضعين.
لقوله	أي: لقول الله تعالىٰ.
كأنه	أي: الصوت المسموع.
صفوان	هو الحجر الأملس.
ينفذهم ذلك	أي: يخلص هذا القول ويمضي في قلوب الملائكة.

فيسمعها	أي: الكلمة التي قضاها الله وتكلم بها.
مسترق السمع	الشيطان المختطف لكلام الملائكة.
وصفه	أي: وصف ركوب الشياطين بعضهم فوق بعض حتىٰ يصلوا إلىٰ حيث يسمعون حديث الملائكة بالأمر الذي يقضيه الله.
فحرفها	أمالها.
وبَدَّد بين أصابعه	أي: فَرَّق بينها.
الساحر	الذي يتعاطىٰ السحر، وهو عبارة عما خفي ولطف سببه.
الكاهن	هو الذي يتعاطىٰ الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار.
أدركه الشهاب	أي: أدرك المسترقَ الشهابُ الذي يُرمَىٰ به، فيحرقه قبل إلقاء الكلمة.
فيكذب	أي: الساحر أو الكاهن.
معها	أي: الكلمة التي سمعها مسترق السمع من السماء وألقاها إلىٰ الكاهن.
الوحي	المراد به هنا كلام الله.
أخذت السموات	أي: أصابت السموات.
رجفة	أي: ارتجفت واضطربت.
خوفًا من الله	لأنها تخاف من الله بما جعل فيها من الإحساس والمعرفة بالله.

صعقوا	الصعق: الغشي.
خروا	المراد هنا: انحطوا بالسجود.
إلىٰ حيث أمره الله	أن يبلغ وحيه من السماء والأرض.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- من أركان عقيدة المؤمن الإيمان بالملائكة:

أركان الإيمان ستة: وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وبهذا كان الإيمان بالملائكة ركنًا من أركان عقيدة المؤمن التي لا تتم إلا به، وكان من شك فيه أو حاول التشكيك فيه كاذبًا كافرًا لا حظ له في الإسلام؛ لتكذيبه لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ب- خوف الملائكة من الله برهان على التوحيد:

الملائكة جند من جنود الله مطيعون لله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

وهم خلق عظيم، وهم متفاوتون تفاوتًا كبيرًا في الخلق، فقد صح أن لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ستمائة جناح، في حين أن من الملائكة من له جناحان، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر:١].

وهذه المخلوقات العظيمة تخاف الله أشد الخوف هيبة وتعظيمًا له وإجلالًا،

ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه، فالملائكة خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده، خاضعة له خائفة منه؛ فالرب تعالىٰ عظيم وحميد ومجيد فتخاف منه، ومن كان هذا شأنه فهو يستحق العبادة والحمد والثناء والشكر والتعظيم، وأما من كان يَخَاف ولا يُخَاف، ويضعف ويعتريه النقص فلا يستحق العبادة.

ج- إثبات كلام الله عَزَّوَجَلَّ :

ثبت من الآيات والأحاديث التي ذكرها المصنف في هذا الباب أن الله عَزَّوَجَلَّ يتكلم، وأنه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إذا تكلم سمعت الملائكة صوته تعالىٰ، وفيه إثبات سماع جبريل لكلام الله تعالىٰ.

وبهذا ثبت أن الله تعالىٰ يتكلم، وأن كلامه تعالىٰ بصوت وحرف، وأن كلامه يُسمع، وفي هذا دليل علىٰ أن جبريل سمع القرآن من الله تعالىٰ، ولم يأخذ من اللوح المحفوظ، ولا من السماء الدنيا، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

د- إبطال السحر والكهانة:

المؤمن يعلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، وأن الغيب لا يظهره الله إلا لمن شاء من الأنبياء بقدر ما شاء تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأن أحدًا من المكلفين لا يعلم الغيب، وأما ما يكون من إخبار الكهان والسحرة عن بعض ما هو غيب فإن ذلك بواسطة الجن المسترقة للسمع، الذين يتلقفون من أخبار الملائكة، ويلقون إلىٰ بعضهم البعض حتىٰ يصل إلىٰ الأرض إلىٰ الكاهن والساحر، فالناس يصدقون

الكاهن مطلقًا بتلك الكلمة التي قالها ووافق فيها خبر المخبر.

وينبغي للمؤمن الحذر من الكهنة والسحرة، واعتقاد أنهم لا يعلمون الغيب مطلقًا، وأنهم دجالون كذابون، وموافقتهم لشيء من الوقائع لا يعني صدقهم، ولا يعني ذلك صلاح حالهم، بل إن ذلك قد يكون من قبيل موافقة القدر لقولهم، أو من قبيل المسروق من الخبر عن الملائكة، أو من قبيل الاستدلال ببعض المقدمات علىٰ نتائجها المتوقعة.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- بيان عظمة الله جَلَّوَعَلَا واستحقاقه للعبادة وحده.

٢- الرد علىٰ المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين.

٣- الرد علىٰ جميع فرق المشركين الذين يعبدون مع الله غيره.

٤- إثبات الكلام لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله، وأنه متعلق بمشيئته.

٥- إثبات العلو لله سبحانه فوق مخلوقاته.

٦- إبطال السحر والكهانة.

٧- أن صدق الكاهن في بعض ما يقول لا يوجب صدقه في كل شيء.

٨- إثبات أن الملائكة يخافون الله، وأنهم أجسام نورانية، وليسوا أرواحًا مجردة عن الجسمية، وأن لهم أجنحة.

٩- إثبات الإرادة لله عَزَّوَجَلَّ.

١٠- أن المخلوقات -وإن كانت جمادًا- تحس بعظمة الخالق.

١١- أن لكل سماء ملائكة مخصصين؛ لقوله: «**سأله ملائكتها**».

١٢- إثبات العزة والجلال لله عَزَّوَجَلَّ لقوله: «**عز وجل**» والعزة بمعنىٰ: الغلبة والقوة. والجلال بمعنىٰ: الهيبة والعظمة، والتنزه عن العيوب.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اذكر الآية التي ترجم بها المصنف.

س٢- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- ما مناسبة الباب لما قبله من الأبواب؟

س٤- وضِّح معاني المفردات التالية: (فُزِّع، خُضعانًا، صفوان، صعقوا).

س٥- اذكر أركان الإيمان.

س٦- كيف كان خوف الملائكة برهانًا علىٰ التوحيد؟

س٧- كيف يقع من الكاهن شيء من الصدق؟

❀❀❀

١٧- باب الشفاعة

١- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١].

٢- وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

٣- وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٤- وقوله: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

٥- وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

٦- **قال أبو العباس**[(١)]: «نفىٰ الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفىٰ أن يكون لغيره مُلك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]؛ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة؛ كما

(١) هو الإمام الهمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٧٢٨هـ).

نفاها القرآن، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: **ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع**»[١].

وقال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[٢].

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله؛ ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقتها: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل علىٰ أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود؛ فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص»[٣]. انتهىٰ كلامه.

❊❊❊

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢١٥) حديث رقم (٣١٦٢)، ومسلم (١/ ١٨٤-١٨٦) حديث رقم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه البخاري (١/ ٤٩) حديث رقم (٩٩).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧٧-٧٨).

١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو الشفاعة، وبيان المنفية منها والمثبتة، فالمخالفون يبررون شركهم بقولهم: نحن ندعو الأنبياء والملائكة حتىٰ يشفعوا لنا عند الله؛ فاحتيج إلىٰ الكلام في حقيقة الشفاعة، وأنواعها، حتىٰ يعتقد فيها الاعتقاد الصحيح.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حقيقة الشفاعة، وبيان المثبت منها، وبيان المنفي منها، وأن الشفاعة فضل من الله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب للرد علىٰ المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين، ويقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، وليشفعوا لنا عند الله.

د- مناسبة الباب: لما بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا أحد يملك شيئًا مع الله تعالىٰ بين أن الشفاعة أيضًا ملك لله عَزَّوَجَلَّ ، وأنه يعطيها لمن يشاء من عباده المصطفين والصالحين، لا أن الشفاعة ملك يستقل به كل أحد، وبهذا يتبين أنه

لا يصح اتخاذ الشفعاء مع الله تعالىٰ علىٰ الطريقة الشركية التي كانوا يقولونها ويَدَّعونها.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾: استشهد بها المصنف؛ لأنها دلت علىٰ أن المؤمنين أخلصوا نيتهم وعملهم لله تعالىٰ، وتركوا التعلق بغيره؛ فإن الموحد يستيقن بأن الله هو وليهم، وهو يأذن بالشفاعة لمن أراد.

الآية الثانية: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾: فيها دليل علىٰ أن من يدعىٰ من دون الله بحجة الشفاعة أن دعاءه إياه بالباطل، وأن الشفاعة لله؛ فلهذا أنكر علىٰ من صرف عبادة لغير الله، وقال: أنا أطلب منهم الشفاعة؛ فقيل له: الشفاعة لله كلها، فهذا خبر الله لنبيه بأن يقول للناس الذين يصرفون العبادة لغير الله بحجة الشفاعة، ويطلبون الشفاعة من الأموات: إن الشفاعة لله وحده.

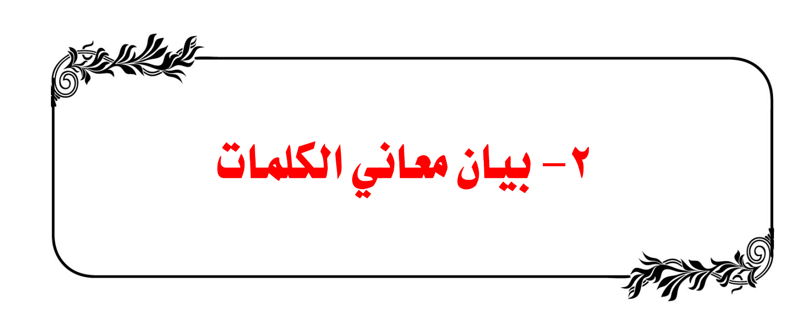
الآية الثالثة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾: استدل بها المصنف لبيان أن الشفاعة لا تكون في الآخرة إلا بعد إذن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وليست الشفاعات عنده كشفاعات الناس عند ملوكهم؛ فيشفعون لمن يرضىٰ عنه الملك ويشفع من قد لا يرضىٰ عنه الملك، والله تعالىٰ أعظم وأجل من أن يشفع أحد إلا بعد أن يكون مرضيًّا عنده، ولا يشفع عنده إلا في مَرضِيٍّ عنده.

الآية الرابعة: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: فيها الاستدلال بنفي شفاعة المقربين من الملائكة إلا بعد إذن الله تعالىٰ؛ فكيف بمن دونهم؟

الآية الخامسة: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: قد بين المصنف وجه الاستشهاد بهذه الآية بنقله كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخلاصته: أن فيها قطع جميع علائق الشرك؛ فليس لغيره ملك، وليس أحد شريكًا مع الله في ملكه، ولا يكون أحد له عونًا؛ فلم يبق إلا الشفاعة؛ فنفاها أيضًا بالدليل القاطع، وأنها لا تكون إلا لمن أذن له الرب عَزَّوَجَلَّ [1].

❁❁❁

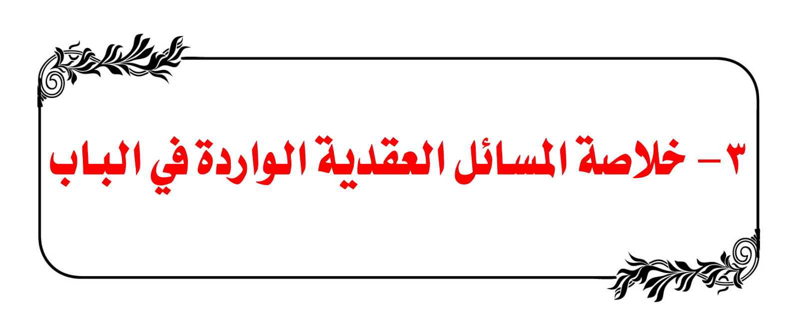
(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٨٠).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
وأنذر	الإنذار هو الإعلام بموضع المخافة.
به	أي: القرآن.
أن يحشروا	أن يجمعوا ويبعثوا.
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع	أي: يتخلىٰ عنهم كل ولي كان ينصرهم وشفيع يشفع لهم.
لله الشفاعة	أي: أن الشفاعة ملك لله.
من ذا الذي	أي: لا أحد.
كم	كثير من الملائكة.
لا تغني	لا تجدي ولا تنفع.
لمن يشاء	أي: لمن يأذن بالشفاعة له.
ويرضىٰ	عن المشفوع فيه بأن يكون من أهل التوحيد.
قل	أي: للمشركين.

زعمتم	اتخذتم.
من دون الله	أي: غير الله من الأصنام والأولياء والصالحين.
مثقال	وزن.
ذرة	النملة الصغيرة أو الهباءة.
وما له	أي: وما لله تعالىٰ.
منهم	من الآلهة التي اتخذتموها.
إلا لمن أذن له	إلا لمن أذن له أن يشفع.
قسط	نصيب.
يظنها	يطلبها.
أسعد الناس	أكثرهم سعادة بها.
خالصًا من قلبه	احترازًا من المنافق الذي يقولها بلسانه فقط.
وحقيقته	أي: حقيقة الأمر في بيان الشفاعة الصحيحة.
المقام المحمود	أي: المقام الذي يحمده فيه الخلائق كلهم.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ الشفاعة وأنواعها:

الشفاعة هي: طلب التوسط عند الغير في جلب نفع أو دفع ضر، **وهي نوعان:**

١- شفاعة مثبتة، وهي نوعان:

أ) شفاعة تُطلب من الله بإذنه لمن يرضىٰ قوله وعمله.

ب) من المخلوق فيما يقدر عليه.

٢- شفاعة منفية، ومنها:

أ) الشفاعة التي تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

ب) الشفاعة بغير إذنه.

ج) الشفاعة لأهل الإشراك به.

ب- الشفاعة ملك لله:

إن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ مالك الشفاعة، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾، فالشفاعة لله وحده سبحانه، وإنما يشفع الأنبياء والصالحون بإذنه، وهو يعطيها من يشاء فضلًا؛ فيجب أن تُطلب منه ولا تُطلب من غير الله تعالىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلىٰ نفسه ليرحم عبده؛ فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه؛ فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلىٰ نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده»(١).

ج- شروط الشفاعة:

للشفاعة شرطان:

الأول: الإذن من الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

الثاني: رضاه عن المشفوع له، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، ويدخل في الرضا أن يكون الشافع مرضيًّا عند الله تعالىٰ؛ فليس كل أحد يكون من الشفعاء، كما جاء في الحديث عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء يوم القيامة**»(٢).

د- أنواع الشفاعات يوم القيامة:

١- الشفاعة الكبرىٰ التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل حتىٰ تنتهي إلىٰ

---

(١) «إغاثة اللفهان» (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، رقم (٢٥٩٨).

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيقول: أنا لها، وذلك حين يرغب الخلائق إلىٰ الأنبياء ليشفعوا لهم إلىٰ ربهم حتىٰ يريحهم من كرب الموقف، وهذه خاصة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة في دخولها، وهي خاصة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وهي خاصة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوم من العصاة من أمته ألا يدخلوا النار.

٥- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار.

٦- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم.

٧- شفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم في أن يدخلوا الجنة.

هـ- أسعد الناس بشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وأسعد الناس بشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه، وهذا يعني أن مستحق الشفاعة هو من أتىٰ بالتوحيد، لا مجرد اللفظ؛ فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خالصًا من قلبه**»، وهذا يعني أنها لأهل الإخلاص والتوحيد لا لأهل الشرك والنفاق والكفر.

و- حكم الاستشفاع بالأولياء والصالحين الأموات:

لم يأذن الشارع في الاستشفاع بالأولياء والصالحين من أموات المسلمين،

ولم يأذن في طلب الشفاعة منهم؛ كأن يقول: يا سيدي فلان، اشفع لي عند ربي في قضاء كذا وكذا. ويا مولاي فلان، توسلت بك إلىٰ ربي فادع الله لي يفعل بي كذا وكذا.

وهذا النوع من الاستشفاع فيه جمع بين عظيمتين من عظائم الشرك:

الأولىٰ: دعاء غير الله تعالىٰ، وهو شرك أكبر.

والثانية: قياس الخالق علىٰ المخلوق، وتشبيهه به حيث طلبوا له الواسطة كما تطلب للمخلوق من ذوي السلطان، وجهلوا أن المخلوق قد يخفىٰ عليه أمر الإنسان فيحتاج إلىٰ من يعلمه به، وينبهه إليه، بخلاف الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإنه عليم بأحوال عباده لا يخفىٰ عليه من أمرهم شيء.

ز- الشفاعة التي أبطلها الله:

الشفاعة التي أبطلها الله هي شفاعة الشريك؛ فإنه لا شريك له، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتىٰ يأذن له[1].

❊❊❊

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٢٠).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١. الرد علىٰ المشركين الذين يتقربون إلىٰ الأنبياء والصالحين يطلبون منهم الشفاعة.

٢. أن الشفاعة ملك لله وحده فيجب طلبها منه وحده.

٣. بيان عظمة الله وكبريائه وخضوع جميع الخلق لسلطانه.

٤. أن المشركين لا تنفعهم الشفاعة؛ لأن الله لا يأذن فيها لهم.

٥. أن أسعد الناس بتلك الشفاعة أكملهم إخلاصًا.

٦. بيان أحد معاني الشفاعة المذكورة في الباب، وأنها الدعاء بالمغفرة للمذنب من أهل التوحيد ممن أذن الله له بذلك.

٧. بيان الحكمة من الشفاعة، وأنها إكرام للشافع ونفع للمشفوع له.

٨. بيان أن الشفاعة الشركية تنافي التوحيد، وأن البراءة منها حقيقة التوحيد.

٩. من أدب المرء في الدعاء الثناء علىٰ الله ثم طلبه مسألته من الله عَزَّوَجَلَّ .

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اذكر آية تدل علىٰ أن الشفاعة ملك لله تعالىٰ.

س٢- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- وضِّح معاني المفرادت التالية: (لا تغني، زعمتم، مثقال، قسط).

س٤- ما هي الشفاعة؟

س٥- ما هي أنواع الشفاعة من حيث الجواز وعدمه؟

س٦- بَيِّن شروط الشفاعة؟

س٧- اذكر أنواع الشفاعات.

س٨- مَن أسعد الناس بشفاعة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؟

س٩- الاستشفاع بالمعبودات شرك من وجهين؛ فما هما؟

س١٠- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❁❁❁



١٨- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

في الصحيح، عن ابن المسيب، عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده عبد الله بن أبي أمية، وأبو جهل، فقال له: **يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك**. فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]»[١].

❊❊❊

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٤٤٩٤)، ومسلم(١/ ٥٤) حديث رقم (٢٤).

١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو بيان عظمة ملك الله تعالىٰ، وأنه هو المالك، والمتصرف في خلقه بما يشاء، والمدبر لجميع العوالم، والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملكون شيئًا مع الله تعالىٰ، وأنهم لا يستطيعون أن يهدوا من لم يهده الله.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الهداية التي هي بمعنىٰ التوفيق والإلهام بيد الله تعالىٰ، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملك شيئًا من هذا النوع.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن الرسل وأفضلهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يملكون شيئًا من أمر الله، ولا شيئًا من خصائصه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنهم لا يستطيعون هداية البشر إلا من هداه الله، وليس لهم من الشرف إلا ما جعل الله لهم، لذلك لا يصح أن يُعْبَدوا من دون الله.

د- مناسبة الباب:

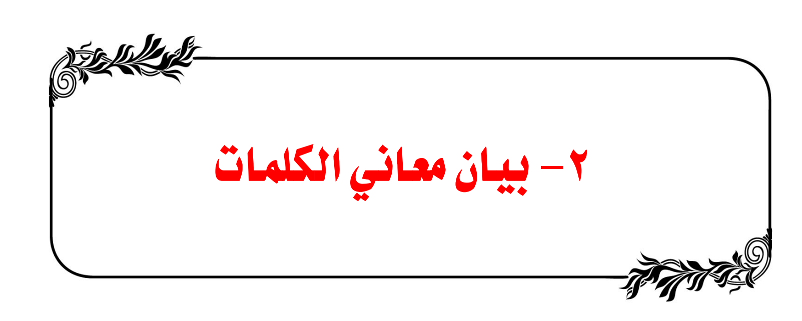
مناسبة هذا الباب أنه نوع من الباب الذي قبله، فإذا كان لا أحد يستطيع أن ينفع أحدًا بالشفاعة والخلاص من العذاب، كذلك لا يستطيع أحد أن يهدي أحدًا إلا أن يشاء الله تعالىٰ هدايته.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

أورد آية الباب، ليجعله عنوانًا للمسألة، وهو أن الهداية بيد الله، وهي هداية التوفيق والإلهام، وهي منفية عن الأنبياء والمرسلين، وعن جميع المخلوقين، فلا يهدي هداية توفيق إلا الله تعالىٰ.

وأما الحديث الذي استشهد به؛ فإنما أتىٰ به ليبين أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أفضل الخلق علىٰ الإطلاق، وأعظمهم عند الله منزلة، لم يستطع أن يجعل في قلب عمه هداية التوفيق، مع حبه لذلك وحرصه علىٰ هدايته، فكيف بغيره؟

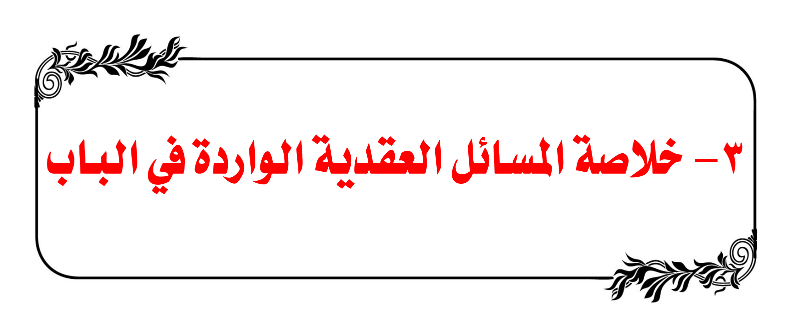




٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
إنك	الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
لا تهدي	لا توفقهم لدخولهم في الإسلام.
من أحببت	أي: رغبت في هدايته من الناس.
ولكن الله يهدي	أي: أن الله تعالىٰ يوفقه للدخول في الإسلام.
وهو أعلم بالمهتدين	أي: أن الله يعلم من يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.
لما حضرت أبا طالب الوفاة	أي: علاماتها ومقدماتها، وأبو طالب هو عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يناصره، ويحميه من أذىٰ قومه.
أُحاج	أشهد وأشفع بسببها لك.
أترغب	أتترك.
ملة عبدالمطلب	الشرك وعبادة الأصنام.
ما كان للنبي	أي: ما ينبغي ولا يجوز.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- سبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه: «**قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة**، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون: إنه حمله علىٰ ذلك الجزع لأقررت بها عينك؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»(١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة أن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يهدي من أحب هدايته، ولكنه جَلَّ وَعَلَا هو الذي يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين»(٢).

ب- أنواع الهداية ومعنىٰ كل نوع:

الهداية نوعان:

الأول: هداية التوفيق والقبول، والإلهام، وهي خلق الهدىٰ في قلب الضال، وهي المنفية في هذا الباب من غير الله تعالىٰ، ولا يملكها إلا الله، بل هذا النوع

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٥)، حديث رقم (٢٥).

(٢) «أضواء البيان» (٦/ ٣٠٣).

من الهداية هي من خصائص الله تعالىٰ؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي: لا تخلق التوفيق في قلب من أضله الله.

الثاني: هداية الدلالة والبيان والإرشاد، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢]. فهو المبين عن الله، والدال علىٰ دينه وشرعه، وهي جائزة في حق المخلوقين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، والقرآن مبين، والعلماء يبينون.

ج- النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقدر علىٰ هداية من أحب:

مات عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو طالب علىٰ الشرك والكفر لسبق قضاء الله وقدره، ولو كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يملك هداية القلوب لهداه مع حرصه علىٰ هدايته، ولكن الهداية بيد الله تعالىٰ، وهذا هو معنىٰ قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»[(١)].

وإذا كان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع حرصه لم يملك الهداية لعمه فغيره أولىٰ وأحرىٰ.

د- النهي عن الاستغفار للمشركين:

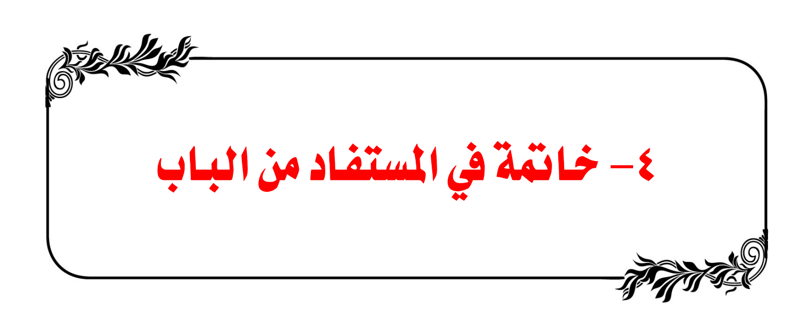
رَغِبَ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستغفار لعمه أبي طالب الذي مات علىٰ الشرك فنهاه الله عن ذلك؛ بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة:١١٣]، وإنما نهينا عن

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، رقم (٨٦٧).

الاستغفار للمشركين؛ لأن المشرك مخلد في النار، والاستغفار ينافي ذلك.

أما الدعاء للمشرك بالهداية، والإسلام، وأن يشرح الله صدره؛ فهذا جزء من الدعوة إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وإنما يكون للمشرك الحي الذي يمكن منه الإسلام.

❁❁❁



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- الرد علىٰ الذين يعتقدون أن الأولياء ينفعون أو يضرون ويتصرفون بعد الموت علىٰ سبيل الكرامة.

٢- أن هداية التوفيق بيد الله وحده.

٣- جواز عيادة المريض المشرك إذا رُجِي إسلامه.

٤- أن من قال: لا إله إلا الله، عن علم ويقين واعتقاد دخل في الإسلام.

٥-أن الأعمال بالخواتيم.

٦- تحريم الاستغفار للمشركين، وتحريم موالاتهم ومحبتهم.

٧- بطلان التعلق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره لجلب النفع أو دفع الضر.

٨- خطورة جليس السوء، وأنه يُرْدِي جليسه طبعًا، وخُلُقًا، ودِينًا.

❁❁❁

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر الحديث الوارد في قصة وفاة أبي طالب، ودعوته إلىٰ الإسلام.

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٤ - وضِّح معاني المفردات: (لا تهدي، أُحاج، ملة عبد المطلب).

س٥ - اذكر أنواع الهداية.

س٦ - بيِّن ما هي الهداية الخاصة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

س٧- اذكر دليلًا يفيد النهي عن الاستغفار للمشركين.

س٨- لماذا نهينا عن الاستغفار للمشركين؟

س٩ - عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.



١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين(١)

١- وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ

(١) **قال العلامة ولي الله الدهلوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكَفَّر الله مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحاج: أنه نصب منصب الألوهية؛ فجعلوا يستعينون به عند الشدائد». «البدور البازغة» (ص١٢٦).

وقد صرح جمع من علماء الإسلام بأن الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الشرك، بل الغلو في الصالحين هو الشرك بعينه، ونوع من أنواعه.

قال العلامة الآلوسي (١٢٧٠هـ) ونقله عنه ابنه نعمان وحفيده محمود شكري: «في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج:٧٣]. إشارة إلىٰ ذم الغالين في أولياء الله حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله، وينذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلىٰ الله، ورأيت كثيرًا منهم يسجدون علىٰ أعتاب حجر قبور الأولياء، ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعًا في قبورهم، وإذا طولبوا بالدليل قالوا: ثبت ذلك بالكشف. قاتلهم الله ما أجهلهم وأكثر افتراءهم ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة، وكل ذلك باطل لا أصل له في الكتاب والسنة، وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء علىٰ الناس دينهم، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارىٰ، وكذا لأهل النحل الدهرية».

«روح المعاني» (١٧/ ٢١٢-٢١٣) ط قديمة، و(١٧/ ٣١٤) ط جديدة، و«جلاء العينين» (ص٤٩٠، ٥٠٣)، و«غاية الأماني» (٢/ ٣١٢).

عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١].

٢-وفي الصحيح، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح:٢٣].

قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا، ولم تُعبد، حتىٰ إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت»(١).

٣-**وقال ابن القيم** رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»(٢).

٤-وعن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» أخرجاه(٣).

٥-وقال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إياكم والغلوَّ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ**»(٤).

٦-ولمسلم، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**هلك المتنطعون** -قالها ثلاثًا-»(٥).

---

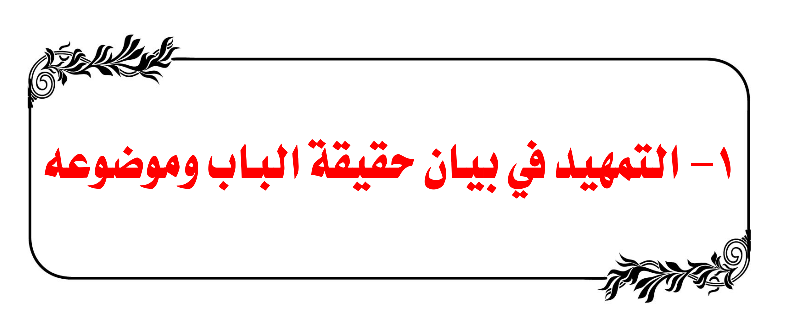
(١) رواه البخاري، رقم (٤٦٣٦).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٨٤).

(٣) رواه البخاري، حديث رقم (٣٢٦١)، وروىٰ مسلم أصله، حديث رقم (١٦٩١).

(٤) رواه النسائي في «السنن» (٥/ ٢٦٨)، وابن ماجه في «السنن»، حديث رقم (٣٠٢٩).

(٥) برقم (٢٦٧٠).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان ما جاء من الأدلة الشرعية في أن سبب كفر بني آدم هو الغلو في الصالحين، وهناك أسباب أخرىٰ مثل: الحسد، والبغض، ولكن الغالب أن سبب كفر بني آدم الغلو؛ حتىٰ أدىٰ ذلك إلىٰ صرف العبادة فيمن غلوا فيهم.

ب- شرح ترجمة الباب:

باب في بيان سبب من أسباب وقوع بني آدم في الكفر، وبيان سبب من أسباب ترك الدِّين، وأن ذلك هو الغلو الذي هو الإفراط في الصالحين.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب ليبين ما يَؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله؛ فإن من أهم أسباب كفر المشركين الغلو في الصالحين.

د- مناسبة الباب:

لما بين المصنف مضار الشرك أراد أن يبين سبب وقوع الناس فيه، وأن الناس إنما يُؤْتَون من قِبَلِ الإفراط والإسراف في الصالحين؛ فيقعون في ترك الدين الحق، ومن ثَمَّ الشرك والكفر.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

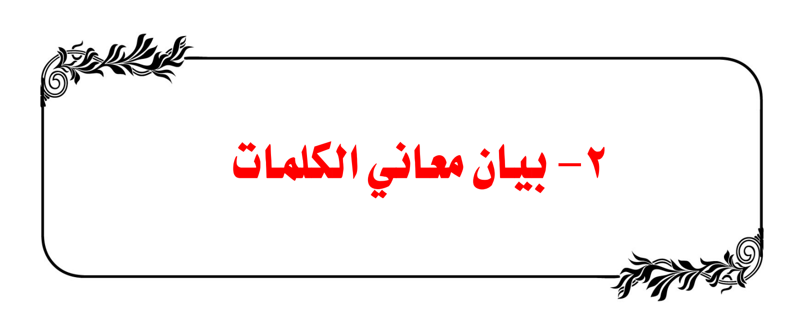
الآية الأولىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ﴾: فيها التصريح بالنهي عن الغلو، وأن الله نهىٰ أهل الكتاب -وهم اليهود والنصارىٰ- عن الغلو.

وأما قول ابن عباس في تفسير الآية: فإنما أورده المصنف ليستشهد به علىٰ أن كفر بني آدم كان بسبب الغلو كما بين ابن عباس؛ فهم أولًا جعلوا الصور، ثم تعظيمها، ثم العكوف عليها، ثم عبادتها، والتوسل إليها وبها، وصرف العبادة لها.

حديث ابن عمر: «**لا تطروني**»: فيه تحذير النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الغلو فيه، وهذا من تمام نصحه، وعظيم إرشاده، وعمق نظره؛ فأشفق علىٰ الأمة من الغلو فحذرها؛ فإن الغلو فيه سبب يجر ابن آدم إلىٰ ما حصل ممن قبلنا؛ وأكد النهي بأنه عبد الله ورسوله؛ فلا وصف أعظم من هذا، فعَلَامَ الأقوال التي لم ينزل الله بها من سلطان؟

حديث: «**إياكم والغلو...**»، وحديث: «**هلك المتنطعون**»: استشهد بهما المصنف لبيان هلاك المتنطعين والمتعمقين والمتكلفين، المجاوزين للحد، الغالين في الأمور، وفيهما النهي الصريح عن الغلو، وما كان مثله.

❊❊❊

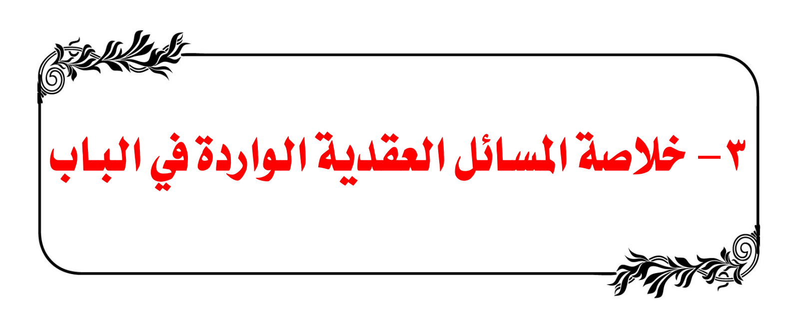


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ما جاء	أي: من الأدلة.
في الصالحين	من الأنبياء والأولياء وغيرهم.
أهل الكتاب	هم اليهود والنصارىٰ.
لا تغلوا في دينكم	لا تتعدوا ما حدَّد الله لكم.
لا تذرن آلهتكم	لا تتركوا عبادة أصنامكم.
ولا تذرن ودًّا...إلخ	أي: ولا تتركوا هؤلاء خصوصًا.
فلما هلكوا	أي: مات أولئك الصالحون.
أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم	أي: وسوس الشيطان وألقىٰ إليهم.
انصبوا	علقوا صورهم، أو أقيموا تماثيلهم.
أنصابًا	أي: أصنامًا مصورة علىٰ صورهم.
إذا هلك أولئك	أي: مات الجيل الذي نصبوا الصور.

ونسي العلم	أي: زالت المعرفة بأحكام الشرع، وغلب الجهال الذين لا يميزون بين الشرك والتوحيد.
عبدت	أي: عبد الجهال هذه الصور المنصوبة.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ الغلو وحكمه:

الغلو: مجاوزة الحد والإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد؛ فمن غلا في أحد من المخلوقين بأن أعطاه من حقوق الله شيئًا لا يشاركه فيه مشارك وهو الكمال المطلق، والغنىٰ المطلق، والشرف المطلق، من جميع الوجوه والعبادة؛ فقد ساوىٰ به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك، ومن رفع أحدًا من الصالحين فوق منزلته التي أنزله الله إياها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلىٰ الشرك.

ب- غلو أهل الكتاب في دينهم:

النصارىٰ غلوا في نبي الله عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورفعوه فوق مقام النبوة والرسالة في قولهم في عيسىٰ إنه ابن الله، وجعلوه إلهًا مع الله تعالىٰ، وهذا من أعظم البهت والكفر، وفي هذا تحذير للأمة أن تفعل كفعل النصارىٰ فتغلو في الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وترفعه فوق منزلته، التي أنزله الله إياها وهي الرسالة والنبوة، فلا يُدعىٰ من دون الله.

ج- أول شرك حدث في الأرض سببه الغلو في الصالحين:

ذكر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قصة حدوث الشرك في الأرض بعد آدم، حيث كان

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن بعده من ذريته كلهم علىٰ التوحيد عشرة قرون، ثم ذكر أن أناسًا صالحين من قوم نوح كانوا أهل عبادة وزهد، فلما ماتوا جاء الشيطان إلىٰ قومهم وأوحىٰ إليهم أن صوروا صورهم حتىٰ تتذكروا أعمالهم، وتفعلوا كفعلهم، وتزدادوا بذلك عبادة وصلاحًا؛ فلما مات من فعل ذلك لأجل الذكرىٰ والاقتداء بهم أتىٰ الشيطان إلىٰ من بعدهم، وقال: ما فعل ذلك أولئكم إلا لأنهم يعبدونهم، فغرر بهم فعبدوهم.

د- النهي عن إطراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إطرائه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»، والإطراء: هو المبالغة في المدح والكذب فيه، والمعنىٰ: لا تتجاوزوا الحد في مدحي بغير الواقع فيجركم ذلك إلىٰ الكفر كما جر النصارىٰ إليه لما تجاوزوا الحد في عيسىٰ فاتخذوه إلهًا، وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، ولا تخالفوا ما علمتكم.

والتنطع من الغلو؛ فإن التنطع: هو التعمق في الشيء، والتكلف فيه، ومجاوزة الحد في القول والفعل، والتشدد في غير موضع التشدد.

فالتنطع هو نوع من الغلو، كما أن الإطراء هو نوع من الغلو، فيجب الحذر من التنطع، والإطراء، لما فيه من الغلو والمبالغة والزيادة؛ لأنه قد يوصل إلىٰ الشرك المنافي للتوحيد، وخير الأمور الوسط، فلا غلو ولا جفاء.

هـ- كيفية معاملة الصالحين:

يجب محبة الصالحين وموالاتهم، والقيام بحقوقهم الحقيقية، والبراءة من الغلو فيهم، والبراءة من ادعاء عصمتهم، والصالحون أيضًا يتبرءون من أن يَدَّعوا لأنفسهم حقًّا من حقوق ربهم، كما قال الله تعالىٰ عن عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾.

والمخالفون في ذلك هم علىٰ صنفين:

أهل الجفاء: وهم الذين يهضمون حقوق الأنبياء والصالحين، ولا يقومون بحقهم من الحب، والموالاة والتوقير والتبجيل والاتباع بحق، والدعاء لهم، والثناء عليهم.

ب- **أهل الغلو**: وهم الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، ويرونهم وسائط بين الله وخلقه في العبادة، أو يرونهم وكلاء عن الله تعالىٰ، أو نحو ذلك من الأمور التي ليست هي لهم ولا إليهم.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١-الحث علىٰ لزوم الاعتدال في الدين، وعدم اتباع جانبي الإفراط والتفريط.

٢-أن الغلو في الصالحين سبب لعبادتهم من دون الله، وسبب في ترك الدين بالكلية.

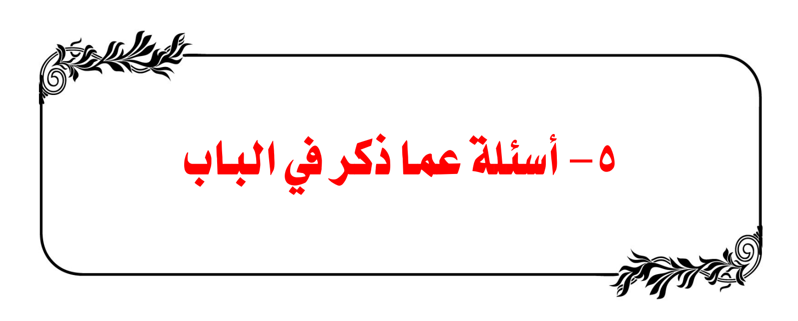
٣-التحذير من التصوير وتعليق الصور، ولا سيما صور العظماء، وأنها ذريعة إلىٰ الشرك.

٤-التحذير من مكر الشيطان وعرضه الباطل في صورة الحق.

٥-التحذير من البدع والمحدثات مهما كانت نية فاعلها حسنة.

٦-اندراس معالم التوحيد، وظهور معالم الشرك بذهاب العلم.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اذكر آية تنهىٰ عن الغلو.

س٢- كيف وقعت البشرية في الشرك؟

س٣- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٤- ما معنىٰ الكلمات التالية: (أهل الكتاب، لا تغلوا، أنصابًا)؟

س٥- من صور الغلو: الإطراء، والتنطع، فما معناهما؟

س٦- اذكر المخالفين في معاملة الصالحين؟

س٧- عَدِّد فوائد هذا الباب.

❁❁❁

٢٠- باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟!

١- في الصحيح، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: أن أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ذكرت لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور؛ فقال: «**أولئك إذا مات الرجل الصالح -أو العبد الصالح- بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[(١)].

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

٢- ولهما عنها قالت: «لما نُزِلَ برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتم بها كشفها؛ فقال وهو كذلك: **لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**، يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»[(٢)]. أخرجاه.

٣- ولمسلم عن جندب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: سمعت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلىٰ الله أن يكون لي منكم خليل؛**

(١) رواه البخاري حديث رقم (٤١٧)، ومسلم (١/ ٣٧٥-٣٧٦)، حديث رقم (٥٢٨).

(٢) رواه البخاري حديث رقم (٤٢٥)، ومسلم حديث رقم (٥٣١) عن عائشة، وابن عباس.

فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[(١)].

فقد نهىٰ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبْنَ مسجد، وهو معنىٰ قولها: «خشي أن يتخذ مسجدًا»؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا، وكل موضع يُصلىٰ قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا، بل كل موضع فيه يسمىٰ مسجدًا، كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[(٢)].

٤- ولأحمد بسند جيد، عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»[(٣)].

❊❊❊

(١) رواه مسلم حديث رقم (٥٣٢).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٦٨) حديث رقم (٤٢٨)، ومسلم (١/ ٣٧٠-٣٧١) حديث رقم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) «المسند» (١/ ٤٣٥)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (ص١٠٤)، حديث رقم (٣٤٠-٣٤١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان شدة التحذير من عبادة الله عند قبور الصالحين، والتحذير أشد من عبادتهم، فبين الأدلة الشرعية الواردة في ذلك.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا الباب لبيان ما جاء في الشرع من التغليظ في العبادة في المواضع التي لم يشرع العبادة فيها، كقبور الصالحين، فكيف بمن عبدهم؟ وصرف العبادة لهم؟

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن عبادة الله تعالىٰ في الأماكن التي لم تشرع وسيلة إلىٰ الشرك منهي عنها، وهذا فيه بيان أن الشرع جاء بسد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك، وهذا يفيد أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يبين أن الشرع جاء بسد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك.

د- مناسبة الباب:

لما سبق بيان نتيجة الغلو في الصالحين، وما يؤدي إليه من الشرك؛ ناسب

أن يبين هنا أن عبادة الأولياء والصالحين شرك أكبر ينافي التوحيد، وعبادة الله عند قبورهم وسيلة إلىٰ هذا الشرك الأكبر.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح**»: استشهد به المصنف ليبين شدة غضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعظيم تحذيره من طريقة أولئك القوم الضلال؛ وأنهم شرار الخلق.

الحديث الثاني: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ**»: بين المؤلف بهذا الحديث تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صنع اليهود والنصارىٰ، فحذر من اتخاذ القبور مساجد كما فعلوا، ونهىٰ عن ذلك أشد النهي، وأن ذلك سبب عظيم من أسباب لعنة الله.

الحديث الثالث: «**إني أبرأ إلىٰ الله**»: ذكره المصنف لما اشتمل من النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ومنع ذلك بطرق عدة:

أ- ذم ما فعلوه.

ب- قال: «**لا تتخذوا**».

ج- قال: «**فإني أنهاكم عن ذلك**»، وهذه مبالغة عظيمة منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النهي عن ذلك؛ لأنه وسيلة إلىٰ الشرك[1].

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١١٥).

الحديث الرابع: «**إن من شرار الناس...**»: أورده المصنف للتحذير من العبادة عند القبور، وأن ذلك فعل شرار الناس؛ كما بين النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك.

❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ذكرت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	أي: في مرض موته.
كنيسة	معبد النصارىٰ.
أولئكِ	بكسر الكاف، خطاب لأم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
بنوا علىٰ قبره مسجدًا	جعلوه موضعًا للصلاة.
تلك الصور	أي: التي ذكرتها أم سلمة.
فهؤلاء...إلخ	هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكره المصنف توضيحًا للحديث.
التماثيل	الصور المجسمة.
لما نُزِل	بضم النون وكسر الزاي، أي: نزل به ملك الموت.
طفق	جعل وبدأ.
خميصة	كساء له أعلام؛ أي: خطوط.

اغتم بها	أي: غمته فاحتبس نفسه عن الخروج.
كشفها	أي: أزالها عن وجهه الشريف.
فقال وهو كذلك	أي: في هذه الحالة الحرجة يقاسي شدة النزع.
يحذر ما صنعوا	أي: لعنهم تحذيرًا لأمته أن تصنع مثل ما صنعوا.
ولولا ذلك	أي: لولا هذا التحذير من مشابهة النصارىٰ.
لأبرز قبره	أي: لدفن خارج بيته.
خشي أن يتخذ مسجدًا	أي: خيف من جعله مصلًّىٰ.
بخمس	أي: خمس ليالٍ.
إني أبرأ	أي: أمتنع وأنكر.
خليلًا	الخليل: هو المحبوب غاية المحبة.
أبا بكر	هو الصديق، عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفضل الصحابة بالإجماع، مات سنة (١٣هـ)، وله (٦٣ سنة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
من كان قبلكم	يعني: اليهود والنصارىٰ.
يتخذون قبور أنبيائهم مساجد	بالسجود لها، أو الصلاة عندها أو إليها، أو بناء المساجد والقباب عليها، فكل هذه الأمور ممنوعة.

شرار الناس	أشدهم أو أكثرهم شرًّا.
تدركهم الساعة	أي: مقدماتها؛ كخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها.
وهم أحياء	تمتد بهم الحياة إلىٰ هذا الوقت.
والذين يتخذون القبور مساجد	أي: بالصلاة عندها وإليها، أو يبنون عليها القباب والمشاهد.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم بناء المساجد على القبور:

بناء القبور على المساجد محرم وغير جائز[١]، والدليل قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

---

(١) لقد صرح جمع من أهل العلم، بأنه لا تجوز الصلاة عند القبور، وإن كان يصلي لله تعالىٰ؛ لأن الصلاة عند القبور من أعظم الأسباب الموصلة إلىٰ الشرك، واستدلوا علىٰ ذلك بالأحاديث التي تنهىٰ عن الصلاة عند القبور، فمن عبد الله تعالىٰ عند قبر؛ كصلاة، أو ذبح، ونحو ذلك فقد ارتكب أمرًا محرمًا؛ لأنه بذلك قد تذرع إلىٰ الوقوع في الشرك، وصار بذلك مضاهئًا للمشركين أهل الأوثان -وإن كانت نيته أنه يعبد الله تعالىٰ-؛ لأنه قد عبد الله في موضع لم يكن يجوز له أن يعبد الله تعالىٰ فيه خوفًا من الوقوع في الشرك أو حبائله، ووسائله، فكيف بمن عبد غير الله تعالىٰ من سجدة لغير الله، أو نذر لغير الله، أو استغاثة بغير الله تعالىٰ، ونحو ذلك.

انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٠٢)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ١٨٥-١٨٨)، و«زيارة القبور» للبركوي (٨، ٩، ١١، ١٥، ٣٨، ٣٩)، و«مجالس الأبرار» للرومي (١٢٣-١٢٧)، و«حجة الله البالغة» (١/ ١٩٣-١٩٤)، و«فتح المنان» (ص٤٧٧، ٥١٢، ٥٢٢)، و«غاية الأماني» (١/ ٢٦٨-٢/ ٣٢٨).

نقول: وكذلك الحكم في الدعاء؛ أي: الاستغاثة بالله تعالىٰ وطلب المدد منه عند القبور علىٰ ظن أن الدعاء عند القبور مستجاب وأنه مبارك، فقد صرح جمع من أئمة الإسلام الذين قد عرفوا الواقع وتمكنوا من فقه الواقع، وعرفوا حقيقة الشرك ووسائله، وعرفوا حقيقة التوحيد ومطالبه صرحوا بأنه لا يجوز لشخص أن يدعو الله تعالىٰ، ويطلب منه المدد، ويستغيث به =

«**أولئك شرار الخلق عند الله**».

ونهىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك كما في أحاديث الباب، ولعن فاعله، وهذا النهي يدل صراحة علىٰ التحريم.

ولا ينبغي الاستشهاد بفعل السلاطين والحكام علىٰ الشرع؛ فإن الوقائع ينبغي الاستدلال لها، ولا يجوز الاستدلال بها، ولما أدخل قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في توسعة المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك أنكره علماء عصره، ولكن حصل ما أخبر الله تعالىٰ عنه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوٓاْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ [الكهف:٢١].

ب- بناء المساجد علىٰ القبور من سنن اليهود والنصارىٰ:

بناء المساجد علىٰ القبور من سنن الأمم السابقة اليهود والنصارىٰ، فمن عادتهم أنهم إذا مات عندهم الرجل الصالح بنوا علىٰ قبره موضعًا للعبادة، وصوروا فيه صورته، وزينوا العبادة فيها وحولها، وأخبر -عليه الصلاة والسلام-

---

=

عند القبور؛ لأنه من وسائل الشرك، بل هذا من أعظم وسائل الشرك؛ فكيف إذا استغاث بأهل القبور؟ ولم يرد عن أحد من الصحابة أنه أتىٰ قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قبر رجل صالح آخر ودعا الله هناك؛ لأنهم كانوا يعرفون فقه الواقع وأنه من وسائل الشرك، والله المستعان.

انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٠٢)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ١٨٥-١٨٨)، و«زيارة القبور» للبركوي (٩-١٧، ٢٤-٢٧، ٣٤-٤٠-٤١، ٤٧)، و«مجالس الأبرار» للرومي (ص ١٢٤-١٢٦)، و«روح المعاني» (٦/ ١٢٥)، و«جلاء العينين» (ص٤٥٦-٤٦٠، ٤٨٣-٤٨٧، ٤٩٥-٤٩٦)، و«فتح المنان» (ص٣٥٧-٣٥٨)، و«غاية الأماني» (٢/ ٢٠٥).

أن هؤلاء الذين يعملون هذا هم أكثر الخلق شرًّا عند الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ج- شرار الخلق عند الله:

شرار الخلق عند الله هم الذين يبنون المساجد علىٰ القبور، ويصورون فيها الصور، وإنما كانوا شرار الخلق؛ لأنهم ظلموا أنفسهم وأضلوا غيرهم، وسَنُّوا لمن بعدهم الغلو في قبور الصالحين حتىٰ أفضىٰ إلىٰ عبادتهم من دون الله.

د- أول من بنىٰ المساجد علىٰ القبور في الإسلام:

أول من بنىٰ علىٰ القبور المساجد في الإسلام هم الرافضة، الذين غلوا في آل بيت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، وعبدوا تلك القبور مع الله تعالىٰ، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع الهجري علىٰ أيدي العبيديين في مصر، المسمين زورًا بالفاطميين، ثم قلدهم أناس من المنتسبين إلىٰ أهل السنة في كثير من بلاد المسلمين؛ وهم عامة المتصوفة.

فجمع هؤلاء بين تعظيم القبور، وتصوير صور الصالحين؛ فشابهوا أهل الكتاب في أعمالهم وأفعالهم.

هـ- حكم الصلاة عند القبور:

الصلاة عند القبور محرمة؛ لأنها وسيلة إلىٰ الشرك، وعبادة الأموات، واتخاذهم وسائط في العبادة، وسبب لدعائهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ[١].

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٩١).

و- فتنة القبور والتماثيل:

افتتنت الأمم السابقة بتعظيم القبور من بناء المساجد عليها، واستقبال القبور للصلاة والدعاء والسجود عندها، والنقوش عليها، وإرخاء الستور وإضاءتها بالسرج، وتصوير التصاوير والتماثيل.

وقد جمعوا في فعلهم هذا بين فتنتين عظيمتين محرمتين: فتنة تعظيم القبور، وفتنة التصاوير، ومن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون والذين يعظمون القبور[1].

---

(١) ولقد شدد أئمة الإسلام النكير علىٰ القبورية الذين يعبدون القبور وأهلها وافتتنوا بهذه الفتنة فقالوا: «وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما قال السلف من الصحابة والتابعين؛ فإن الشيطان ينصب لهم قبر رجل معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثنًا يُعبد من دون الله».

«إغاثة اللهفان» الموضع السابق، و«زيارة القبور» للبركوي (ص٥٢)، و«مجالس الأبرار» (ص١٣٠).

وقالوا: «ومن عظيم كيد الشيطان ما نصبه للناس من الأنصاب...، والنصب: كل ما نصب وعبد من دون الله من شجر، أو حجر، أو وثن، أو قبر، أو عمود، أو غير ذلك، فالواجب هدم ذلك كله ومحو أثره».

انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٢٦)، و«زيارة القبور» (ص٤٩-٥٢)، و«مجالس الأبرار» (ص ١٢٨-١٣٠).

وقالوا -في بيان خطر هذه الفتنة؛ أي: الافتتان بفتنة القبور والتماثيل-: «وهي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلىٰ النفوس من الشرك بشجر أو حجر».

«إغاثة اللهفان» الموضع السابق، و«زيارة القبور» (ص٩)، و«مجالس الأبرار» (ص١٢٤).

=

ز- زيارة القبور:

زيارة القبور للرجال علىٰ نوعين: مشروع وممنوع:

١- **أما المشروع**: فهو زيارة القبور علىٰ الوجه الشرعي، فيزورها المسلم ويدعو لأهلها ويتذكر الآخرة، وهذا القدر يحصل بقبر كل ميت، ويعلم أنه لا يبقىٰ بل عن قريب يفنىٰ، **وهذه الزيارة الشرعية مقيدة بقيدين:**

الأول: ألا يسافر إليها علىٰ وجه الخصوص.

الثاني: ألا يقول هجرًا ولا قولًا سخطًا، بل يدعو للأموات بالمغفرة والرضوان.

٢- **وأما الممنوع فهو نوعان:**

الأول: شرك أكبر؛ كدعاء أهل القبور، والاستغاثة بهم، وطلب الحوائج منهم، وجعلهم وسائط فيما يطلب من الله تعالىٰ؛ كأن يقول للميت: يا شيخ يا ولي اطلب من الله أن يفرج كربتي، ونحو ذلك مما فيه التجاء إلىٰ نفس

=

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان خطر الافتتان بعبادة القبور والتماثيل**: «ومن أعظم مكائد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس وما نجا إلا من لم يُرِد الله فتنته، ما أوحاه قديمًا وحديثًا إلىٰ حزبه وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتىٰ آل الأمر فيها إلىٰ أن عُبِد أربابها من دون الله، وعُبِدت قبورهم، واتخذت أوثانًا، وبنيت عليها الهياكل، وصورت أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور علىٰ أنها ظل، ثم جعلت أصنامًا وعبدت من دون الله». «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٦).

وقال: «فهؤلاء القبورية جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل». «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٧).

المقبور، وطلب من نفس الميت.

الثاني: وسيلة إلىٰ الشرك؛ كالتمسح بالقبور، والصلاة لله تعالىٰ عندها، وإسراجها، والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة، وهذا النوع محرم ومن الكبائر، ومن الوسائل المفضية إلىٰ الشرك، وفيه تشريع وابتداع؛ إذ شرع أماكن يتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ، وهذه الأماكن لم يشرعها الله تعالىٰ ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ح- شدة غضب الله علىٰ متخذي القبور مساجد:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يغضب إذا انتهكت محارمه، وأعظم ما يكون فيه انتهاك المحارم: الوقوع في الشرك؛ ولذا غضب ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -كما يليق به- علىٰ من اتخذ القبور مساجد، فكيف يكون غضبه علىٰ من عبدها من دون الله؟!

فغضب الله تعالىٰ إنما كان علىٰ هؤلاء؛ لأنهم صيروا القبور وسيلة لصرف الناس عن عبادة الله تعالىٰ؛ وهذه هي طريقة الأولين والآخرين، فهذه الوسائل المنهي عنها في الشرع تَجُر إلىٰ مثل هذه الغايات الوخيمة[1].

ط- ثبوت الخُلَّة لإبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-:

وصف الله نفسه بأنه يحب المؤمنين المحسنين المتقين؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١١٨).

وثبت لإبراهيم ولنبينا محمد -عليهما الصلاة والسلام- أعلىٰ مراتب المحبة، وهي الخُلَّة، كما صح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا**»[(١)].

ووصف الله تعالىٰ المحبة للمؤمنين والمطهرين والمتقين، والخُلَّة للخليلين إنما يثبت هذا الوصف كما يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته كسائر صفاته، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر؛ فالله تعالىٰ يُحِبُّ ويُحَبُّ، وليست المحبة كالمحبة؛ لأن القول في الصفات كالقول في الذات.

❊❊❊

(١) تقدم تخريجه (ص٣٤٩).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- المنع من عبادة الله عند قبور الصالحين؛ لأنها وسيلة إلىٰ الشرك، والعبادة عند القبور من فعل اليهود والنصارىٰ.

٢- التحذير من التصوير ونصب الصور؛ لأن ذلك وسيلة إلىٰ الشرك.

٣- أن من بنىٰ مسجدًا عند قبر رجل صالح فهو من شرار الخلق وإن حسنت نيته؛ لأن العمل مخالف للشرع، ولابد في قبول العمل وصلاحه من: الإخلاص لله تعالىٰ، والمتابعة لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤- أن البناء علىٰ القبور من كبائر الذنوب يستحق فاعله اللعن.

٥- إثبات الخلة والمحبة لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله.

٦- التحذير من التشبه باليهود والنصارىٰ.

٧- أن من اتخذ قبور الصالحين مساجد للصلاة فيها فهو من شرار الخلق، وإن كان قصده التقرب إلىٰ الله.

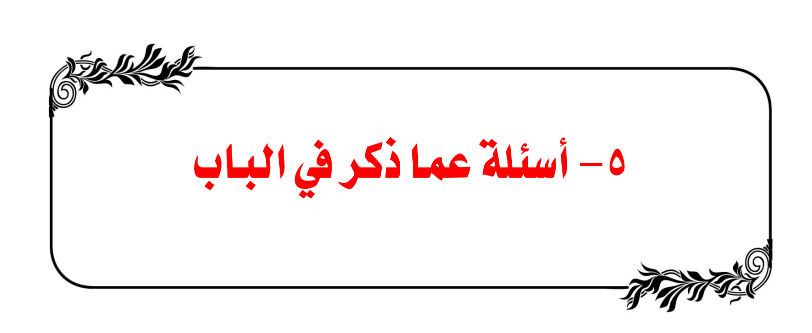
٨- أن الأفضلية في الإيمان والعمل الصالح فوق الأفضلية بالنسب؛ لأننا لو راعينا الأفضلية بالنسب لكان علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أحق من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»(١).

٩- حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ حماية جناب التوحيد، وذلك بتحذيره من الشرك ووسائله حتىٰ في مرض موته.

❀❀❀

(١) جزء من حديث طويل، رواه مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢٦٩٩).



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- بَيِّن غرض المصنف من ترجمة الباب.

س٢- اذكر حديث جندب الذي سمعه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت بخمس.

س٣- أكمل حديث: «**إن من شرار الخلق...**».

س٤- وضِّح معاني الكلمات: (كنيسة- خميصة- شرار الناس).

س٥- ما حكم البناء مطلقًا، أو بناء المساجد علىٰ القبور؟

س٦- لماذا منع الشرع من التعبد عند قبور الصالحين؟

س٧- الزيارة المشروعة مقيدة، بقيدين اذكرهما.

س٨- الزيارة الممنوعة نوعان: (شرك أكبر، وكبيرة محرمة)، بَيِّنهما.

س٩- من هما الخليلان؟

س١٠- بَيِّن بعض الفوائد من هذا الباب.

❀❀❀

٢١- باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله

١- روىٰ مالك في «الموطأ»: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١)(٢).

٢- ولابن جرير بسنده، عن سفيان عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩]. قال: «كان يلت لهم السويق، فمات فعكفوا علىٰ قبره»(٣).

---

(١) «الموطأ مع تنوير الحوالك» (١/ ١٨٥-١٨٦)، وروىٰ أحمد في «المسند» بنحوه (١/ ١٦٨).

(٢) **قال العلامة محمود شكري الآلوسي** رَحِمَهُ اللهُ: «الغلو في الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الأصنام والصالحين، كما كان في قوم نوح من عبادة لسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وود، ونحوهم، وكما كان من عبادة النصارىٰ للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ». «شرح مسائل الجاهلية» للآلوسي (٧١-٧٣).

وقال: «ومن خصال المشركين: الغلو في الصالحين من العلماء والأولياء، فاتخاذ أحبار الناس أربابًا يحللون ويحرمون ويتصرفون في الكون وينادون في دفع ضر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين، ثم سرت إلىٰ غيرهم من جاهلية العرب، ولهم بقايا في مشارق الأرض ومغاربها، وهم الغلاة في أهل القبور، فأصبح الدين منهم في أنين، والإسلام في بلاء مبين». «غاية الأماني» (١/ ٢٤).

(٣) «جامع البيان في تأويل آي القرآن» (٢٧/ ٣٥).

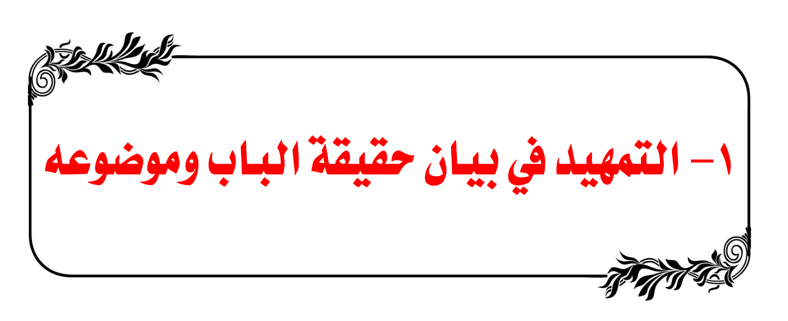
وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: «كان يلت السويق للحاج»[(١)].

٣- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[(٢)]. رواه أهل السنن.

❊❊❊

(١) رواه البخاري (٤/ ١٨٤)، حديث رقم (٤٥٧٨).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٣/ ٥٥٨) (ح٣٢٣٦)، والترمذي في «سننه» (٢/ ١٣٦-١٣٧) (ح٣٢٠)، وابن ماجه، (ح١٥٧٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٤).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان النصوص الشرعية التي تبين أن الغلو في قبور الصالحين سبب في جعلها أوثانًا تعبد من دون الله؛ فالغلو يجعل المغلو فيه معبودًا من دون الله.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الغلو وهو مجاوزة الحد في تعظيم قبور الصالحين يجعلها أوثانًا وآلهة تعبد من دون الله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف هو أن سبب وقوع الشرك إنما هو الغلو؛ فمن أراد البعد عن عبادة غير الله تعالىٰ فعليه بالبعد عن الغلو؛ لأنه سبب عظيم من أسباب وقوع الشرك.

د- مناسبة الباب:

بعد أن أوضح المصنف نتيجة الغلو وما يؤدي إليه من الشرك الأكبر؛ ناسب أن يبين هنا أن الغلو في القبور يجعلها أوثانًا تعبد ويستغاث بها وتدعىٰ من دون الله، فيجتنب الغلو فيهم وفي قبورهم؛ لأن ذلك كله وسيلة للشرك.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا**»: استدل به المصنف للدلالة علىٰ أن القبور قد تصير أوثانًا، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف أن يقع في أمته ما وقع لغيره من الأمم السابقة؛ فتجعل قبره وثنًا يعبد من دون الله، ولذلك دعا الله تعالىٰ.

وأما أثر مجاهد: ففيه التصريح بأن اللات كان رجلًا صالحًا، وأن تعظيمه، والعكوف علىٰ قبره، والغلو فيه، كان سببًا في وقوع الناس في الشرك الأكبر.

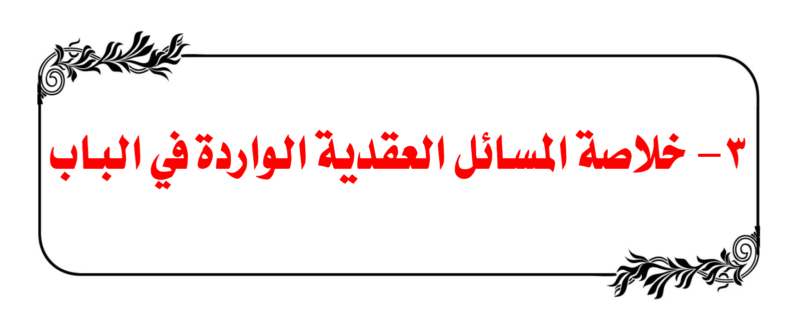
حديث ابن عباس مرفوعًا: «لعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائرات القبور...»: أورده المصنف؛ لأن فيه تصريح لعن الزائرات للقبور، والمتخذين السرج عليها؛ لأن ذلك تعظيم للمقبور، يخشىٰ منه الوقوع في الشرك، وأن تكون سببًا في الشرك الأكبر.





٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
اللهم	معناها: يا ألله.
وثنًا	هو المعبود الذي لا صورة له؛ كالقبور، والأشجار، والحيطان، والأحجار، ونحوها.
قوم	اليهود والنصارىٰ، ومن تشبه بهم في هذا العمل.
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	اعتادوا الصلاة عندها تعظيمًا لها، وظنًّا منهم أن للصلاة عندها فضيلة.
اللات	وصف لرجل صالح.
يلت	يخلط السويق بالسمن ونحوه.
السويق	دقيق الشعير.
للحاج	أي: يتصدق بالسويق علىٰ الحجاج.
عكفوا	أقاموا والتزموا.
اللعن	الطرد والإبعاد عن رحمة الله.
والسرج	أي: القناديل والمصابيح التي يضاء بها.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الغلو يجعل المغلو فيه معبودًا من دون الله:

إن الغلو عواقبه وخيمة؛ فإنه قد يؤدي إلىٰ الشرك الأكبر؛ خصوصًا إذا كان الغلو في الصالحين، وقبورهم؛ كما غلا أناس في صالحي قوم نوح صارت قبورهم وصورهم بعد ذلك أوثانًا تعبد من دون الله.

وهكذا الحال في كل مقبور غُلِيَ فيه تجد أن صورته، أو قبره، قد أصبح وثنًا يُعبد من دون الله، مثل: قبر الحسين في العراق، وقبر السيدة زينب في مصر، وقبر البدوي، وقبر النقشبندي وغيرهم.

وهكذا فعل طائفة من هذه الأمة غلت في النبي ﷺ حتىٰ عبدوه من دون الله؛ فصاروا يسألونه الحاجات، ويطلبون منه الشفاعات.

ب- خوف الرسول ﷺ علىٰ أمته من الغلو في قبره:

إن النبي ﷺ خاف أن يقع من أمته ما وقع لغيرهم من الأمم السابقة فيجعلوا قبره وثنًا يعبد من دون الله؛ فدعا ﷺ الله ربه قائلًا: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد**»، وقد استجاب الله دعاء نبيه فحمىٰ قبره بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه.

ج- الغلو في قبر اللات جعله وثنًا يعبد:

اللات وصف لرجل صالح من الأمم السابقة كان يلت السويق للحاج؛ فمات فعكفوا علىٰ قبره حتىٰ عبدوه، وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين، فالغلو في تعظيم الصالحين، وفي تعظيم قبور الصالحين، والعكوف عليها يؤدي إلىٰ الشرك المنافي للتوحيد.

د- اتخاذ السرج علىٰ القبور معناه وحكمه:

معناه: إضاءتها بالمصابيح، وهو محرم؛ لأن فيه إضاعة للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام من جهة، وذلك وسيلة إلىٰ الشرك من جهة أخرىٰ، وهذا الفعل من الكبائر الملعون فاعله، كما هو نص الحديث الذي ذكره المصنف في هذا الباب بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليه المساجد والسرج».

هـ- لعن زائرات القبور:

ظاهر حديث ابن عباس: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور»: يدل علىٰ تحريم زيارة المقابر للنساء، وهو مذهب أحمد، وجماعة من أهل العلم، **والسبب في منع النساء من الزيارة:**

١- لأنهن يجزعن ويندبن ويَنُحْن؛ فيؤذين الميت، ويذكرن الحي فيحصل تجديد للحزن، وتذكير بالغم.

٢- لأنهن يفتن الحي.



قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما علمنا أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء علىٰ عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وخلفائه الراشدين يخرجن إلىٰ زيارة القبور، ويؤيده ما في الصحيح أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ النساء عن اتباع الجنائز»[1].

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه حرمة زيارة القبور علىٰ النساء علىٰ الصحيح للأدلة، وكما في حديث حسان بن ثابت، وأبي هريرة بمعناه؛ فزيارة القبور مختصة بالرجال»[2].

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢٤/ ٣٤٥).

(٢) «تعليقات الشيخ ابن باز علىٰ كتاب التوحيد» (ص١١٩).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن الغلو في قبور الأنبياء وغيرهم يجعلها أوثانًا تعبد.

٢- أن من الغلو في القبور اتخاذها مساجد.

٣- تحريم تنوير المقابر وإضاءتها؛ لأن ذلك وسيلة لعبادتها.

٤- أن الغلو في القبور من الكبائر، وقد يصير شركًا.

٥- أن علة النهي عن الصلاة عند القبور هي خوف الشرك.

٦- إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ وأنها حق علىٰ حقيقتها وأنها تتفاوت.

٧- ثبوت اللعن لزوارات القبور.

❁❁❁



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اذكر عنوان الباب الذي ترجم به المصنف.

س٢- أكمل حديث: «**لعن الله زائرات القبور...**».

س٣- ما معنىٰ: (يلت- السويق- عكفوا)؟

س٤- بماذا دعا النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه لقبره؟

س٥- ما حكم اتخاذ السرج علىٰ القبور؟

س٦- علىٰ أي شيء يدل لعن زائرات القبور؟

س٧- بَيِّن بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك(١)

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني**

---

(١) لقد صرح كثير من علماء الإسلام ببيان أهمية التوحيد، وضرورة صيانته، وحمىٰ حماه، كما صرحوا بالتحذير من الشرك وخطره، وأكدوا علىٰ وجوب سد كل ذريعة توصل إلىٰ الشرك؛ كالصلاة عند القبور، وبناء المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها، وربط الخيوط والمسامير بها، والتبرك بكل ما لم يرد التبرك به في الشرع، والسفر إلىٰ القبور، وشد الرحال إليها، والحج إليها، والعكوف عليها، ونحو ذلك من الوسائل التي توقع الإنسان في الشرك، أو تتدرج به إليه، كل ذلك لأجل أن التوحيد غالٍ ثمين لا يقدر بالأثمان، وأنه يجب صيانته بكل ما يمكن، وأنه يجب سد كل ذريعة ووصيلة ووسيلة إلىٰ الشرك.
انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٦-٣٤٤)، وكتاب «زيارة القبور» للبركوي.

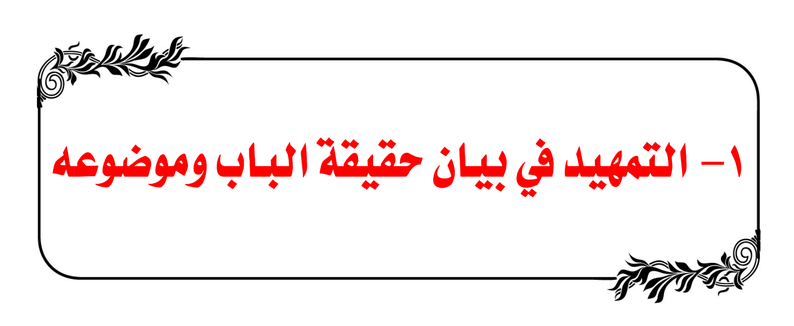
حيث كنتم»[(١)]. رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

٣- وعن علي بن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي؛ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**»[(٢)]. رواه في «المختارة».

❊❊❊

(١) في «سننه» (٢/ ٥٣٤)، كتاب المناسك، (ح٢٠٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٧)، والطبراني في «الأوسط» (ح٨٠٢٦).

(٢) «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٢/ ٤٩) (ح٤٢٨)، ورواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (١/ ٣٦١) (ح٤٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح٣٧٨٥).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو بيان حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوحيد من جهة الأفعال، وسيأتي ترجمة أخرىٰ في بيان حمايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد من جهة الأقوال؛ فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمىٰ التوحيد من الجهتين: الأفعال، والأقوال، حتىٰ يحذر الناس من الوقوع في الشرك وما يوصل إليه.

ب- شرح ترجمة الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان ما جاء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التوحيد وحمايته له من الأقوال والأفعال الشركية؛ أي: حمايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد بالتحذير من الشرك وما يوصل إليه من أقوال وأفعال، فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ جناب التوحيد، وسد كل الطرق الموصلة إلىٰ الشرك، وهذا يعني وضوح التوحيد، وجمال بيانه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له؛ فإنه إذا كان قد حمىٰ جناب التوحيد فإن بيانه للتوحيد أوضح وأجلىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

مقصود المصنف بيان أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغ البلاغ المبين، وأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما بيَّن التوحيد فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ما يحميه من كل ناقض

أو ناقص، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يترك شيئًا يهدم جنابه أو يشينه إلا وبينه.

د- مناسبة الباب:

لما بين المصنف في الأبواب السابقة بعض الأمور التي تدل علىٰ بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد، وبيان ما ينقضه أو ينقصه ناسب أن يذكر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ جوانب التوحيد، فليس لأحد أن يقول: لا، هذا لم يبينه، أو هذا تركه، أو هذا الباب يؤخذ من العقل، أو يؤخذ من الذوق، أو يؤخذ من أصحاب النحلة، أو نحو ذلك.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: استدل به المصنف علىٰ بيان شدة حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه رحيم بأمته، وهذا يلزم منه أن يبين كل ما يوقعهم في الردىٰ، ومن أعظم ذلك بيانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد، وضده، وبيانه لأسباب ووسائل الشرك، وطرقه؛ فقد نهىٰ عن أمور كثيرة تؤدي إلىٰ الشرك؛ كالغلو، والعبادة عند الأوثان، ومعاقل الجاهلية، وتعظيم القبور، واتخاذ الصور، ونحو ذلك مما هو وسيلة إلىٰ الشرك[1].

وأما حديث: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»: استشهد به المصنف؛ لأنه أفاد ألا تجعل البيوت قبورًا، فمنع من تعطيلها من الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، وهذا فيه الدلالة علىٰ أن القبور لا يصلىٰ فيها، ولا تعظم،

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص٩٥).

بل ولا يُعيَّنُ وقتٌ لزيارتها؛ كالأعياد والجمع، فإن ذلك من اتخاذها عيدًا[١]، وكذلك أثر عليٍّ يدل علىٰ ما دل عليه الحديث.

❊❊❊

(١) انظر: المصدر السابق (ص٩٦).

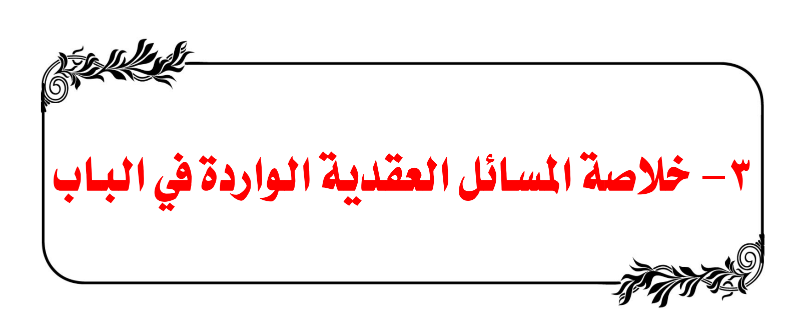


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
المصطفىٰ	الاصطفاء بمعنىٰ الاختيار، والمختار هنا النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
جناب	أي: جانب، وهو بمعنىٰ طرف الشيء.
جاءكم	أرسل إليكم يا معشر العرب.
من أنفسكم	من جنسكم بشرًا، وبلغتكم عربيًّا.
عزيز عليه	أي: شديد عليه جدًّا.
ما عنتم	ما يشق عليكم ويلحق الأذىٰ بكم، ويؤدي إلىٰ العنت.
حريص عليكم	أي: شديد الرغبة في هدايتكم.
رءوف	بليغ الشفقة.
رحيم	بليغ الرحمة.
لا تجعلوا بيوتكم قبورًا	لا تعطلوها عن الصلاة، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور.

عيدًا	العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان.
وصلوا علي	قولوا: اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.
فرجة	فتحة في جدار الحجرة النبوية.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- رأفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته، وحرصه علىٰ إبعادهم عن الشرك:

أرسل الله للأمة كلها ولقريش خاصة رسولًا منهم، يعرفونه ويعرفون نسبه، ويعلمون صدقه وأمانته، رءوف بالمؤمنين عطوف عليهم، شديد علىٰ الكفار والمشركين، حريص علىٰ هدايتهم وإسلامهم، فأمرهم بالتوحيد، وحث الناس علىٰ الاستقامة عليه، وحذر من الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبالغ في نهيهم عنه، وبين لهم وسائله الموصلة إليه.

ولا أدل علىٰ ذلك من تصويره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ضرب من المثل لنفسه وأمته بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مثلي كمثل رجل استوقد نارًا؛ فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش، وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه، فيقتحمن فيها. قال: فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحمون فيها**»[(١)].

فهذه كانت صفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاله، فالواجب اتباعه ومحبته.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٢٦)، ومسلم، واللفظ له (ح٢٢٨٤).

ب- معنىٰ حماية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد:

المراد بالحماية: صيانته عما يقرب منه، أو يخالطه من الشرك، وأسبابه، وقد بذل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: «الجناب هو الجانب، واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئًا من حمايته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة.

ولقد بالغ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحذَّر وأنذر وأبدأ وأعاد، وخص وعم، في حماية الحنيفية السمحة، التي بعثه الله بها؛ فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل؛ كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل»[(١)].

ج- مشروعية أداء النوافل في البيوت:

رَغَّبَ الشارع في أداء النوافل في البيوت؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**»؛ أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها والقراءة فتكون بمنزلة القبور، وهذا فيه أن البيوت ينبغي أن يجعل فيها النوافل، وقراءة القرآن، والذكر، وأما المقابر فهي مهجورة عن الصلاة، وقراءة القرآن، والذكر؛ فلا ينبغي فعل هذه العبادات إلا في الأماكن التي شرعها الله عَزَّوَجَلَّ أو شرعها رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٤٧-٣٤٨).

فشرع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبادة في البيوت تفريقًا بينها وبين المقابر التي لا يُعبد الله فيها.

د- زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إن زيارة القبور بوجه عام شرعت لهدفين:

الأول: الاعتبار وتذكر الموت والآخرة.

والثاني: الدعاء لأهلها والاستغفار لهم.

وأما زيارة قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصوصًا بمعنىٰ: شد الرحال إليها، والسفر لأجلها، فإنها غير مشروعة، وإنما المشروع شد الرحال لزيارة مسجده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصلاة فيه؛ كما ثبت أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغب في ذلك، ولم يرغب في السفر إلىٰ قبره وإلىٰ قبر غيره، ويسن لمن أتاه أن يأتي الحجرة النبوية، فيصلي ويسلم علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه أبي بكر وعمر ويترحم عليهما، من غير تمسح بالقبر، ولا تقبيل، ولا غيره، فإنه من الغلو المؤدي إلىٰ الوقوع في الشرك.

فإذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ حماية منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجناب التوحيد من أن يجعل مكان قبره عيدًا وموضعًا للاجتماع، فكيف بغيره من الخلق؛ فمن باب أولىٰ ألا تتخذ قبورهم أعيادًا، ولا يجوز الاجتماع عندها كما يزعم من الاجتماعات والاحتفالات عند قبور بعض الصلحاء ويسمونها الموالد، وغير ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ:٢١].

هـ- أهل آل بيت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهون عن اتخاذ القبر عيدًا:

أنكر علي بن الحسين علىٰ الرجل في الأثر السابق، وبين له أن هذا ليس بمشروع، وأن التسليم علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون من كل مكان، وفي حال المرور علىٰ المدينة، دون قصد زيارة القبر، ولا الجلوس عنده.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه سنة جاءت عن أهل البيت، وكلهم بينوا أن اتخاذ القبر عيدًا وسيلة إلىٰ الشرك، إذا عكفوا عنده، وصلوا عنده، ودعوا عنده، جَرَّهم هذا إلىٰ الشرك والغلو؛ فحسم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المادة، ومن اتخاذ القبور مساجد، والبناء عليها تجصيصًا وفرشها يؤدي إلىٰ اعتقاد العامة أنها معظمة، وأنها تنفع، وكل هذا قد وقع مع أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمىٰ جناب التوحيد»[(١)].

و- الصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحسن القربات:

شرع الله تعالىٰ الصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرشدنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نكثر من الصلاة عليه؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**صلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، أي: إن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه؛ فلا حاجة لكم إلىٰ اتخاذه عيدًا ترددون إليه لأجل ذلك، وهذا صريح بأنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَلَّغُ الصلاة والسلام، وقد وردت صيغ عدة للصلاة والسلام، ومنها صيغة: «**اللهم صَلِّ**

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٢٣).

علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

وفي مشروعية الصلاة والسلام علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إشارة إلىٰ أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدعىٰ له ويُطلب له، وهذا من حقه علينا أن نطلب له المنزلة الرفيعة، والدرجة العالية، لا أن نأتي القبر فندعو ونطلب منه؛ فإن ذلك من البدع والشرك، وفرق بين الطلب له والطلب منه.

❁❁❁

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- التنبيه علىٰ نعمة الله علىٰ عباده بإرسال هذا الرسول الكريم إليهم وكونه منهم.

٢- مدح نسب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من صميم العرب، وأشرفهم بيتًا ونسبًا.

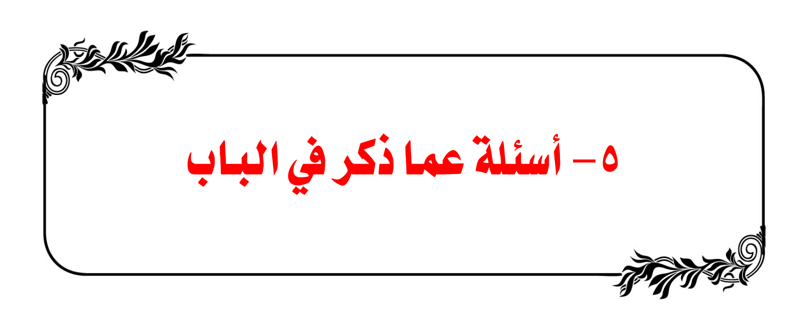
٣- بيان رأفته ورحمته بالمؤمنين.

٤- سد الطرق المفضية إلىٰ الشرك؛ من الصلاة عند القبور، والغلو في قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥- مشروعية الصلاة والسلام علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أنحاء الأرض.

٦- المنع من السفر لزيارة قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن إذا زار المسجد النبوي وصلىٰ فيه، فإنه يزور قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقف تجاهه ويقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته، ثم يسلم علىٰ صاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثم ينصرف.

٧- النهي عن الدعاء عند قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبر غيره من باب أولىٰ.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما مناسبة هذا الباب للأبواب السابقة؟

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (جَناب- من أنفسكم- ما عنتم- عيدًا).

س٣- لماذا رغَّب الشارع في العبادة في البيوت؟

س٤- بيِّن كيفية زيارة قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومتىٰ يكون مشروعًا؟

س٥- اذكر صيغة للصلاة والسلام علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س٦- عدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

٣- وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

٤- عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**[1]**، حذو القذة بالقذة، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.**

(١) لقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان؛ فلقد صدق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدوق، المصدق الأمين، المؤتمن الناصح، وقد أنذر وحذر كما أنه بلغ وبشر؛ فأنت ترىٰ أن بعض المسلمين اليوم جعلوا القبور أوثانًا يعبدونها من دون الله، وهذا أمر محسوس وملموس في مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، عربها وعجمها، فرسها وبربرها، وتُركها وصينها.

=

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: **فمن؟**»[(١)]. أخرجاه.

٥- ولمسلم، عن ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة بعامة، وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة، وألا أسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**»[(٢)].

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلىٰ يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتىٰ يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتىٰ تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه**

=

قال العلامة الآلوسي المفسر مفتي الحنفية ببغداد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: «ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها، المعتقدون للنفع والضر ممن الله أعلم بحاله فيها، وهم اليوم أكثر من الدود». «روح المعاني» (١٣/ ٦٧).

وقال العلامة ولي الله الدهلوي مبيناً كثرة القبورية علىٰ وجه الأرض: «فلست أرىٰ أحدًا إلا وفيه الإشراك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾». «البدور البازغة» (ص١٢٦).

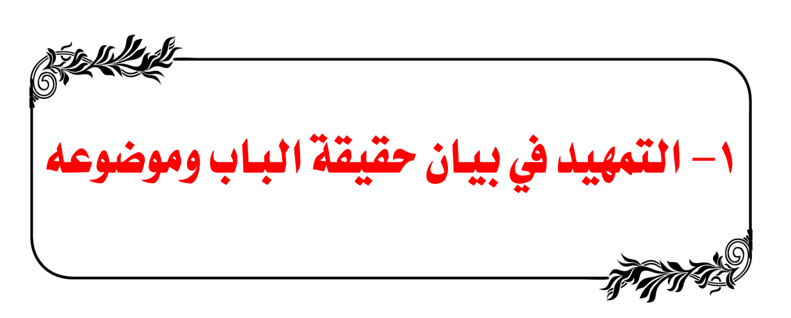
(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦٦٩) (ح٦٨٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) (ح٢٦٦٩).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩).

سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) «سنن أبي داود» (٤/ ٤٥١-٤٥٢) (ح٤٢٥٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢/ ١٣٠٤) (ح٣٩٥٢)، و«مسند الإمام أحمد» (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (ح١٧٧٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو الاستدلال علىٰ وقوع الشرك في هذه الأمة، وأن بعض هذه الأمة ستعبد الأصنام، وأن طوائف من هذه الأمة ستلحق بالمشركين، فإنها غير معصومة بأفرادها عن الوقوع في الشرك.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا الباب أراد به المصنف بيان الأدلة الدالة علىٰ أن الشرك ليس حصرًا علىٰ المشركين، وأن المسلمين قد يقع منهم الشرك.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

مقصود المؤلف التحذير من الشرك والتخويف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، وأنها غير معصومة من الوقوع في الشرك، وهذا جلي واضح، ولكن لما أنكر أقوام ذلك بوب عليه المصنف حتىٰ لا يغتر مغتر، ولا يقع العجب؛ فيترك الناس معرفة التوحيد بحجة أنه لا يقع في الأمة.

د- مناسبة الباب:

لما بين المصنف أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد، وحمىٰ جنابه، أكد

ذلك ببيان تحذيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته من الوقوع في الشرك، وأن الشرك واقع فينبغي الحذر منه، وهذا من تمام المناسبة؛ حيث إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّن التوحيد، وبَيَّن الشرك، وبَيَّن مُكَمِّلات التوحيد، وبين نواقض ونواقص التوحيد، وبين وقوع بعض هذه الأمة في الشرك، كل ذلك من حمايته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾: ذكرها المصنف للدلالة علىٰ أن الذين أوتوا الكتاب من قبلنا وهم اليهود والنصارىٰ وقعوا في الشرك، والإيمان بالجبت والطاغوت، وتزيين الباطل للناس؛ فهذا خبر الله عن أهل الكتاب، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخبر أن هذه الأمة ستتبع سنن الذين من قبل؛ فهذا دليل واضح علىٰ وقوع بعض هذه الأمة في الشرك، وعبادة الطواغيت، وتزيين الباطل للناس تحت أي مسمًّىٰ كان.

الآية الثانية: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: أوردها للدلالة علىٰ أن من أهل الكتاب من عبد الطاغوت، وأنهم استوجبوا لعنة الله وغضبه لذلك، وكذلك من يتبعهم من هذه الأمة فإنهم سيقعون في عبادة الطاغوت، ويستوجبون بأفعالهم لعنة الله وغضبه، ويخرجون من التوحيد، ومن رحمة الله.

الآية الثالثة: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: ذكرها لأنها أفادت أن الأمم السابقة منهم من اتخذ المساجد علىٰ القبور، وهم الذين كانت لهم الغلبة، فكذلك يكون في هذه الأمة.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وقع في آخر القرن الأول من الرافضة الذين بنوا المساجد، وعظموا القبور، ثم تبعهم من يدعي الإسلام كما هو حال المسلمين»[١].

وأما حديث أبي سعيد: وفيه: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»: بين به المؤلف أن هذه الأمة ستسلك طريق من قبلهم فيما فعلوه، ومن ذلك دعاء الأموات، وعبادة الأوثان، والبناء علىٰ القبور...إلخ.

حديث ثوبان: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يلحق فئام من أمتي بالمشركين**»: فيه الدلالة علىٰ أن من هذه الأمة من سيعبد الأصنام، وأنهم يشركون بالله، ويكون كالمشركين.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدل علىٰ أن الشرك سيقع في هذه الأمة، وقد حصل، وهذه هي الوثنية حصلت في جزيرة العرب وغيرها»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص١٢٩).

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الأوثان	جمع وثن، وهو المعبود من دون الله؛ كالقبور والأشجار والأحجار وغيرها.
ألم تر	ألم تنظر.
الذين أوتوا	أعطوا، وهم اليهود والنصارىٰ.
نصيبًا	حظًّا.
يؤمنون	يصدقون.
بالجبت	هو كلمة تقع علىٰ الصنم والكاهن والساحر.
والطاغوت	مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ومن ذلك مجاوزة الحد في مخلوق وعبادته مع الله تعالىٰ كعبادة وطاعة الشيطان.
مثوبة عند الله	أي: جزاء عند الله يوم القيامة.
من لعنه الله	طرده وأبعده عن رحمته.
وغضب عليه	بسبب كفره ومعاصيه، والغضب ضد الرضا.

وجعل منهم القردة والخنازير	وهم أصحاب السبت من اليهود، مسخهم الله قردة. أي: مسخهم خنازير، وهم كفار مائدة عيسىٰ من النصارىٰ الذين كفروا بعد رؤيتهم للمائدة، وقيل: كلا المسخين في أصحاب السبت من اليهود، فالشباب مسخوا قردة والشيوخ مسخوا خنازير عقوبة لهم.
وعبد الطاغوت	أي: وجعل منهم من عبد الشيطان، أي: أطاعه فيما سَوَّل له من الشرك والكفر.
الذين غلبوا علىٰ أمرهم	أي: علىٰ أمر أصحاب الكهف، وهم أصحاب الكلمة والنفوذ.
لنتخذن عليهم	لنجعلن حولهم.
مسجدًا	يصلىٰ فيه ويقصدهم الناس ويتبركون بهم.
لتتبعن	أي: سيكون في هذه الأمة من يقلد الأمم السابقة.
سنن	أي: طرق.
حذو القذة بالقذة	أي: كما تساوي بريشة السهم ريشته الأخرىٰ، والقذة: السهم.
حتىٰ لو دخلوا جحر	أي: لو تصور دخولهم فيه مع ضيقه.
ضب	ذكر الضب تشبهًا بهم لشدة سلوككم طريق من قبلكم.
لدخلتموه	أي: لتبعتموه.

اليهود والنصارىٰ	أي: أتعني هؤلاء؟
قال: فمن؟	استفهام إنكاري، أي: فمن هم غير أولئك؟
زوىٰ لي الأرض	طواها وجعلها مجموعة.
الكنزين	كنز كسرىٰ: وهو ملك الفرس، وكنز قيصر: وهو ملك الروم.
الأحمر	عبارة عن كنز قيصر؛ لأن الغالب عندهم كان الذهب.
والأبيض	عبارة عن كنز كسرىٰ؛ لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة والأحمر والأبيض من الأحجار.
وإذا قضيت قضاء	المراد بالقضاء في الحديث: القضاء الكوني.
لا يرد	لا أحد يستطيع رده مهما كان من الكفر والفسوق، فقضاء الله نافذ علىٰ أكبر الناس عتوًّا واستكبارًا، فقد نفذ علىٰ فرعون وأغرق بالماء الذي كان يفتخر به، وعلىٰ طواغيت بني آدم فأهلكهم الله ودمرهم.
بسنة	السَّنة: الجدب.
بعامة	أي: جدب عام يكون به الهلاك العام.
من سوىٰ أنفسهم	أي: من غير الكفار.
بيضتهم	معظمهم وجماعتهم وأصلهم.

حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا	أي: حين يظهر قتال بعضهم لبعض فيسلط عليهم عدوهم.
الأئمة المضلين	أي: الأمراء، والعلماء، والعُبَّاد الذين يقتدي بهم الناس في الضلالة.
وإذا وقع عليهم السيف	أي: إذا وقعت الفتنة والقتال بينهم.
يلحق حي من أمتي	الحي: واحد الأحياء، وهي القبائل.
بالمشركين	أي: ينزلون معهم في ديارهم.
فئام	أي: جماعات.
خاتم النبيين	آخر النبيين.
حتىٰ يأتي أمر الله	الظاهر أن المراد به: الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين.
تبارك	كمل وتعاظم وتقدس، ولا يقال هذا اللفظ إلا لله.
وتعالىٰ	تعاظم وتعالىٰ عن الشريك والند والكفؤ وكل نقص وعيب.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- سبب نزول الآية الأولىٰ:

روىٰ ابن أبي حاتم بسنده، عن عكرمة قال: «جاء حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان إلىٰ أهل مكة، فقالوا لهما: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم، فأخبرونا عنا، وعن محمد؛ فقالا: أنتم خير وأهدىٰ سبيلًا، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾»[(١)].

ب- ما وقع في الأمم السابقة من الشرك، وبناء المساجد علىٰ القبور، وقع في هذه الأمة كما أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بعض هذه الأمة ستتبع طرق الأمم السالفة، وتماثلها وتساويها في جميع ما عملته، وتقلدها؛ ففيهم أناس تشبهوا بالنصارىٰ في غلوها، وكذا اليهود في التعظيم للصالحين، والغلو فيهم، بل وعبادة القبور، واتخاذها مساجد، وإذا ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب؛ فإنها ستبني المساجد علىٰ القبور مع التعظيم والغلو فيها، وسيؤدي بهم ذلك إلىٰ عبادة أصحابها، وقد

---

(١) كما ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٨٠).

حدث هذا بالفعل في بعض بلاد الإسلام، وابتلي به كثير من الناس، فالله المستعان.

فإن كان حصل التشبه بالكفار في أصل الدين وأساسه وهو التوحيد والنبوات فكيف بما دونه؟!

ألم يقع في الأمة من بعض الناس التشبه بالكفار في المآكل والمشارب والملبس والمسكن، وكذلك التشبه بالكفار في الأحكام والقوانين والأوضاع، والتشبه بالكفار في اللهو واللعب؟!

وإذا وقع التشبه بالكفار في التوحيد الذي هو أساس الدين فإن وقوع التشبه بالكفار فيما دون ذلك أمر وارد وعادي، وإن البعد عن التشبه بالكفار في الأمور العادية والعبادية سبب عظم من أسباب الحفاظ علىٰ الدين وعلىٰ التوحيد، وعلىٰ الهوية الإسلامية، والشخصية السُّنِّية السَّنِيَّة.

ج- صفات اليهود الواردة في الآية:

١- الإيمان بالجبت كلمة تقع علىٰ السحر ونحوه من كل شرك وكفر وباطل.

٢- الإيمان بالطاغوت، وهو كل ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، ورأسهم ورئيسهم إبليس.

٣- تفضيل دين الكفار علىٰ دين المؤمنين ولو ظاهرًا استكبارًا وعنادًا وصدًّا.

٤- استبدال دينهم بما ذكر من الأمور السابقة.

د- التشبه باليهود والنصارىٰ:

أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بعض هذه الأمة ستقلد الأمم السابقة في عباداتها، وسياساتها، وديانتها، وأنها ستحاول مشابهتهم في كل شيء، كما تُشبه ريشة السهم بالريشة الأخرىٰ، ثم أكد هذه المشابهة والمتابعة بأن الأمم السابقة لو دخلت جحر ضب مع ضيقه وظلمته لحاولت هذه الأمة دخوله.

ولقد وقع الأمر كما أخبر صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمامًا، فأصبح عامة المسلمين يقلدون الكفار في معظم أمور حياتهم حتىٰ ابتدعوا في دينهم بدعًا كثيرة، مثلما فعل أهل الكتاب من قبلهم، وغلوا في دينهم كما غلا أهل الكتاب من قبلهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والعجب أن هذه الأمة قد علمت بنصوص الكتاب والسنة بأن أهل الكتاب أمة محرفة مغيرة مبدلة، ومع ذلك يقع منها الاتباع لهم، أليس الله تعالىٰ قد جعل منهم القردة والخنازير؟! فكيف نتبعهم؟!

إن هذا التقليد الأعمىٰ لأهل الكتابين إنما سببه الجهل في المسلمين بحقيقة الدين الذي جاء به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الدين الكامل الذي تركه المصطفىٰ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الدين الباقي في الوحيين: الكتاب والسنة، والحجة قائمة بهما، والنصر علىٰ الأعداء والكفار يكون بالرجوع إليهما.

وحكم التشبه بالكفار إنما يكون بحسب ما تشبه به لهم: فقد يكون اتباع أهل الكتاب في أمر يسير وهو من التشبه، وقد يكون في أمر كبير وهو من

التشبه، وقد يكون في الابتداع وهو من التشبه، وقد يكون في الكفر والشرك وهو من التشبه؛ فالكل تشبه، إلا أن بعض التشبه دون بعض، وإن كان الشرع حرم الكل، ومنع من الكل سدًّا للذرائع، واللفظ فيه عام: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١).

فالتشبه قد يكون كفرًا، وقد يكون بدعة، وقد يكون كبيرة، وقد يكون صغيرة.

هـ- فعل وقول الأغلبية ليس دليلًا علىٰ صحة الأمر في دين الله تعالىٰ:

أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم أن أصحاب الكهف لما خرجوا من كهفهم وعرف الناس بحالهم: ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ﴾، أي: سدوا عليهم باب كهفهم، وذروهم علىٰ حالهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]. حكىٰ ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم(٢). فالله أعلم.

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لعن الله اليهود**

(١) رواه أبو داود في «سننه»، برقم (٤٠٣١).

(٢) وهذا القول حكاه ابن جرير، عن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، وأما القول بأن البانين للمسجد هم المسلمون فقد حكاه عن ابن عمير. انظر: «تفسير ابن جرير» (١٥/ ٢٢٥).

والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. يحذر ما فعلوا»[(١)].

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفىٰ عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها»[(٢)].

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبنوا عندهم كنيسة اتخذوها مسجدًا يصلون فيه»[(٣)].

وهذا دليل علىٰ أن أهل الكتاب هم الذين بدءوا بالبناء علىٰ القبور، واتخذوا القبور مواضع للعبادة.

ومما يدل علىٰ أن فعل وقول الأغلبية ليس فيه حجة، هو أن الغالب إنما يكونون من الرعاع والمتسلطين، ولا يكونون من العلماء والمتفقهين، ولهذا ذم الله تعالىٰ الكثرة من الناس في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

و- خوف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من الأئمة المضلين:

لقد خاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من الأئمة المضلين، سواء كان هؤلاء الأئمة المضلين من الأمراء والحكام، أو من العلماء والطغام، أو من العباد وأشباههم، فإنهم يحكمون بغير المنزل؛ فيُضلون ويَضلون.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (١٣٣٠)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٥٢٩).

(٢) تفسير الحافظ ابن كثير من أول سورة الكهف (٣/ ٧٩).

(٣) «تفسير ابن جرير» (١٥/ ٢١٦).

وفي «صحيح البخاري»: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»**[١].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لزياد بن حدير**: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين»[٢].

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

وإن للأئمة المضلين علامات كثيرة، ومنها:

١- أنهم يحكمون بغير الشرع، كالتحاكم إلىٰ العقل، أو إلىٰ الذوق، أو إلىٰ العادات والسلوم والرواج، أو كالتحاكم إلىٰ القوانين الغربية، ونحو ذلك.

٢- أنهم لا يعملون بالمنزَّل من الكتاب والسنة، كحال علماء السوء.

٣- أنهم لا يعلمون المنزل من الكتاب والسنة؛ كحال العباد الجهلة.

٤- أنهم إنما حصلوا الضلال بسبب عدم المبالاة بفهم المنزل كما فهمه الصحابة -رضوان الله تعالىٰ عليهم-؛ فإن اتباع فهمهم عصمة من الضلال، وإن الفرق الضالة إنما ضلت بسبب أنها اتبعت فهومها في الكتاب والسنة، وفهمت

---

(١) حديث رقم (١٠٠)، ورواه مسلم برقم (٢٦٧٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» برم (٢١٤).

علىٰ أهوائها.

٥- أنهم قد لا ينهون الناس عن الشرك، ويسمون الشرك بغير اسمه، كتسميتهم له بالتوسل، وكتسميتهم المعبود من دون الله وليًّا.

٦- أنهم يسوغون للناس البدع، ويحسنون في نظرهم المحدثات بحجة أنها حسنة، أو خير، أو فيها تثبيت للناس علىٰ الدين!

٧- أنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، فقد يأكل بالتمائم الشركية، وقد يأكل بالرقىٰ البدعية، وقد يأكل الخُمس، ونحو ذلك.

٨- أنهم يخفون الكتاب، ويعلِّمون الناس المنامات والقصص والخرافات.

٩- أنهم يتبعون أئمة الكفر، ويعظمونهم كأرسطو، وأفلاطون، ونحوهم.

١٠- أنهم يذمون السلف الصالح.

١١- أنهم ينظرون إلىٰ العامة، ويراعون حال العامة، ولا ينظرون إلىٰ الشرع، فصار همهم إرضاء العامة.

ز- لا نبي بعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إن مسألة ختم النبوة ببعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بين واضح، وفيه نصوص محكمة في الكتاب والسنة، ومع ذلك أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيكون هناك من يَدَّعي النبوة، ودعوىٰ الكفار للنبوة أمرٌ قد يكون لعدم إيمانهم بختم النبوة، ولكن أن يكون مدعي النبوة من أمة الإسلام فهذا عجب.

قال المصنف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعجب العجاب

خروج من يدعي النبوة مثل: المختار، مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه أنه من هذه الأمة، وأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، وأن القرآن حق، وفيه: أن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح».

وهكذا يخرج المدعون للنبوة كما خرج في هذا الزمن المدعو بالباب صاحب الطريقة البابية، والبهاء صاحب الطريقة البهائية، وميرزا غلام أحمد القادياني صاحب الطريقة القاديانية، وهؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ويقرون برسالة الإسلام ومع ذلك ادعوا النبوة ولهم أتباع، وهذا يدل علىٰ أن الأمر قد يكون واضحًا ومع ذلك تجد الناس علىٰ خلافه؛ فأمر التوحيد واضح وغالب الناس علىٰ خلافه، مع شهادتهم أن لا إله إلا الله؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ز- لا تزال طائفة من هذه الأمة علىٰ الحق:

أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث السابقة أن الأمة ستختلف، وأن هناك طائفة من الناس لا يزالون علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم شيئًا، وهذه الطائفة التي هي علىٰ الحق هي بالنسبة إلىٰ أمة الإسلام قليلون؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن هذه الأمة ستختلف إلىٰ ثلاث وسبعين فرقة، وأنها كلها متوعدة بالنار إلا واحدة وهي الناجية المنصورة بالحق.

ولهذه الطائفة المنصورة علامات كثيرة، ومنها:

١- اتباعهم للكتاب.

٢- اتباعهم للسنة النبوية الثابتة.

٣- اتباعهم طريقة المؤمنين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

٤- اهتمامهم بعلم الرواية والدراية، والدعوة بالكتاب والسنة، وإلىٰ الكتاب والسنة، لا إلىٰ حزبية، ولا إلىٰ طائفية، ولا إلىٰ مذهبية، ولا إلىٰ نفسية دنيوية.

٥- أنهم منصورون ظاهرون.

ي- دلائل النبوة من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن الدلائل الدالة علىٰ نبوة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من أن تُحصَر، ومن أعظمها هذا الكتاب المنزل عليه، وهو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب، ودلائل النبوة في السنة كثيرة، فحديث ثوبان فقط فيه من الدلالات ما يأتي:

١- الإخبار بأن ملك هذه الأمة سيبلغ المشارق والمغارب، وقد حدث هذا بالفعل، فقد وصل الدين الإسلامي الحنيف إلىٰ الشرق والغرب، من الصين إلىٰ المغرب.

٢- إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن المسلمين سيملكون بلاد الفرس والروم ويستولون علىٰ كنوزهم، وهذا قد وقع كذلك.

٣- إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ستكون عليه الأمة من أنها لن تهلك بقحط عام.

٤- إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن أعداء الإسلام لن يتمكنوا من الاستيلاء علىٰ جميع ملك هذه الأمة، وأن بيضة المسلمين ستكون باقية وإن تسلط الكفار علىٰ

بعض نواحيها.

٥- إخباره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن سبب هزيمة هذه الأمة وسبب تسلط الكافرين علىٰ هذه الأمة إنما هو بسبب اختلافها وتقاتلها، وأن بأس هذه الأمة سيكون بينهم.



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحذير هذه الأمة من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارىٰ من الشرك بالله تعالىٰ، والحكم بغير ما أنزل الله.

٢- وقوع الشرك في هذه الأمة كما أن اليهود والنصارىٰ كان فيهم مَن عَبَدَ الطاغوت.

٣- إيمان اليهود بالجبت، وهو السحر، ووقوع بعض هذه الأمة في السحر علمًا وعملًا؛ فأصبح من المألوف في بلاد المسلمين انتشار السحر، والشعوذة، والكهانة، والعرافة والأبراج، ونحو ذلك بأسماء محبوبة، وربما بأسماء شرعية كالرقية، وهذا تقليد ظاهر لأهل الكتابين في استعمال السحر والشعوذة.

٤- أنه سيكون في هذه الأمة من يتخذ المساجد علىٰ القبور كما فعله من قبلهم.

٥- التحذير من الغلو في الصالحين بحيث تتخذ قبورهم مواطن للصلاة والدعاء.

٦- تدل هذه الأحاديث علىٰ نبوته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أخبر بذلك قبل وقوعه فوقع كما أخبر.

٧- تحذير الأمة من الاختلاف ودعاة الضلال.

٨- بيان ختم النبوة، والحذر من الدجالين الكذابين.

٩- وقع الناس في اتباع الكذابين، فكذلك يكون وقوعهم في الشرك تحت مسميات مختلفة، وأسماء مزورة ملبسة.

١٠- الكثرة ليست علامة علىٰ الحق، وإنما الحق ما كان في الكتاب والسنة.

١١- الحذر من الأئمة المضلين، وهم الذين لا يسيرون علىٰ طريقة السلف الصالح في العلم والعمل.

١٢- البحث عن الطائفة المنصورة الناجية والتمسك بركابها.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٢- وضِّح معاني المفردات: (الجبت- الطاغوت- القذة).

س٣- اذكر صفات اليهود الواردة في الآية التي أوردها المصنف.

س٤- هل فعل وقول الأغلبية حجة في دين الله تعالىٰ؟

س٥- عَدِّد بعض علامات الأمة المضلين.

س٦- ما هو أعظم تشبه بأهل الكتاب؟

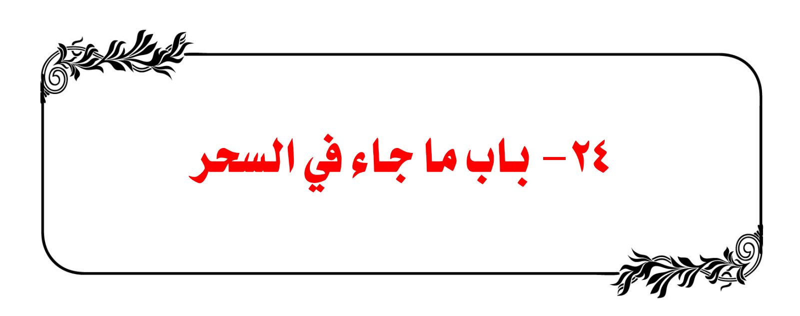
س٧- مسألة ختم النبوة ما هو الدليل عليها كما أوردها المصنف؟

س٨- بَيِّن بعض علامات الطائفة المنصورة الناجية.

س٩- وضِّح بعض علامات النبوة من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

س١٠- اذكر بعض الفوائد المستفادة من هذا الباب.

❊❊❊



٢٤- باب ما جاء في السحر

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

٢- وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»(١).

وقال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الطواغيت: كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد»(٢).

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قالوا: يا رسول الله؛ وما هن؟ **قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(٣).

٤- وعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»(٤). رواه

(١) رواه البخاري في «الصحيح» معلقًا (٤/ ١٦٧٣).

(٢) رواه البخاري في «الصحيح» (٤/ ١٦٧٣).

(٣) رواه البخاري (٣/ ١٠١٧-١٠١٨) (ح٢٦١٥)، ومسلم (١/ ٩٢) (ح٨٩).

(٤) «سنن الترمذي» (٤/ ٦٠) (ح١٤٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠) وقال: «صحيح =

الترمذي: وقال: الصحيح أنه موقوف.

٥- وفي «صحيح البخاري» عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[(١)].

٦- **وصح عن حفصة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتلت»[(٢)].

وكذلك صح عن جندب[(٣)]، قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❀❀❀

=

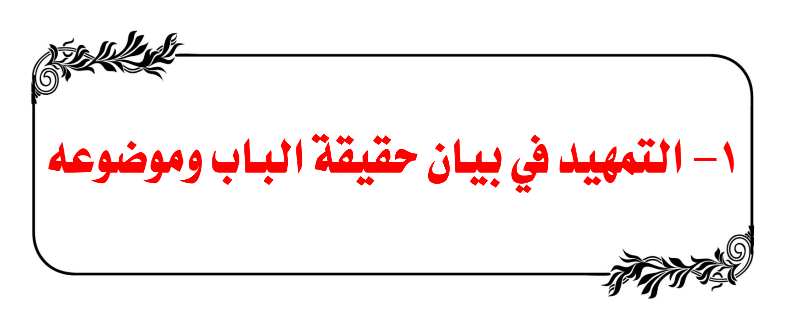
الإسناد».

قال الشيخ ابن باز في تعليقاته علىٰ الكتاب عند هذا الباب: «فقال جندب ذلك؛ فهو من كلامه، وقد استنبطه من الأدلة الشرعية».

(١) روىٰ البخاري (٣/ ١١٥١) (ح٢٩٨٧) أصل حديث بجالة، وليس فيه هذا اللفظ، ولكن الحديث بهذا اللفظ عند أحمد في «المسند» (١/ ١٩٠)، وابن الجارود في «المنتقىٰ» (ح ١١٠٥).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو ذكر ما يتعلق بالسحر، ووجه إدخال السحر في كتاب التوحيد؛ لأن كثيرًا من أقسامه لا يتأتىٰ إلا بالشرك، والتوسل بالأرواح الشيطانية، والتقرب إليهم بالعبادة.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن السحر نوع من أنواع الشرك، وأن فاعله مشرك، وأنه لا يتأتىٰ إلا بالشرك، وبيان الوعيد الشديد الذي جاء فيه.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان ما جاء في السحر من الوعيد الشديد، والتحذير منه وبيان خطورته؛ لأن كثيرًا من أقسامه لا يتأتىٰ إلا بالشرك المنافي للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما بين المصنف أن الغالب من الناس يتبعون أهل الكتابين، كما دل علىٰ ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، فكذلك يقع منهم الاتباع لأهل الكتابين في

فعلهم وتعاملهم بالسحر، فناسب أن يذكره؛ لأنه ناقض للتوحيد، لأن السحر نوع من أنواع الشرك.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾: استشهد بها المصنف لبيان أن الساحر لا حظ له في الآخرة عند الله، وهذا يدل علىٰ أنه شرك وكفر[١].

الآية الثانية: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾: أوردها لما فيها من الدلالة علىٰ أن اليهود آمنوا بالجبت وهو السحر؛ فسماه الله إيمانًا في معرض الذم، فدل علىٰ أنه من الشرك.

وأما حديث: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»: بين به المؤلف أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر باجتنابه، وأخبر أنه من الموبقات، وأنه قرينة الشرك.

أثر جندب: أورده المصنف للدلالة علىٰ أن فهم الصحابة يدل علىٰ أن الساحر كافر؛ فلهذا كان حده القتل.

❊❊❊

(١) انظر: «القول السديد» (ص١٨١).



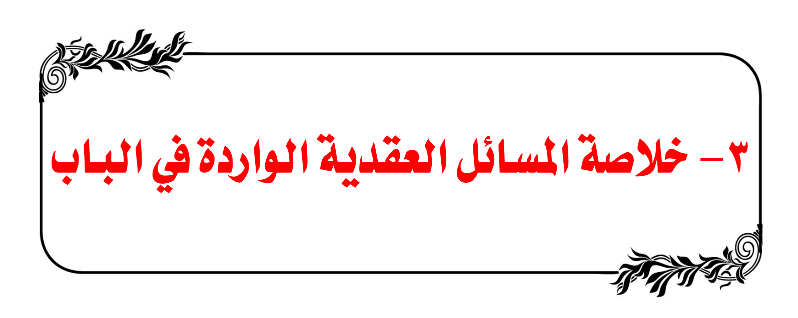


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ولقد علموا	أي: علم اليهود الذين اتبعوا السحر وتركوا متابعة الرسل.
لمن اشتراه	أي: رضي بالسحر عوضًا عن شرع الله ودينه.
من خلاق	من نصيب.
الجبت	كلمة تقع علىٰ الصنم والساحر والكاهن، وتفسير عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ له بالسحر من تفسير الشيء ببعض أفراده.
الطاغوت	مأخوذ من الطغيان، ومنه طغىٰ الماء: إذا جاوز الحد.
ينزل عليهم الشيطان	جنس الشياطين لا إبليس خاصة.
في كل حي	في كل قبيلة.
اجتنبوا	ابتعدوا.
الموبقات	المهلكات، سميت موبقات؛ لأنها تهلك فاعلها في الدنيا والآخرة.
التي حرم الله	أي: حرم قتلها.
إلا بالحق	أي: بفعل موجب للقتل.

وأكل الربا	أي: تناوله بأي وجه.
وأكل مال اليتيم	يعني: التعدي فيه، واليتيم: من مات أبوه وهو دون البلوغ.
التولي يوم الزحف	أي: الإدبار والإعراض من وجوه الكفار وقت القتال.
يوم الزحف	يوم تلاحم الصفين في القتال مع الكفار، وسمي يوم الزحف؛ لأن الجموع إذا تقابلت تجد أن بعضها يزحف إلىٰ بعض.
وقذف المحصنات	رميهن بالزنا.
المحصنات	المحفوظات من الزنا، والمراد: الحرائر العفيفات، وهو الصحيح.
الغافلات	أي: البريئات من الفواحش وما رمين به، اللاتي لا يخطر علىٰ بالهن هذا الأمر.
مرفوعًا	هو ما أضيف إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
حد الساحر	أي: عقوبته.
ضربة بالسيف	أي: قتله، روي (ضربه) بالهاء والتاء.
موقوف	أي: من كلام الصحابي لا من كلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ السحر وحكمه:

السحر لغة: عبارة عما خفي ولطف سببه.

وشرعًا: ما يتعاطاه السحرة من عُقَدٍ وعزائم ورقىٰ وأعمال تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.

وحكم السحر: أنه محرم؛ لأنه كفر بالله، وشرك منافٍ للإيمان والتوحيد.

ووجه دخول السحر في الشرك من جهتين:

١- من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم.

٢- ومن جهة ما فيه من ادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلومه وادعاء التأثير.

وإنما ذكر المصنف الباب مجردًا عن الحكم؛ لأن السحر بعض أنواعه لا يكون كفرًا، وإنما يدخل تحت مسمىٰ السحر من حيث اللغة، وهذا مثل ما يكون من خفة اليد، وما يفعله النمام من الإفساد بين الخلان، ونحو ذلك؛ فلهذا ينظر في السحر: فإن كان من قبيل الشرك والكفر فإنه يكفر، وإلا فهو بحسبه.

ب- حد الساحر:

دلت الأدلة الشرعية علىٰ أن حد الساحر القتل، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

١- ما روي عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا: «حد الساحر ضربة بالسيف».**

٢- ما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه كتب إلىٰ عماله أن اقتلوا كل ساحر وساحرة».

٣- ما صح عن حفصة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت». فهؤلاء كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثة نفر من الصحابة صح عنهم ذلك.

٤- أن الساحر مغير لدينه وإن ادعىٰ الإسلام؛ لأنه قد وقع في الشرك بسحره، وقد جاءت الأدلة علىٰ أن المبدل لدينه يقتل، كما قال ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[(١)].

٥- الإجماع قائم علىٰ أن المبدل للدين يقتل، وأجمعوا علىٰ أن من تعاطىٰ السحر بشرك أو كفر أنه كافر ومشرك، وأنه يقتل، وإنما اختلفوا فيما إذا لم يثبت تعاطيه السحر والكهانة، وإنما كان خفة يد ونحو ذلك من الدجل[(٢)]؛ فعلىٰ الدولة المسلمة كف شر السحرة عن المسلمين، وذلك بمنع كتب السحر من الدخول إلىٰ بلاد الإسلام، ومنع السحرة من الدخول إلىٰ بلاد الإسلام إن كانوا

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٢٨٥٤).

(٢) انظر: «معارج القبول» (٢/ ٥٥٨).

غير مسلمين، وإن دخلوا بلاد المسلمين فالواجب إقامة الحدود الشرعية عليهم، ومنعهم من الإفساد في الأرض.

ج- حكم الذهاب للسحرة لقصد العلاج:

لا يجوز الذهاب إلىٰ السحرة من أجل العلاج.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو الصحيح عند أهل العلم، ولو كان من باب التداوي، ولو لم يكن يرضىٰ بذلك؛ لأن الذهاب إليهم دعوة لهم إلىٰ الشرك، وأن يفعلوا ما حرَّم الله؛ بل يتعاطىٰ الأدوية الشرعية»[(١)].

د- السبع الموبقات كما وردت في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

الأعمال والذنوب المهلكة في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **هي:**

١- **الشرك بالله:** وهو أعظم الذنوب، وهو عبادة غير الله مع الله، أو صرف العبادة لغير الله مطلقًا.

٢- **السحر:** وذكر السحر؛ لأنه قرينة الشرك؛ فالسحر لا يتأتىٰ بدون الشرك.

٣- **قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق:** أي: نفس المسلم، أو الذمي المعاهد، أو المستأمن، أي: قتل معصوم الدم عمدًا.

٤- **أكل الربا:** وتعاطيه والمعاملة به.

٥- **أكل مال اليتيم:** والتعدي عليه والتصرف فيه بغير صالح اليتيم.

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٣٥).

٦- **التولي يوم الزحف**: أي: الإدبار والفرار من وجوه الكفار إلىٰ غير فئة، إذا كان عدد الكفار ضعف عدد المسلمين، أما إذا كان عدد الكفار أضعاف المسلمين؛ فإنه يحل حينئذٍ الفرار، حتىٰ يتقوىٰ المسلمون.

٧- **قذف المؤمنات الغافلات البريئات بالزنا.**

فيجب الحذر من فعل هذه الأعمال المهلكة؛ لأنها من كبائر الذنوب، وتوجب غضب الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هـ- سُبُل الوقاية من السحر:

خير علاج للسحر أن يتقيه المسلم ويحترز منه قبل وقوعه وحدوثه، بفعل المأمورات وترك المنهيات، والمحافظة علىٰ الأذكار، وسؤال الله تعالىٰ العافية، والبعد عن أسباب الوقوع فيها، وأهم ما يعالج به المسلم من السحر إذا وقع هو:

١- قراءة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثلاث مرات في أول النهار وأول الليل.

٢- قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[(١)].

٣- قراءة آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ إلىٰ آخر الآية، وهي أعظم آية في القرآن.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٣٢٣) حديث رقم (٥٠٠٨، ٥٠٠٩).

٤- التعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البناء أو الصحراء؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتىٰ يرتحل من منزله ذلك**»[(١)].

٥- قراءة سورة البقرة يوميًّا؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»[(٢)]. قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة. أي: أن السحرة لا يستطيعون مقاومتها.

٦- يأخذ سبع ورقات من سدر، ثم يجعلها في ماء ويغتسل بمائها كل يوم حتىٰ يشفىٰ.

٧- يكثر من الدعاء والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ، ويكثر من الحسنات ومن ضمن ذلك الصدقات، والصيام، ولا بأس أن يحتجم حتىٰ يضيق علىٰ السحر مجاري الدم، وأن يفصد، ونحو ذلك من الأدوية المشروعة، وإذا وجد السحر يقطعه ويتلفه ثم يحرقه أو يدفنه.

و- موقف المسلم من السحرة والمشعوذين:

السحر والشعوذة من أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بإبطالها، والتحذير من فعلها، أو إتيان من يمارسها؛ فيجب علىٰ المسلم أن يبتعد عن السحرة

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٠) حديث رقم (٢٧٠٨).

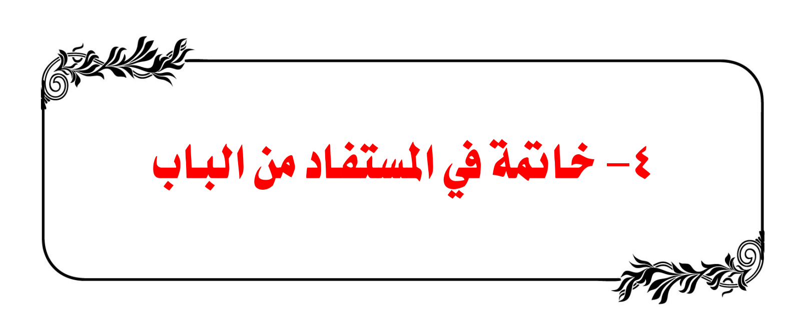
(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، برقم (٨٠٤)، ومعاوية هو ابن سلام أحد رواة الحديث.

والمشعوذين، ويحذر منهم ومن إتيانهم وسؤالهم أو تصديقهم؛ فإن ذلك ينقص إيمانه بل قد يبطل إيمانه كله.

ولا يجوز للمسلم أن يعالج السحر بسحر مثله، بل يعالجه بالشرع؛ فإن شفاه الله فذلك فضل الله تعالىٰ، وإن لم يكتب له الشفاء، فإنه لا يجوز له أن يبحث عن الوسائل المحرمة للخلاص من هذه الفتنة، وليعلم أن ذلك ابتلاء من الله تعالىٰ؛ فليصبر وليحتسب الأجر عند المولىٰ عَزَّوَجَلَّ.

❊❊❊





٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- الوعيد الشديد لمن أعرض عن كتاب الله واستبدل به غيره من العقائد والعبادات والقوانين.

٢- تحريم الشرك، وأنه هو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب.

٣- تحريم السحر، وأنه من الكبائر المهلكة.

٤- تحريم قتل النفس بغير حق.

٥- جواز قتل النفس إذا كان بحق؛ كالقِصاص، والردة، والزنا بعد إحصان.

٦- تحريم الربا وعظيم خطره.

٧- تحريم الاعتداء علىٰ مال الأيتام.

٨- تحريم الفرار من الزحف.

٩- تحريم القذف بالزنا واللواط وغيره.

١٠- بيان حد الساحر، وأنه يُقتل ولا يُستتاب علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم، وهو الذي يدل عليه فعل السلف.

١١- إثبات أن للسحر حقيقة، وإلا لم يأمر بالاستعاذة منه.

١٢- بيان أن الساحر طاغوت من الطواغيت، وأن هذا الوصف أولىٰ به؛ لأنه أشر وأخبث.

❀❀❀

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اذكر حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في السبع الموبقات.

س٢- عن كم صحابي ورد قتل الساحر؟

س٣- بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٤- وضح معاني الكلمات الآتية: (من خلاق- الموبقات- يوم الزحف- الغافلات).

س٥- ما تعريف السحر لغة وشرعًا؟

س٦- السحر شرك من جهتين؛ فما هما؟

س٧- ما حد الساحر مع ذكر الدليل؟

س٨- ما سبيل الوقاية من السحر قبل وقوعه؟

س٩- ما سبيل الوقاية من السحر بعد وقوعه؟

س١٠- بيِّن موقف المسلم من السحر والشعوذة؟

س١١- عدِّد بعض فوائد هذا الباب؟

٢٥- باب بيان شيء من أنواع السحر

١- قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». قال عوف: «العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض». والجبت: قال الحسن: «إنه الشيطان». إسناده جيد، ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه المسند منه[1].

٢- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[2]. رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٧)، و(٥/ ٦٠)، وأبو داود في «السنن» (٤/ ٢٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٢٧٥)، وابن حبان كما في «موارد الظمآن» (ص٣٤٥) (ح١٤٢٦)، وقال العلامة النووي في «رياض الصالحين» (ح١٦٧٩): «رواه أبو داود بإسناد حسن».

(٢) «السنن» (٤/ ٢٢٦) (ح٣٩٠٥)، ورواه أيضًا ابن ماجه في «السنن» (٢/ ١٢٢٨).

قال الشيخ ابن باز: «وإسناد هذا الحديث فيه ضعف؛ لأنه من رواية الحسن، عن أبي هريرة، وقد ذكر جمع من العلماء أن الحسن لم يسمع عن أبي هريرة؛ فيكون منقطعًا، وهو من رواية عباد بن ميسرة، وفيه ضعف، لكن له شواهد من حيث المعنىٰ». انظر: «تعليقاته» (ص١٤٢).

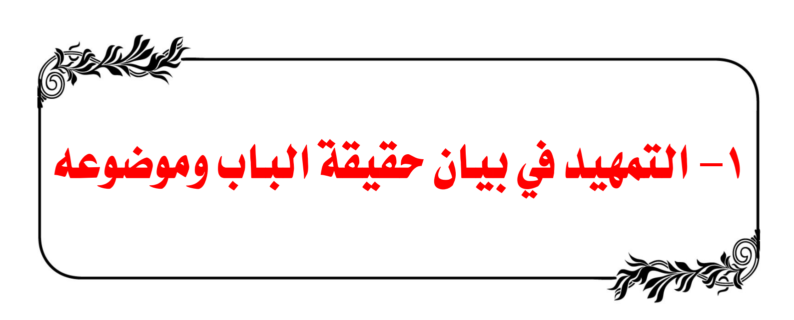
٣- وللنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه**»[(١)].

٤- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس**»[(٢)]. رواه مسلم.

٥- ولهما عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن من البيان لسحرًا**»[(٣)].

❊❊❊

(١) «السنن» (٧/ ١٢) حديث رقم (٤٠٧٩).
(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠١٢) حديث رقم (٢٦٠٦).
(٣) رواه البخاري (٥/ ١٩٧٦) حديث رقم (٤٨٥١)، ومسلم (٢/ ٥٩٤) حديث رقم (٨٦٩).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان شيء مما يسمىٰ سحرًا؛ وقد يكون منه، وقد لا يكون، وهذا تفصيل للباب الأول، وأن من السحر ما هو دونه في الحكم، وإن اتحد في اللفظ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان شيء من أنواع السحر، حتىٰ يُعرف السحر بأنواعه كلها، ويُعرف حكمه بالتفصيل.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف أن يبين أن للسحر أنواعًا، وأنه ليس نوعًا واحدًا، وأن حكم كل نوع إنما هو بسببه وطريقته وحسبه.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أراد المؤلف أن يبين شيئًا مما يسمىٰ سحرًا؛ لينتبه المؤمن، ويجتنبها ويبتعد عنها، وقد تُسمىٰ سحرًا من جهة المعنىٰ والحقيقة الذي هو استخدام الشياطين وعبادتهم؛ فهذا سحر محض؛ أما الثانية فهو يعمل عمل السحر، ويؤذي وإن لم يكن سحرًا في الحقيقة»[١].

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٣٩).

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المؤلف في الباب السابق السحر وخطورته وبيان حكمه، ناسب أن يذكر بعض أنواع السحر، ويبين ما يسمىٰ سحرًا؛ لكي ينتبه المؤمن، ويبتعد عنه، وذلك من أجل بيان خطورتها، والتحذير منها.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**إن العيافة والطرق**»: فيه الدلالة علىٰ أنواع من السحر.

الحديث الثاني: «**من اقتبس شعبة من النجوم**»: أراد المؤلف الاستدلال به علىٰ أن من تعلم النجوم معتقدًا تأثيرها في الكون أن ذلك من أقوال المنجمين والمشعوذين، وهو باطل، وهو نوع من أنواع السحر(١).

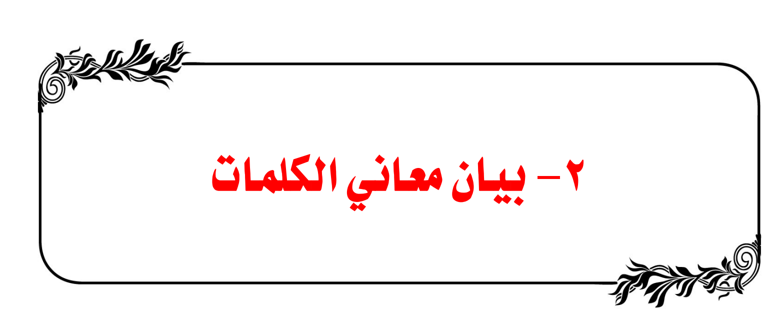
الحديث الثالث: «**من عقد عقدة ثم نفث**»: أراد به بيان شيء من أنواع السحر، وأن منها العقد والنفث، وذلك يكون بتعاونهم مع الشياطين، فقد يقع لهم بعض ما أرادوا بتقدير الله تعالىٰ(٢).

الحديث الرابع: «**ألا أنبئكم ما العضه**»، والحديث الخامس: «**إن من البيان لسحرًا**»: استشهد بهما المصنف للتنبيه علىٰ ما قد يسمىٰ سحرًا لغة، وليس هو سحرًا شرعًا، وإن كان مذمومًا، وذلك مثل النميمة، والبيان الذي يكون في الكلام.

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص١٣٩)

(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٤١).

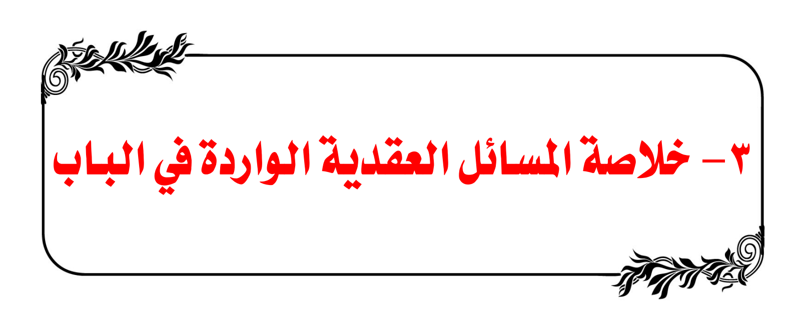


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الطيرة	التطير والتشاؤم بالأشياء.
زجر الطير	المراد: تخويفها لتطير، ثم الاستدلال بممرها وأصواتها علىٰ المستقبل.
من الجبت	أي: من أعمال الشيطان.
الخط يخط بالأرض	هذا يخطه الدجالون ويَدَّعون به علم الغيب.
الجبت رنة الشيطان	هذا تفسير للجبت ببعض أفراده، والرنة: الصوت، ويدخل فيه كل أصوات الملاهي، وأضافه إلىٰ الشيطان؛ لأنه يدعو إليه.
من اقتبس	من تعلم.
شعبة	المقصود به جزء منه.
من عقد عقدة	علىٰ شكل ما يفعله السحرة من عقد الخيوط والشعر ونحوها.
ونفث فيها	النفث: هو النفخ مع ريق، وهو دون التفل.
ومن سحر فقد أشرك	لأن السحر لا يتأتىٰ بدون الشرك؛ لأن فيه استعانة بالشياطين.

ومن تعلق شيئًا وكل إليه	أي: من تعلق قلبه بشيء واعتمد عليه وكله الله إلىٰ ذلك الشيء.
ألا أنبئكم؟	أداة تنبيه، أي: هل أخبركم؟
النميمة	نقل الحديث علىٰ وجه الإفساد بين الناس.
القالة	كثرة القول، وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكي للبعض عن البعض.
البيان	البلاغة والفصاحة.
لسحرًا	أي: يعمل البيان البليغ عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق؛ فيستميل قلوب الجهال.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- أقسام السحر:

السحر قسمان:

١- قسم يكون بالعقد والنفث، والأدوية الضارة، وهذا موجود معروف.

٢- قسم يكون بالتخييل، والتلبيس، والتزوير؛ كما قال الله تعالىٰ عن سحرة فرعون: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، وقال: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦]؛ فسماه عظيمًا لما فيه من التلبيس والتخييل علىٰ الناس(١).

ب- هل سُحرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سحر؛ كما في «الصحيح»(٢).

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سُحر، لكنه لم يؤثر عليه شيئًا في أمور الرسالة، وإنما كان فيما يتعلق بينه وبين أهله...»(٣).

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٤١).

(٢) البخاري في مواضع عدة؛ انظر: (ح٣٠٠، ٣٠٩٥، ٥٤٣٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٣٨).

ج- حكم تعلم السحر:

لا يجوز تعلم السحر، حتىٰ لو قصد به فك السحر؛ لأنه يترتب عليه عبادة غير الله، أو فعل محرم، أو ترك واجب، وهذا متفق عليه بين الفقهاء.

د- معنىٰ العيافة والطرق والطيرة وحكمها:

العيافة: زجر الطير وتنفيرها والتفاؤل بأسمائها وأصواتها.

الطرق: الخط يُخط في الأرض يدَّعون به علم الغيب.

الطيرة: التشاؤم بالأشياء كالطيور وأصواتها.

وجميع الأعمال السابقة حكمها حرام وشرك؛ لما فيها من ادعاء لعلم الغيب، واعتقاد في أشياء ليست مؤثرة بنفسها، ولم يجعلها الله تعالىٰ سببًا في التأثير.

هـ- التنجيم وعلاقته بالسحر:

التنجيم الوارد ذكره في الحديث: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية، كأن يستدل بظهور النجم الفلاني علىٰ مولد رجل عظيم، أو الاستدلال بأُفول نجم علىٰ موت رجل، ونحو ذلك، وهو محرم، وعلاقته بالسحر أن كلًّا من المنجم والساحر يدَّعي علم الغيب.

وخلق الله تعالىٰ النجوم لثلاثة:

١- زينة للسماء الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ [الحجر:١٦].

٢- رجومًا للشياطين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

٣- الاهتداء بها لمعرفة الطرقات، والشمال، والجنوب، ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، ويدخل في كون النجوم يحصل بها الاهتداء لمعرفة الطرقات، معرفة طرقات ومواسم الزراعة، والبرودة والحرارة؛ فيعرف أهل الاختصاص أن النجم الفلاني إذا ظهر فإنه علامة علىٰ دخول فصل كذا وكذا، وقد جعله الله كذلك.

فمن ادَّعىٰ في النجوم تأثيرًا أو علامة علىٰ الغيب فقد تَقَوَّل ما لا اعلم له به، وافترىٰ كذبًا وزورًا، ولذلك من اقتبس منه علم الغيب، أو القول بأنه مؤثر؛ فقد اتخذ النجوم شعبة من السحر.

و- العضه وعلاقتها بالسحر:

العضه: البهت، والمراد بها هنا: النميمة، وهي نقل الكلام بين الناس علىٰ جهة الإفساد بينهم، وهي من الكبائر.

وعلاقتها بالسحر: أن النمام يفسد بين الناس ويفرق بينهم بكلامه، وكذلك الساحر يفسد بين الناس ويفرق بينهم بسحره؛ فأورد المصنف هذا الحديث في الباب لبيان التماثل بين تأثير السحر وتأثير النميمة.

ز- البيان وأنواعه ووجه تشبيهه بالسحر:

البيان في اللغة: البلاغة والفصاحة، **وهو نوعان:**

١- **بيان مذموم**: وهو الذي يجعل الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق، يستميل صاحبه قلوب الجهال حتىٰ يقبلوا الباطل، وينكروا الحق، وهذا هو المقصود في الحديث: «**إن من البيان لسحرًا**»، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥].

٢- **ممدوح**: وهو الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه.

ووجه تشبيه البيان بالسحر: لشدة تأثيره في قلوب سامعيه.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم ادعاء علم الغيب عن طريق الخط في الأرض، كما يفعل الدجالون في هذا الزمن، والذين يدَّعون معرفة الأمور عن طريق قراءة الكف، وقراءة الفنجان، وغير ذلك.

٢- أنه كلما زاد تعلم المرء للتنجيم زاد تعلمه للسحر.

٣- بيان نوع من أنواع السحر، وهو ما كان بواسطة العقد والنفث.

٤- أن النميمة نوع من أنواع السحر؛ لأنها تفعل ما يفعله السحر من التفريق بين القلوب، والإفساد بين الناس، والساحر كافر، والنمام مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، مُهَدَّد بالوعيد الشديد علىٰ عدم دخول الجنة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يدخل الجنة قتات**»(١). أي: نمام.

٥- تحريم النميمة وأنها من الكبائر.

٦- بيان نوع من أنواع السحر وهو البيان الذي فيه تمويه وتلبيس.

٧- ذم هذا النوع من البيان، وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٥٧٠٩)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (١٠٥).

الباطل ويدحضه فهو ممدوح.

٨- أن من اعتمد علىٰ غير الله خذله الله وأذله.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما ترجمة هذا الباب؟

س٢- بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (زجر الطير- شعبة- النميمة- القالة).

س٤- ما المراد بالطيرة؟

س٥- كيف يكون الاقتباس من النجوم سحرًا؟

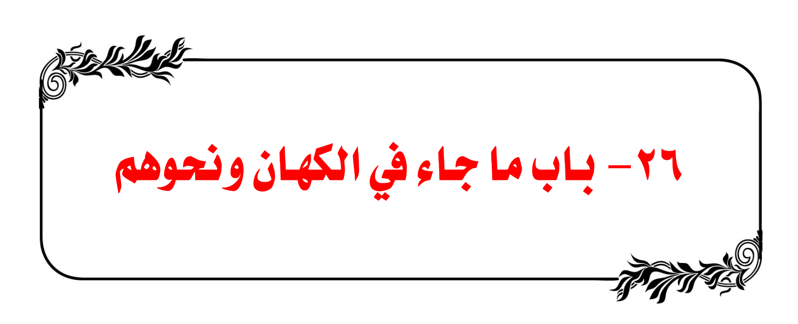
س٦- خلق الله النجوم لثلاث أمور؛ فما هي؟

س٧- ما علاقة العضه بالسحر؟

س٨- البيان نوعان؛ فما هما؟

س٩- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❁❁❁



٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم

١- روىٰ مسلم في «صحيحه»، عن بعض أزواج النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء فصدقه؛ لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»**(١).

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: **«من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٢). رواه أبو داود.

٣- وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرطهما، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **«من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٣)، ولأبي يعلىٰ بسند جيد عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثله موقوفًا.

٤- وعن عمران بن حصين مرفوعًا: **«ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سَحر أو سُحر له، ومن أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر**

(١) رواه مسلم (٤/ ١٧٥١)، (ح٢٢٣٠)، وليس فيه لفظة: «فصدقه».

(٢) «السنن» (٤/ ٢٢٥)، (ح٣٩٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، (ح٥٩٤٠).

(٣) رواه أبو داود في «سننه»، (ح٣٩٠٤)، والترمذي، (ح١٣٥)، وابن ماجه، (ح٦٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨)، وصححه الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود».

بما أنزل علىٰ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١] رواه البزار بإسناد جيد.

ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «**ومن أتىٰ**» إلىٰ آخره[٢].

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العراف اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

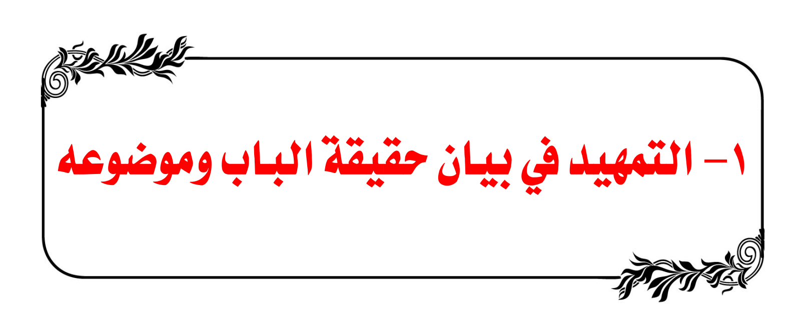
٥- وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد)، وينظرون في النجوم: «ما أرىٰ من فعل ذلك له عند الله من خَلَاق»[٣].

***

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٩٣) (ح١٠٠٠٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨): «رجال الكبير والبزار ثقات».

(٢) كما في «كشف الأستار» (٣/ ٣٩٩-٤٠٠)، كتاب الطب، حديث رقم (٣٠٤٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٦)، حديث رقم (١٩٨٠٥) نحوه.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو بيان حال الكهان، وكل مُدَّعٍ علم الغيب، بأي طريقة من الطرق، سواء كان عن طريق النجوم، أو الحروف، أو الضرب بالرمل...إلخ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الكهانة مخالفة للتوحيد، وأن الكهانة ادعاء للغيب.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف بيان أن الكهانة منافية للتوحيد، وأن الكهانة ادعاء للغيب، ولهذا كانت نوعًا من أنواع الشرك المنافي للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

بعد أن فرغ المصنف من الكلام عن السحر وأنواعه، انتقل إلىٰ الكلام عن شيء آخر مما يوقع في الشرك، وينافي التوحيد، وهو الكهانة ونحوها ممن يدعي علم الغيب، وبيان خطورتها وأنها لا تخلو من الشرك.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «من أتىٰ عرافًا»: أراد به المصنف الاستدلال علىٰ أن سؤال

العرافين لا يجوز، وأنه محرم؛ وأن من أتاهم فقد عرض نفسه للعقوبة.

وفي لفظ للحديث[١]: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن الكهان؛ فقال: «**ليسوا بشيء**». احتقارًا لهم، وإعراضًا عنهم، وإماتة لشأنهم[٢].

الحديث الثاني والثالث: «**من أتىٰ كاهنًا**»: أوردهما المصنف؛ لأن الحديثين يدلان علىٰ أن من اعتقد في الكهان والعرافين، وأنهم يعلمون الغيب، وصدقهم في ذلك فقد كفر؛ لأنه لم يؤمن بقوله تعالىٰ: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥]؛ فيجب الحذر منهم[٣].

الحديث الرابع: «**ليس منا من تطير**»: ذكره المصنف؛ لأن الحديث فيه وعيد وترهيب لمن فعل هذه الأمور.

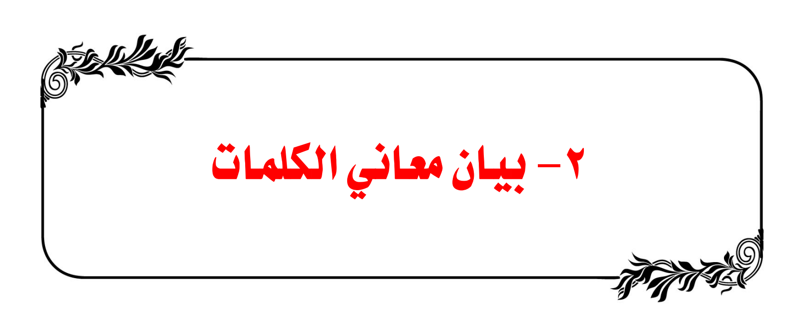
أثر ابن عباس: فيه كراهته لكتابة أحرف (أبا جاد)، وينظرون في النجوم؛ لأن أحرف (أبا جاد) تشبه الطلاسم التي تكون عند الكهان ونحوهم.

❊❊❊

(١) عند البخاري، (ح٥٨٥٩)، ومسلم، (ح٢٢٢٨).

(٢) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٤٤).

(٣) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٤٥).

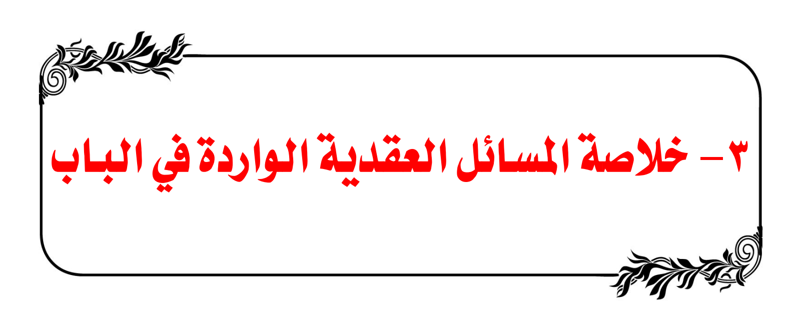


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ما جاء في الكهان	أي: من التغليظ والوعيد.
الكهان	هم الذين يخبرون عن المغيبات في المستقبل بواسطة الشياطين.
ونحوهم	كالعرافين والمنجمين والرمالين.
عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	هي حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
لم تقبل له صلاة	أي: لا ثواب له فيها.
بما أُنزل علىٰ محمد	أي: الكتاب والسنة.
ليس منا	أي: ليس من أتباعنا علىٰ الحقيقة.
مَن تطير	فَعَلَ الطيرة.
أو تُطير له	أمر مَن يتطير له، ومثله بقية الألفاظ.
يكتبون أبا جاد	أي: حروف (أبجد هوز)، وهي حروف الهجاء؛ فيكتبونها ويضمونها إلىٰ بعض ويقولون: يقع كذا، ويقع كذا.

وينظرون في النجوم	أي: ويعتقدون أن لها تأثيرًا في الحوادث الكونية من دون الله.
ما أرىٰ	بفتح الهمزة؛ بمعنىٰ: لا أعلم، وبضمها؛ بمعنىٰ: لا أظن.
من خَلَاق	من نصيب.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- المراد بالكاهن والعراف:

الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، ويخبر عن المغيبات في المستقبل.

العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها علىٰ المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك.

والكاهن والعراف كلاهما يجتمعان في كونهما يدعيان علم الغيب، ومعرفة المستقبل المغيب.

ب- حكم مَن يدَّعي علم الغيب:

كل من ادعىٰ علم الغيب فهو كاذب في دعواه، ويجب علىٰ المسلم أن يكذبه بأي طريقة من الطرق التي تفحمه وتبين كذبه، سواء كان هذا المدعي للغيب من العرافين، أو من الكهنة، أو من السحرة، أو من غيرهم.

ولا ريب أن من ادعىٰ علم الغيب فهو كافر بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ويجب علىٰ ولي الأمر المسلم تعزير الكهان والعرافين ومُدَّعي علم الغيب؟

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]: «وحكمهم: أنه يجب القضاء عليهم، وتعزيرهم، وتكذيبهم، وعدم سؤالهم».

قال: «ومن ادعىٰ علم الغيب فيستتاب وإلا قتل، وإذا لم يَدَّعِ فإنه يعزر حتىٰ لا يعود إليه».

ج- حكم الكهانة والعرافة:

الكهانة والعرافة من الشرك، وقد دخلت في الشرك من جهتين:

الأولىٰ: من جهة دعوىٰ مشاركة الله في علم الغيب الذي اختص به، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان:٣٤].

الثانية: من جهة التقرب إلىٰ غير الله كاستخدام الشياطين والاستعانة بهم، والتقرب إلىٰ غير الله تعالىٰ بنوع من أنواع العبادة شرك، وهؤلاء الدجالون من الكهنة والعرافين يتقربون إلىٰ الشياطين بالذبح والنذر لهم، وإهانة المصحف، ونحو ذلك.

هـ- خطورة إتيان الكهان والعرافين:

يجب علىٰ كل مسلم أن يحذر من الذهاب إلىٰ الكهان والعرافين وغيرهم ممَّن يدعون علم الغيب، وأن يحذر غيره من الذهاب إليهم.

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٤٤-١٤٦).

ومن فعل ذلك وأتاهم وصدقهم فيما يقولون ويزعمون؛ فقد كفر بما أُنزِل علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه صَدَّق أن هناك من يعلم الغيب غير الله تعالىٰ.

ومن أتاهم ولم يصدقهم لم تقبل له صلاة أربعين يومًا، عقوبة له علىٰ مجيئه إلىٰ مواطن الكفر والشرك.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجب علىٰ من ولي الحسبة أن يقيمهم من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكير، ولا يدع أحدًا يأتيهم لذلك، وإن ظهر صدق بعضهم في بعض الأمور، فليس ذلك بالذي يخرجهم عن الكهانة، فإن تلك الكلمة إما خطفة جني، أو موافقة قدر ليغتر به بعض الجهال، ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلىٰ هؤلاء الكهان والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال؛ فحصلوا من أقوالهم علىٰ السراب...ومن أديانهم علىٰ الفساد والضلال»(١).

و- المراد بالمنجم والرمال وحكمهما:

المنجم: هو الذي يستدل بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية.

والرمال: هو الذي يدعي معرفة المغيبات بطريق الضرب بالحصىٰ والخط في الرمل.

والتنجيم والضرب بالرمل والخط في الأرض حكمه أنه شرك؛ لأن فيه ادعاء لعلم الغيب الذي هو من خصائص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

---

(١) «المفهم» (٥/ ٦٣٣).

ز- حكم تعلم (أبا جاد):

المقصود بـ (أبا جاد) معرفة حساب الجُمَّل؛ فيقطعون حروف «أبجد هوز حطي كلمن...» إلخ. فيجعلون الألف عن واحد، والباء عن اثنين، والجيم عن ثلاثة، والدال عن أربعة إلىٰ نهاية الحرف العاشر، ثم يبدءون بالكاف من «كلمن» فيجعلونها عن عشرين، واللام عن ثلاثين، وهكذا إلىٰ أن تتم حروف هذه الكلمات.

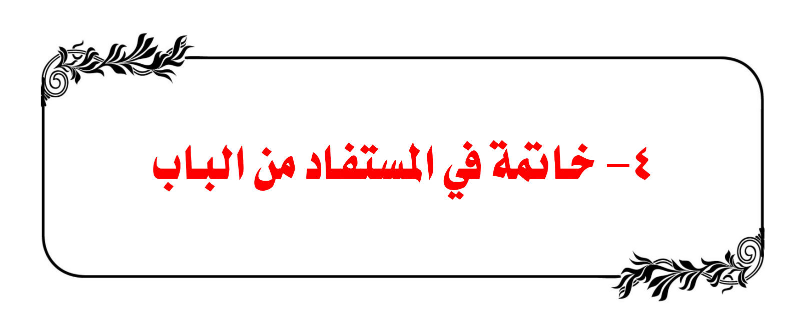
وتعلم (أبا جاد) علىٰ نوعين:

١- **نوع محرم:** وذلك إذا كان مقصود من يتعلمها ادعاء علم الغيب بها، أو جعلها رموزًا للأمور المحرمة، ونحو ذلك.

٢- **نوع جائز:** إذا كان يتعلمها للهجاء وحساب الجُمَّل، ووضعها في الاختصارات المفيدة، والتواريخ الجامعة، ونحو ذلك[1].

❀❀❀

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١١٧).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم الذهاب إلىٰ الكهان والعرافين وسؤالهم، ووجوب الابتعاد عنهم والتحذير منهم.

٢- وجوب اعتقاد كذب الكهان والعرافين.

٣- أن من أتاهم وصدقهم فقد كفر بالوحي المنزل علىٰ محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما من أتاهم ولم يصدقهم، فإنه لا تقبل له صلاة أربعين يومًا عقوبة له؛ لأن إتيانهم حرام، ولو لم يصدقهم، وبهذا يجمع بين حديث: «**لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**»، وحديث: «**فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

٤- تحريم ادعاء علم الغيب وتحريم تصديق من يفعل ذلك بكهانة أو غيرها.

٥- تحريم تعلم (أبا جاد) علىٰ وجه ادعاء علم الغيب به، أو عمل طلاسم بها، ونحو ذلك، أما تعلمها للتهجي، وحساب الجُمَّل فلا بأس به.

❁❁❁

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - أكمل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**من أتىٰ كاهنًا...**».

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (ليس منا- من تطير- ما أرىٰ).

س٤ - مَن هو الكاهن؟

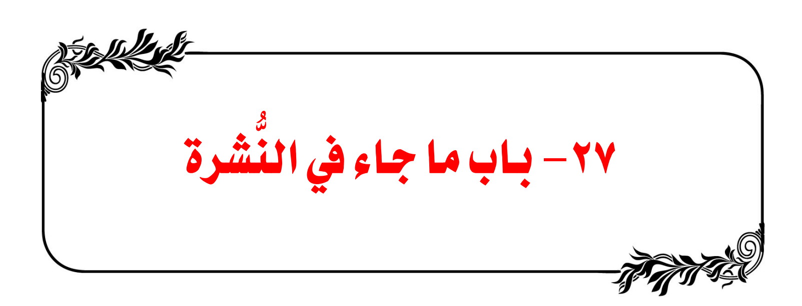
س٥ - مَن هو العراف؟

س٦ - الكهانة والعرافة شرك من وجهين؛ فما هما؟

س٧- مَن هو الرمال؟

س٨- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❀❀❀



٢٧- باب ما جاء في النُّشرة

١- عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سُئل عن النُّشرة؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(١)]. رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها؛ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

٢- **وفي البخاري، عن قتادة: قلت لابن المسيب:** «رجل به طِبٌّ أو يُؤخَّذ عن امرأته، أَيُحَل عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه»[(٢)]. انتهىٰ.

٣- **وروي عن الحسن أنه قال:** «لا يحل السحر إلا ساحر».

قال ابن القيم: «النشرة: حل السحر عن المسحور، وهو نوعان:

أحدهما: حل السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلىٰ الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

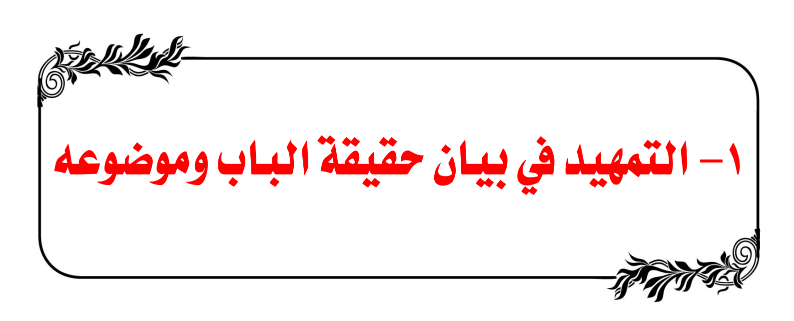
(١) «المسند» (٣/ ٢٩٤)، و«سنن أبي داود» (٤/ ٢٠١)، حديث رقم (٣٨٦٨).

(٢) «الصحيح» (٥/ ٢١٧٥)، قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩): «وصله الطبري في «تهذيب الآثار»، إسناده صحيح».

والثاني: النشرة بالرقية والتعويذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا جائز»[1].

✽✽✽

(١) انظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٩٦).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

ذكر ما جاء في النشرة من النصوص الشرعية التي تبين حقيقتها، وأنواعها، وحكمها.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم النشرة، وهو حل السحر عن المسحور، فإن كان بالجائز شرعًا فهو جائز كسائر الأدوية، وإن كان بالمحرم شرعًا فهو محرم كسائر المحرمات، وأن من هذه المحرمات حل السحر بسحر مثله.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان حكم النشرة، وأنه لا خلاف بين السلف في النهي عنها إن كانت بشرك كالسحر ونحوه.

د- مناسبة الباب:

لما تكلم المصنف عن السحر والكهانة، وغير ذلك مما له علاقة بالإفساد في الأرض، وادعاء علم الغيب، عقد هذا الباب ليبين أن النشرة عمل من أعمال الجاهلية، وأن بعض أنواع النشرة من السحر، وهو لا يحصل غالبًا إلا بالشرك

المنافي للتوحيد، فإذا كانت النشرة بهذا النوع فهو منافٍ للتوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**هي من عمل الشيطان**»: أراد المؤلف الاستدلال به علىٰ أن النشرة التي كانت معروفة في الجاهلية أنها من أعمال الشياطين المحرمة.

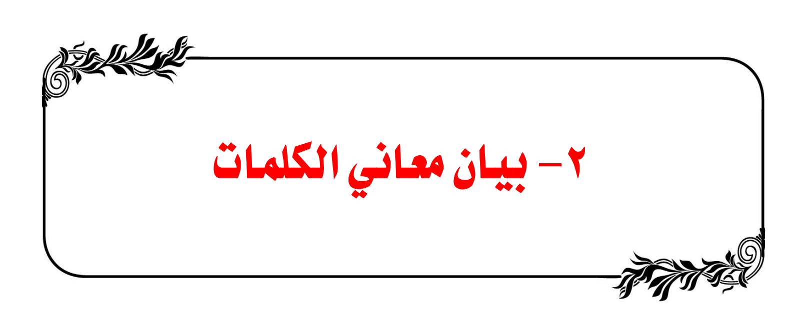
أثر ابن المسيب: «رجل به طب»: أورده المصنف لبيان أن الأثر يدل علىٰ جواز النشرة الخالية من السحر، إذا قصد بالوسائل الشرعية.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الكلام محمول علىٰ الحل الذي لا بأس به، وهو الحل بالرقية، والمعوذات، والأشياء المباحة؛ لأن هذا من الإصلاح، والإصلاح مأمور به، والمنكر منهي عنه»[(١)].

أثر الحسن البصري: «لا يحل السحر إلا ساحر»: ذكره المصنف للدلالة علىٰ أنه لا يحل السحر بالطرق الشيطانية إلا السحرة.

❊❊❊

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٤٩).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
هي من عمل الشيطان	لأنهم ينشرون عن المسحور بسحر واستخدامات شيطانية.
به طب	بكسر الطاء، أي: سحر، كنوا عنه بالطب تفاؤلًا.
يُؤَخَّذ	بفتح الواو مهموزة وتشديد الخاء، أي: يحبس عن امرأته، ولا يصل إلىٰ جماعها.
لا بأس به	أي: بمعالجته بأمور مباحة لم يرد بها إلا المصلحة ودفع المضرة.
لا يحل السحر إلا ساحر	أي: لا يقدر علىٰ حله إلا من يعمل السحر.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ النشرة:

النشرة لغة: الكشف والإزالة.

وشرعًا: حل السحر عن المسحور بنوع من العلاج والرقية، وسميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء؛ أي: يكشف ويزال.

ب- أنواع النشرة وحكم كل نوع:

النشرة نوعان:

الأول: حل السحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن كما قال ابن القيم، وهذا النوع محرم، وهو شرك؛ لأنه لا يتأتىٰ إلا بسحر وشعوذة وتقرب إلىٰ الجن والشياطين.

الثاني: النشرة بالرقية الشرعية، والتعويذات السُّنية، والدعوات الطيبة، والأدوية المباحة؛ فمثل هذا جائز، وعليه يحمل قول سعيد بن المسيب، وكل ما هو جائز شرعًا، ومعلوم أن ما كان سببًا عقلًا وتجربة فإنه يجوز الاستشفاء به.

ج- النشرة الشرعية:

النشرة الشرعية: هي حل السحر بالطرق الشرعية، وهو من المباحات المشروعة «فهذا يحله أهل العلم والبصائر، وأهل الخبرة والتجارب، ومن القراءة عليه بالفاتحة، ويكرر، والكافرون، والمعوذتين، وينفث مع القراءة، ويقرأ عليه وعلىٰ زوجته، وهذه رقية استعملها العلماء، ونفع الله بها.

ومن ذلك ما ذكره بعض المتقدمين أنه تؤخذ ورقات من شجر السدر الأخضر فتدق، ويجعل في ماء، ثم يقرأ عليه هذه الآيات ثلاث مرات -ما تيسر- فيشرب منه، ثم يغتسل بالباقي، فيزول عنه ما أصابه، فهذه نشرة شرعية.

ومن المباح: الأدوية المجربة التي لا محظور فيها، ولا تكون نجسة، ولا استعانة فيها بالشياطين، ولا فيها ما حرم الله»[(١)].

٭٭٭

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٥٠).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

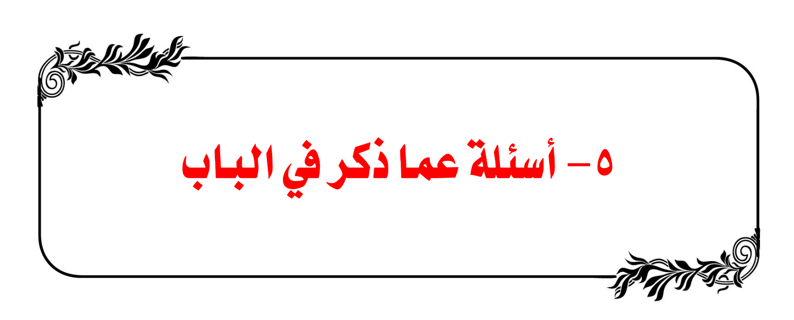
١- تحريم النشرة التي هي من عمل الشيطان، وهي نشرة الجاهلية.

٢- مشروعية سؤال العلماء عما أشكل حكمه.

٣- أن علاج المسحور بأدوية مباحة، وقراءة القرآن جائز، وأما علاجه بسحر مثله فحرام.

٤- البعد عن المشعوذين والدجالين الذين يدعون حل السحر بطرق خبيثة منكرة، ومن علاماتهم: أنهم يطلبون من المسحور أن يذبح شيئًا معينًا لكذا وكذا، وربما يتمتمون بكلمات غير مفهومة، وربما يطلبون اسم المسحور، ونحو ذلك.

٭٭٭



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما عنوان هذا الباب؟

س٢- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (به طب- يُؤَخَّذ عن امرأته).

س٤- اذكر معنىٰ النشرة لغة واصطلاحًا.

س٥- ما هي النشرة الجائزة؟

س٦- ما هي النشرة المحرمة؟

س٧- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❀❀❀

٢٨- باب ما جاء في التطير

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس:١٩].

٣- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا عدوىٰ، ولا طِيَرة، ولا هَامَة، ولا صَفَر**»(١). أخرجاه، زاد مسلم: «**ولا نوء، ولا غول**»(٢).

٤- ولهما عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا عدوىٰ، ولا طيرة، ويعجبني الفأل**. قالوا: وما الفأل؟ قال: **الكلمة الطيبة**»(٣).

٥- ولأبي داود بسند صحيح، عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأىٰ أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات**

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢١٧١-٢١٧٢)، (ح٥٤٢٥)، ومسلم (٤/ ١٧٤٢) (ح٢٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٧٤٤)، حديث رقم (٢٢٢٠، ٢٢٢٢).

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢١٧٨) (ح٥٤٤٠)، ومسلم (٤/ ١٧٤٦) (ح٢٢٢٤).

إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١].

٦- وله من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**»[٢]. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

٧- ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك.** قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: **أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»[٣].

٨- **وله من حديث الفضل بن العباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[٤].

❁❁❁

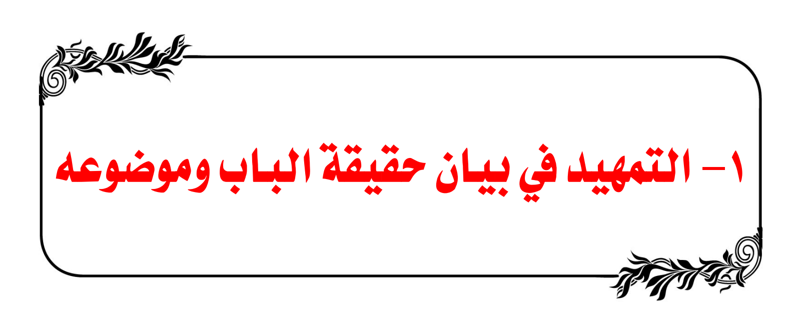
---

(١) «السنن» (٤/ ٢٣٥)، حديث رقم (٣٩١٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٣٠) (ح٣٩١٠)، و«سنن الترمذي» (٤/ ١٦١) (ح١٦١٤).

(٣) «المسند» (٢/ ٢٢٠).

(٤) «المسند» (١/ ٢١٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو ما جاء في التطير من النصوص الشرعية التي نهت عن التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع، وغيرها.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان ما جاء في التطير من التحذير الشديد، ونفي أن يكون له أي تأثير.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن التطير نوع من أنواع الشرك، وأنه لا يأتي بخير، وليس له أي تأثير كما يعتقده الجهال المشركون.

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المصنف -رحمه الله تعالىٰ- ما يتعلق بادعاء علم الغيب ذكر شيئًا آخر مما كان أهل الجاهلية يربطون بينه وبين الأمور المغيبة وهو التطير؛ فإنه ينافي التوحيد أو كماله الواجب؛ لما فيه من تعلق القلب بغير الله؛ فنهىٰ عنه الشارع، وذم المتطيرين.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾، والثانية: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾: أراد المؤلف أن الله تعالىٰ أخبر في الآية أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة -وهي الخصب والسعة والرخاء- قالوا: لنا هذه، أي: جديرون بها، ونحن أهلها، وإذا أصابتهم السيئة والبلاء والقحط تطيروا بموسىٰ ومن معه؛ فيقولون هذا بسبب موسىٰ وأصحابه؛ فالمقصود أن الآيتين دلتا علىٰ أن التطير من أعمال الكفار، وقد ذمهم الله ومقتهم عليه[1].

وأما حديث أبي هريرة وأنس: «**لا عدوىٰ...**»: استدل بهما المصنف لما فيهما من نفي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان عليه أهل الجاهلية، وما كانوا يعتقدونه من الطيرة والعدوىٰ، وأنها تؤثر بنفسها من غير إرادة الله.

الحديث الثالث: «**ذكرت الطيرة عند رسول الله**»: أورده المصنف لأنه يدل علىٰ أن الطيرة لا تأتي بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل الأمر بيد الله الواحد الأحد.

الحديث الرابع: «**الطيرة شرك**»: استدل به علىٰ تحريم الطيرة، وأن التطير من الشرك، والمراد هنا: الشرك الخفي[2].

الحديث الخامس: «**من ردته الطيرة**»: فيه الدلالة الصريحة علىٰ أن جالب الخير ودافع الشر هو الله وحده لا شريك له، ويتضمن الاعتماد عليه.

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٢٠-١٢١).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٢٤).

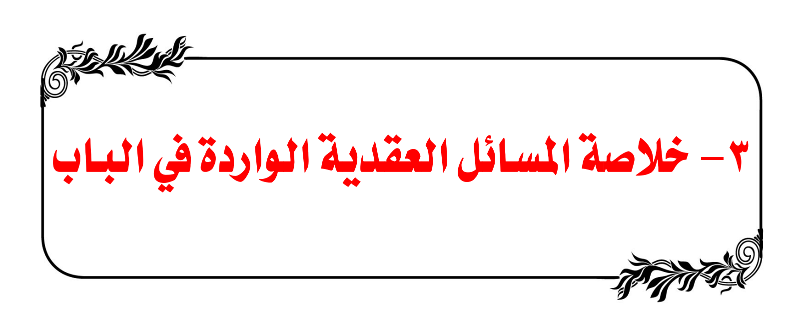
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ألا	أداة تنبيه.
إنما	أداة حصر.
طائرهم	ما قضىٰ عليهم وقدر لهم.
عند الله	أي: إنما جاءهم الشؤم بسبب كفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.
طائركم	أي: حظكم وما نابكم من شر.
معكم	أي: بسبب أفعالكم وكفركم.
أئن ذكرتم	أي: من أجل أنا ذكرناكم قلتم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾.
بل أنتم قوم مسرفون	عادتكم الإسراف في العصيان، ومنه جاءكم الشؤم عقوبة لكم.
لا عدوىٰ	العدوىٰ: انتقال الداء من شخص إلىٰ آخر بسبب اختلاطهما.
ولا طيرة	الطيرة: التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، والأشخاص.

ولا هامة	الهامة -بتخفيف الميم-: البومة، كانوا يتشاءمون بها، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.
ولا صَفَر	قيل: المراد به: حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، يزعمون أنها أشد عدوىٰ من الجرب، فجاء الحديث بنفي هذا الزعم، وقيل: المراد: شهر صفر، كانوا يتشاءمون به، فجاء الحديث بإبطال ذلك.
ولا غول	الغول: جنس من الجن والشياطين، يزعمون أنها تضلهم عن الطريق وتهلكهم؛ فجاء الحديث بإبطال ذلك، وبيان أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا أو تهلكه.
الكلمة الطيبة	كأن يكون الرجل مريضًا؛ فيسمع من يقول: يا سالم؛ فيؤمل المرء من مرضه.
ولا حول	الحول: التحول والانتقال من حال إلىٰ حال.
ولا قوة	ولا قدرة علىٰ ذلك.
إلا بالله	وحده.
الطيرة شرك	لما فيها من تعلق القلب بغير الله.
وما منا إلا	فيه محذوف تقديره: وما منا إلا وقع في قلبه شيء منها.
يذهبه بالتوكل	أي: أن التوكل علىٰ الله في جلب النفع ودفع الضر يذهب الطيرة.

فقد أشرك	لأنه لم يخلص توكله علىٰ الله حيث خاف من غيره.
لا إله غيرك	أي: لا معبود بحق سواك.
إنما الطيرة	أي: المنهي عنها.
ما أمضاك	أي: حملك علىٰ المضي فيما أردت.
أو ردك	أرجعك عن المضي فيه.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- التطير: معناه وحكمه:

التطير: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع من الطيور ونحوها، كأن يسمع صوت الغراب فيقول: هذا يوم مشئوم، أو يرىٰ رجلًا قبيحًا فيقول: هذا يوم شؤم.

وحكمه: التحريم؛ لأنه من الشرك؛ فإن هذه الأصوات والطيور والمخلوقات لا تملك لنفسها حولًا ولا قوة، ولا تدري شيئًا عن الغيب لنفسها فكيف لغيرها، ولم يجعلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علامة علىٰ ذلك؛ فجعلها مؤثرة في الأمور شرك، وجعلها علامة علىٰ الأمور خرافة.

ب- ما كان يتطير به أهل الجاهلية:

كانت الجاهلية الأولىٰ قبل الإسلام تعج بكثير من الخرافات والأوهام التي لا تستند إلىٰ برهان، كالتشاؤم بالطيور وأصواتها وممرها، كصياح طير البوم بالليل، فإذا وقع علىٰ دار أحدهم فهي تنعي الشخص إلىٰ نفسه، أو أحدًا من أهل البيت، وكذا التشاؤم ببعض الأزمنة كشهر صفر، فكانوا لا يتزوجون ولا يُزوجون فيه، فكل هذا أبطله الشارع لما فيه من تعلق للقلب بغير الله، وهذا شرك به عَزَّوَجَلَّ، وهي منتشرة في كثير من بلدان المسلمين اليوم، مع أنها مخالفة للشرع الحنيف.

ج- الفأل: معناه وحكمه، والفرق بينه وبين الطيرة:

الفأل وهو الكلمة الطيبة؛ أي: الكلام الحسن يسمعه الإنسان فَيَسُّره، ويقوىٰ رجاؤه وثقته بالله تعالىٰ، ومثل هذا التفاؤل بالاسم الحسن.

ومثاله: أن يكون الإنسان مريضًا فيسمع رجلًا يقول: يا سالم، أو يكون فاقدًا ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في قلبه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته.

ومثل هذا جاء في الشرع كما في صلح الحديبية، عن عكرمة: «أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لقد سهل لكم من أمركم**»[(١)]. فهذا تفاؤل بالاسم.

وحكمه: أنه محمود؛ لأنه حُسْن ظن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وما المتفاءل به إلا سبب في زيادة حسن الظن بالله تعالىٰ.

والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل يستعمل علىٰ سبيل الاستبشار، ولا يرد عن العمل ولا يقدمه، وهو حسن ظن بالله تعالىٰ، والطيرة سوء ظن يمنع من الفعل مطلقًا، وفيه اعتقاد أن ذلك المتطير به يجلب السوء أو يمنعه، أو هو علامة عليه.

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، عن عكرمة مرسلًا، برقم (٢٥٨١) في حديث طويل، وقال الحافظ في «الفتح»: «له شاهد موصول» (٥/ ٣٤٢).



الإنسان، ولا بعقله، وليس فيه تعلق القلب بغير الله؛ بل فيه من المصلحة والنشاط والسرور، وتقوية النفوس علىٰ المطالب النافعة»(١).

د- كفارة التطير:

إن الإنسان قد يقع في قلبه التطير فعليه أن يقول: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»، ومعناه: لا يجلب الخير، ولا يدفع الشر غيرك، ولا معبود سواك، ويتضمن الاعتماد علىٰ الله وحده، والإعراض عما سواه، وأن الطيرة لا تضر من كرهها، ومضىٰ في طريقه.

هـ- حد الطيرة الشركية:

حد الطيرة الشركية: هي ما يحمل الإنسان علىٰ المضي فيما أراده أو يمنعه من المضي فيه فيرده التشاؤم بالطيور بأصواتها أو ممرها أو غير ذلك؛ لاعتقاده أن ذلك مؤثر في إيقاع الأمر، أو هو علامة علىٰ ذلك، وهي مذمومة؛ لأن فيها اعتمادًا علىٰ غير الله وسوء ظن بالله.

و- نفي العدوىٰ:

العدوىٰ: اعتقاد أن هذا المرض يصيبه مثلما أصاب صاحب المرض، أو هو مجاوزة العلة من صاحبها إلىٰ غيره، والمراد بنفي العدوىٰ: نفي اعتقاد أنها تنتقل بنفسها، كما كان يعتقده أهل الجاهلية، أما أن المرض ينتقل إذا شاء الله تعالىٰ ذلك فهذا واقع لا محالة، وإنما كان القرب وسيلة للانتقال، ولو شاء الله

---

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٥١).

تعالىٰ وجود المرض بغير وسيلة القرب لأمكن.

وبهذا يجمع بين الأحاديث التي تفيد انتقال المرض بسبب القرب كحديث: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[١]، وحديث: «**لا يورد ممرض علىٰ مصحٍّ**»[٢]، وحديث الطاعون: «**إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه**»[٣].

فهذه الأحاديث كلها تدل علىٰ أن الله تعالىٰ قد ينقل المرض بسبب القرب والورود.

ز- نفي الغول:

الغول: اسم للغيلان، والأغوال واحده غول، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أنها تتراءىٰ في الفلاة للناس، وتغولهم؛ أي: تضلهم عن الطريق.

والمراد بنفي الغول: نفي أن يكون الجان والشياطين قادرين علىٰ ذلك مع ذكر الله تعالىٰ، وليس المراد نفي وجود الغيلان من الجن والشياطين، فإنها توجد وتتراءىٰ للناس، ولكن المقصود أنها لا تستطيع أن تضل ذاكرًا لله تعالىٰ.

ح- أثر الطيرة علىٰ النفس البشرية:

من تطير وعلق قلبه بذلك المكروه غاية التعلق، وعمل عليه، تصرف ذلك

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا في «صحيحه»، برقم (٥٧٠٧).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٥٧٧١)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٢٢٢١).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٥٧٢٨)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٢٢١٨).

المكروه في إرادته وعزمه وعمله؛ فلا شك أنه علىٰ هذا الوجه أثر علىٰ إيمانه وأخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لا تسأل عما سيحدث له هذا الأمر من ضعف في القلب، ووهن فيه، وخوفه من المخلوقين، وتعلقه بالأسباب، وبأمور ليست بأسباب، وانقطاع قلبه عن الله تعالىٰ، وإصابته بالوساوس والتخيلات.

وهذا من ضعف التوحيد والتوكل، ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل[1].

❀❀❀

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٥٢).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- إبطال الطيرة.

٢- إبطال اعتقاد أهل الجاهلية أن الأمراض تعدي بطبيعتها لا بتقدير الله تعالىٰ، لا تنافي بين هذا وبين الأمر بتجنب الأسباب التي توقع في الخطر، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فر من المجذوم**».

٣- بيان فساد التشاؤم بالهامة، وشهر صفر.

٤- توضيح أن اعتقاد تأثير الأنواء في إنزال المطر استقلالًا اعتقاد شركي فاسد.

٥- بيان بطلان اعتقاد أهل الجاهلية في الغيلان.

٦- وجوب التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه.

٧- أن ما وقع في القلب من الطيرة لا يضر؛ بل يُذهبه الله بالتوكل.

٨- أن الفأل نوع من الطيرة وهو خير أنواعها.

٩- أن الطيرة شرك لأن فيها تعلقًا للقلب بغير الله.

١٠- أن الله يذهب الطيرة بالتوكل عليه فلا تضر من وجد في نفسه شيئًا منها.

١١- أن حقيقة الطيرة الشركية هي ما دفعت الإنسان إلىٰ العمل بها.

١٢- أن ما لم يؤثر علىٰ عزم الإنسان من التشاؤم فليس بطيرة.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- أكمل حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لا عدوىٰ**».

س٢- اذكر مناسبة الباب لما قبله.

س٣- بيِّن معاني الكلمات الآتية: (لا هامة- لا صفر- ما أمضاك).

س٤- وضِّح بعض ما كان يتطير به أهل الجاهلية.

س٥- ما معنىٰ الفأل؟

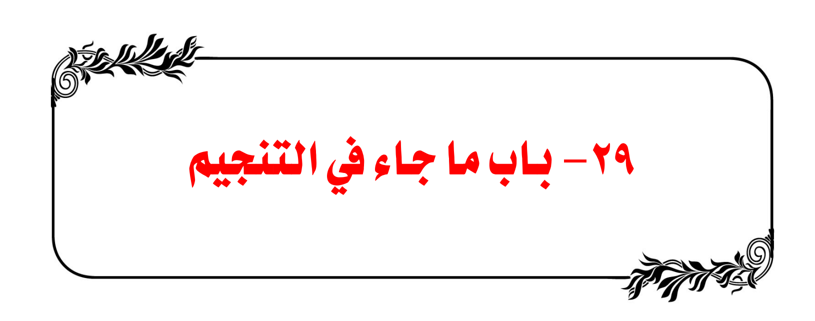
س٦- بيِّن الفرق بين الفأل والتطير؟

س٧- ما كفارة التطير؟

س٨- ما المراد بنفي العدوىٰ في الحديث؟

س٩- وضِّح المراد بنفي الغول.

س١٠- عَدِّد بعض ما يستفاد من الباب.



٢٩- باب ما جاء في التنجيم

١- **قال البخاري في «صحيحه»**: قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به»(١). انتهىٰ.

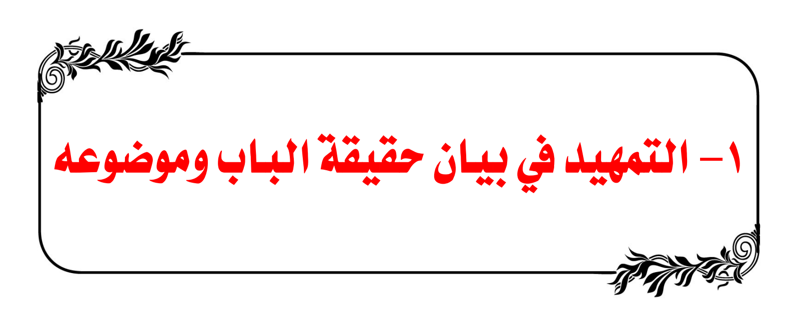
٢- وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل: أحمد، وإسحاق.

٣- وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر**»(٢). رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه.

❊❊❊

(١) رواه البخاري معلقًا (٣/ ١١٦٨-١١٦٩).

(٢) «المسند» (٤/ ٣٩٩)، و«موارد الظمآن» (ص٣٣٥)، (ح١٣٨٠، ١٣٨١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٧٤): «رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، والطبراني، ورجال أحمد، وأبي يعلىٰ ثقات».



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو ما جاء في النصوص من بيان حقيقة التنجيم وأنواعه، وحكمه.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حقيقة التنجيم، وتوضيح صوره، وبيان حكم التنجيم، وأنه قد يكون كفرًا وناقضًا للتوحيد، وقد يكون ناقصًا، وقد يكون غير ذلك.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان صور التنجيم، وحكم كل صورة، وأن من علم النجوم ما هو جائز تعلمه، ومنه ما هو محرم تعلمه.

د- مناسبة الباب:

بعد أن رد المصنف علىٰ من يدّعون علم الغيب عن طريق تعلم (أبا جاد)، وقراءة الكف، وغير ذلك، عقد هذا الباب ليبين أن علم التنجيم فيه إخبار بالمغيبات التي لا يطلع عليها إلا الله وحده، وأن بعض أنواع التنجيم من الشرك المنافي للتوحيد.

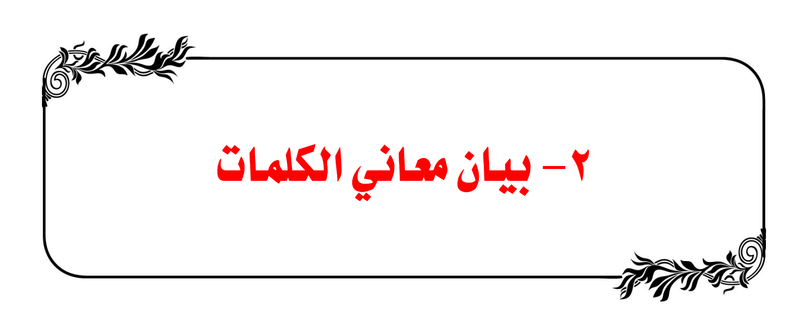
هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الأثر الأول: «خلق الله هذه النجوم»: أراد أن الأثر يفيد بطلان زعم من استعمل النجوم في غير هذه الثلاث، من ادعاء علم الغيب ونحوه.

الأثر الثاني: «وكره قتادة، ولم يرخص ابن عيينة»: أوردهما لبيان الخلاف في مسألة تعلم منازل القمر.

وأما حديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة»: أراد المصنف أن الحديث من نصوص الوعيد التي كره العلماء تأويلها، وقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت، وهذا الوعيد يرجع إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ، ولما كان التنجيم شعبة من السحر، استدل المصنف بهذا الحديث للتحذير منه.



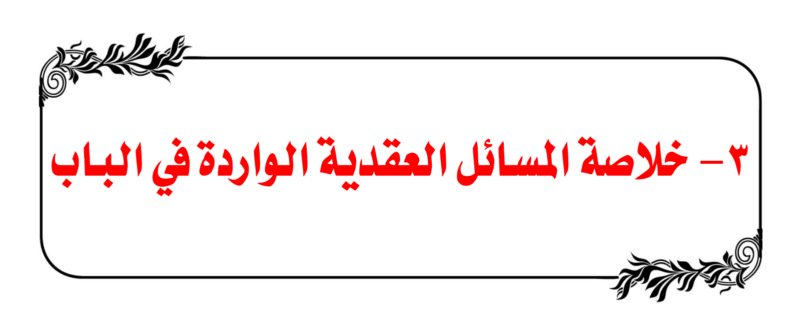


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
التنجيم	النظر في النجوم والاستدلال بها علىٰ الأحوال الأرضية.
خلق الله النجوم لثلاث	أي: لثلاث فوائد ذكرها الله في القرآن الكريم.
زينة للسماء	أي: تزين السماء بضوئها ولمعانها وبهائها.
رجومًا للشياطين	أي: ترجم وتقذف الشياطين الذين يسترقون السمع.
وعلامات يهتدىٰ بها	أي: دلالات علىٰ الجهات والبلدان، ونحو ذلك.
فمن تأوَّل فيها غير ذلك	أي: من زعم فيها غير ما ذكره الله تعالىٰ في هذه الآيات الثلاث فادعىٰ بها علم الغيب.
فقد أخطأ	أي: جانب الصواب.
وأضاع نصيبه	أي: حظه من عمره لانشغاله بما لا فائدة فيه.
منازل القمر	هي التي ينزل القمر في كل ليلة منزلة منها، وهي ثمان وعشرون منزلة.

لا يدخلون الجنة	هذا من نصوص الوعيد التي تمر كما جاءت.
مدمن الخمر	المداوم علىٰ شربها حتىٰ يموت دون توبة.
قاطع الرحم	هو الذي لا يقوم بواجب القرابة، ولا يَصِلُ الأرحام.

❁ ❁ ❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- أنواع التنجيم وحكم كل نوع:

التنجيم نوعان:

الأول: يسمىٰ علم التأثير، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية، وأن النجم الفلاني يؤثر في الأرض بوقوع كذا وكذا فيها، وأن أُفول النجم الفلاني يعني موت كذا وكذا، وهذا النوع محرم؛ لأنه من الشرك المنافي للتوحيد لما فيه من ادعاء علم الغيب وتعلق القلب بغير الله تعالىٰ.

النوع الثاني: علم التسيير، وهو الاستدلال بالشمس والقمر والنجوم علىٰ القِبلة، والأوقات، والأزمنة، والجهات، وهذا النوع جائز.

ب- الحكمة من خلق النجوم:

خلق الله النجوم لثلاث خصال:

١- زينة للسماء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك:٥].

٢- ورجومًا للشياطين، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك:٥].

٣- وعلامات يُهتدىٰ بها، أي: دلالات علىٰ الجهات، والأوقات، والأزمنة،

يهتدي بها الناس في ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦].

ومن زعم فيها غير ذلك؛ فقد أخطأ طريق الحق، وأضاع نصيبه من كل خير، وتكلَّف ما لا علم له به.

ج- حكم تعلم منازل القمر:

لقد اختلف العلماء في حكم تعلم منازل القمر، فرخص فيه الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ولم يرخص فيه الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، وسفيان بن عيينة المكي، وقد ذكر هذه الأقوال العلامة حرب بن إسماعيل الكرماني من أجِلَّة أصحاب الإمام أحمد.

ولعل هذا الخلاف راجع إلىٰ ما تقدم في أقسام التنجيم؛ فمن رخَّص فيه قصد علم التسيير الجائز، ومن لم يرخِّص فيه قصد علم التأثير المحرم.

د- حكم المصدق بالسحر:

إذا صدق الشخص أن السحر حقٌّ، وأنه يغير الأشياء عن حقيقتها إلىٰ حقيقة أخرىٰ غير التي خلقها الله عليها، أو أنه ينفع ويضر من دون الله، وأن صاحبه علىٰ حقٍّ، أو أنه يعلم الغيب؛ فهذا لا شك أنه يكون كافرًا.

أما إذا صدق بأنه موجود، وأن له تأثيرًا بتقدير الله، ويعلم أنه حرام، ويبتعد عن السحر وأهله، فهذا مطلوب شرعًا، وهو مقتضىٰ النصوص الشرعية(١).

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٥٥).

هـ- أصحاب الصفات المذمومة الوارد ذكرهم في حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- **مدمن الخمر**: وهو المداوم علىٰ شربها ومات علىٰ شرب الخمر، ولم يتب.

٢- **قاطع الرحم**: وهو الذي لا يصل أقاربه، أو يسيء إليهم بالأقوال والأفعال.

٣- **المصدق بالسحر**: وهو الذي يعتقد أن للسحر مفعولًا وتأثيرًا من دون الله، ومنه التنجيم؛ لحديث: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر**». وهذا هو مناسبة الحديث للباب.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- الرد علىٰ من زعم أن النجوم خُلِقت لحكمة غير ما ذكر الله فيها.

٢- تحريم التنجيم وأنه من الكبائر؛ لأنه داخل في السحر الذي لا يدخل الجنة من صدق به.

٣- تحريم شرب الخمر، والوعيد الشديد في حق من مات ومن لم يتب من شربها.

٤- وجوب صلة القرابة وتحريم قطيعتها.

٥- وجوب اعتقاد بطلان السحر بجميع أنواعه.

٦- جواز تعلم منازل النجوم بقدر ما يحصل به الاهتداء.

❀❀❀

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- قال قتادة: «خلق الله هذه النجوم لثلاث» أكمل الأثر.

س٢- بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٣- وضِّح معاني الكلمات الآتية: (التنجيم- رجومًا- مدمن الخمر).

س٤- ما الفرق بين علم التأثير، وعلم التسيير في التنجيم؟

س٥- اختلف العلماء في تعلم منازل القمر؛ فكيف الجمع بينهما؟

س٦- عَدِّد الصفات المذمومة الواردة في حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س٧- اذكر بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢].

٢- وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**».

٣- وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قَطِران ودرع من جرب**»(١). رواه مسلم.

٤- ولهما عن زيد بن خالد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «صلىٰ لنا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب**»(٢).

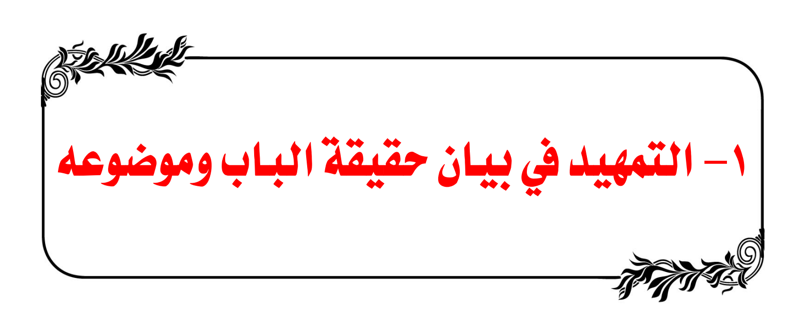
---

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٤٤)، حديث رقم (٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (١/ ٣٥١)، حديث رقم (٩٩١)، ومسلم (١/ ٨٣-٨٤)، حديث رقم (٧١).

٥- ولهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]».

۞۞۞



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان ما جاء من النصوص الشرعية في حقيقة الاستسقاء بالأنواء، وحكمها.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم من ظن أن المطر نزل بسبب النجم الفلاني، أو المنزل الفلاني، وأن لهذه النجوم تأثيرًا في ذلك، فهذا نوع من أنواع الشرك؛ لأنه طلب للسقيا من غير الله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن المتصرف في إنزال المطر هو الله تعالىٰ، وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي يسقي عباده، وأن هذه النجوم لا تؤثر ولا تكون سببًا في نزول المطر، وإن كانت علامة عليها أحيانًا، كالسحاب المسود علامة علىٰ نزول المطر، ولكن قد ينزل المطر وقد لا ينزل؛ لأن الأمر بيد قيوم السموات والأرض.

د- مناسبة الباب:

بعد أن تكلم المصنف عن التنجيم وعلاقته بادعاء علم الغيب عقد هذا الباب ليبين ما عليه أهل الجاهلية من طلب المطر من النجوم، وهو معنىٰ

الاستسقاء بها، ولا شك أن ذلك نوع تعلق بها، يؤثر الاستغاثة بها.

ونسبة مجيء المطر إلىٰ الأنواء، هو من علم التنجيم المحرم الذي هو علم التأثير؛ لهذا ناسب أن يذكره المصنف بعد باب التنجيم.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: استشهد بها؛ لأنها تدل علىٰ أن المشركين كانوا ينسبون الرزق إلىٰ غير الله تعالىٰ؛ وكذلك من استسقىٰ بالأنواء فإنه قد نسب الرزق إلىٰ غير الله تعالىٰ.

الحديث الأول: «**أربع من أمتي من أمر الجاهلية**»: استدل به لما فيه من الخبر علىٰ وقوع الاستسقاء بالنجوم، وأن ذلك من أمر الجاهلية.

الحديث الثاني: «**أصبح من عبادي**»: أورده لما فيه من الدلالة علىٰ أن الاستسقاء بالكواكب كفر، وأن المؤمن هو من يعتقد أن الأمر بيد الله تعالىٰ.





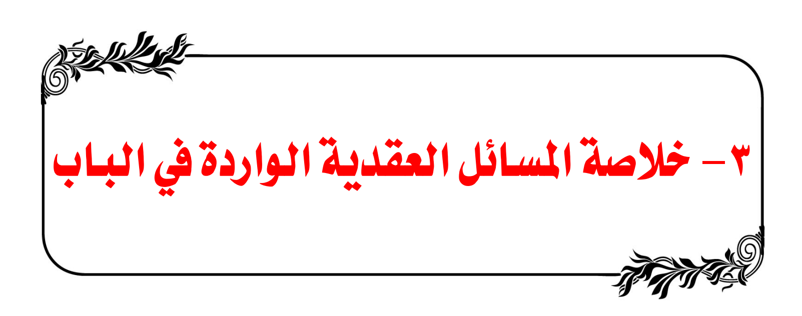
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الاستسقاء	أي: طلب السقيا ومجيء المطر.
بالأنواء	جمع نوء -وهي منازل القمر- وهي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]. وهي عبارة عن ثمانية وعشرين نجمًا معروفة المطالع، المطالع في كل ثلاثة عشر يومًا يغيب واحد منها مع طلوع الفجر ويطلع رقيبه من المشرق، وتنقضي كلها مع انقضاء السنة القمرية [١٣×٢٨=٣٦٤]. وتزعم العرب في الجاهلية أنه إذا غاب واحد منها وطلع رقيبه يكون مطر، وينسبونه إلىٰ طلوع النجم أو غروبه، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا.
وتجعلون رزقكم	أي: تجعلون نصيبكم من شكر نعمة الله بإنزال المطر.
أنكم تكذبون	فتنسبون النعم لغير الله من الكواكب فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا.

من أمر الجاهلية	المراد بالجاهلية هنا: ما كان قبل البعثة، سموا بذلك لفرط جهلهم، وكل ما يخالف ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو جاهلية.
لا يتركونهن	أي: لا يتركها بعض هذه الأمة.
الفخر بالأحساب	أي: التعاظم علىٰ الناس بالآباء ومآثرهم، والجنس وقبائلهم.
الطعن في الأنساب	أي: الوقوع فيها بالعيب والتنقص والقدح في صحتها.
الاستسقاء بالنجوم	أي: نسبة السقيا ومجيء المطر إلىٰ النجوم والأنواء.
النياحة	رفع الصوت بتعديد محاسن الميت.
تقام يوم القيامة	تبعث من قبرها وتوقف يوم الحساب والجزاء.
سربال من قطران	أي: ثوب من نحاس مذاب تلطخ به فيصير كالثوب.
درع من جرب	الدرع ثوب ينسج من حديد ويلبس في الحرب، والجرب: مرض جلدي معروف.
صلىٰ لنا	أي: صلىٰ بنا، فاللام بمعنىٰ الباء.
الحديبية	قرية سميت ببئر هناك علىٰ مرحلة من مكة، تسمىٰ الآن بالشميسي.
إثر سماء	عقب مطر نازل من السماء.
فلما انصرف	أي: التفت إلىٰ المأمومين، وليس المراد الانصراف من المكان.

أتدرون	لفظ استفهام معناه التنبيه.
من عبادي	المراد العبودية العامة.
وكافر	أي: الكفر الأصغر.
مطرنا بفضل الله ورحمته	أي: نسب المطر إلىٰ الله واعتقد أنه أنزله بفضله ورحمته.
مطرنا بنوء كذا وكذا	أي: نسب المطر إلىٰ غير الله، وإن كان يعتقد أن المُنزِّل له هو الله.
صدق نوء كذا وكذا	أي: صدق سحاب ومطر النجم الفلاني.
فلا أقسم	هذا قسم من الله عَزَّوَجَلَّ وهو يقسم بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله.
بمواقع النجوم	أي: مطالع الكواكب ومغاربها علىٰ قول الأكثر من المفسرين.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ الاستسقاء بالأنواء:

الاستسقاء: طلب السقيا، والمراد به هنا نسبة السقيا ومجيء المطر بسبب الأنواء.

والأنواء: جمع نوء، وهو موضع سقوط الكوكب، وقيل: إنه الكوكب وهو النجم، وكانت العرب في الجاهلية تزعم أنه مع طلوع نجم وغروب آخر يكون مطر ينسبونه إليها، وهي منازل القمر.

وإنما سمي نوءًا؛ لأنه إذا سقط الغارب منها في المغرب ناء طالع المشرق؛ بمعنىٰ: نهض وطلع.

ب- حكم الاستسقاء بالنجوم:

الاستسقاء بالنجوم علىٰ نوعين:

أحدهما: أن يعتقد أن للنجم تأثيرًا في إنزال المطر؛ فهذا كفر؛ لأنه أشرك في الربوبية، والمشرك كافر.

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلىٰ النجم، مع اعتقاد أن الله هو الفاعل، لكن

أجرىٰ الله العادة بنزول المطر عند سقوط ذلك النجم بظنه[1].

ج- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة:٧٥]:

أقسم الله تعالىٰ بمواقع النجوم، وهي مساقط كواكب السماء، ومغاربها، وله أن يقسم بما شاء من خلقه علىٰ ما يشاء، والمقسم عليه القرآن الكريم، والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: أن النجوم جعلها الله يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يُهتدىٰ بها من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نور التوحيد والهدىٰ.

وخُصَّت مواقع النجوم بالقسم بها؛ لما في غروبها من أثر زوالها، والدلالة علىٰ مؤثر دائم لا يزول وهو الله تعالىٰ[2].

د- المشركون ينسبون نزول المطر إلىٰ النوء:

كان أهل الجاهلية يتعلقون بالنجوم ويستيغثون بها، وينسبون ما نزل من المطر بقدرة الله تعالىٰ وقضائه إلىٰ الأنواء والنجوم المخلوقة المدبرة، ويعتقدون أن لها تأثيرًا؛ فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهذا غاية الجهل؛ بل كفر بالنعمة؛ لأن المُنعم المُنزِّل للمطر هو الله تعالىٰ؛ فينكرون نعمة الله عليهم، وينسبونها إلىٰ الأنواء التي لا تملك جلب نفع ولا دفع ضر.

فهذه النجوم غاية ما فيها أن الله تعالىٰ جعلها علامات علىٰ الطرقات

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٣٣).

(٢) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٣٣).

والأزمنة وقد تكون علامة علىٰ بداية الربيع، أو موسم نزول المطر، ولكنها ليست أسبابًا في نزول المطر؛ فضلًا عن أن تكون مؤثرة وفاعلة ومدبرة.

هـ- خصال الجاهلية الواردة في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- **الفخر بالأحساب**: والمراد به التعاظم والتطاول والتكبر علىٰ الناس بالمال والشرف والجاه.

٢- **الطعن في الأنساب**: وهو الوقوع فيها بالعيب والتنقص والقدح، وهو نوع اعتلاء بنسبه هو؛ فيقدح في نسب الآخر ليعتلي هو.

٣- **الاستسقاء بالنجوم**: وهو نسبة مجيء المطر إلىٰ النوء، وهو سقوط النجم.

٤- **النياحة علىٰ الميت**: وهي رفع الصوت بالندب جزعًا علىٰ الميت، وهي من الكبائر، والوعيد والعقوبة عليها شديدة، جاءت في أحاديث كثيرة.

و- المشروع قوله عند نزول المطر:

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأىٰ المطر قال: «**صَيِّبًا نافعًا**»[(١)]، وإذا كثر المطر، قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والظِّراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**»[(٢)].

❀❀❀

(١) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٩٨٥).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٩٦٨)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٨٩٧).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- إبطال نسبة نزول المطر إلىٰ الأنواء، وأن نسبة نزول المطر إلىٰ النوء ينافي الشكر، وهو تكذيب لنعمة الله تعالىٰ.

٢- وجوب شكر الله علىٰ نعمه، ووجوب نسبة نزول المطر إليه تفضلًا منه وإحسانًا.

٣- تحريم الاستسقاء بالأنواء وأنه من أمور الجاهلية.

٤- حرمة الافتخار بالأحساب، وأنه من أمور الجاهلية.

٥- تحريم النياحة وبيان عقوبتها وأنها من الكبائر.

٦- أن المسلم قد يكون فيه شيء من خصال الجاهلية ولا يقتضي ذلك كفره.

٧- وجوب شكر الله علىٰ النعمة، وأنه لا يجوز إضافتها إلىٰ غيره.

٨- وصف الله بالفضل والرحمة.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- أكمل حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أربع في أمتي...**».

س٢- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (الاستسقاء- الأنواء- النياحة).

س٤- ما حكم نسبة نزول المطر إلىٰ النجم الفلاني؟

س٥- هل من شكر الله تعالىٰ نسبة رحمته وفضله إلىٰ غيره؟

س٦- عَدِّد بعض خصال الجاهلية.

س٧- اذكر الدعاء المشروع عند نزول المطر.

س٨- ماذا استفدت من هذا الباب؟

❊❊❊

٣١- باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]

١- وقوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾ [التوبة:٢٤].

٢- عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1]. أخرجاه.

٣- ولهما عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[2].

وفي رواية: «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتىٰ يحب المرء لا يحبه إلا لله...**»[3]. إلىٰ آخره.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (١٥)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٤٤).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٢١)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٤٣).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، برقم (٥٦٩٤).

٤- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان -وإن كثرت صلاته وصومه- حتىٰ يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا، وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا»(١). رواه ابن جرير.

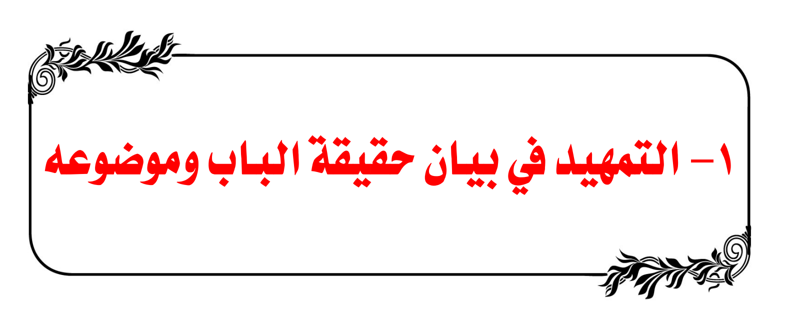
٥- وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴾، قال: «المودة»(٢).

﴾ ❁ ❁ ❁ ﴿

---

(١) ذكر الجزء الأول منه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٧)، وذكر أنه أخرجه: ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والحكيم الترمذي.

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢/ ٧١)، و«الدر المنثور» (١/ ٤٠٢).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو محبة الله وأنها من أهم العبادات، وأفضل القربات، وأساس الدين، ومن أعظم دلالات التوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

بوب المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بآية المحبة، التي تدل علىٰ أن المؤمنين يحبون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعظم حب وأشده؛ فحبهم لله تعالىٰ خالص، بخلاف محبة المشركين لله تعالىٰ فإنها مشوبة.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن محبة الله تعالىٰ المحبة الخالصة هي أصل دين الإسلام، وبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص، وبنقضها ينقض.

د- مناسبة الباب:

عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه، وأن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله فهو ممن اتَّخذ من دون الله أندادًا.

فهذا نقل من المصنف إلىٰ بيان مكملات التوحيد، وبيان أساسياته بعد أن بين نواقض التوحيد وبعض منقصاته.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ﴾: أراد المصنف أن الآية تفيد وجوب محبة الله تعالىٰ، ومحبة أوامره، محبة تفوق المحبات الدنيوية، وتكون باعثة علىٰ القيام بالأوامر الشرعية، وناهية عن المساخط، وحطام الدنيا.

وأما حديث: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ...**»: استشهد به لما فيه من الدلالة علىٰ وجوب محبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وأن ذلك عبادة وقربة إلىٰ الله تعالىٰ.

حديث: «**ثلاث من كن فيه**»: فيها الدلالة علىٰ أن محبة الله ورسوله ودينه تثمر في القلب حلاوة.

قول ابن عباس: «**من أحب في الله**»: أراد المصنف الاستدلال به علىٰ أهمية محبة الله، وأن السلف فهموا أهمية ذلك، وبيان ما به تنال الولاية.





٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
أندادًا	أمثالًا ونظراء.
يحبونهم كحب الله	أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم.
عشيرتكم	أقرباؤكم الذين تعاشرونهم، مأخوذة من العشرة.
اقترفتموها	اكتسبتموها.
كسادها	فوات وقت نفاقها ورواجها.
أحب إليكم من الله ورسوله	أكثر محبة لديكم من الله ورسوله.
فتربصوا	أي: انتظروا ما يحل بكم من عقابه.
لا يؤمن أحدكم	أي: الإيمان الكامل.
ثلاث من كن فيه	أي: ثلاث خصال.
حلاوة الإيمان	لذة القلب ونعيمه وسروره.
مما سواهما	مما يحبه الإنسان بطبعه كالوالد والولد والزوج، ونحو ذلك.

لا يحبه إلا الله	أي: لأجل طاعته لله.
أن يعود في الكفر	أي: يرجع إليه.
كما يكره أن يقذف في النار	يعني: يستوي عنده الأمران: الإلقاء في النار، أو العودة إلىٰ الكفر.
من أحب في الله	أي: أحب المؤمنين من أجل إيمانهم بالله.
ووالىٰ في الله	أي: والىٰ المؤمنين بنصرتهم واحترامهم وإكرامهم.
وأبغض في الله	أي: أبغض الكفار والفاسقين لمخالفتهم لربهم.
وعادىٰ في الله	أي: أظهر العداوة للكفار بالفعل كجهادهم والبراءة منهم.
ولاية الله	بفتح الواو: توليه لعبده بالنصرة والمحبة.
طعم الإيمان	ذوق الإيمان ولذته والفرح به.
مؤاخاة الناس	تآخيهم ومحبة بعضهم لبعض.
علىٰ أمر الدنيا	أي: لأجل الدنيا فأحبوها وأحبوا لأجلها.
لا يُجدي	لا ينفع.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- أقسام المحبة:

المحبة ثلاثة أقسام باعتبار:

١- محبة الله.

٢- محبة له وفيه.

٣- محبة معه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمحبة له وفيه من تمام محبته، وموجباتها، لا من قواطعها؛ فإن محبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب، ومحبة ما يعين علىٰ حبه، ويوصل إلىٰ رضاه وقربه، وكيف لا يحب المؤمن ما يستعين به علىٰ مرضاة ربه؟ ويتوصل به إلىٰ حبه وقربه؟

وأما المحبة مع الله فهي المحبة الشركية، وهي كمحبة أهل الأنداد لأندادهم»[(١)].

ويمكن أن يجعل بالتفصيل أربعة أقسام:

١- محبة الله، وهي أصل الإيمان والتوحيد.

---

(١) «روضة المحبين» (ص٣١٤).

٢-المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله، ورسله، والصالحين، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال، والأقوال، والأزمنة، والأمكنة؛ فهي في الحقيقة تابعة لمحبة الله، وإنما كان حبهم لحب الله.

٣- محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم، وهي أصل الشرك، وأساسه.

وهذه الثلاثة السابقة هي محبات تعبدية.

٤- محبة طبيعية؛ كمحبة الوالد، والولد، والزوجة، ونحو ذلك[(١)].

ب- وجوب تقديم محبة الله علىٰ كل محبوب:

إخلاص المحبة لله وحده هي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه، وتسبق جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها، بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه، ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

ج- محبة الله من أهم العبادات:

محبة الله تعالىٰ من أهم العبادات، وأفضل القربات، وأساس الدين؛ لأن حبه يقتضي الإخلاص له، والامتثال لأمره، وترك نهيه.

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٣٨).

وتستولي محبة الله علىٰ قلب المسلم حتىٰ يصبح لا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يبحث إلا عن مراضي الله، ولا يهتم إلا بما يقرب إلىٰ الله.

د- محبة غير الله يجب أن تكون تابعة لمحبة الله:

محبة غير الله من الرسل والأنبياء والملائكة والصالحين يجب أن تكون تابعة لمحبة الله.

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كمحبة الرسل، نحبهم لأنهم رسل الله؛ فلا نحبهم محبة عبادة، وكذلك المؤمنين نحبهم لأنهم أطاعوا الله؛ فنواليهم.

أما محبة الذل والعبادة فهذه لله وحده لا يشاركه فيها أحد، والمشركون يصرفون هذه المحبة للأنداد، وبعضهم يجرؤ علىٰ الحلف بالله كاذبًا، ولا يجرؤ علىٰ الحلف بالأنداد والشيوخ كاذبًا، ويقول: هذه الأنداد أشد وأسرع انتقامًا من الله»[1].

هـ- تقديم محبة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ محبة كل مخلوق:

يجب محبة جميع الرسل الذين أرسلهم الله، ومحبتهم تابعة لمحبة الله، أي فيها ذل وعبادة، فهي لله وحده، فنحب الرسل جميعهم؛ لأنهم رسل الله والمصطفون من عباده، ولطاعتهم لله.

(١) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٦٢).

ومن محبة الرسل: المحبة الخاصة لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلا يكمل إيمان عبد حتىٰ يقدم محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ محبة أهله وولده وماله ونفسه والناس أجمعين، وذلك أن حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل علىٰ محبة الله تعالىٰ؛ لأن الرسول هو المبلغ عنه، والهادي إلىٰ دينه، ومحبة الله ورسوله لا تصح إلا بامتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه.

وأعظم علامة علىٰ حب الله تعالىٰ وحب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي العلامة التي جعلها الله تعالىٰ في آية المحنة، حيث قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

فاتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يساوي محبة الله تعالىٰ؛ فهذه معادلة تعني أنه حيث وُجِدَ الاتباع، وُجِدَت المحبة، ولا عكس، وقديمًا قيل: إن المحب لمن يحب مطيع.

وليس من علامة محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إقامة ما يخالف شرعه، واختراع المحدثات من الأمور في دينه، ولا الغلو فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا إقامة الاحتفالات وإنشاء القصائد وتلحين الأغاني.

فإن الاتباع ليس بالهوىٰ، ولكن يكون بالأثر، وهو الذي يورث المحبة الصادقة.

و- أقسام المحبة الطبيعية:

المحبة الطبيعية ثلاثة أقسام:

١- محبة إجلال وإعظام؛ كمحبة الوالد.

٢- محبة شفقة ورحمة؛ كمحبة الولد.

٣- محبة مشاكلة واستحسان؛ كمحبة سائر الناس، ومنه محبة الطعام والشراب واللباس، والنكاح، ونحوها.

وهذه إذا كانت مباحة وأعانت علىٰ طاعة الله فهي عبادة، وإن توسل بها إلىٰ محرم فهي محرمة، وإلا بقيت من أقسام المباحات[(١)].

قال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما المحبة الطبيعية؛ كمحبة الطعام والنساء، والأولاد؛ فهذه لا تقدح في محبة الله، إذا لم تؤثر علىٰ محبة الله؛ فإن زادت حتىٰ صارت قادحة في محبة الله؛ كأن يطيع زوجته في معصية الله، فإن هذه المحبة تكون منقصة للإيمان بقدر ما تؤثر علىٰ محبة الله؛ فلابد أن تكون مقيدة بشرع الله»[(٢)].

ز- الخصال التي يجد بها المؤمن حلاوة الإيمان:

١- أن تكون محبة الله ورسوله مقدمة علىٰ محبة الأولاد، والأموال، والأزواج وغيرها.

٢- أن تكون محبة الإنسان لغيره من الناس خالصة لله تعالىٰ، لا لغرض أو عرض دنيوي.

٣- كراهية الكفر وأهله.

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٣٨).

(٢) «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٦٣).

ح- الأسباب الجالبة لمحبة الله:

١- فعل الواجبات وترك المحرمات.

٢- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

٣- التقرب إلىٰ الله بالنوافل بعد الفرائض.

٤- دوام ذكر الله علىٰ كل حال باللسان، والقلب، والعمل.

٥- إيثار محاب الله تعالىٰ علىٰ محابك عند غلبات الهوىٰ.

٦- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها.

٧- مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

٨- انكسار القلب بين يديه.

٩- الخلوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل.

١٠- مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم.

١١- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن المحبة نوع من أنواع العبادة يجب إخلاصها لله تعالىٰ.

٢- أن من اتخذ ندًّا تساوي محبته محبة الله، فهو مشرك الشرك الأكبر.

٣- وجوب محبة الله تعالىٰ ومحبة ما يحبه الله.

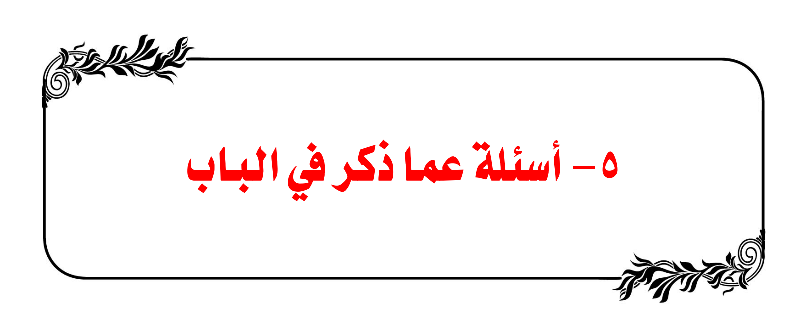
٤- وجوب محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديمها علىٰ محبة كل مخلوق.

٥- مشروعية بغض الكفر والكافرين؛ لأن من أبغض شيئًا أبغض الله مَن اتصف به.

٦- مشروعية وفضيلة الحب في الله، والبغض في الله، وأنه لا يغني عنهما كثرة الأعمال الصالحة.

٧- بيان ثمرة الحب في الله، والبغض في الله من حصول ذوق طعم الإيمان والتلذذ به.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات الآتية: (أندادًا -كسادها- والىٰ في الله).

س٤- محبة الله تعالىٰ عبادة تكون مع الذل والطاعة، وضح ذلك.

س٥- ما هي آية المحنة؟

س٦- عَدِّد الخصال التي تكون سببًا لنيل حلاوة الإيمان.

س٧- اذكر بعض الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالىٰ.

س٨- ماذا يستفاد من هذا الباب؟

❊❊❊



٣٢- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]

١- وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

٢- وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠].

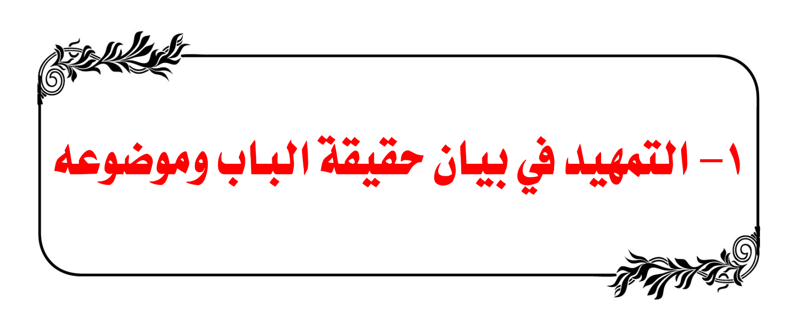
٣- وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**إن من ضعف اليقين: أن تُرضي الناسَ بسخط الله، وأن تحمدهم علىٰ رزق الله، وأن تذمهم علىٰ ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره**»(١).

٤- وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»(٢).

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٦)، (١٠/ ٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٢١، ح٢٠٧).

(٢) رواه ابن حبان كما في «موارد الظمآن» (ص٣٧٠)، برقم (١٥٤١، ١٥٤٢)، قال المناوي في =



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو وجوب خوف الله تعالىٰ خوفًا يحمله علىٰ الإخلاص له، وأداء ما فرض عليه، والوقوف عند حدوده.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ وحده، وعدم الخوف من الأنداد والأوثان والمعبودين من دون الله تعالىٰ، وأن الخوف من الله تعالىٰ وحده علامة علىٰ الإيمان، وإنما أتىٰ بالآية؛ لأن فيها الإشارة إلىٰ ما ذكر.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن الخوف من الله تعالىٰ من أساسيات التوحيد، وهو دليل علىٰ إيمان صاحبه، وأن المشرك هو الذي يخاف من الأوثان والأصنام والأنداد.

د- مناسبة الباب:

بعد أن فرغ المصنف من الكلام عن وجوب إخلاص الحب لله عَزَّوَجَلَّ،

=

«فيض القدير» (٦/ ٥١): «رمز المصنف -يعني السيوطي- لحسنه»، وأورده الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٩٧).

ناسب أن يعقد هذا الباب لوجوب بيان تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهي عن الخوف من المخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك، وذلك لما بين الخوف والمحبة من الرباط؛ لأنهما جناحا الإيمان.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: أراد المصنف الاستدلال بها علىٰ أن المؤمنين هم الذين يعبدون الله في مساجد الله، ويخافون منه، ويفردونه بالعبادة، لا الذين يعمرون القبور، ويشركون بالله.

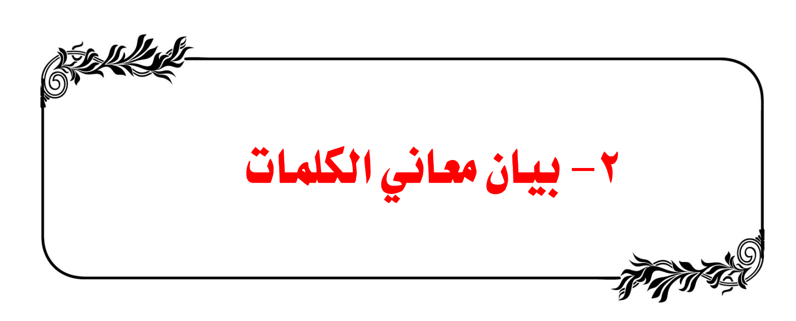
الآية الثانية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: أوردها المصنف لأنها دلت علىٰ ذم من خاف الناس، وجعل عقوبتهم كعقوبة الله؛ فارتد عن دينه بسبب أذيتهم وتخويفهم[1].

الحديث الأول: «**إن من ضعف اليقين**»، والثاني: «**من التمس رضا الله بسخط الناس**»: استدل بهما المصنف علىٰ ذم من خاف الناس، وقدم رضاهم علىٰ رضا الله تعالىٰ[2].

❀❀❀

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٤٢).

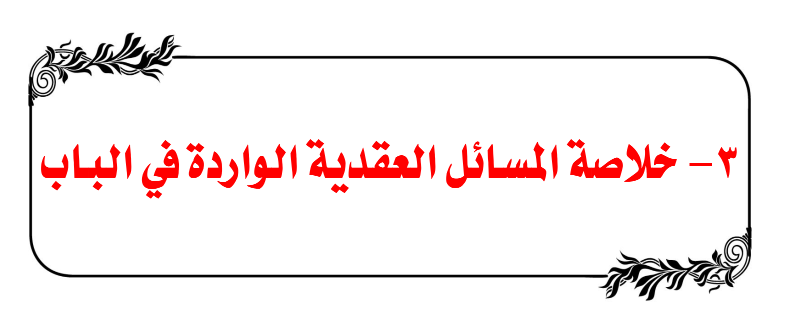
(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٤٣-١٤٤).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الشيطان	هو إبليس اللعين.
يخوف أولياءه	أي: يخوفكم بأتباعه ويوهمكم أنهم ذوو بأس شديد.
وخافون	أي: خافوا الله تعالىٰ ولا تخالفوا أمره.
إن كنتم مؤمنين	لأن الإيمان يقتضي أن تقدموا خوف الله علىٰ خوف الناس.
من يقول آمنا بالله	أي: يدعي الإيمان بلسانه.
أُوذي في الله	أي: لأجل الله عَزَّوَجَلَّ بسبب إيمانه به.
جعل فتنة الناس	أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه.
كعذاب الله	أي: جعل أذىٰ الناس الذي يناله بسبب تمسكه بدينه، كعذاب الله الذي يناله علىٰ ارتداده عن دينه؛ ففر من ألم أذىٰ الناس إلىٰ ألم عذاب الله فارتد عن دينه.
ليقولن إنا كنا معكم	يؤكدون القول أنهم كانوا معهم في الدين فيريدون الشركة في الغنيمة.

بما في صدور العالمين	بما في قلوبهم من الإيمان والنفاق.
ولم يخشَ إلا الله	ولم يخف؛ أي: خشية التعظيم والعبادة والطاعة.
ضعف	الضعف ضد القوة والصحة.
اليقين	كمال الإيمان وانتفاء الشك.
ترضي الناس بسخط	أي: تُؤْثِر رضاهم بما يسخط الله.
وأن تحمدهم	أي: تشكرهم.
تذمهم علىٰ ما لم يؤتك	أي: إذا طلبت منهم شيئًا فمنعوك ذممتهم علىٰ ذلك.
التمس	طلب.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾:

يخبر الله تعالىٰ أن الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه، ويعظمهم في صدورهم، ونهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين أن يخافوا غيره، وأمرهم أن يقصروا خوفهم علىٰ الله؛ فلا يخافوا أحدًا سواه؛ وأوجب عليهم إفراد الله تعالىٰ بالخوف العظيم، وخوف العبادة من القربات إلىٰ الله تعالىٰ فصرفها إلىٰ غير الله تعالىٰ شرك ينافي التوحيد[1].

ب- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾:

يقول الله تعالىٰ مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يَدَّعون الإيمان بألسنتهم ولم يثبت في قلوبهم أنهم إذا أُوذوا في الله؛ أي: من أجله، وفي سبيله، بأن عذبهم المشركون علىٰ الإيمان به؛ كما حصل في أول الإسلام، جعلوا فتنة الناس -وهي أذاهم في الدنيا- بمنزلة عذاب الله في الآخرة.

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٤٠).

المقصود: أن الله ذم من خاف الناس، وترك ما أوجب الله تعالىٰ عليه، من التوحيد، والعمل، أو خاف الناس ففعل بعض المحرمات.

ج- علامة ضعف اليقين:

اليقين ضد الشك، والقوة ضد الضعف، ولا يحصل قوة اليقين إلا بقوة كمال الإيمان؛ فضعف اليقين دليل علىٰ ضعف الإيمان.

وعلامة ضعف اليقين:

١- أن تسخط الله لترضي الناس.

٢- أن تشكر الناس ولا تشكر الله علىٰ النعمة التي ساقها إليك بواسطتهم.

٣- أن تذم الناس علىٰ ما لم يعطك الله تعالىٰ.

٤- التماس رضا الناس بسخط الله.

د- الخشية من صفات المؤمنين:

الخشية والخوف والهيبة لله هي أساس عبادة الله وحده، **والمراد بالخشية**: خشية التعظيم والعبادة والطاعة، وهي من صفات المؤمنين، حيث أفردوا الله بالخوف والخشية دون سواه، دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]، فالخشية عبادة يجب إخلاصها لله وحده، وإن خشية غيره شرك إذا ترتب عليها ترك طاعة[1].

---

(١) إن الوثنيين من المشركين السابقين، ومن اللاحقين من القبورية قديمًا وحديثًا يُخَوِّفون أهل التوحيد من آلهتهم الباطلة، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ
=

هـ- الخوف: معناه وأنواعه:

الخوف هو الفزع والوجل، وتوقع العقوبة، وترقب العذاب.

وهو أربعة أنواع:

١- **خوف الله تألهًا وتعبدًا له، وتقربًا إليه:** وهو من أعظم واجبات الإيمان، والله تعالىٰ كلما ازداد خوف العبد منه ازداد فراره إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الذاريات:٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾ [التوبة:١١٨].

٢- **خوف السر:** وهو أن يخاف الإنسان من غير الله من وثن، أو طاغوت،

=

بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود:٥٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦].

وهكذا القبورية تراهم إذا رد عليهم أحد من الموحدين ونهاهم عن الشرك والاستغاثة بالأموات إذا هم يخوفونه، ويقولون: إنك سيئ الأدب في حق الأولياء، اسكت، وإلا يسلب الولي منك الإيمان والقرآن والعلم، ويخشىٰ عليك سوء الخاتمة، وتصاب بكذا وكذا، ولهم في ذلك عجائب من الحكايات الكاذبة المكذوبة الموضوعة المصنوعة في التخويف والتهديد.

ويقولون: إن قومًا من الموحدين قطعت ألسنتهم، وآخرين عذبوا في قدر أغلي فيها الماء حتىٰ تطاير منها الشرر، إلىٰ أن ظهر نتن لحومهم وعظامهم، لأجل أنهم ينكرون علىٰ الأولياء، ومَن أولياؤهم؟ أولياؤهم أمثال ابن الفارض الاتحادي، وابن عربي الحلولي، وابن سبعين الوجودي.

ويزعمون أن القاضي عياضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينكر علىٰ «إحياء» الغزالي فمات في الحمام، وفلان حصل له كذا، وفلان صار له كذا وكذا، إلىٰ آخر تلك التخويفات.

انظر: «طبقات الصوفية» للشعراني (١/ ١٨٧)، و«روض الرياحين» لليافعي (ص٨)، و«المرتع الروي» (١/ ٣١٩-٣٢٠)، و«الأنوار القدسية» للشعراني الصوفي القبوري (٢/ ١٦١)، و«جامع الكرامات» للنبهاني (٢/ ٤١٢)، و«الكواكب الدرية» للمناوي (٢/ ١٠٢-١٠٣).

أو ميت، أو غائب، أن يصيبه بما يكره، ويخافه كما يخاف من الله تعالىٰ؛ فهذا شرك أكبر ينافي التوحيد.

٣- أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفًا من بعض الناس، يتوقع منهم العذاب والنكال به: فهذا محرم، وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد، ولكن إذا وقع العذاب والضرر فترك الواجب فهو في حكم المضطر.

٤- الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدوٍّ، أو سَبُعٍ، ونحو ذلك مما يخشىٰ ضرره؛ فهذا واقع وهو أمر طبيعي جائز وغير مذموم، ولكنه يكون مذمومًا إذا أصبح ذلك الشيء المخوف هاجسه، والكمل من الرجال من يغلب توكله كل مخوف غير الله تعالىٰ.

و- الخوف من الله شرط في تحقيق الإيمان:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فجعل الخوف منه شرطًا في تحقيق الإيمان».

ثم قال: «والمقصود: أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يتخلف عنه»[(١)].

ز- حكم الخوف من المخلوق:

الخوف من المخلوق ومن الأشياء الحسية والطبيعية جائز لا بأس به؛ فهو أمر فطري، أما الخوف الذي يحمل العبد علىٰ فعل معصية الله، أو ترك ما

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٢٨٢).

أوجبه الله؛ فيه نزلت الآية السابقة.

فالخوف الذي يحمل علىٰ ترك الواجب، كترك الجهاد في سبيل الله، خوف مذموم شرعًا، ومرتب عليه نقصان الإيمان.

ح- الرزق لا يحصل بالحرص:

الرزق قدره الله تعالىٰ؛ فهو الرزاق عَزَّوَجَلَّ للناس وجميع المخلوقات، وكما أنه قدر الأجل كذلك قدر الرزق، والذي لا يستطيع أن يأتيك بالحياة لا يستطيع أن يأتيك بالرزق.

ولكن العبد لا يعجز وإنما يسعىٰ في طلب معاشه من حلال؛ فما قدر له يرضىٰ به، ولا يتسخط، ولا يقول: لولا فلان لكان لي كذا وكذا...، وليعلم أن الأمور مقدرة بتقدير الله تعالىٰ، وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ط- الآثار المترتبة علىٰ إرضاء الله وإسخاط الناس:

لا شك أن البحث عن رضا الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أمر محمود، ولو سخط الناس، والبعد عن مساخط الله تعالىٰ أمر محمود، ولو رضي الناس.

ولهذا النوع من العمل آثار مترتبة، منها:

١- رضا الله عنه، وإنزال محبته في قلوب الناس.

٢- حفظ الله له، وكفايته أذية الخلق عنه.

٣- رزق الله له من حيث لا يحتسب، وتفريج المضايق عنه.

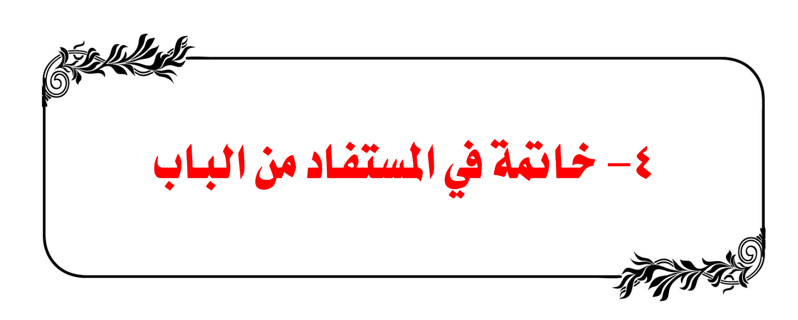
٤- انقلاب المخاوف في حقه أمنًا وطمأنينة.

ي- قوة إيمان من يقدم رضا الله علىٰ سخط الناس:

الذي يطلب رضا الله تعالىٰ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ولا يبالي بسخط الناس وغضبهم، وما يوجهونه إليه من الإهانات والضغوط، يدل ذلك علىٰ قوة إيمانه، وتمام توكله، وكمال يقينه، وشجاعته القلبية.

ويجب علىٰ العبد أن يتذكر أن الأمور بيد الله تعالىٰ؛ فعلام الخوف من الناس، وعلام الجبن عن قول الحق، ولماذا الخوف علىٰ الرزق؛ فالذي خلق يرزق، والذي قدر يدبر، فعليه بالبحث عن مراضي الله تعالىٰ؛ وهذا الذي يقوي الإيمان، حتىٰ يكون الرجل أمة وحده، بل ربما يبقىٰ في الساحة وحده من أجل الحق.

✽ ✽ ✽



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن الخوف عبادة يجب إخلاصه لله.

٢- أن صرف الخوف لغير الله شرك؛ كأن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، أو يخاف من مخلوق أن يصيبه بما لا يقدر عليه إلا الله، كإحيائه وموته، أما الخوف من المخلوق فيما يقدر عليه كالخوف من العدو والسبع فليس شركًا، بل هو خوف طبيعي ليس معه ذل العبادة، ورجاء الطاعة.

٣- أن الخشية عبادة يجب إخلاصها لله وحده، وأن خشية غيره شرك إذا ترتب عليها ترك طاعة الله.

٤- وجوب التوكل علىٰ الله وخشيته وطلب الرزق منه.

٥- إثبات القضاء والقدر.

٦- عدم الاعتماد علىٰ الأسباب؛ فالأسباب أمور جعلها الله تعالىٰ سببًا في حصول أمر معين، وإن شاء ألا يقع المسبب مع وجود السبب لا يقع؛ لأن الأمر بيد الله تعالىٰ الذي رتب الأمور بأسبابها، وهو المؤثر فيها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فمثلًا الزواج سبب للذرية، ولكن قد يتزوج الرجل ولا ينجب مع وجود السبب، كذلك التجارة سبب للربح، وكم من تاجر يخسر؛ ذلك لأن الأمور بيد الله

تعالىٰ، ولا يعني هذا ترك الأسباب؛ فإنَّ تَرْكَهَا تَواكُلٌ، والاعتماد عليها قادح في التوحيد، بل يجب بذل السبب والاعتماد علىٰ خالق السبب والمسبب وهو الله تعالىٰ.

٧- توقي سخط الله تعالىٰ ولو سخط المخلوق.

٨- بيان ما في تقديم رضا الله من العواقب الحميدة، وما في تقديم رضا الناس علىٰ رضا الله من العواقب السيئة.

❊ ❊ ❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- وضِّح مناسبة الباب لما قبله.

س٢- بيِّن معاني الكلمات: (أوذي في الله- اليقين- التمس).

س٣- كيف يكون الخوف من الله تعالىٰ عبادة؟

س٤- ما هو خوف السر، مع بيان حكمه؟

س٥- ما هو الخوف الطبيعي؟

س٦- الوثنيون يخوفون الموحدين بأي شيء؟

س٧- اذكر بعض ما يترتب علىٰ إرضاء الله تعالىٰ ولو سخط الناس.

س٨- عَدِّد بعض فوائد هذا الباب.

٣٣- باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

١- وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

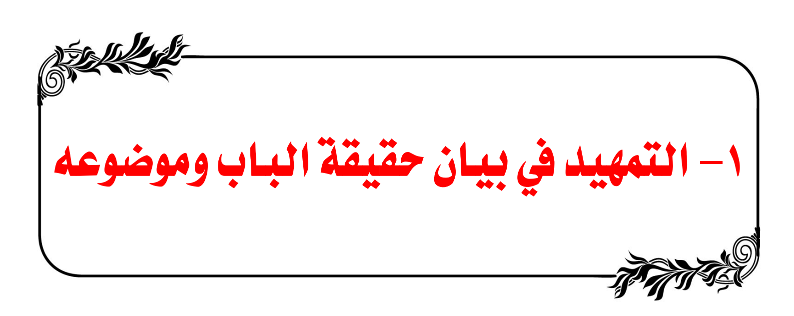
٢- وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤].

٣- وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

٤- **وعن ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين ألقي في النار، وقالها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]»[١]. رواه البخاري، والنسائي.

❀❀❀

(١) رواه البخاري (٤/ ١٦٦٢)، (ح٤٢٨٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص٣٩٣)، (ح٦٠٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو وجوب التوكل علىٰ الله، والاعتماد عليه في جميع أمور الدين والدنيا.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية التوحيد في التوكل، وأنه من الأمور القلبية المتعلقة بالتوحيد، وصدَّر بالآية للدلالة علىٰ أن التوكل عبادة لا تكون إلا لله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد بهذه الترجمة بيان أن التوكل عبادة قلبية يجب إخلاصها لله تعالىٰ؛ فإن الآية المترجم بها قدم فيها المعمول علىٰ العامل، وهذا يدل علىٰ الحصر، فكأن المعنىٰ: لا تتوكلوا إلا عليه وحده.

د- مناسبة الباب:

بعد أن تكلم المصنف عن إثبات وجوب الخشية لله وحده دون سواه، تطرق إلىٰ ما يعين علىٰ الخوف من الله وترك الخوف ممَّن سواه، ألا وهو التوكل، ومن ثَمَّ عقد هذا الباب لبيان وجوب التوكل علىٰ الله، والاعتماد عليه في جميع أمور الدين والدنيا، وأن التوكل علىٰ الله عبادة، وأن التوكل علىٰ غير الله

فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ شرك ينافي التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾: دلت الآية علىٰ أن المؤمن كامل الإيمان هو الذي يتوكل علىٰ الله في كل أموره، حيث وصف الله المؤمنين بذلك، وهي صفات وصلوا بها إلىٰ حقيقة الإيمان وكماله المنشود.

الآية الثانية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: أراد المؤلف الاستدلال بها علىٰ أن الله كافٍ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكافٍ لأتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ قيام الساعة؛ فإذا كان الله وحده هو الكافي لعبده وجب ألَّا يتوكل إلا عليه[1].

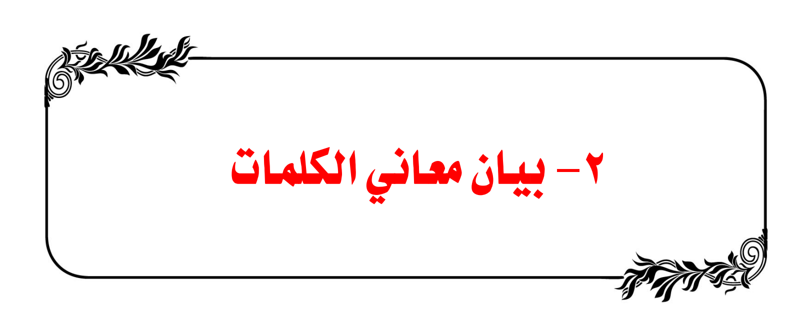
الآية الثالثة: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: أوردها المصنف لما فيها من الاستدلال علىٰ أن الله يكفي من توكل عليه.

حديث ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل»: ذكره لما فيه من أن الله نِعْمَ الموكل، وهو المتوكل عليه وحده، وقد توكل الخليلان: إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام- علىٰ الله فكفاهما الله؛ فهذه كلمة عظيمة تقال عند الشدائد كما فعل الخليلان[2].

❊❊❊

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٤٦).

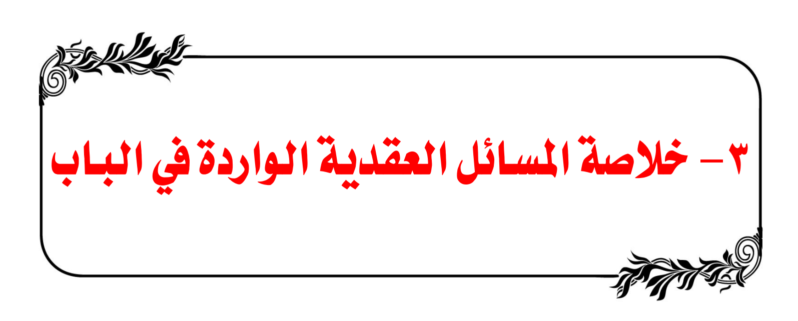
(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٤٧).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
فتوكلوا	اعتمدوا عليه وفوضوا أموركم إليه.
وجلت قلوبهم	خافت من الله.
يتوكلون	يفوضون أمورهم إليه.
حسبك الله	أي: كافيك الله.
نعم الوكيل	أي: الموكول إليه أمور عباده، و(نعم) كلمة مدح وثناء.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حقيقة التوكل على الله:

حقيقة التوكل: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار، المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة؛ فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة مع العمل فهو المتوكل على الله حقيقة.

وأما التوكل على غير الله تعالى: فهذا إما أن يكون شركًا ناقضًا للتوحيد، أو أمرًا منقصًا للتوحيد؛ فمن توكل على ميت، أو صنم، أو جني في أمر ما فهذا توكل شركي، ومن توكل على بذل السبب فحسب ولم يعلق قلبه بالله تعالى فهذا ناقص للتوحيد إن لم يكن ناقضًا له بحسب ما يقوم بقلبه من أمور الإيمان.

وأما التوكيل المعروف في باب المعاملات: فهو ليس إلا إعطاء شخص حق التصرف عنه في الأمور، وليس هذا من التوكيل التعبدي في شيء.

ب- الصفات الموصلة لحقيقة الإيمان وكماله:

١- الخوف من الله ووجل القلب عند سماع القرآن.

٢- التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه دون سواه.

٣- قراءة القرآن تزيد الإيمان وتحقق اليقين.

٤- إقامة الصلاة والإتيان بها علىٰ الوجه الأكمل في وقتها وبواجباتها وشروطها وأركانها.

٥- إنفاق الأموال في الأمور الواجبة والمستحبة.

ج- وجوب التوكل علىٰ الله:

الاعتماد علىٰ الله، والتوكل عليه في جميع أمور الدين والدنيا من أوجب الواجبات؛ فالله تعالىٰ هو مسبب الأسباب، وكل شيء بيده، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وليعلم العبد أن القدر قد سبق بكل شيء، وليس للعبد قدرة علىٰ أي شيء لم يشأه الله تعالىٰ.

ووجوب التوكل علىٰ الله لا يعني ترك الأسباب، بل الأخذ به هو من التوكل، فيأخذ المسلم بالأسباب الشرعية، ومن الأسباب العادية ما هو مباح ونافع، ثم يكل الأمور إلىٰ الله تعالىٰ.

د- أركان التوكل:

التوكل علىٰ الله يجمعه أمران هما ركناه:

١- الثقة بالله، وأنه مسبب الأسباب، ومصرف الأمور، وكل شيء بيده.

٢- الأخذ بالأسباب التي تكون مباحة شرعًا.

هـ- ليس من التوكل ترك الأسباب:

التوكل علىٰ الله يعني الاعتماد عليه بعد فعل السبب المتيسر والمشروع، وليس من التوكل ترك الأسباب، بل هو من التواكل؛ كما أنك قد تجد بعض الصوفية الذين يزعمون أنهم متوكلون؛ فلا يتخذون الأسباب.

وهل عاقل يريد الولد لا يتزوج؟ وهل عاقل يريد الحصاد لا يزرع؟ بحجة أن الله قادر علىٰ كل شيء، لا شك أن الله قادر علىٰ كل شيء، وهو الذي ربط الأمور بأسبابها.

فترك الأسباب قدح في العقل؛ كما أن الاعتماد علىٰ الأسباب قدح في الدين، قد يوصل إلىٰ الشرك.

و- من توكل علىٰ الله كفاه:

من اعتمد علىٰ الله في أموره كلها وفوض أمره إليه؛ فإن الله يكفيه كل ما ينوبه ويهمه من أمور الدنيا والدين، ومن كفاه الله ما أهمه لم يحتج إلىٰ أحد، وليعلم المرء أن الله تعالىٰ كفاه وهو في بطن أمه، وأطعمه وسقاه وهو في ظلمات الرحم؛ فكذلك يكفي من توكل عليه، ومن حيث لا يحتسب يفرج عنه، بل وليعلم المرء أن الله تعالىٰ كفاه حيث أعطاه من غير سؤال: عقلًا، وسمعًا، وبصرًا، أفلا يعطيه وهو يطلب بِذُلٍّ، وخشوع، وخشية، وإنابة؟

ز- فضل قول: «حسبنا الله ونعم الوكيل»:

ينبغي للمسلم أن يلجأ إلىٰ الله في كل وقت، ويتوكل عليه في كل حين، وأن يقول عند المصائب والشدائد: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، أي: الله كافينا ومتولي أمورنا، فلا نتكل إلا عليه فهو نعم الموكول إليه، والمعتمد عليه، والملتجأ إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا نبي الله إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما قالها وهو يُلقىٰ في النار كفاه الله شر الفجار، وأنقذه من حر النار، وهذا نبي الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالها حين اجتمع عليه وعلىٰ أصحابه الأحزاب قالها فكفاه الله ما ناب، وفرق الله جمع الأحزاب.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب التوكل علىٰ الله وأنه عبادة، وأن التوكل علىٰ غير الله شرك.

٢- أن التوكل علىٰ الله شرط في صحة الإيمان، ينتفي الإيمان عند انتفائه.

٣- أن الجزاء من جنس العمل؛ فمن توكل علىٰ الله كفاه، ومن توكل علىٰ غيره وكله الله إليه فلم يُغنِ عنه شيئًا.

٤- فضل: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، وأنه ينبغي أن تقال عند الشدائد والكروب.

٥- شدة توكل أنبياء الله تعالىٰ، وعلىٰ الخصوص إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-.

٦- أن التوكل من أعظم الأسباب في حصول الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة.

٧- أن الناس لا يضرون أحدًا إلا بإذن الله مهما بلغوا من القوة والتهديد؛ لأن نواصيهم بيد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

٨- أن أصحاب الشر والفساد لا يمكن أن يقع شرهم وفسادهم في الأرض أو علىٰ أحد إلا بإذن الله تعالىٰ الكوني، بل السحر لا يقع إلا بإذن الله تعالىٰ الكوني، ولو شاء ألا يقع لَمَا وقع.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- ما معنىٰ: (وجلت قلوبهم- حسبك الله- نعم الوكيل)؟

س٤- ما حقيقة التوكل؟

س٥- اذكر بعض الصفات الموصلة إلىٰ حقيقة الإيمان.

س٦- من توكل علىٰ الله كفاه، وضِّح ذلك؟

س٧- بيِّن فضيلة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، ومن قالها من الأنبياء؟

س٨- ماذا استفدت من هذا الباب؟

❁❁❁



٣٤- باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]

١- وقوله: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

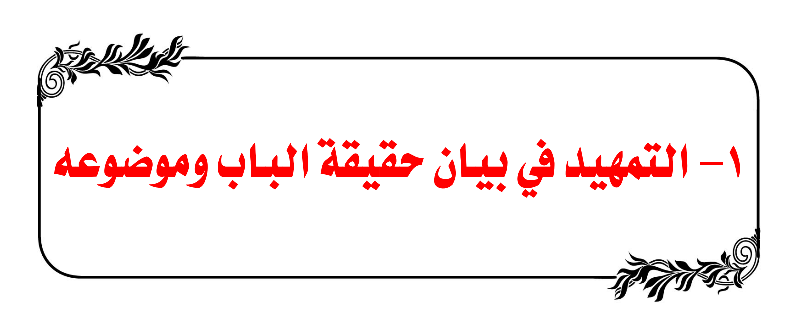
٢- وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله سُئل عن الكبائر، فقال: «**الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله**»(١).

٣- **وعن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»(٢).

❊❊❊

(١) رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٧١)، رقم (١٠٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): «رجاله موثوقون»، وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٥٩-٤٦٠)، رقم (١٩٧٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): «إسناده صحيح».



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان حكم الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، وبيان بعض الكبائر.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الأمن من مكر الله أمر مخالف لكمال التوحيد، وإنما أتىٰ بالآية؛ لأن فيها الإشارة إلىٰ أن الآمن من مكر الله خاسر.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من أسباب التكذيب للرسل الأمن من مكر الله تعالىٰ، وعدم الخوف منه، وأنَّ الأمن من مكر الله تعالىٰ منافٍ لكمال التوحيد.

د- مناسبة الباب:

عقد المؤلف هذا الباب بعد أن بيَّن أن المحبة والخوف من أصول التوحيد فأتىٰ ببيان أن الأمن من مكر الله منافٍ للخوف من الله، واستحضار عظمته، والقنوط من رحمة الله منافٍ للرجاء والخوف، **والرجاء والخوف والمحبة من أكبر أصول التوحيد وواجباته**، والأمن من مكر الله ينافي كمال التوحيد؛ لأن من أمِن أساء الأدب، وأتىٰ بما يخالف التوحيد أو يخالف كماله.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾: أراد المؤلف الاستدلال بها علىٰ ذم القنوط من رحمة الله، وأنه ذنب عظيم ينافي كمال التوحيد؛ كما أن الأمن من مكر الله كذلك؛ فلا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمة الله، ولا أن يأمن مكر الله[(١)].

حديث ابن عباس: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن الكبائر»، **وكذا حديث ابن مسعود، وفيه: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله»**: ذكرهما المصنف لما فيهما من التصريح بأن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله من كبائر الذنوب، وهذا يدل علىٰ أنها منقصة للإيمان، وأن هذه الأفعال مما ينافي التوحيد.

❊❊❊

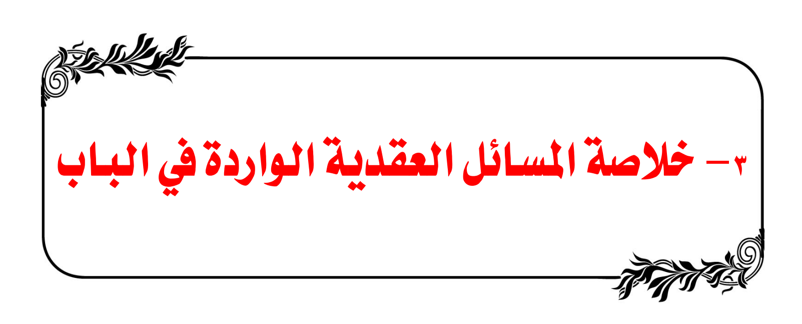
(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٤٩).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
مكر الله	المكر لغة: الحيلة، ومن صوره استدراج الله العبد بالنعم مع عصيانه، وإملاؤه له حتىٰ يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وهو مكر يُحمَد عليه؛ لأنه واقع في محله، وبمن يستحقه.
الخاسرون	الهالكون.
يقنط	القنوط استبعاد الفَرَج واليأس منه.
الضالون	المخطئون طريق الصواب.
الكبائر	جمع كبيرة، وهي الذنب العظيم.
واليأس من روح الله	أي: قطع الرجاء والأمل من رحمة الله وفضله.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ مكر الله:

قال إمام المفسرين ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان معنىٰ مكر الله:** «هو استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم»[١]، يعني: أن الله تعالىٰ يسبغ علىٰ العبد نعمه علىٰ عصيانه وكفره، ثم يأخذه بغتة وهو لا يشعر.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان معنىٰ مكر الله:** «بأسه، ونقمته، وقدرته عليهم، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم»[٢].

ومكر الله صفة من صفاته تثبت لله تعالىٰ علىٰ ما جاء من غير تمثيل ولا تعطيل، والأصل أن المضاف إلىٰ الله تعالىٰ إذا لم يكن عينًا قائمًا بنفسه، ولم يكن قائمًا بعين قائم بنفسه فإنه يكون من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف؛ فينبغي إثباتها علىٰ ما وردت.

ب- الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته من كبائر الذنوب:

الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله كبيرتان من كبائر الذنوب التي

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١٢/ ٥٧٩) ط المعارف.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٤).

يجب علىٰ العبد أن يتوب منها؛ لأن الأمن من مكر الله يفضي إلىٰ التساهل في محارم الله، فمن أمن مكر الله ساءت أعماله، وأخلاقه، وتصرفاته، ولم يخف من الله العظيم القهار الجبار، ولأن القنوط يأس من رحمة الله وسوء ظن بالله الكريم الغفور الشكور، والواجب أن يكون المسلم بين الأمرين الخوف والرجاء، فيرجو الله ويخاف ذنوبه ومعاصيه، فلا ينبغي أن يأمن حتىٰ لا تقع منه إساءة الأدب في جنب الله تعالىٰ، ولا يقنط حتىٰ لا يغلق علىٰ نفسه أبواب الطلب والسعي للمغفرة.

ج- الأمن من مكر الله يفضي إلىٰ التساهل في المحارم:

إن الأمن من مكر الله يؤدي إلىٰ التساهل في ارتكاب ما حرم الله؛ فمن أمن مكر الله ساءت أعماله، وأخلاقه، وتصرفاته، ولم يخف من الله.

وهذا حال كثير من المرجئة الذين يكتفون بمجرد دعوىٰ الإيمان والتصديق؛ فتراهم في أعمالهم مسيئين، ويقولون: نحن مؤمنون، ندخل الجنة مهما يكن من الأمر، ولم يعيروا عظمة الله أي اعتبار.

فعلىٰ المسلم أن يكون راجيًا راغبًا راهبًا، أن يكون ناظرًا إلىٰ ذنوبه، ومتذكرًا شدة عذابه، وأليم عقابه.

د- القنوط من رحمة الله سوء ظن بالله:

إن اليأس من رحمة الله سوء ظن بالله، وهذا لا يليق بالمؤمن، فإن الله تعالىٰ كريم رحيم ودود، رحمن غفور منان، ولا يعظمه أن يغفر جميع ذنوب العبد.

والمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب، وهو الذي ينفع العبد، وبه تحصل السعادة.

هـ- أسباب القنوط من رحمة الله:

للقنوط من رحمة الله أسباب، منها:

١- إسراف العبد في ارتكاب المعاصي، وكبائر الذنوب، التي تقطع عليه طمعه في رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم علىٰ الأسباب التي تمنع رحمة الله، ولا ريب أن العبد إذا تاب فإن الله يغفر كل ما كان، ويبدله إلىٰ حسنات.

٢- أن يقوىٰ خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة؛ فيظن أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه، ولو تاب، وتضعف إرادته فييأس عن الرحمة[١].

٣- أن يغلب جانب الخوف، فيصير حروريًّا خارجيًّا؛ فلا ينظر إلىٰ رحمة الله، وسعة فضله، فيكون دائمًا في جانب الخوف حتىٰ تغلب عليه، وينسيه ذلك رحمة الله.

و- المراد بالكبيرة:

الكبيرة: كل معصية فيها حد في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، أو وعيد في الآخرة؛ من عذاب، أو غضب، أو لعنة، أو نفي إيمان، أو برئ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فاعلها، أو قال ليس منا من فعل كذا وكذا.

---

(١) انظر: «القول السديد» (ص٢١٤).

وأعظم الكبائر: ما كان مخالفًا للتوحيد وهو الشرك والكفر، ثم البدع الغوية، ثم الذنوب والفسوق الظاهرة السيئة، ثم الصغائر.

والكبائر ليست محصورة في عدد معين؛ فهنا ذكر ثلاث كبائر من باب التنبيه علىٰ خطورتها، وفي أحاديث أخر تذكر سبعة؛ لعظمتها، وهذه الكبائر عَدَّها بعضهم وتتبعها كما فعل الحافظ الذهبي والهيتمي رَحِمَهُمَااللَّهُ.

❊ ❊ ❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم الأمن من مكر الله، وتحريم اليأس من رحمته، وأنهما من أكبر الكبائر.

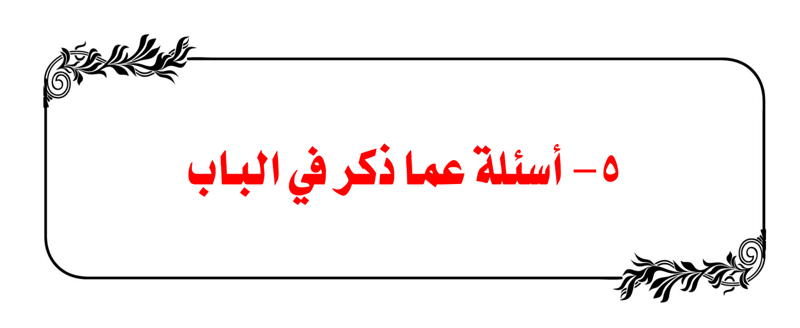
٢- أن الشرك أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر.

٣- أن الواجب علىٰ العبد أن يكون بين الخوف والرجاء؛ فإذا خاف لا ييأس، وإذا رجا لا يأمن.

٤- الأمن من مكر الله تعالىٰ دليل علىٰ الخسارة، والقنوط من الرحمة دليل علىٰ الضلال، ولهذا كانت المرجئة في خسارة إذ إنهم يهملون الأعمال، والخوارج في ضلال إذ إنهم يهملون فضل الله ورحمته.

٥- سعة فضل الله تعالىٰ ورحمته، وأنه لا ينبغي اليأس من رحمته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اشرح ترجمة المصنف لهذا الباب بالآية؟

س٢- بيِّن معاني الكلمات الآتية: (الخاسرون -يقنط- الضالون).

س٣- وضِّح معنىٰ: مكر الله، كما قال الحافظ ابن كثير.

س٤- ما المراد بالكبائر؟

س٥- هل الكبائر محصورة في عدد كثلاث؟

س٦- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊

٣٥- باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم»(١).

٢- وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة علىٰ الميت**»(٢).

٣- ولهما عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوىٰ الجاهلية**»(٣).

٤- وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا أراد الله بعبده**

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٨/ ١٢٣).

(٢) رواه مسلم (١/ ٨٢)، حديث رقم (٦٧).

(٣) رواه البخاري رقم (١٢٣٢)، ومسلم رقم (١٠٣).

الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتىٰ يوافي به يوم القيامة»[١].

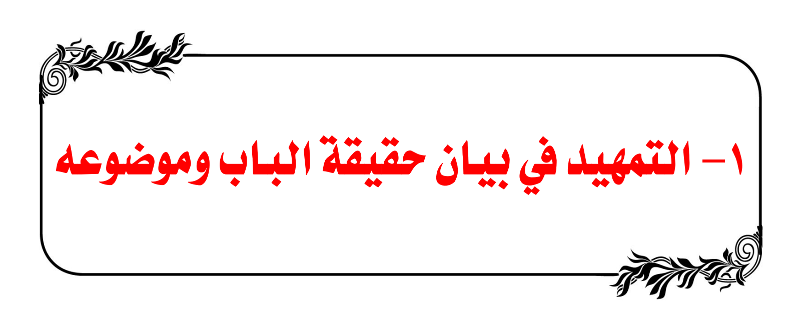
٥- وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء، وإن الله تعالىٰ إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السخط**»[٢]. حسنه الترمذي.

ﮋ ❁ ❁ ❁ ﮊ

---

(١) رواه الترمذي في «سننه»، برقم (٢٣٩٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٨).

(٢) رواه الترمذي في «سننه»، (ح٢٣٩٦)، وابن ماجه في «سننه»، (ح٤٠٣١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، (ح١٩٥٤).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

أراد المؤلف أن يبين به أن الصبر علىٰ أقدار الله من الإيمان، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يجزع عند المصيبة في نفسه، أو ولده، أو ماله، أو أهله، بل يتحمل[(١)].

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الصبر علىٰ ما يقدره الله تعالىٰ من الإيمان.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

غرض المصنف من هذا الباب بيان أن الصبر علىٰ القدر من الإيمان، وأن الجزع مخالف للإيمان، ومنقص للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف يبين الأبواب التي تبين بعض الأمور القلبية التي هي من الإيمان، وذكر في هذا الباب أمرًا قلبيًّا وظاهريًّا، وهو الصبر، فلا ينبغي لمؤمن

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٥٤).

الأمن من مكر الله، بل عليه أن يصبر نفسه علىٰ طاعة الله، حتىٰ وأقداره، حتىٰ يأتيه الأجل وهو صابر محتسب.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: أراد المؤلف أن الآية تدل علىٰ أن الصبر علىٰ المصيبة سبب لهداية القلوب، وطمأنينتها.

وأما الحديث الأول: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر**»: أورده لما فيه من ذم النياحة، وأنها من أفعال أهل الكفر، وأن النياحة دليل علىٰ التسخط علىٰ أقدار الله.

الحديث الثاني: «**ليس منا من ضرب الخدود**»: ذكره للدلالة علىٰ أن الصبر علىٰ المقدور من الإيمان؛ وأن الأفعال التي تخالف حال أهل الإيمان تنقص التوحيد.

الحديث الثالث: «**إذا أراد الله بعبده الخير**»: استشهد به لما فيه أن المؤمن مبتلىٰ، وأن من صبر علىٰ الابتلاء أجر، ومن سخط وزر.

الحديث الرابع: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**»: أورده لما فيه من الوعيد لمن لم يصبر علىٰ المقدور، ولما فيه من الوعد لمن صبر علىٰ المقدور.

❊❊❊

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الإيمان	الإيمان لغة: الإقرار والتصديق، وفي الشرع: نطق باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.
أقدار الله	ما يجريه من الأمور في الدنيا، ومنها المكاره، والمصائب.
ومن يؤمن بالله	يعتقد أن المصيبة بقضائه وقدره ويسترجع عندها.
يهد قلبه	يشرح صدره للصبر علىٰ المصيبة.
كفر	أي: كفر أصغر.
الطعن في النسب	أي: عيبه وتنقصه.
النياحة	رفع الصوت بتعديد محاسن الميت، والتسخط علىٰ المصيبة.
ليس منا	هذا اللفظ من باب الوعيد ولا ينبغي تأويله.
من ضرب الخدود	خص الخد؛ لأنه الغالب، وإلا فضرب بقية الوجه مثله.
وشق الجيوب	شق، أي: قطع، والجيوب جمع جيب، وهو مدخل الرأس من الثوب.

دعوىٰ الجاهلية	كل كلام يتنافىٰ مع العقيدة الصحيحة، والمراد هنا: الندب والنياحة.
عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء	بكسر العين وفتح الظاء، أي: من كان امتحانه أشد فثوابه أكثر.
ومن سَخِط	بكسر الخاء، والسخط: الكراهية للشيء والجزع فيه.
عجل له العقوبة في الدنيا	أي: ينزل به المصائب، لما صدر منه من الذنوب؛ فيخرج منها وليس عليه ذنب.
أمسك عنه بذنبه	أي: أخر عنه عقوبة ذنبه.
يوافي به	أي: يجيء يوم القيامة كثير الذنوب.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الصبر: معناه، ومنزلته من الإيمان، وأنواعه، وحكمه:

الصبر في اللغة: الحبس والمنع.

وفي الشرع: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود، وشق الجيوب، ونحوهما عند المصيبة.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وله أهمية بالغة في الإيمان.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن».

والصبر ثلاثة أنواع:

١- صبر عمَّا أمر الله به.

٢- وصبر علىٰ ما نهىٰ الله عنه.

٣- وصبر علىٰ ما قدره الله من المصائب.

وحكم الصبر: الوجوب، وأعلىٰ منه مرتبة هو الرضا بقضاء الله وقدره، فالصبر علىٰ المصائب واجب، والرضا بالمصائب فضيلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأعلىٰ من ذلك -أي: من الرضا- أن

يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها»[(١)].

ب- ثمرة الصبر على أقدار الله:

إن للصبر في الدنيا والآخرة ثمرات كثيرة، وفوائد عميمة، ومنها:

١- أن الصبر سبب لهداية القلوب وطمأنينتها.

٢- أن الله تعالى يصلي على الصابرين، وهذه مرتبة عالية، ومنزلة رفيعة، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

٣- أن الله يعوض العبد الصابر عما فاته من الدنيا وعما أصابه.

٤- وأما في الآخرة فإن الصبر ثوابه الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠].

ج- حكم الطعن في الأنساب:

إن الطعن في الأنساب: أي التنقص فيها تكبرًا، وتعاظمًا على الناس، واحتقارًا لهم؛ فهذا من أعمال أهل الكفر، وشعبة من شعب الكفر، وهو كفر دون كفر، فهو من الكفر الأصغر، وهو من خصائص أهل الجاهلية[(٢)].

د- حكم النياحة على الميت:

النياحة على الميت من أعمال أهل الجاهلية، وهو رفع الصوت بالصياح

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص١٨٠).

والبكاء، فلا يجوز، أما دمع العين، وهو البكاء من غير صياح ولا صوت؛ فهذا لا بأس به، كما دل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**»[(١)].

هـ- ضرب الخدود وشق الجيوب من أعمال الجاهلية:

ضرب الخدود، أو لطمها جزعًا علىٰ الميت لا يجوز، وخص الخد بذلك لكونه الغالب، وجرت به العادة، وإلا فضرب بقية البدن مثله.

وكذا شق جيب الثوب جزعًا علىٰ الميت، أو المصيبة، حرام لا يجوز، وهو من عادات أهل الجاهلية، وكذا لو شق أي مكان من الثوب من غير الجيب؛ فحكمه لا يختلف.

ودعوىٰ الجاهلية: هي ندب الميت والدعاء بالويل والثبور، وكذلك الدعاء إلىٰ القبلية، والعصبية للأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطوائف، والمشايخ، والأحزاب[(٢)].

و- الأعمال المنافية للصبر علىٰ أقدار الله:

١- النياحة علىٰ الميت، وهو رفع الصوت بالصياح.

٢- لطم الخدود جزعًا علىٰ الميت وتسخطًا.

٣- شق الجيوب وفتحها.

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٢٤١)، ومسلم (ح٢٣١٥).

(٢) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٥٣).

٤- الدعاء بالويل والثبور.

٥- الأقوال التي تنبئ عن الجزع كقول بعض الجهلة: لماذا أُبتلىٰ أنا؟ ونحو ذلك من العبارات التي تنبئ عن سوء الطوية، وخبث النية.

وهذه الأعمال تدل علىٰ الجزع، وتُخرِج الإنسان عن الصبر، وهذه من أعمال الجاهلية، فيجب الصبر والثبات والعلم بأن الله قدر هذه الأقدار وقسمها.

ز- علامة إرادة الله بعبده الخير أو الشر:

من علامات إرادة الله الخير بعبده: معاجلته بالعقوبة علىٰ ذنوبه في الدنيا، حتىٰ يخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة؛ لأن من حوسب بعمله عاجلًا خَفَّ جزاؤه في الآجل.

ومن علامات إرادة الشر بالعبد ألا يجازىٰ بذنبه في الدنيا، حتىٰ يجيء يوم القيامة كثير الذنوب، فيجازىٰ بما يستحقه يوم القيامة.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- فضيلة الصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة كالمصائب، وأفضل منه الرضا بالقضاء.

٢- أن الصبر سبب لهداية القلب.

٣- تحريم النياحة، وأنها من خصال الكفر.

٤- تحريم الطعن في الأنساب وتنقصها والقدح فيها.

٥- تحريم التسخط من قدر الله بالقول، أو الفعل، وأنه من الكبائر.

٦- معرفة أن المصائب كفارات، إذا صبر العبد عليها.

٧- أن الإنسان قد يكره الشيء وهو خير له، وقد يحب الشيء وهو شر له.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- أكمل حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ليس منا من ضرب...**».

س٢- وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (أقدار الله- شق الجيوب- سخط).

س٤- ما هي أنواع الصبر؟

س٥- اذكر بعض ثمرات الصبر.

س٦- عَدِّد بعض الأعمال المنافية للصبر.

❁❁❁

٣٦- باب ما جاء في الرياء

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

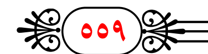
٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[١]. رواه مسلم.

٣- وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟** قالوا: بلىٰ. قال: **الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرىٰ من نظر رجل**»[٢]. رواه أحمد.

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٨٩)، حديث رقم (٢٩٨٤).

(٢) «المسند» (٣/ ٣٠)، وابن ماجه في «السنن» (٢/ ١٤٠٦).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو التحذير من الرياء، وهو ترك الإخلاص في العمل.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في التحذير من العمل أو تحسينه لأجل الناس، وهو الرياء، وأنه مخالف للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لأجل التحذير من الرياء، والتحذير من كل عمل لا يخلص لله فيه، فهو نوع من الشرك الخفي المنافي للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان منقصات التوحيد، ومن ضمن ذلك الرياء.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أراد المؤلف أن الآية تدل علىٰ أن السعادة والخير والفلاح في لقاء الله، وأن لقاء الله يحصل بالعمل الصالح

الخالص من الرياء والسمعة، وأن العمل الصالح مردود إذا دخله شيء من الشرك والرياء[١].

الحديث الثاني: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك**»: أورده لما فيه من الدلالة علىٰ أن الله غني عن المشاركة، وأن لا ثواب للمرائي في عمله، بل يأثم علىٰ ذلك[٢].

الحديث الثالث: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي**»: بين المؤلف بإيراده لهذا الحديث أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاف علىٰ أصحابه من الرياء أكثر من فتنة الدجال؛ لأن الدجال يمكن أن يُعرف، لكن الشرك الخفي أشد منه؛ لأنه يكون خفيًّا في القلب.

❀❀❀

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٥٧).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٩٥).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
مثلكم	مساوٍ لكم في البشرية، ليس لي من الربوبية والألوهية شيء.
إله واحد	معبود واحد، هو الله سبحانه لا يستحق العبادة أحد سواه.
يرجو لقاء ربه	أي: يخاف المصير إليه، ويتمنىٰ رؤيته يوم القيامة.
ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا	لا يصرف شيئًا من العبادة لغير الله، لا برياء ولا غيره.
المسيح الدجال	الأعور الكذاب، مدعي الألوهية والربوبية، سمي مسيحًا؛ لأن عينه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها بسرعة.
الشرك الخفي	سماه خفيًّا؛ لأن صاحبه يظهر أن عمله لله وهو في الباطن قد قصد به غير الله.
يزين صلاته	يحسنها ويطيلها ونحو ذلك.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- إخلاص العمل لله أساس الدين:

الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله؛ فيقوم بأصول الإيمان الستة، وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان، ومنها: الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مُكمِّلًا لها، قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياء، ولا سمعة، ولا رياسة، ولا دنيا، وبذلك يكمل إيمانه وتوحيده.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أنه إله واحد، لا إله سواه؛ فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده؛ فكما تفرد بالإلهية يجب أن يُفرد بالعبودية؛ فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء المقيد بالسنة.

وكان من دعاء عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا»[١].

ب- الرياء معناه وحكمه:

الرياء: مأخوذ من الرؤية، وهو أن يتظاهر الإنسان بالأعمال الصالحة ليحمده

---

(١) «الجواب الكافي» (ص١٧٥).

الناس، وقد يُبتلىٰ به الصلحاء.

والرياء محرم، وهو شرك أصغر، وقد خافه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أصحابه مع كمال إيمانهم؛ لأنه أكثر موافقة للنفس، ومحبة عندها، وأسهل للنفوذ إليها، فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا علىٰ الصحابة مع كمال إيمانهم فينبغي لك أيها المسلم أن تخاف من الشرك الأكبر والأصغر، وتعمل علىٰ تحقيق إيمانك(١).

ج- الفرق بين الرياء والسمعة:

الرياء يكون فيما يرىٰ من الأعمال، ويسمع من الأقوال، وأما السمعة فإنما يكون في العمل يعمله الإنسان، ويكون خافيًا، ولا يعلم به أحد، ثم يُحدِّث به،

---

(١) يجدر بنا أن نذكر هنا ذلكم الحديث الشريف الذي ورد **في ثلاثة أصناف من المرائين**، وهم: المجاهد المرائي، والعالم المرائي، والسخي المرائي، لما فيه من العبرة البالغة، والموعظة الحسنة، والنكال العظيم للمرائين.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أول الناس يقضىٰ عليه يوم القيامة: رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمته فعرفها، فقال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتىٰ استشهدت قال: كذبت، ولكن قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار.**

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن؛ فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب علىٰ وجهه حتىٰ ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله؛ فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر فسحب علىٰ وجهه، ثم ألقي في النار».

رواه مسلم، برقم (١٥٣، ١٩٠٥).

أو يتمنىٰ إِطْلَاع الناس عليه، فيود سماع الناس بأعماله.

د- علاج الرياء:

الرياء آفة عظيمة تحتاج إلىٰ معالجة شديدة، **ومن ضمن هذا العلاج:**

١- تمرين النفس علىٰ الإخلاص لله وحده.

٢- مجاهدة النفس في مدافعة خواطر الرياء ووساوس الشيطان.

٣- تذكر العبد بأن الناس الذين يرائيهم لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا.

٤- الاستعانة بالله علىٰ دفع الرياء.

هـ- كمال غنىٰ الرب:

إن كان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، لذا فلا يقبل الله عملًا فيه شرك، ومن الشرك الرياء، لذا فإن الرياء في العبادة لا يليق بغنىٰ الله وكرمه المطلق، فلهذا لا يقبل الله تعالىٰ من المرائين أعمالهم.

و- خوف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من الشرك الخفي:

خاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من فتنة الشرك الخفي -الرياء- أعظم من خوفه من فتنة الدجال، فالدجال يمكن أن يعرف بعلامات، لكن الشرك الخفي أشد منه؛ لأنه يكون في القلوب، ولا يطلع عليه الناس، وكذلك لما فيه من قوة الدافع إليه، وصعوبة التخلص منه.

وهذا الخوف من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من تمام شفقته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم، ونصحه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم.



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن أصل الدين هو إفراد الله بالعبادة.

٢- أن الرياء شرك.

٣- أن الشرك الواقع من المشركين هو الشرك في العبادة غالبًا لا في الربوبية.

٤- شفقته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته ونصحه لهم.

٥- أن الرياء أخوف علىٰ الصالحين من فتنة الدجال.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - ما عنوان هذا الباب؟

س٢ - أكمل الحديث القدسي: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ**...».

س٣- ما معنىٰ الرياء؟

س٤ - ما حكم الرياء؟

س٥ - كيف نعالج الرياء؟

س٦ - عَلَامَ يدل خوف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته من الرياء؟

س٧- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊



٣٧- باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

٢- في الصحيح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبىٰ لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن أستأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يُشفع»**[١].

❊❊❊

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٥٧-١٠٥٨)، حديث رقم (٢٧٣٠).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

ذكر النصوص الدالة علىٰ حكم من أراد بعمله الدنيا.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من عمل وأراد بعمله الدنيا فإنه قد أتىٰ بالشرك؛ لأنه لم يرد بعمله الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

قصد المصنف من هذا الباب أن يبين أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد، ويحبط الأعمال، وقد يكون أكبر، وقد يكون أصغر.

د- مناسبة الباب:

بعد أن ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الرياء والعمل لأجل الناس محبط للعمل، عقد هذا الباب ليبين أن العمل لأجل الدنيا كذلك شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط العمل.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾: أراد المؤلف الاستدلال بها علىٰ

ما فيها من الوعيد الشديد لمن قصد بعمله الدنيا، ففيها التصريح بأن عمله حابط، وأن مصيره إلىٰ النار[(١)].

وأما الحديث الأول: «**تعس عبد الدينار**»: ذكره المصنف لبيان أن العمل الصالح إذا كان القصد منه طلب الدنيا محضًا؛ فهو شرك ينافي التوحيد[(٢)]، وفي الحديث دليل علىٰ أن الشخص قد يكون عبدًا لمتاع الدنيا.

❊❊❊

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٥٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (ص١٦٨).



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يريد الحياة الدنيا وزينتها	أي: يريد بعمله جاهًا في الدنيا أو مالًا.
نُوفِّ إليهم	نوفر لهم في الدنيا ثواب أعمالهم، بالصحة، والسرور بالأهل والمال والولد، إذا شاء الله ذلك، كما في الآية الأخرىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨].
لا يبخسون	لا ينقصون.
وحبط	بطل.
تعس	بكسر العين، بمعنىٰ: سقط، والمراد هنا: هلك.
الخميصة	ثوب خز، أو صوف معلم، كانت لباس الناس قديمًا.
الخميلة	بفتح الخاء، القطيفة.
انتكس	أي: عاوده المرض، وقيل: انقلب علىٰ رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة.

شيك	أصابته شوكة.
فلا انتقش	فلا يقدر علىٰ انتقاشها، أي: أخذها بالمنقاش، دعاء عليه بالعجز.
طوبىٰ	اسم للجنة، وقيل: اسم شجرة فيها.
عنان	بكسر العين، سَيرُ اللجام.
في سبيل الله	أي: جهاد المشركين لإعلاء كلمة الله.
أشعث رأسه	ثائر الرأس، لشغله في الجهاد عن التنعم بالإدهان وتسريح الشعر.
مغبرة قدماه	علقهما الغبار والتراب في الجهاد، بخلاف المترفين المتنعمين.
الحراسة	بكسر الحاء، أي: حماية الجيش.
الساقة	في آخر الجيش، يقلب نفسه في مصالح الجهاد تارة كذا وتارة كذا.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- أقسام العاملين في طلبهم لعمل الآخرة:

الذي يعمل في الدنيا عمل الآخرة علىٰ أربعة أقسام:

أحدها: أن يعمل الخير خالصًا لوجه الله، لكنه يرجو من الله أن يثيبه عليه في الدنيا، كالذي يتصدق لأجل حفظ ماله، وهذا القسم محرم.

الثاني: عمل الخير رياء الناس وسمعتهم، وهذا القسم شرك بالله.

الثالث: أن يعمل الخير لأجل كسب مادي من الناس، مثل الذي يحج لكي يأخذ مالًا علىٰ الحجة لا من أجل الله تعالىٰ، أو الذي يتصف بالدين والصلاح لأجل أن يعين في وظيفة دينية لا من أجل الله، وهذا القسم شرك بالله؛ لأنه قصد بعمله غير وجه الله[1].

---

(١) **قال المفسر الآلوسي -مفتي الحنفية ببغداد في تفسير قوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠]-: «ويدخل في العموم: قراءة القرآن للموتىٰ بالأجرة؛ فلا ثواب فيها للميت ولا للقارئ أصلًا، وقد عمت البلوىٰ بذلك، والناس عنه غافلون، وإذا نبهوا لا ينتبهون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون». «روح المعاني» (١٦/ ٥٥).

وقال ابن عابدين الشامي: «ثم اعلم أن من الرياء: التلاوة ونحوها بالأجرة؛ لأنه أريد بها غير وجه الله تعالىٰ وهو المال؛ ولذا قالوا: إنه لا ثواب بها لا للقارئ ولا للميت، والآخذ =

الرابع: من أراد بعمله وجه الله، لكن حصل له شيء من الدنيا فأخذه؛ فهذا لا إثم عليه، وينقص أجره بقدر ما أخذ من الدنيا، كالذي يجاهد من أجل الله ويأخذ الغنيمة.

ب- الآثار المترتبة علىٰ إرادة الإنسان بعمله الدنيا:

١- الشقاء والخسارة في الدنيا والآخرة نتيجة لدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «**تعس عبد الدينار**»، أي: خاب وخسر عبد الدينار والدنيا وطالبها.

٢- أن من ضعفت همته وقصر نظره، وأراد علىٰ أعماله الصالحة جزاء دنيويًا فإن الله سبحانه سيجزيه عليها في هذه الحياة العاجلة، ولا يبقىٰ معه في الآخرة شيء من ثواب أعماله.

٣- أن كل ما كان ظاهره عملًا صالحًا وقصد به شيء من الأمور الدنيوية أنه حابط، إذ إن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو باطل.

٤- أن أصحاب هذه الأعمال التي فيها الرياء أو التي عملت للدنيا مآلهم إلىٰ النار.

❊❊❊

=

والمعطي آثمان، وقالوا أيضًا: إن من نوىٰ الحج والتجارة لا ثواب له إن كانت نيته التجارة غالبة أو مساوية، واختار هذا التفصيل الإمام الغزالي أيضًا وغيره من الشافعية، واختار منهم العز بن عبد السلام عدم الثواب مطلقًا». «رد المحتار» (٥/ ٤٢٠).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن الشرك محبط للأعمال، وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل شرك يحبط العمل.

٢- أن الله يجزي الكافر وطالب الدنيا بحسناته في الدنيا، وليس له في الآخرة حسنة يجازىٰ بها.

٣- التحذير الشديد من إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

٤- الحث علىٰ إرادة الآخرة بالأعمال الصالحة.

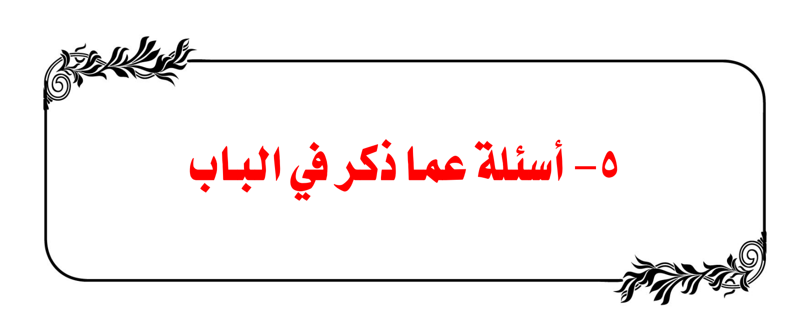
٥- ذم العمل لأجل الدنيا ومدح العمل لأجل الآخرة.

٦- أن العمل لأجل الدنيا شرك يحبط العمل.

٧- فضل ضعفة المسلمين.

٨- فضل المتخفي في العبادة وهو التقي النقي الخفي.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر العنوان الذي ترجم به المصنف لهذا الباب.

س٢ - بيِّن غرض المصنف بهذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (نوفِّ إليهم- لا يبخسون- تعس- طوبىٰ).

س٤- ما حكم من عمل الطاعة يريد الثواب الدنيا؟

س٥- ما حكم من عمل الطاعة ثم جاءته الدنيا مع أنه لم ينوها؟

س٦- ما هي الآثار السيئة المترتبة علىٰ إرادة الإنسان بعمله الأخروي الدنيا؟

س٧- عَدِّد بعض ما استفدته من هذا الباب.

٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابًا

١- **وقال ابن عباس**: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!»(١).

٢- **وقال أحمد بن حنبل**: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلىٰ رأسي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»(٢).

٣- وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]؛ فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال:

---

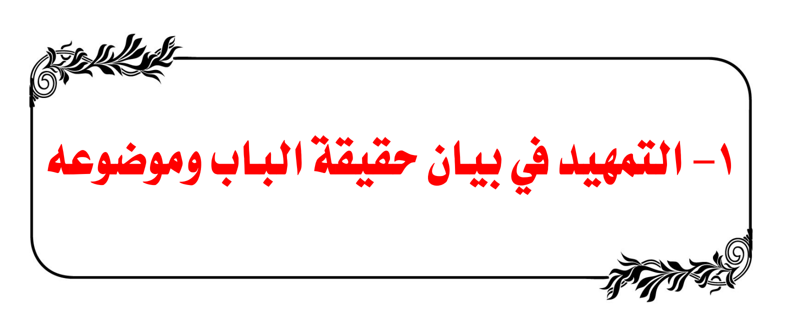
(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، برقم (٣١٢١).

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «الصارم المسلول» (٢/ ١١٦).

أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت: بلىٰ، قال: **فتلك عبادتهم**»[(١)]. رواه أحمد، والترمذي، وحسنه.

❀❀❀

(١) رواه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٧٨) (ح٣٠٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٢)، ولم نجده في «مسند أحمد».



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

التحذير من تقليد العلماء والأمراء فيما يخالف شرع الله؛ فالواجب علىٰ المسلمين أن يعظموا ما شرعه من الدين، وما أحل الله فهو الحلال، وما حرم الله فهو الحرام، وهذا هو الدين؛ فالعبد يتعبد بقال الله، وقال رسول الله، وما سوىٰ ذلك فليس من الدين.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن التحليل والتحريم، إنما هو من خصائص الرب عَزَّوَجَلَّ، ومن اعتقد أن للأمراء أو العلماء أن يحرموا أو يحللوا فقد اتخذهم آلهة، وهو شرك في الربوبية، وأن الطاعة المطلقة تكون لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وطاعة غيره مشروطة بأن تكون طاعة لله.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المؤلف من عقد هذا الباب تحقيق التوحيد، واتباع الشريعة، وتعظيم أمر الله ونهيه، والحذر من طاعة الأمراء والعلماء فيما يخالف شرع الله، وأن طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام شرك.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان نواقض التوحيد، ونواقصه؛ فطاعة الأمراء والعلماء في التحليل والتحريم من نواقض التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

قول ابن عباس: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة»: أورده المصنف لما فيه من الإنكار علىٰ مَن لم يكتفِ بالحجة من القرآن والسنة من هذا الصحابي الجليل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأن الواجب اتباع الدليل، والحذر من تعظيم الرجال بما يخالف الشرع.

أثر الإمام أحمد: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد»: أفاد الأثر أن من عرف الإسناد لا ينبغي له ترك الحديث، وترك حجج الدِّين، والذهاب إلىٰ أقوال الرجال، والتقليد في الأعمال.

حديث عدي بن حاتم وفيه: «أليسوا يحلون ما حرم الله؟»: استدل به المصنف علىٰ أن إطاعة العلماء والأمراء في التحليل والتحريم كفر؛ كما أن النصارىٰ كفروا بسبب طاعتهم للأحبار والرهبان في التحليل والتحريم، وهو من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالىٰ.

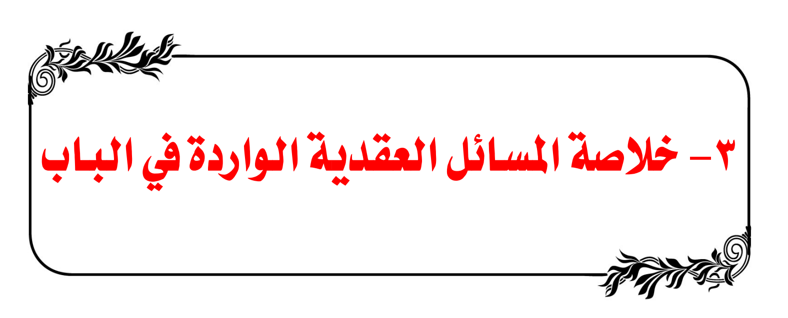
❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
أربابًا	أي: شركاء مع الله، وذكر وصف الربوبية؛ لأن التحليل والتحريم من خصائص الرب تعالىٰ.
يوشك	أي: يكاد.
يخالفون عن أمره	أي: يعصون أمر الله تعالىٰ أو الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
أن تصيبهم فتنة	أن يجيئهم محنة في الدنيا.
لعله	أي: الإنسان الذي تصح عنده سنة الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
من الزيغ	أي: العدول عن الحق وفساد القلب.
اتخذوا	جعلوا.
أحبارهم	علماء اليهود، أو المراد بالأحبار جمع حبر، وهو العالم.
ورهبانهم	عباد النصارىٰ.
أربابًا من دون الله	معبودين مشرِّعين من دون الله.
لسنا نعبدهم	لسنا نتقرب إليهم بالسجود ونحوه.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- تقديم قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ كل قول:

طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طاعة الله؛ فيجب طاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعمل بحديثه الصحيح، وتقديمه علىٰ كل قول، ولا يلتفت إلىٰ قول أحد أيًّا كان، ومن ترك قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ قول الرجال فقد دخل تحت طاعة العلماء والأحبار، ومن أطاعهم فقد اتخذهم أربابًا، ولا يلتفت لأي قول يخالف قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهما كان مصدره، إذ يحرم تقديم أقوال المخلوقين علىٰ سُنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

---

(١) أقول: هذا باب مهم إلىٰ الغاية، وقد عالج الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ الداء العضال الذي هو سرطان وسُل في جسم هذه الأمة، وهو التعصب المذهبي، والتقليد الأعمىٰ، الذي رد المقلدون الجامدون المتعصبون للمذهب بسببه كثيرًا من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وصرفوها بالتأويلات الفاسدة الباطلة دفاعًا عن مذاهبهم، وقد وصل هذا النوع من التقليد والتعصب المذهبي بهؤلاء إلىٰ حد جعلوا الأئمة في التحليل والتحريم والتشريع كأنهم أنبياء مرسلون معصومون، بل جعلوهم أربابًا يعبدونهم من دون الله في التحريم والتحليل والتشريع؛ حيث يقدمون أقوالهم علىٰ صريح نصوص الكتاب والسنة.

ولقد رثىٰ أئمة الإسلام حال هؤلاء، وصرحوا بأن صنيع هؤلاء في حق هؤلاء الأئمة أنهم جعلوهم أربابًا من دون الله، وأنهم جعلوا الأئمة أنبياء مرسلين في الطاعة وتقديم أقوالهم علىٰ نصوص الكتاب والسنة.

=

=

وإليكم نبذة من أقوالهم، فاستمع أيها المسلم طالب الحق إلىٰ نصوص أئمة الإسلام العارفين بفقه واقع الأمة:

١- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان الرجل متبعًا لأبي حنيفة، أو مالك، أو الشافعي، أو أحمد، ورأىٰ في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوىٰ فاتبعه كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح في دينه ولا عدالته بلا نزاع، بل هذا أولىٰ بالحق وأحب إلىٰ الله ورسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يتعصب لواحد معين غير النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كمن يتعصب لمالك، أو الشافعي، أو أحمد، أو أبي حنيفة، ويرىٰ أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه، فمن فعل هذا كان جاهلًا ضالًّا، بل قد يكون كافرًا؛ فإنه من اعتقد أنه يجب علىٰ الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر فإنه يجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل، بل غاية ما يقال: إنه يسوغ أو ينبغي أو يجب علىٰ العامي أن يقلد واحدًا لا بعينه من غير تعيين زيد وعمرو، وأما أن يقول قائل: إنه يجب علىٰ العامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله مسلم».

«مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٢٢٩)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٢/ ٣٧٦)، و«مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص٥٤).

٢- صرح شيخ الإسلام أن من أسباب سيطرة الكفار والتتار علىٰ البلاد الإسلامية، وما أصابها من دمار وشنار هو ذلكم التقليد المذموم الجامد.

انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٢/ ٢٥٤)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٢/ ٢٧٩)، و«مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص٥٥).

٣- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ محققًا أن هذا التقليد المذموم، والدعوة إليه، والتعصب لهذه المذاهب الأربعة بدعة، وأنه تعالىٰ لم يوجب علىٰ أحد أن يكون حنفيًّا، أو شافعيًّا، أو نحوه: «هل يلزم العامي أن يتمذهب ببعض المذاهب الأربعة أم لا؟ فيه مذهبان:

أحدهما: لا يلزمه، وهو الصواب المقطوع به، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ورسوله علىٰ أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب بعض من الأئمة فيقلده دينه دون غيره، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة مبرأ أهلها من هذه النسبة، بل لا يصح للعامي

=

=

مذهب ولو تمذهب به، فالعامي لا مذهب له... ولا يلزم أحدًا قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره، وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة، لم يقُل بها أحد من أئمة الإسلام... فيا لله العجب، ماتت مذاهب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومذاهب التابعين وتابعيهم، وسائر أئمة الإسلام، وبطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين الأئمة والفقهاء، وهل قال ذلك أحد من الأئمة أو دعا إليه، أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه عليه؟! والذي أوجبه الله تعالىٰ ورسوله علىٰ الصحابة والتابعين وتابعيهم هو الذي أوجبه علىٰ من بعدهم إلىٰ يوم القيامة، لا يختلف الواجب ولا يتبدل... وعلىٰ هذا فله أن يستفتي من شاء من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، ولا يجب عليه ولا علىٰ المفتي أن يتقيد بأحد من الأئمة الأربعة بإجماع الأمة، كما لا يجب علىٰ العالم أن يتقيد بحديث أهل بلده أو غيره من البلاد، بل إذا صح الحديث وجب عليه العمل به حجازيًّا كان، أو عراقيًّا، أو شاميًّا، أو مصريًّا، أو يمنيًّا».

«إعلام الموقعين» (٤/ ٢٦١-٢٦٣) ط: دار الجيل، طه عبد الرءوف، وانظر منه (٢/ ٢٤٥).

٤- للإمام ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في إبطال هذه التقاليد الباطلة والتعصب لهذه المذاهب، وهي بعنوان: «الاتباع»، وهي مهمة جدًّا.

٥- للإمام محمد حياة السندي رسالة في ذم التقليد الأعمىٰ، بعنوان: «تحفة الأنام». وهي مهمة جدًّا.

٦- للعلامة الفلاتي رسالة سماها: «إيقاظ همم أولي الأبصار»، مهمة جدًّا في إبطال التعصب.

٧- قال الإمام مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب في بيان أن المقلدين الجامدين قد عبدوا الجهال، وأن القبورية قد عبدوا الفساق: «تغير الأحوال إلىٰ هذه حتىٰ صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمىٰ الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه؛ ثم تغيرت الحال إلىٰ أن عُبِدَ من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنىٰ الثاني -التقليد- من هو من الجاهلين».

انظر كتاب: «التوحيد» (ص٦١-٦٢)، ومؤلفات الشيخ (١/ ١٠٢-١٠٣)، و«تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٣-٥٥٤)، و«فتح المجيد» (ص٤٥٦-٤٦٥)، و«قرة عيون الموحدين» (ص١٨٩-١٩٢)، و«القول السديد» (ص١١١-١١٢)، و«إبطال التنديد» (ص٢١٧-٢٢١)، و«إفادة المستفيد» (ص١٦٢-١٦٤).

=

ب- عقوبة من قدم أقوال الرجال علىٰ قول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

من قدم أقوال الرجال علىٰ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع علمه بصحة قول الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يُخشىٰ عليه من العقوبات الآتية:

=

٨- **قال الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللهُ: «وقد وقع في هذا التقليد المحرم خلق كثير ممن يدعي العلم والمعرفة بالعلوم، ويصنف التصانيف في الدين والسنن، ثم بعد ذلك تجده جامدًا علىٰ أحد هذه المذاهب، ويرىٰ الخروج منها من العظائم». «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٥٣) ط: مكتبة العلوم والحكم.

٩- قال الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وقد وقع فيه -أي: في هذا التقليد المحرم- كثير من الناس مع من قلدوهم لعدم اعتبار الدليل إذا خالف المقلد؛ وهو من هذا الشرك، ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحالة هذه يكره أو يحرم؛ فعظمت الفتنة، ويقول: هم أعلم منا بالأدلة، ولا يأخذ بالدليل إلا المجتهد، وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلام». «فتح المجيد» (ص٤٦٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وقد عمت البلوىٰ بهذا المنكر -أي: التقليد المذموم- خصوصًا مَن يُنسب إلىٰ العلم، ونصبوا في الصدِّ عن الكتاب والسنة، وصدوا عن متابعة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيم أمره ونهيه». «فتح المجيد» (ص٤٦٠).

١٠- وللإمام الشاه ولي الله الدهلوي كلام مهم جدًّا حقق فيه أن التعصب لهذه المذاهب وصل إلىٰ حد أن جعل المقلدون أئمتهم أنبياء مرسلين، وأن هذا من قبيل اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، وأن هذا من الشرك.

انظر: «حجة الله البالغة» (١/ ١٥٤-١٥٦)، و«الإنصاف» (ص٩٧-١٠٢)، و«عقد الجيد» (ص٢٢-٢٥).

١١- للإمام الأمير اليماني قصيدة رنانة في إبطال التعصب المذهبي، والتقيد بهذه المذاهب الأربعة.

انظر: «ديوان الصنعاني» (ص١٣٠)، وراجع: «الإرشاد» (ص١٤٤)، والله المستعان.

١- حصول الفتنة في قلبه من نفاق، أو بدعة، أو شرك، أو كفر.

٢- أن يصيبه عذاب أليم في الدنيا إما بقتل، أو حد، أو حبس.

٣- الهلاك والعذاب الأليم المقيم في الآخرة.

٤- انقطاع نسله وذريته وذكره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]، وهو عام لمنتقص سنته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ج- الطاعة الشرعية:

إن معنىٰ التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: الطاعة التامة لله تعالىٰ؛ فهو الذي يُؤَلَّهُ ويُعبَد وحده لا شريك له، ويُطَاع طاعة مطلقة فلا يُعصَىٰ؛ وتكون الطاعات كلها تبعًا لطاعته، والطاعة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طاعة الله، وذلك بامتثال أمره الواجب والمستحب، واجتناب نهيه، وعلىٰ ذلك بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهذين الأمرين: الطاعة لله تعالىٰ وللرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما طاعة العلماء والأمراء في طاعة الله ورسوله، فهذا أمر مندوب شرعًا، ولا يستقيم الأمر إلا بذلك، فالحق أن نطيع الأمراء والعلماء ما أمرونا بطاعة الله ورسوله، ولا ننزع يدًا من طاعة ما داموا مسلمين، ولا نكون كالخوارج، وأيضًا لا نكون كالروافض والباطنية الذين يؤلِّهون أئمتهم، ويطيعون سادتهم في كل ما يأمرونهم به.

د- الطاعة الشركية:

هي طاعة العلماء والأمراء وغيرهم في تغيير أحكام الله بتحليل الحرام،

وتحريم الحلال، وجعل طاعتهم كطاعة الله ورسوله؛ ويظن أن لهم حق التشريع، وأن لهم حق الطاعة المطلقة؛ فمن فعل ذلك فقد اتخذهم أربابًا من دون الله يتألههم، ويحاكم إليهم، ويقدم حكمهم علىٰ حكم الله ورسوله.

❁❁❁



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب تقديم قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قول كل أحد.

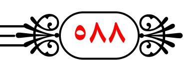
٢- أن مخالفة هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توجب العقوبة.

٣- أن طاعة الأمراء والعلماء وغيرهم من المخلوقين في تغيير أحكام الله شرك أكبر.

٤- أن التحليل والتحريم حق لله تعالىٰ؛ فهو الذي يشرع ما شاء من الدين.

٥- بيان نوع من أنواع الشرك وهو شرك الطاعة.

❁❁❁



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - أكمل قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يوشك أن تنزل عليكم...».

س٢ - اشرح ترجمة الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (أربابًا- يوشك- من الزيغ- أحبارهم).

س٤- ما حكم التعصب لمذهب معين، أو لشخص معين؟

س٥- اذكر بعض العقوبات التي تصيب من قَدَّم قولًا علىٰ قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

س٦- ما هي الطاعة الشرعية؟

س٧- ما هي الطاعة الشركية؟

س٨- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊



٣٩- باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] الآيات

١- وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

٢- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

٣- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

٤- وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[(١)]، قال النووي: «حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح»[(٢)].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة»، برقم (١٥)، والبغوي في «شرح السنة»، برقم (١٠٤).

(٢) ذكر ذلك النووي في «الأربعين النووية»، وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٣٨٦-٣٨٧)، حيث قال: «ويبعد تصحيح هذا الحديث»، وقال الحافظ ابن حجر في =

٥- **وقال الشعبي**: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلىٰ محمد -عرف أنه لا يأخذ الرِّشوة- وقال المنافق: نتحاكم إلىٰ اليهود -لعلمه أنهم يأخذون الرِّشوة-، فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾»[1].

وقيل: «نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الآخر: إلىٰ كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلىٰ عمر، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله»[2].

❊❊❊

=

«الفتح» (١٣/ ٢٨٩): «رجاله ثقات، وصححه النووي»، وقال الإمام عبد العزيز بن باز: «وضعف بعض العلماء هذا الحديث، ولكن معناه صحيح».

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٥/ ٩٧).

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٦)، وذكره معلقًا الواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٠٧-١٠٨)، وأورده الحافظ ابن كثير (١/ ٥٢٢) بلفظ قريب منه، وأسنده إلىٰ تفسير دحيم.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو التحذير من التحاكم إلىٰ غير الله، وأن الواجب هو التحاكم إلىٰ شريعة الله.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن من الإيمان التحاكم إلىٰ شرع الله، وأن التحاكم إلىٰ الطواغيت ناقِض أو منقص للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أن الآية تبين أن التحاكم إلىٰ غير الله تعالىٰ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما هو من أعمال المنافقين، وهذا العمل وهو التحاكم إلىٰ الطواغيت تبين بجلاء أن هذا الفعل ناقض أو مُنقِص للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

بعد أن تكلم المؤلف عن تحريم طاعة غير الله في التحريم والتحليل بما ينافي حكم الله؛ أراد من عقد هذا الباب بيان التحذير من التحاكم إلىٰ غير الله، وأن الواجب التحاكم إلىٰ شريعة الله في كل الأمور، وأن التحاكم إلىٰ غير الله شرك ينافي التوحيد؛ لأنه شرك في التشريع والطاعة، وأن الواجب علىٰ

المسلمين التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

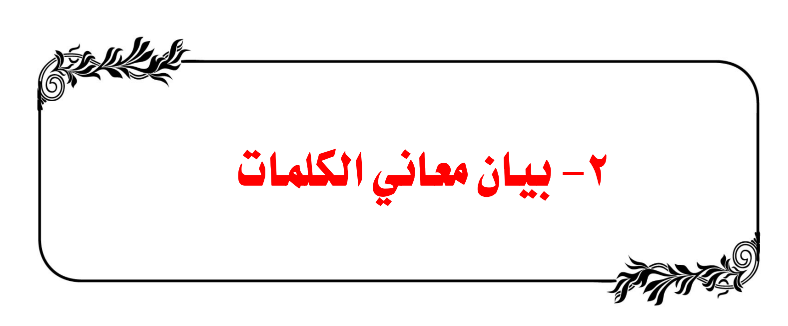
الآية الأولىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أراد بها المصنف الاستدلال علىٰ أن التحاكم إلىٰ غير شريعة الله من أعمال المنافقين، وأنه من الإفساد في الأرض.

الآية الثانية: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: أوردها المصنف لبيان أن الله تعالىٰ أصلح الأرض بتدبيره وشرعه، ونهانا أن نفسدها بترك شريعته، والتحاكم إلىٰ غيره.

الآية الثالثة: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾: فيها التحذير من حكم الجاهلية، وأن كل حكم يخالف الشرع فهو حكم جاهلي، وأن من كمال الإيمان الاعتقاد بأن حكم الله هو الحكم الأحسن والأصلح، والواجب علىٰ الخلق التحاكم إليه.

حديث ابن عمر: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه»: ذكره المصنف لما فيه من الدلالة علىٰ أن الإيمان لا يكمل حتىٰ يصح الاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع الأمور، وميول المؤمن ونيته وعمله خاضع لحكم الله.

❁❁❁

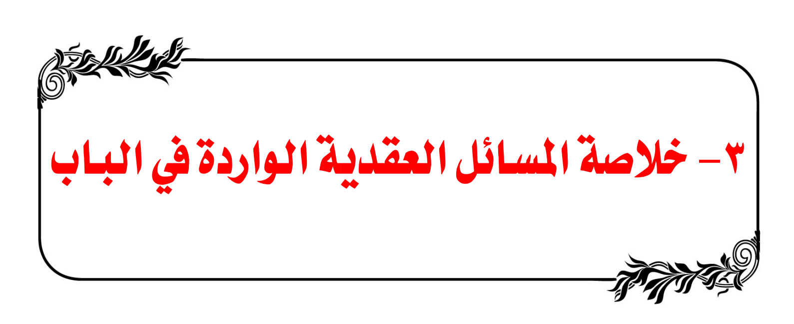


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم.
يزعمون	يَدَّعون كذبًا.
أن يتحاكموا	أي: يتخاصموا.
أن يكفروا به	أي: بالطاغوت.
أن يضلهم	يبعدهم عن الحق.
ضلالًا بعيدًا	انحرافًا بعيدًا شديدًا.
إلىٰ ما أنزل الله	أي: إلىٰ القرآن الكريم.
وإلىٰ الرسول	إلىٰ سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
رأيت المنافقين	أي: الذين يدعون الإيمان وهم كاذبون.
يصدون	يعرضون.
إذا أصابتهم مصيبة	نزلت بهم عقوبة من قتل ونحوه.
بما قدمت أيديهم	أي: بسبب التحاكم إلىٰ غير كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إن أردنا	يقولون: ما قصدنا بالتحاكم إلىٰ غير الكتاب والسنة.
إلا إحسانًا	أي: إصلاحًا بين الناس.
وتوفيقًا	تأليفًا بين الخصمين، ولم نرد مخالفة الكتاب والسنة.
وإذا قيل لهم	أي: للمنافقين.
لا تفسدوا في الأرض	بالكفر والمعاصي.
بعد إصلاحها	ببعث الأنبياء وشرع الأحكام.
من أحسن من الله	أي: لا أحد أحسن حكمًا من الله سبحانه العالم بمصالح عباده.
لقوم يوقنون	أي: إنما يعرف هذا أهل اليقين والإيمان لا أهل النفاق والطغيان.
لا يؤمن أحدكم	أي: لا يحصل له الإيمان التام.
هواه	رغبته وما تميل إليه نفسه.
تبعًا لما جئت به	راغبًا فيما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة.
من المنافقين	جمع منافق، وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
خصومة	أي: جدال ونزاع.
الرشوة	هي ما يعطيه أحد الخصمين للقاضي أو غيره من المسئولين ليحكم له أو يُنهي معاملته.

كاهنًا	هو الذي يدعي علم الغيب بواسطة الشياطين.
فنزلت	هذا بيان لسبب نزول قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾.
كعب بن الأشرف	يهودي من قبيلة طيئ، وأمه من بني النضير، كان شديد العداوة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- وجوب التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة:

إن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها، وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم، فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي كل الأمور، دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

والواجب علىٰ كل أحد ألا يتخذ غير الله حكمًا، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلىٰ الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبذلك يكون دين العبد كله لله، وتوحيده خالصًا لوجه الله.

فالواجب علىٰ الأمراء والملوك والحكام أن يتحاكموا إلىٰ شرع الله تعالىٰ المنزل، والموجود في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والواجب علىٰ العلماء وطلبة العلم أن يتحاكموا فيما اختلفوا فيه إلىٰ الكتاب والسنة علىٰ فهم سلف الأمة، ولا يجوز لهم أن يتحاكموا إلىٰ الآراء الفلسفية، ولا القوانين المنطقية، ولا الأذواق والأوجاد الصوفية، ولا الآراء

الاجتهادية، بل عليهم جميعًا الاجتهاد والبذل في الكتاب والسنة، حتىٰ يصلوا إلىٰ الحق الذي أنزله الله تعالىٰ، أو بينه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ب- التحاكم إلىٰ الطواغيت من علامات النفاق:

يجب التحاكم إلىٰ شرع الله، ولا يجوز التحاكم إلىٰ غيره، فكل من دُعي إلىٰ التحاكم إلىٰ ما أنزل الله وجب عليه الإجابة والقبول.

وكل من حاكم إلىٰ غير الله ورسوله فقد حاكم إلىٰ الطواغيت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب في دعواه؛ لأنه معرض عن حكم الله، ومُقدِّم لحكم الطواغيت علىٰ حكم الله ورسوله، وهذه خصلة وعلامة من علامات النفاق الاعتقادي، وهو الكفر بعينه؛ فإن الحكم كله لله كما أن العبادة كلها لله.

ج- الحكم بغير ما أنزل الله إفساد في الأرض:

جاء الإسلام بإصلاح البلاد والعباد، ونهىٰ عن الإفساد في الأرض، وتخريبها بأي نوع من أنواع التخريب، حسيًّا كان أم معنويًّا، بعدما أصلحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وصلاح الأرض باتباع الشرع وتحكيمه، وفسادها بمخالفة أمر الله والتحاكم إلىٰ غيره، فالتحاكم إلىٰ غير كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أعظم الإفساد في الأرض، لا صلاح لها إلا بتحكيم الكتاب والسنة، وهو سبيل المؤمنين.

فمن زعم أن حكمًا أو قانونًا ما أفضل أو مثل حكم الله فهذا كفر صريح، وكذلك من زعم أن حكم الله لا يصلح في هذا الزمن.

وأما من حكم من حكام المسلمين وقضاتهم وآحادهم في بعض القضايا بغير ما أنزل الله تعالىٰ مع اعترافهم بالمنزل لشهوة، أو شبهة، أو رشوة، أو قرابة، ونحو ذلك، فهذا كفر دون كفر، وهو أعظم من الزنا والسرقة.

والواجب علىٰ الحكام والمحكومين جميعًا التحاكم إلىٰ شرع الله المنزل، ودينه الذي لا يتبدل، وحكمه الذي لا تجد فيه عوجًا ولا أمتًا.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والرضا بذلك، والتسليم له.

٢- أن من قبل التحاكم إلىٰ غير الشريعة الإسلامية فليس بمؤمن، وإن ادعىٰ أنه يقصد الإصلاح؛ لأن هذا إفساد وليس إصلاحًا.

٣- أن من حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت، ومن تحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله فهو متحاكم إلىٰ الطاغوت، وإن سماه بأي اسم؛ كالنظام، والقانون، وغير ذلك.

٤- أن من دعي إلىٰ التحاكم إلىٰ ما أنزل الله وجب عليه الإجابة؛ فإن أعرض فهو منافق.

٥- أن الحكم بغير ما أنزل الله شرك في التشريع والطاعة.

٦- التحذير من تحكيم النظم والقوانين المخالفة للشريعة، وإن ادعىٰ أصحابها أنهم مصلحون.

٧- أن تحكيم غير ما أنزل الله إفساد في الأرض.

٨- أن صلاح البشر وإصلاحهم لا يتحقق إلا بتحكيم ما أنزل الله.

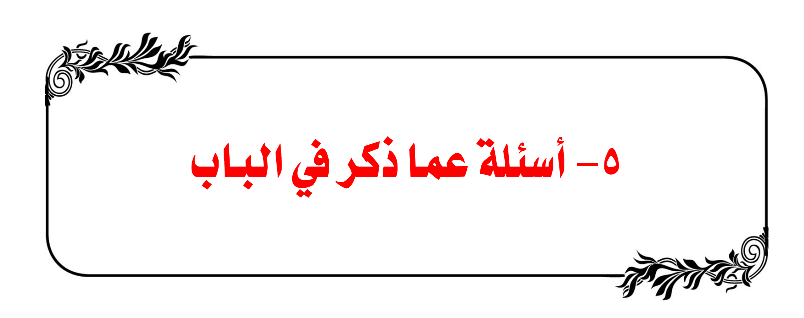
٩- وجوب محبة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التشريع، ووجوب العمل به.

١٠- وجوب بُغض ما خالف شريعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجوب الابتعاد عنه.

١١- انتفاء الإيمان عمن يميل بقلبه إلىٰ مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستحسن غير ما جاء به.

١٢- أن الدعوة إلىٰ تحكيم شرع غير شرع الله من صفات المنافقين أيًّا كان الذي يدعو إلىٰ ذلك.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (يزعمون- يصدون- توفيقًا- خصومة).

س٤- ماذا يجب علىٰ الأمراء والعلماء في التحاكم؟

س٥- متىٰ يكون الحاكم بغير ما أنزل الله كافرًا؟

س٦- لماذا كان التحاكم إلىٰ الطواغيت نفاقًا؟

❊❊❊

٤٠- باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

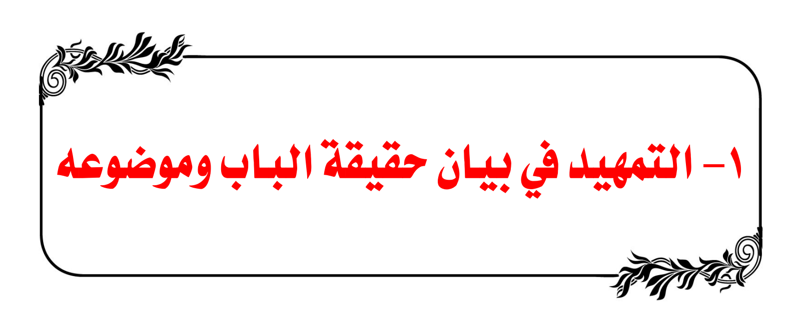
٢- وفي «صحيح البخاري»: قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»[(١)].

٣- وروىٰ عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه رأىٰ رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصفات، استنكارًا لذلك، فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»[(٢)]. انتهىٰ.

٤- «ولما سمعت قريش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الرحمن، أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾»[(٣)].

❊❊❊

(١) رواه البخاري (١/ ٥٩)، حديث رقم (١٢٧).
(٢) «المصنف» (١١/ ٤٢٣)، حديث رقم (٢٠٨٩٥).
(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (١٣/ ١٥٠)، كتاب «أسباب النزول» للواحدي (ص٢٧٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، علىٰ ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن التوحيد لا يكمل إلا بالإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن جحود شيء منها مناقض للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللائق به سبحانه، وأن من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته، فقد أتىٰ بما يناقض التوحيد وينافيه.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد نواقض التوحيد، ومن ضمن ذلك جحود أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ، وصفاته العلا.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: أورده المصنف لما فيه من بيان أن إنكار الأسماء إنما هو من فعل الجاهليين المشركين، وفيه أن كفر الكافرين بالرحمن كفر بالله تعالىٰ؛ فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر من صفات هؤلاء الضالين، وعليه أن يسلك مسلك أهل العلم والإيمان، وسَمَّىٰ إنكارهم الصفة كفرًا بالرحمن، فدل علىٰ كفر من أنكر الصفات.

أثر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون»: أفاد أنه يجب علىٰ الواعظ والمذكر أن يذكر الناس بالألفاظ التي يعرفونها، والأساليب التي يعقلونها، حتىٰ لا يُكذَّب الله ورسوله، والله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حدثوا الناس بهذه الأسماء والصفات، وفهم الناس منها ما هو علىٰ ظاهرها، فلا ينبغي التقعر فيها، أو إنكارها بالتأويلات.

أثر ابن عباس: فيه الدلالة علىٰ وجوب الإيمان بالمتشابه، وفهمه، وعدم الخوض فيما لم يرده الله تعالىٰ أو رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❊❊❊

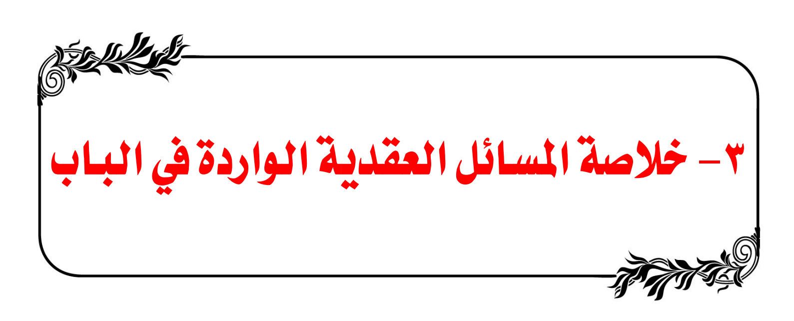


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
جحد	أنكر مع العلم.
وهم	أي: كفار قريش.
يكفرون	أي: يجحدون.
بالرحمن	اسم من أسماء الله تعالىٰ، والرحمة صفة من صفاته.
قل	يا محمد.
هو ربي	أي: الرحمن عَزَّوَجَلَّ.
لا إله إلا هو	أي: لا معبود حق سواه.
توكلت	فوضت أموري كلها إليه، واعتمدت عليه.
وإليه متاب	مرجعي وتوبتي، والتوبة: الرجوع.
انتفض	ارتعد.
فرق	بفتح الفاء والراء؛ أي: خوف.
رقة	لينًا وقبولًا.

مُحكمه	ما وضح معناه فلم يلتبس علىٰ أحد.
متشابهه	ما اشتبه عليهم فهمه، ولم يفهمه إلا الراسخون في العلم.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معرفة الله بأسمائه، والإيمان بصفاته غاية السالكين:

معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته هي غاية السالكين، ومن أهم ما يميز به أهل الدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشهوده لها، هو مبدأ الطريق، ووسطه، وغايته، وهو روح السالكين، وحاديهم إلىٰ الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا، فإن سيرهم إنما هو علىٰ الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب، ولا سلوك له.

وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه»[(١)].

ب- حكم من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته:

من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته، أو أنكرها فحكمه الكفر؛ لأن إنكار ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أجمعت عليه الأمة كفر في

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٥٠).

ذاته، فكيف إذا كان هذا الجحود منصبًّا علىٰ أسماء الله تعالىٰ وصفاته، ولهذا كفر الأئمة غلاة الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات، وسموهم بالزنادقة.

وأما من أنكر بعض الأسماء، أو بعض الصفات لشبهة وردت عليه فهذا متأوِّل، والمتأول له حكم آخر(١).

---

(١) **أقول**: لقد صرح أئمة الإسلام بأنه من المعلوم من الدين بالضرورة والاضطرار من دين الإسلام **أهمية توحيد الأسماء والصفات**، والإيمان بما وصف الله تعالىٰ به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تمثيل؛ لأن باب الصفات من أهم أبواب الإسلام، ومن أشرف المعارف الإلهية، وأعظم العلوم. انظر: «درء التعارض» (٥/ ٣٦٤).

وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الخبر، والإيمان به أصل الإيمان بما عداه. «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٦٥)، و«مختصره» (١/ ٤١)؛ لأن معرفة الله تعالىٰ لا تتم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، والإيمان بها، إذ بها تعرَّف الله تعالىٰ إلىٰ عباده. «الصفات الإلهية» (ص٧).

وتظهر أهمية باب أسماء الله تعالىٰ وصفاته من أن إخبار الرسل به أعظم مما أخبرت بمعاد الأبدان، ولهذا كانت التوراة مملوءة من إثبات الصفات، أما ذكر المعاد فليس فيها كذلك، والقرآن فيه من ذكر الله وأسمائه وصفاته أكثر من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لصفات الله وأسمائه تعالىٰ أعظم قدرًا من آيات المعاد، ودلالة القرآن والحديث علىٰ صفات الله وأسمائه أعظم من دلالتهما علىٰ الميزان والشفاعة والحوض.

انظر: «درء التعارض» (٥/ ٣٠٩-٣١٢، ٥/ ٢٢٢)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٦٥)، و«مختصره» (١/ ٤١).

وإذا كان الإيمان بأسماء الله وصفاته من الأهمية بمكان -كما سمعت أيها المسلم- كان تعطيل أسماء الله وصفاته تعالىٰ، أو تشبيه الله تعالىٰ بخلقه، أو تشبيه الخلق بالله تعالىٰ في غاية من الخطورة والفساد والضلال.

وإذا تطرق التأويل والتعطيل إلىٰ أسماء الله تعالىٰ وصفاته ونصوصها كان تطرق التحريف
=

=

إلىٰ نصوص المعاد والجنة والنار أسهل.

ولما كان تعطيل صفات الله تعالىٰ إلىٰ هذه الدرجة من المفاسد والأضرار والخطر كان كلام أئمة السنة وعلماء هذه الأمة في تكفير الجهمية، وتبديع أذيالهم الغلاة من الحنفية الماتريدية والأشعرية الكلابية أصرح وأوضح وأشد وأشهر؛ إذ تعطيل صفات الله تعالىٰ، والقول بخلق القرآن، وإنكار علو الله تعالىٰ، وإنكار نزوله تعالىٰ، وإنكار وجهه تعالىٰ، ويديه تعالىٰ، وغضبه ورضاه، ورحمته، وضحكه، ونحوها من الصفات من أوضح الكفر ومن أقبح الشرك عند السلف.

ولذلك لما ظهرت الجهمية المعطلة وأفراخهم المعتزلة وأذيالهم الماتريدية الأشعرية الكلابية وعامة أهل الكلام حكم عليهم أئمة السنة بالكفر والإلحاد والزندقة، وحكموا علىٰ أفراخهم بالبدعة.

انظر: «نقض الدارمي علىٰ بشر المريسي»، و«الرد علىٰ الجهمية» لابن منده، «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٤٣)، و«درء التعارض» (٧/ ١٥٧)، و«الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٦٦، ١٢٦٩)، و«الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» للإمام أحمد (ص٨٦، ٨٩-٩٠، ٩٤-٩٨)، و«خلق أفعال العباد» (ص١٣، ١٦-١٧، ٢٦-٢٨)، و«مسائل الإمام أحمد» لأبي داود (١/ ٢٦).

ولقد سجل الإمام اللالكائي أسماء (٥٠٠) إمامًا، ومنهم (٣١) من أئمة الحنفية، في تكفير الجهمية الذين قالوا بخلق القرآن، وأنكروا علوَّ الله علىٰ خلقه، وفوقيته علىٰ عباده، واستواءه علىٰ عرشه. انظر: «شرح اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٢/ ٢٢٧-٣١٢).

وأيده في ذلك بقية أئمة السنة، وأقروه، وفي ذلك يقول ابن القيم في «القصيدة النونية» (ص ٣٧):

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل حكاه قبله الطبراني

قال الإمام نعيم بن حماد: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه».

=

ج- مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته:

أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسماء وصفات، علىٰ الوجه اللائق به سبحانه، من غير تكييف، ولا تمثيل، وينفون ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل.

فأهل السنة يثبتون مع التنزيه، وينفون من غير تعطيل؛ فهم إنما يثبتون المعنىٰ دون الكيف، بخلاف المعطلة الذين عطلوا المعنىٰ فوقعوا في التعطيل أو التفويض، وبخلاف المشبهة الذين أثبتوا مع التمثيل.

وأهل السنة شعارهم في هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]. فنفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه المثلية، مع إثباته لنفسه السمع والبصر، فدل علىٰ أن الإثبات إنما هو من غير تمثيل، **فالتنزيه يعني**: الإثبات من غير تمثيل، فلا جحود ولا تمثيل.

=

رواه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦)، وانظر: «النونية» (ص٦)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٤)، والذهبي كذلك في «السير» (١٣/ ١٩٩)، وانظر: «الحموية» (ص١٠٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١١٠، ٤٨٢)، و«اجتماع الجيوش» (ص١٣٧)، و«شرح الطحاوية» (ص١٢٠).

وقال شيخ الإسلام: «من شبه صفة من صفات الله بصفات خلقه فهو ضال خبيث مبطل، بل كافر، ومن عطل صفة من صفاته تعالىٰ فهو ضال خبيث مبطل، بل كافر».

انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٨٢)، و«التدمرية» (ص٣٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦).

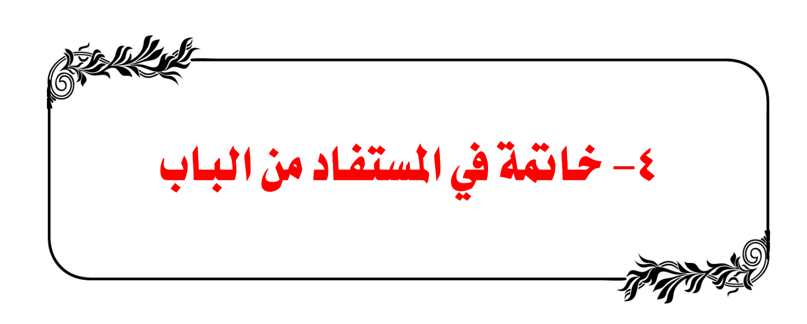
د- معنىٰ قول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله؟»:

يأمر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أهل العلم بأن يرشدوا الناس، ويحدثوهم بما تدركه عقولهم، وتصل إليه أفهامهم، ولا يدخلوا معهم فيما لا تُطيق أذهانهم، فالمطلوب تحديث العامة بما ينفعهم علمًا وعملًا، لا ما يشكل عليهم فهمه، وما تحيله عقولهم، ولا تدركه أفهامهم، ولذا كان السلف ينهون القصاصين لأنهم كانوا يأتون بالغرائب المستنكرة، والقصص المستغربة.

ومن ذلك التفاصيل في أسماء الله وصفاته؛ لأن ذلك قد يؤدي إلىٰ إنكارهم شيئًا من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيأثمون بسببهم فيهلك الجميع.

فالقول في أسماء الله تعالىٰ إنما يكون بالظاهر اللائق بالله تعالىٰ، وعدم الخوض بالتأويلات الفاسدة.





٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن جحد شيء من أسماء الله وصفاته كفر.

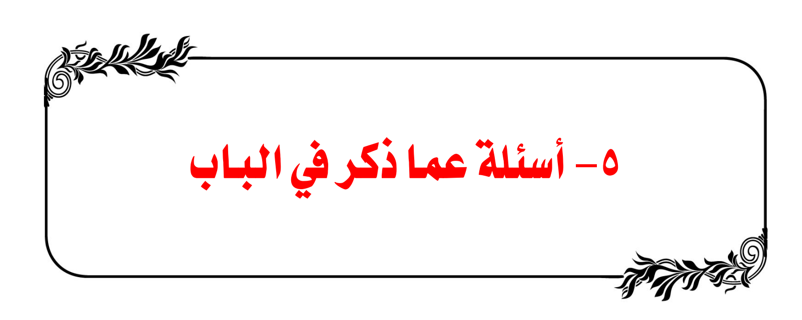
٢- وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته كما جاءت في الكتاب والسنة، من غير تأويل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه.

٣- وجوب التوكل علىٰ الله والتوبة إليه.

٤- من جَحْد أسماء الله وصفاته تأويلها عن ظاهرها، ونفي ما تدل عليه من المعاني الصحيحة.

٥- أن من رد شيئًا من نصوص الصفات أو استنكره بعد صحته فهو من الهالكين.

❀❀❀



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - ما عنوان هذا الباب؟

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (جحد- إليه متاب- انتقض- فَرَق).

س٤- ما حكم من جحد الأسماء والصفات؟

س٥- ما شعار أهل السنة في باب الأسماء والصفات؟

س٦- اذكر معنىٰ قول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «حدثوا الناس بما يعرفون»؟

س٧- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❀❀❀

٤١- باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣]

١- **قال مجاهد ما معناه:** «هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي»(١).

٢- **وقال عون بن عبد الله:** «لولا فلان لم يكن كذا»(٢).

٣- **وقال ابن قتيبة:** «يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا»(٣).

٤- وقال أبو العباس -بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالىٰ قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**»(٤) الحديث. وقد تقدم-: «**وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلىٰ غيره ويشرك به**»(٥).

٥- **وقال بعض السلف:** «هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملاح حاذقًا، ونحو ذلك، مما هو جارٍ علىٰ ألسنة كثير من الناس»(٦).

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (١٤/ ١٥٨).

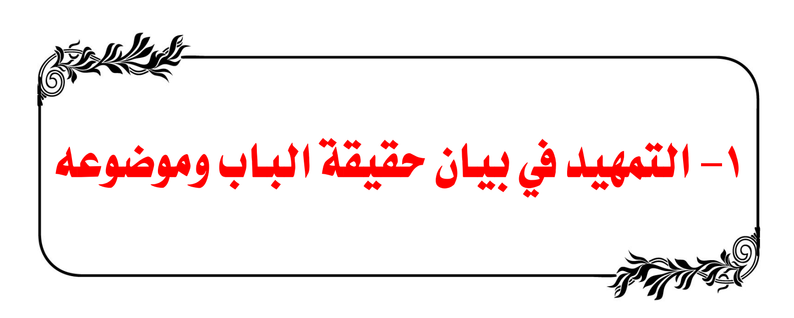
(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) وذكر هذا القول ابن جرير في الموضع السابق، ولم يسنده إلىٰ أحد.

(٤) تقدم تخريجه (ص٤٨٦): في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

(٥) «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٣).

(٦) انظر: المصدر السابق.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو الحث علىٰ الاعتراف بنعم الله، وشكره سبحانه علىٰ ذلك، وعدم الانشغال عن هذا بالأسباب، والقوة، والفطنة، ونحو ذلك.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية شكر نعم الله تعالىٰ، وذلك من تمام التوحيد، ومن كماله.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المؤلف في هذا الباب الحث علىٰ الاعتراف بنعم الله، وشكره سبحانه علىٰ ذلك، وأن إضافة النعم إلىٰ غير الله كفر ينافي التوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف أهمية الإيمان بالأسماء والصفات ناسب أن يذكر أهمية نسبة الفضائل والنعم إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإن ما في الوجود من الفضائل إنما هي من آثار أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وصفاته.

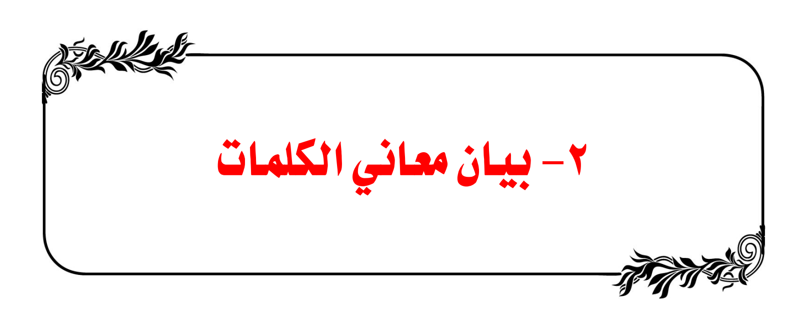
هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

أثر مجاهد: «**هذا مالي**»: استدل به لما فيه من بيان أن من إنكار نعمة الله التبجح بحصولها، ونسبة ذلك إلىٰ النفس.

أثر عون بن عبد الله: «**لولا فلان**»: أورده أيضًا لما فيه من ذم مَن عَلَّق الأمر بغير الله تعالىٰ.

أثر ابن قتيبة: «**يقولون: هذا بشفاعة**»: ذكره كذلك لما فيه من أن الكافرين ينسبون النعم إلىٰ آلهتهم، والواجب علىٰ المسلم أن يخالفهم، وأن ينسب النعمة إلىٰ مسديها وهو الله تعالىٰ مسبب الأسباب.

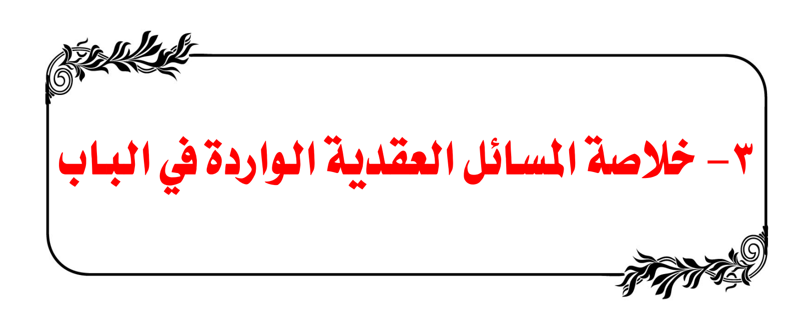
❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الملاح	قائد السفينة.
السلف	هم المتقدمون من علماء هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

٭٭٭



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- إضافة النعم إلىٰ الله تعالىٰ من تمام التوحيد:

لا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلىٰ الله قولًا واعترافًا؛ فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فهو كافر ليس معه من الدين شيء.

ومن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلىٰ الله، وتارة إلىٰ نفسه وعمله، أو إلىٰ سعي غيره، فهذا شرك أصغر، منافٍ لكمال التوحيد، ويجب علىٰ العبد أن يتوب منه.

وأما من أضاف النعم أو نزولها إلىٰ أحد غير الله تعالىٰ كأن يضيفها إلىٰ الأصنام، والأوثان، والآلهة التي تعبد من دون الله، أو يزعم أن الولي هو الذي أنزلها، أو أن فلانًا هو الذي دبرها فهذا كفر، وهذا هو الذي كان يقوله المشركون، حيث كانوا يضيفون النعم إلىٰ آلهتهم، ويزعمون أنها نزلت بشفاعتهم.

ب- معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾:

أخبر الله تعالىٰ أنه أنعم علىٰ الخلق بالنعم الكثيرة التي هي ظاهرة، وبينة ومع هذا الظهور ينكر الكافرون نعمة الله تعالىٰ، ويخفي الجاهلون نعم الله تعالىٰ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فذكرهم بأصول النعم، وفروعها، وعددها عليهم نعمة نعمة، وأخبر أنه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له، فتكمل نعمه عليهم بالإسلام الذي هو رأس النعم».

ثم أخبر عمَّن كَفَرَهُ، ولم يَشكُر نعمه، بقوله: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾، قال مجاهد: المساكن والأنعام، وسرابيل الثياب والحديد، يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه، بأن يقولوا: هذا كان لآبائنا وورثناه عنهم.

وقال طائفة: النعمة هاهنا: محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وإنكارها: جحدهم نبوته، وهذا يُروىٰ عن مجاهد، والسدي، وهذا أقرب إلىٰ حقيقة الإنكار، فإنه إنكار لما هو أجل النعم أن تكون نعمة»[1].

ج- حقيقة شكر الله تعالىٰ علىٰ النعم:

الواجب علىٰ الخلق إضافة النعم إلىٰ الله قولًا واعترافًا، وشكره عليها، والشكر هو رأس الإيمان، **وهو مبني علىٰ ثلاثة أركان:**

١- اعتراف القلب بنعم الله كلها علىٰ الإنسان وعلىٰ غيره.

٢- الحديث بها والثناء علىٰ الله بها.

٣- الاستعانة بها علىٰ طاعة المنعم وعبادته، وهذا هو الشكر العملي بالجوارح.

---

(١) «شفاء العليل» (ص٣٦).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب نسبة النعم إلىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده.

٢- التحذير من نسبة النعم إلىٰ غير الله؛ لأنه شرك في الربوبية.

٣- وجوب التأدب في الألفاظ وتحريم الاعتماد علىٰ الأسباب.

٤- أن مجرد معرفة أن النعم من الله في القلب لا يكون شكرًا كاملًا؛ بل لابد من الاعتراف بها ظاهرًا، وصرفها في طاعة الله.

٥- أنه ليس في الوجود من نعمة إلا وهي من الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؛ فهو الموجد لها، وهو المتسبب في إنزالها، وهو المتولي لشأنها.

٦- أن المال عند الإنسان وديعة من الله تعالىٰ يجب أن ينسبها إلىٰ مسديها، وأن يعلم حق الله فيها.

❊ ❊ ❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- أكمل: «قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح ...».

س٣- ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٤- وضِّح معاني الكلمات: (الملاح- السلف).

س٥- ما حكم من أضاف النعم إلىٰ غير الله تعالىٰ؟

س٦- الشكر مبني علىٰ ثلاثة أركان؛ فما هي؟

س٧- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب؟

❊❊❊

٤٢- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]

١- **قال ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في الآية**: «الأنداد هو الشرك، أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك»(١). رواه ابن أبي حاتم.

٢- وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك**»(٢). رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

٣- **وقال ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (ح٢٢٩)، وذكره ابن كثير في «التفسير» (١/ ٥٧-٥٨).

(٢) رواه الترمذي في «السنن» (٤/ ١١٠) (ح١٥٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨)، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (ح٥٣٧٥)، كلهم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الشيخ ابن باز في قول المصنف: عن عمر: الصواب ابن عمر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٦٩) (ح ١٥٩٢٩).



٤- وعن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[(١)]. رواه أبو داود بسند صحيح.

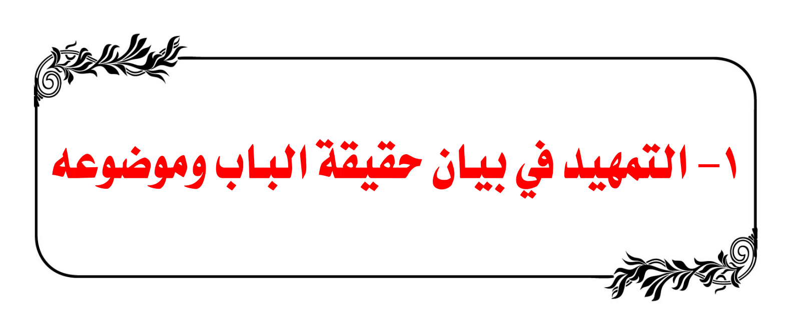
٥- وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان»[(٢)].

❊❊❊

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٩٨٠)، وأحمد في «المسند» (ح٢٣٣٦٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح١٣٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٧) (ح١٩٨١١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

تحذير الناس من اتخاذ الأنداد مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مطلقًا، لا في الأفعال ولا في الأقوال.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في النهي عن اتخاذ الند -وهو المعبود- من دون الله تعالىٰ، وهذا النهي يشمل العبارات والألفاظ، ومن ضمن ذلك الحلف، أو ما كان فيه تسوية لله تعالىٰ بغيره من المخلوقين ولو في اللفظ؛ فإن من تمام التوحيد أن يكون المسلم محافظًا علىٰ التوحيد في قلبه، وقوله، وعمله.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المؤلف بهذا الباب تحذير الناس من اتخاذ الأنداد لله تعالىٰ في الحلف ونحوه؛ لأن هذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد، وقد يكون شركًا أكبر.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف في الباب الذي قبله أن النعم من الله تعالىٰ، وأنه هو المسدي لها، وهو الحافظ لها؛ ناسب أن يردفه بهذا الباب الذي فيه النهي عن

اتخاذ الأنداد سواء في العبادة أو اللفظ.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

أثر ابن عباس: فيه الدلالة علىٰ أن اتخاذ الأنداد، يعني: اتخاذ الشركاء مع الله تعالىٰ، ولو في الألفاظ التي تدل علىٰ مطلق التسوية، وإن كان القائل لا يعني ذلك المعنىٰ.

حديث: «**من حلف بغير الله**»: فيه التصريح من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أن من حلف بغير الله فقد وقع في الشرك.

قول ابن مسعود: «**لأن أحلف بالله كاذبًا**»: فيه تعظيم الصحابة من شأن الشرك، وأنه أعظم من الكبائر.

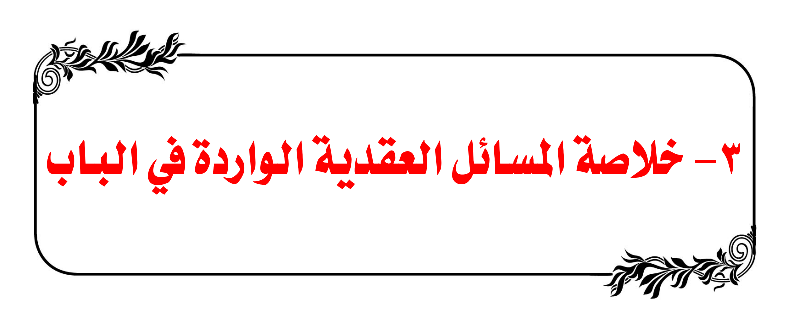
حديث حذيفة مرفوعًا: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان**»: أورده لما فيه من النهي عن التسوية في اللفظ ولو لم يكن معنىٰ التسوية مقصودًا.





٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
وأنتم تعلمون	وأنتم تعلمون أنه لا ند له؛ لأنه المتفرد بصفات الكمال والجلال.
دبيب النمل	مشيه.
علىٰ صفاة	الصفا: الحجر الأملس.
كليبة	تصغير (كلبة)، وهي التي تتخذ لحفظ المواشي وغيرها.
اللصوص	جمع (لص)، وهم السراق.
عن عمر	صوابه: عن ابن عمر.
من حلف	الحلف: اليمين والقسم، وهو توكيد الحكم بذكر مُعَظَّم علىٰ وجه الخصوص.
كفر أو أشرك	فيكون كفرًا أو شركًا، والمراد: الكفر والشرك الأصغر.
أعوذ	العوذ: الالتجاء إلىٰ الغير والتعلق به.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

يقول الله تعالىٰ ناهيًا عباده: لا تشركوا بالله شيئًا من الأنداد، وهي: الأمثال والنظراء، جمع ند، مهما كانت هذه الأنداد: نجمًا، أو كوكبًا، أو ملكًا، أو إنسانًا، أو قبرًا...إلخ.

وكيف يتخذ الإنسان ندًّا مع الله تعالىٰ وهو يعلم أن خالقه هو الله، وأن مالكه هو الله، وأن الأمر بيده.

وكيف تتخذون ندًّا مع الله، وقد علمتم أن الرسول ﷺ يدعوكم إلىٰ التوحيد، وهو الحق الذي لا مرية فيه[1].

ب- اتخاذ الأنداد من الشرك:

معنىٰ اتخاذ الأنداد: إشراك غير الله مع الله في العبادة، والأنداد: جمع ند، وهو الشبيه والنظير، أي: اتخذ شبيهًا ونظيرًا يدعوه مع الله، ويستغيث به، ويساويه بالله في المحبة والتعظيم، وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وهو من أسباب دخول النار، **هذا هو النوع الأول** من اتخاذ الأنداد.

---

(١) انظر: «الجامع الفريد» (ص١٧٤).

أما النوع الثاني: فما كان من الشرك الأصغر؛ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت، والحلف بغير الله، والرياء اليسير في العمل، وهذا لا يوجب الخلود في النار وإن دخلها.

ج- الحلف بغير الله وحكمه:

إن من يقسم بغير الله من المخلوقات فقد اتخذ ذلك المحلوف به شريكًا لله إن اعتقد أن للمحلوف به من العظمة مثل ما لله، فهذا شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك وإنما أقسم به من باب جري اللسان عليه؛ فهو شرك أصغر.

فالحلف بغير الله محرم في كل حال، وإنما الواجب علىٰ المكلف أن يحلف بالله تعالىٰ إذا اضطر للحلف، ولا يجوز له أن يحلف لا برأسه، ولا بأمانته؛ ولا بأبيه، ولا بالنبي، ولا بالولي، ولا بالكعبة، وإنما يقول: ورب الكعبة، ورب النبي، ونحو ذلك.

د- معنىٰ قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أحلف بغيره صادقًا»:

يقصد بذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الحلف بغير الله تعالىٰ حتىٰ ولو كان الحالف صادقًا أشد وأخطر من الحلف بالله كاذبًا؛ لأن الحلف بالله كاذبًا من كبائر الذنوب، وأما الحلف بغير الله تعالىٰ فقد أطلق عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسم الشرك والكفر، ففيه تعظيم لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، ومساواة له بالله تعالىٰ، فكان أخطر من هذا الوجه.

فالحلف بالله تعالىٰ صادقًا هو المطلوب، ومن حلف بالله كاذبًا كان صاحب



يمين غموس، وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأما الحلف بغير الله فشرك سواء صدق أم لا.

هـ- النهي عن مساواة الخالق بالمخلوق ولو في اللفظ:

نهىٰ الشارع عن مساواة الخالق بالمخلوق في جميع الأمور، سواء في الفعل، أو اللفظ، أو التعظيم وغيره، ومن ساوىٰ المخلوق بالخالق في الحلف فقد أشرك في الحلف بغير الله؛ لأن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه؛ والعظمة الحقيقية إنما هي لله وحده.

والتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ مثل: لولا الله وفلان، وهذا بالله وبك، وأعوذ بالله وبك، فأتىٰ بحرف (و) التي تفيد التسوية في اللغة، وكإضافة الأشياء لغير الله مثل: لولا الحارس لأتانا السارق، ولولا الدواء الفلاني لهلكت، وهذا شرك من باب ربط الأمر بسببه، وعدم ربط الأمر بالمسبب وهو الله تعالىٰ.

فالواو تقتضي مساواة المعطوف للمعطوف عليه، والواجب أن تضاف الأمور كلها إلىٰ الله ابتداء، وبعد ذلك تضاف إلىٰ الأسباب المحسوسة؛ فيقال: لولا الله ثم كذا، ولولا الله ثم فلان لغرق فلان؛ لأن السبب الأول والوحيد هو الله، وهذه أسباب فرعية فلا ينبغي أن توكل إليها الأمور، بل لله وحده الأمر من قَبلُ ومن بَعدُ.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب تجنب الألفاظ الشركية ولو لم يقصدها الإنسان.

٢- تحريم الحلف بغير الله، وأنه شرك أصغر مناف لكمال التوحيد، بل قد يكون شركًا أكبرَ منافيًا لأصل التوحيد.

٣- تحريم قول: «لولا الله وفلان، وما شاء الله وشئت»، وأنه شرك؛ لأن الواو تقتضي التشريك.

٤- تحريم قول: «لولا فلان ما حصل كذا». وأنه شرك.

٥- أن التعظيم حق لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فلا يحلف إلا به.

٦- أن الحلف بغير الله لا تجب به كفارة؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يذكر فيه كفارة.

٧- تحريم قول: «ما شاء الله وشئت»، وما أشبه ذلك من الألفاظ مما فيه العطف بالواو، لأن العطف بالواو يقتضي الجمع والمساواة بين الخالق والمخلوق، وهذا شرك.

٨- جواز قول: «**ما شاء الله ثم شئت**»، وما أشبه ذلك مما فيه العطف بـ«ثم»؛ لأن العطف بـ«ثم» يقتضي الترتيب والتراخي، ولكونه صار تابعًا.

٩- إثبات المشيئة لله، وإثبات المشيئة للعبد، وأنها تابعة لمشيئة الله تعالىٰ.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ – اذكر قول ابن عباس في تفسير الآية: «الأنداد هو الشرك».

س٢ – اشرح ترجمة الباب.

س٣- ما معنىٰ: (دبيب النمل – علىٰ صفاة- أعوذ)؟

س٤ – اتخاذ الأنداد علىٰ نوعين؛ فما هما؟

س٥- لماذا كان قول: لولا الله وفلان شركًا، وقول: (لولا الله ثم فلان) ليس بشرك؟

س٧- عَدِّد بعض ما استفدت من هذا الباب.

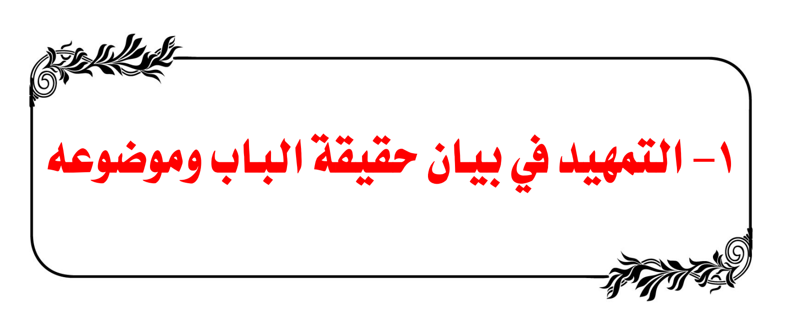
❊❊❊

٤٣- باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله**»(١). رواه ابن ماجه بسند حسن.

✿✿✿

(١) في «سننه» (١/ ٦٧٩)، حديث رقم (٢١٠١)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل»، رقم (٢٦٩٨).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان وجوب الاقتناع باليمين بالله، وإن كان في نفسه شيء من صدق الحالف، أو علم كذبه؛ فإن المؤمن يرضىٰ بالحلف بالله، فهو حكم الله أن يحلف به، وهو قضاؤه وشرعه.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الواجب علىٰ المسلم أن يقتنع بالحلف بالله تعالىٰ، ولا يرضىٰ عن ذلك بديلًا، وأن من لم يرضَ بالحلف بالله؛ فإن في توحيده نقصًا، وذلك لأن من كمل في قلبه جناب الرب عَزَّوَجَلَّ وعلم حقيقة أسمائه وصفاته؛ فإنه لا يرضىٰ عنه بديلًا.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان وجوب اكتفاء الشخص باليمين بالله تعالىٰ، وإن كان في نفسه شيء من صدق الحالف فعليه أن يقنع ويرضىٰ به؛ لأنه ليس للناس إلا ما ظهر، والحلف بالله يجب أن يحترم، وأن يعظم من الحالف والمحلوف له، وأن الاستهانة بذلك منافية للتوحيد، وهي من الاستخفاف بالله والتنقص له.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر المصنف في الباب السابق أهمية تعظيم الله تعالىٰ، وعدم تسويته بالخلق ولو في اللفظ، ناسب أن يذكر وجوب تعظيم الله تعالىٰ في قبول الحلف به، وعدم الاستهانة بالحلف به، والرضا بالحلف به، وعدم الالتفات إلىٰ المحلوفين بهم من الخلق.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

أورد الحديث لما فيه من الدلالة علىٰ ذم من لم يرضَ بالحلف بالله تعالىٰ.

❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
لا تحلفوا بآبائكم	هذا نهي عن الحلف بغير الله، سواء طلب ذلك أم لم يطلب.
فليصدق	أي: فليحلف بالله صادقًا، وإياه والإقدام علىٰ الأيمان الكاذبة.
فليرض	أي: فليرض بالحلف بالله تعالىٰ.
فليس من الله	هذا وعيد، أي: فقد برئ الله منه.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- النهي عن الحلف بالآباء:

كانت العرب في الجاهلية تحلف بآبائها، وبالمعظمين لديهم، وكان هذا موجودًا أول الإسلام، ثم نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، وحذر منه، وقال: «**لا تحلفوا بآبائكم**»؛ لأن ذلك يستلزم تعظيم المخلوقين، والخضوع لهم، والإسلام يربأ بأبنائه عن الخضوع لغير الله، ويُنَشِّئُهُم علىٰ تعظيم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويربيهم علىٰ الخضوع لله عَزَّوَجَلَّ، وأن المُعَظَّم بحق هو المولىٰ الذي بيده النواصي، والذي بيده الأمور، والذي لا تخفىٰ عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم[1].

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٩-٢٧١) مبينًا ما يجوز الحلف به: «المحلوف به:

١- هو الله سبحانه.

٢- **وأسماؤه الحسنىٰ**؛ كالرحمن، والرحيم، والسميع، والعليم، والحليم، ونحو ذلك من أسمائه.

٣- **وصفاته العليا**: كعزته، وقدرته، وعلمه، وإرادته، وكبريائه، وعظمته، وعهده، وميثاقه، وسائر صفات ذاته؛ لأنها يمين بقديم غير مخلوق فكان الحالف بها كالحالف بالذات...، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت، وهذا حصر في عدم الحلف بكل شيء سوىٰ الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته كما ذكرنا».

ب- عقوبة من لم يقنع بالحلف بالله:

الحلف بالله يجب أن يُحتَرم، وأن يُعَظَّم من الحالف، ويجب علىٰ المحلوف له أن يرضىٰ وأن يقنع بالحلف بالله؛ لأنه ليس للناس إلا ما ظهر، ويقبل عذر أخيه المسلم إذا حلف له بالله ما لم يتحقق كذبه؛ لأن ذلك حسن ظن بأخيه المسلم.

ثم لا يجوز لمسلم أن يطلب من أحد أن يحلف بمعظم عنده، ولو كان يعلم المحلوف له أن هذا الحالف يعظم المحلوف به أشد من تعظيمه لله عَزَّوَجَلَّ، وعليه أن يكل أمره لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ويظهر إيمانه بالله، ورضاه باسمه إذا ذكر، وأن يعلم أن الله تعالىٰ يكفيه إن كان الحالف كاذبًا، وأن يرضىٰ بذلك، ومن لم يرضَ فليس من الله في شيء؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ومن لم يرضَ فليس من الله**»، وهذا وعيد علىٰ من لم يرضَ بحكم الله، ولم يطمئن إليه، ووعيد علىٰ من لم يرضَ باسم الله، والحلف بالله عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- النهي عن الحلف بالآباء وغيرهم من المُعَظَّمين عند الناس.

٢- الوعيد الشديد في حق من لم يقنع بالحلف بالله.

٣- وجوب الصدق في اليمين.

٤- تحريم الكذب في اليمين.

٥- الخوف علىٰ من كذب في يمينه.

٦- حسن الظن بالمسلم ما لم يتبين خلافه.

٧- وجوب احترام اليمين بالله والرضا بها من قِبَلِ المحلوف له.

٨- الرضا بقضاء الله تعالىٰ وحكمه.

٩- اليقين بأن الله تعالىٰ لا يضيع صاحب حق؛ فعليه أن يرضىٰ بما جرىٰ به من الحكم الظاهر.

١٠- جواز القضاء باليمين.

❁❁❁



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما ترجمة هذا الباب؟

س٢- أكمل الحديث: «**لا تحلفوا بآبائكم...**».

س٣- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٤- وضِّح معاني الكلمات: (فليصدق- فليرضَ- فليس من الله).

س٥- لماذا نهىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الحلف بالآباء؟

س٦- هل يجوز لمسلم أن يطلب من الحالف أن يحلف بغير الله؟

س٧- اذكر ما يجوز الحلف به.

❁❁❁

٤٤- باب قول: ما شاء الله وشئت

١- عن قُتيلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن يهوديًّا أتىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة؛ **فأمرهم النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة**، وأن يقولوا: **ما شاء الله ثم شئت**»[(١)]. رواه النسائي، وصححه.

٢- وله أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلًا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال: **أجعلتني لله ندًّا؟ بل ما شاء الله وحده**»[(٢)].

٣- ولابن ماجه، عن الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أخي عائشة لأمها- قال: «رأيت كأني أتيت علىٰ نفر من اليهود؛ فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون عزير ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارىٰ فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح

---

(١) في «السنن الصغرىٰ»، (ح٣٧٧٥)، وفي «السنن الكبرىٰ» (ح٤٧١٤، ١٠٨٢٢)، ورواه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٧١-٣٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

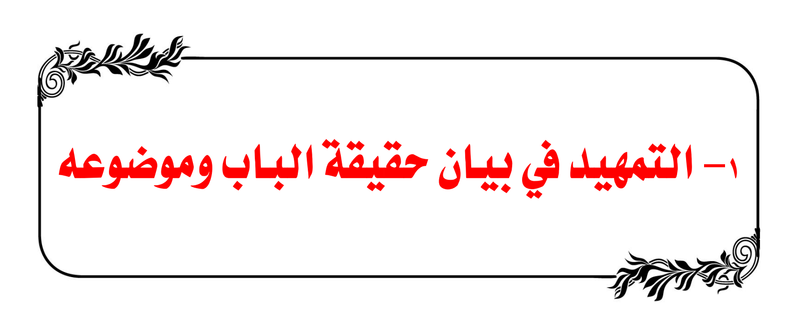
(٢) «عمل اليوم والليلة» (ص٥٤٥-٥٤٦) (ح٩٨٨)، وابن ماجه في «السنن» (١/ ٦٨٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٤)، وحسنه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (ح١٣٩).

ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته.

قال: **هل أخبرت بها أحدًا؟** قلت: نعم، قال: فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: **أما بعد؛ فإن طفيلًا رأىٰ رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده**»[1].

ﮒ ❁ ❁ ❁ ﮓ

(١) في «سننه» (١/ ٦٨٥) (ح٢١١٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٧٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح١٣٨).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان حكم قول: «ما شاء الله وشاء فلان»، وما أشبه ذلك، وأنه يجب أن يقول: «ثم»، وهذا مقتضىٰ التوحيد والإخلاص، والبعد تمامًا عن الشرك دقيقه وجليله.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم التلفظ بقول: «ما شاء الله وشئت»، وأن تركه من تمام التوحيد وكماله، ولو لم يقصد التسوية.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان حكم قول: «ما شاء الله وشاء فلان»، وأنه يجب أن يقول المرء: «ما شاء الله ثم شاء فلان»، وهذا هو مقتضىٰ التوحيد؛ لأن اللفظ يوهم التشريك، ولو لم يقصده اللافظ، فالتشريك بين الله وبين خلقه في المشيئة لفظًا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد.

وأما لو قصد التسوية فهذا شرك أكبر ناقض للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما بين في الباب السابق أهمية الرضا بالحلف بالله تعالىٰ تعظيمًا لجناب الله تعالىٰ وحده، بيَّن في هذا الباب أمرًا آخر فيه تعظيم للرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وتنزيه له عن المساوي، ولو من حيث اللفظ، وهو النهي عن قول: «ما شاء الله وشئت».

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

حديث: «أن يهوديًّا أتىٰ النبي»: أورده المصنف لما فيه من النهي عن التسوية في اللفظ، والأمر بإتيان حرف لا يدل علىٰ التسوية.

حديث ابن عباس مرفوعًا: «أجعلتني لله ندًّا»: فيه الدلالة علىٰ أن التسوية في اللفظ نوع شرك، وكذا حديث الطفيل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

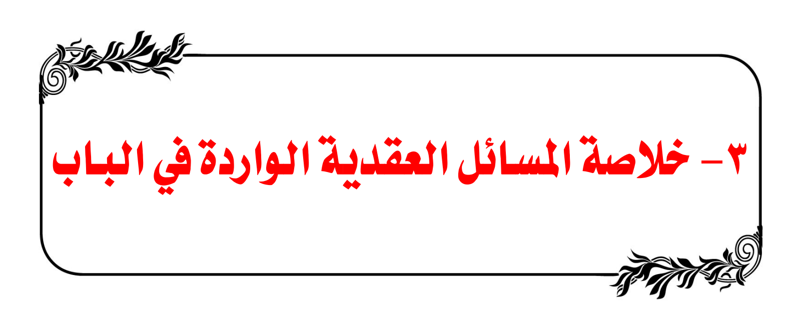


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
قُتيلة	بضم القاف وفتح التاء مصغرًا، وهي بنت صيفي الجهنية، صحابية.
تشركون	وهم لا يقصدون التسوية، فيكون المراد الشرك الأصغر.
وتقولون: والكعبة	أي: وتحلفون بمعَظَّم غير الله كالكعبة.
أجعلتني	استفهام إنكاري.
ندًّا	أي: شريكًا.
رأيت	أي: رؤيا منام.
علىٰ نفر	النفر: الجماعة.
لأنتم القوم	أي: نِعْم القوم.
عزير	المشهور أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب بعدما ضاعت نسختها، وكادت أن تُفقَد.
تقولون المسيح	أي: عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فحمد الله وأثنىٰ عليه	الحمد: هو الثناء بذكر المحامد، والثناء: تكرار الحمد.
كان يمنعني كذا وكذا	هو الحياء كما في الرواية الأخرىٰ، أو لأنه حينها لم يؤمر بإنكارها.

ﮂﮃﮄﮅﮆ



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم قول: «ما شاء الله وشئت»:

حكم قول «ما شاء الله وشئت» أنه حرام، وهو شرك أصغر؛ لما فيه من المشاركة والمساواة في المشيئة بين الخالق والمخلوق لفظًا.

وقد يكون من الشرك الأكبر إذا أراد للعبد مشيئة مستقلة يتصرف فيها من دون الله، أو أن مشيئة العبد كمشيئة الرب.

ب- اللفظ الصحيح قول: «ما شاء الله ثم شاء فلان»:

مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله؛ فلا يجوز الجمع بينهما بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك والمساواة، وإنما يؤتىٰ بـ (ثم)، فيقال: ما شاء الله ثم شاء فلان؛ لأنها تقتضي الترتيب والتبعية لا التشريك والمساواة، مع وجوب اعتقاد أن مشيئة العبد مهما بلغت فإنها لا تخرج عن مشيئة الرب عَزَّوَجَلَّ، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما شاءه العبد فإنه قد يكون وقد لا يكون.

ج- قول: «ما شاء الله وحده» أسلم:

أنكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ من قال له: «ما شاء لله وشئت»؛ فقال: «**أجعلتني لله ندًّا؟**»؛ لأنه عطف مشيئة المخلوق علىٰ مشيئة الله الخالق، وهو

شرك، ثم أرشده إلىٰ القول الحق، وذلك بأن يفرد الله في مشيئته، ولا يعطف علىٰ مشيئته أحدًا؛ فقال له: «**قل: ما شاء الله وحده**»، وهو أفضل من قول: «ما شاء الله ثم شاء فلان»، وإن كان جائزًا هذا أيضًا؛ فقول: «ما شاء الله وحده» أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من غيرها.

د- الرؤيا الصالحة وحكم العمل بها:

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة، ومن أقسام الوحي بالنسبة إلىٰ الأنبياء مطلقًا، وبالنسبة إلىٰ غيرهم فإنها إن وافقت الشرع فهي مبشرات، وإن لم توافق فهي ليست من الرؤيا الصالحة.

وقد تكون الرؤيا الصالحة سببًا لتشريع الأحكام في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد موت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يجوز العمل بالرؤيا في تحريم الحلال أو تحليل الحرام.

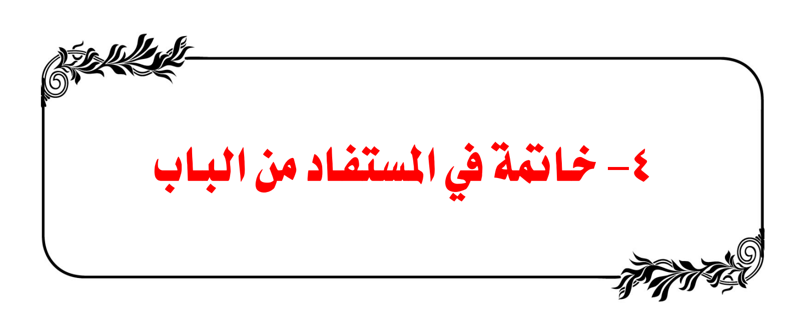
والرؤيا ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الرؤية الصحيحة الصالحة، وهي أمثال يضربها الله للنائم؛ فهذه رؤيا صحيحة.

النوع الثاني: ما يكون من الشيطان بسبب أن النائم لم يستعمل الأوراد الشرعية عند النوم، فإذا رأىٰ النائم شيئًا من ذلك فليتحول عن جنبه الذي كان عليه إلىٰ الجنب الآخر، وينفث عن يساره ثلاث مرات، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا يحدث بها أحدًا فإنها لا تضره.

النوع الثالث: أضغاث أحلام، وهي أفكار كان يفكر بها في اليقظة فتتوارد في نومه، أو بسبب أخلاط الجسم، كأن يكون جائعًا فيرىٰ الطعام الكثير، أو يكون ظامئًا فيرىٰ النار والحرارة، ونحو ذلك.

❀❀❀



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن قول: «ما شاء الله وشئت»، والحلف بغير الله شرك؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر اليهودي علىٰ اعتبارهما من الشرك، لكنه شرك أصغر.

٢- أن الشرك الأصغر لا يخرج من الملة.

٣- الابتعاد عن الألفاظ المخلة بالعقيدة.

٤- إثبات المشيئة لله تعالىٰ، وإثبات المشيئة للعبد، وأنها تابعة لمشيئة الله، ولا يجوز الجمع بينهما بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك والمساواة، وإنما يؤتىٰ بـ(ثم)؛ لأنها تقتضي الترتيب والتبعية.

٥- اعتبار الرؤيا الصالحة والعمل بها.

٦- معرفة اليهود والنصارىٰ بالشرك الأصغر مع ما هم عليه من الشرك الأكبر.

٧- استحباب قصر المشيئة علىٰ الله، وإن كان يجوز أن يقول: «ما شاء الله ثم شاء فلان».

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- أكمل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رجلًا قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..».

س٢- اشرح ترجمة الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (ندًّا- علىٰ نفر- تقولون: المسيح).

س٤- بيِّن حكم قول: «ما شاء وشئت» بالتفصيل.

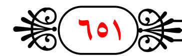
س٥- ما هو الأسلم في ذكر المشيئة؟

س٦- الرؤيا الصالحة هل يجوز العمل بها الآن؟

س٧- ما هي أقسام الرؤىٰ؟

س٨- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❁❁❁



٤٥- باب من سَبَّ الدهر فقد آذى الله

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

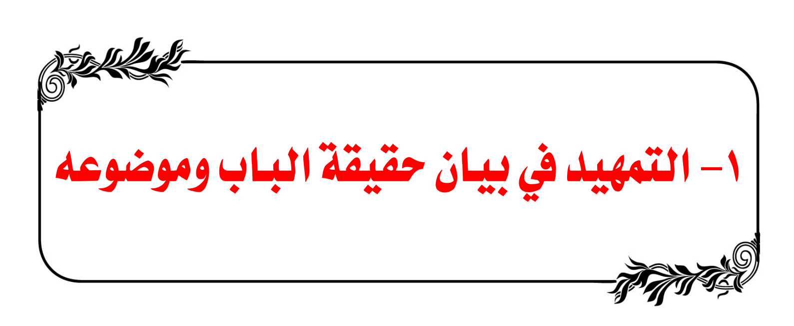
٢- وفي «الصحيح»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قال الله تعالىٰ: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر، وأنا الدهر، أُقلِّب الليل والنهار»**(١).

وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، برقم (٤٥٤٩)، ومسلم، برقم (٢٢٤٦).

(٢) عند الإمام مسلم في «صحيحه» (٤/ ١٧٦٣)، حديث رقم (٢٢٤٦).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن سبَّ الدهر وغيره من المعاصي من جملة الأشياء التي تنقص التوحيد، وتضعفه، وتنافي كماله، فالواجب الحذر من الأسباب التي تُضعف الإيمان؛ كَسَبِّ الدهر، وسب الريح، وسب ما لا يستحق السب.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتعظيم أفعاله، ومن ذلك ما يكون من أفعاله وتقديراته في الدهر والزمان، وأن نسبة السوء إلىٰ الدهر يعني نسبة السوء إلىٰ الله تعالىٰ، وذلك نقص في التوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أن سب الدهر وغيره من جملة الأشياء التي تناقض التوحيد، وتضعفه، وتنافي كماله؛ لأنه مسبة لله، ومن سب الدهر فقد آذىٰ الله؛ لأن الدهر مخلوق يدبره الله.

د- مناسبة الباب:

لما بيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ عدم الحلف بغيره، وعدم

تسوية مشيئته بمشيئة المخلوقين، بين في هذا الباب أن من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ عدم نسبة السوء إلىٰ فعله وتصرفه وتدبيره في الزمان والدهر؛ فإن ذلك مخالف للتعظيم.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: أوردها المصنف لبيان أن نسبة الأمور إلىٰ الدهر؛ وهو الزمان، من فعل الملاحدة، فمن سبَّ الدهر فقد ظن أن للدهر تصرفًا في الأمور، والحال أنها مدبرة.

حديث: «**يؤذيني ابن آدم**»: فيه ذم من سب الدهر، وبيان أن المتصرف في الأمور هو الله تعالىٰ، وأنه هو المدبر المتصرف.

❀❀❀

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
آذىٰ الله	لأنه وصفه بصفة النقص.
وقالوا	أي: منكرو البعث.
ما هي	أي: الحياة.
إلا حياتنا الدنيا	وليس هناك بعث ولا حياة أخرىٰ.
نموت ونحيا	أي: يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا.
وما يهلكنا إلا الدهر	أي: يفنينا مرور الزمان، وليس هناك رب يتصرف فينا.
وما لهم بذلك من علم	أي: لا دليل لهم علىٰ ما يقولون من نفي البعث وجحود الخالق.
إن هم إلا يظنون	أي: ليس لهم إلا التخرص في قولهم هذا.
يؤذيني ابن آدم	يأتي بما فيه تنقص لربوبيتي.
يسب الدهر	أي: يذمه ويلومه عند المصائب التي تنزل.
وأنا الدهر	أي: صاحب الدهر ومدبر الأمور التي ينسبونها إليه.

أقلب الليل والنهار	أي: بالمعاقبة بينهما وما يجري فيهما من خيرٍ وشرٍّ.
فإن الله هو الدهر	هو الذي يجري فيه ما أراده من خيرٍ وشرٍّ.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- نسبة الإحياء والإماتة إلىٰ الدهر كفر:

إن من معاني التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله: نسبة الإحياء والإماتة والضر والنفع إلىٰ الله، ومن نسبها إلىٰ غيره فقد كفر.

وقد كان بعض أهل الجاهلية من الكفار لا يؤمنون بحياة غير الحياة الدنيا، ويظن بعضهم أنه لا رب لهم، إنما يفنيهم مَرُّ الليالي والأيام، وهذا الاعتقاد فشا اليوم في الناس باسم الشيوعية والوجودية والإلحادية، فيقولون: «إنما هي أرحام تدفع، وأرض تبلع»، وينسبون الأمور إلىٰ الطبيعة، متناسين أن الطبيعة صماء بكماء شلاء لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا فكيف تدبر الحياة؟ ويجب علىٰ المسلمين أجمعين محاربة هذا الكفر، وهذا الانحلال والإلحاد تحت أي مسمًّىٰ كان، وفي أي مكان كان.

ب- سب الدهر أذية لله تعالىٰ:

الدهر هو الزمان، وهو الليل والنهار، وسب الدهر: هو شتمه ولعنه، والدعاء عليه عند نزول المصائب والمكاره، فيؤذي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال الشافعي في تأويله: «والله أعلم إن العرب كان من شأنها أن تذم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم، من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك؛

فيقولون: إنما يهلكنا الدهر، وهو الليل والنهار، ويقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر؛ فيجعلون الليل والنهار يفعلان الأشياء؛ فيذمون الدهر بأنه الذي يفنيهم ويفعل بهم؛ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تسبوا الدهر**»، علىٰ أنه الذي يفنيكم، والذي يفعل بكم هذه الأشياء؛ فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه فاعل هذه الأشياء». انتهىٰ.

والظاهر أن المشركين بالنسبة إلىٰ الدهر نوعان:

أحدهما: من يعتقد أن الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك؛ فهؤلاء هم الدهرية.

الثاني: من يعتقد أن المدبر للأمور هو الله وحده لا شريك له، ولكن يسبون الدهر لما يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث، فيضيفون ذلك إليه من إضافة الشيء إلىٰ محله؛ لا لأنه عندهم فاعل لذلك، والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقًا، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيرًا ممن يعتقد الإسلام[1].

أما وصف الزمان والدهر بالشدة، فليس من السب، كأن يقول: هذا اليوم شديد البرد، وهذا يوم شديد الحر، واليوم لاقينا أمرًا صعبًا، ونحو ذلك مما فيه بيان للحال.

وفي سب الدهر ثلاث مفاسد عظيمة[2]:

المفسدة الأولىٰ: أن من سب الدهر فقد آذىٰ الله؛ لأنه هو الذي يُجري هذه

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٤٤-٥٤٥).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٣٥٤-٣٥٥).

الأفعال وحده، والدهر مخلوق مدبر من الله، وظرف مسخر ليس في يده التصرف.

والمفسدة الثانية: أن فيه نسبة التصرف إلىٰ الدهر، وهو جحود بربوبية الله تعالىٰ.

والمفسدة الثالثة: أنه سب من ليس أهلًا للسب.

ج- أمثلة علىٰ سب الدهر:

كأن يقول:

١- قاتل الله هذه الساعة التي رأيتك فيها.

٢- قاتل الله اليوم الذي رسبت فيه في الاختبار.

٣- لعن الله الساعة التي جاء فيها المطر.

٤- لعن الله اليوم الذي مات فيه فلان.

د- لا يجوز أن يسمىٰ الله بالدهر:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد أجمع المسلمون -وهو مما علم بالعقل الصريح- أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس هو الدهر، الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرىٰ الزمان»[1].

❀❀❀

(١) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (٢/ ٤٩٤).



٤-خاتمة في المستفاد من الباب

١- إثبات البعث والرد علىٰ من أنكره.

٢- ذم من ينسب الحوادث إلىٰ الدهر.

٣- تحريم سب الدهر.

٤- وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

٥- أن الدهر خلق مسخر ليس له من الأمر شيء.

٦- وجوب تنزيه الله عن العيب والنقص.

٧- نسبة التدبير إلىٰ غير الله تعالىٰ ذم وتنقيص لله عَزَّوَجَلَّ.

٨- من كمال التوحيد اعتقاد أن المتصرف في الليل والنهار هو الله تعالىٰ.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما عنوان هذا الباب؟

س٢- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (وما يهلكنا إلا الدهر -يسب الدهر- أنا الدهر).

س٤- ما حكم نسبة التدبير إلىٰ الدهر؟

س٥- المشركون قسمان في سبهم الدهر؛ فاذكرهما.

س٦- هل يجوز أن يوصف الزمان بالشدة؟

س٧- اذكر المفاسد المترتبة علىٰ سب الدهر.

س٨- هل الدهر من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؟

س٩- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊

٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

١- في «الصحيح»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمىٰ ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**»(١). قال سفيان(٢): «مثل شاهان شاه».

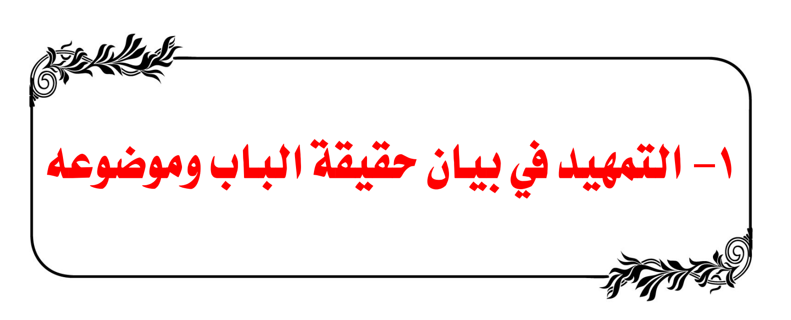
٢- وفي رواية: «**أغيظ رجل علىٰ الله يوم القيامة وأخبثه**»(٣)، قوله: «**أخنع**»، يعني: أوضع.

❊❊❊

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٢٩٢) حديث رقم (٥٨٥٣)، ومسلم (٣/ ١٦٨٨)، حديث رقم (٢١٤٣).

(٢) وهو أحد رواة الحديث عند مسلم؛ فقد روىٰ الحديث وفسره ببعض أفراده.

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٦٨٨)، حديث رقم (٢١٤٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان حكم الأسماء التي يكون لها تعلق بمشابهة أسماء الله تعالىٰ؛ لأنه سبحانه له أسماء يختص بها ليس لأحد أن يتسمَّىٰ بها، مثل: مالك الملك، أرحم الراحمين، ونحو ذلك.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان وجوب البعد عن خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، ووجوب البعد عن التسمي بالأسماء الخاصة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وأن التسمي بذلك، أو الاتصاف بذلك من نواقص التوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان حكم التلقيب بما هو من خصائص الرب عَزَّوَجَلَّ، والأوصاف الخاصة بالله تعالىٰ، وهل يجوز التسمي والتلقيب بذلك أم لا؟

وذكر المصنف الترجمة بقاضي القضاة قياسًا علىٰ ما في حديث الباب؛ لكونه مشابهًا له في المعنىٰ فينهىٰ عنه.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان ما يجب البعد عنه مما يكون فيه نقص التوحيد، ومن ضمن ذلك البعد عن الأوصاف والأسماء الخاصة التي لا تليق إلا بذي الجلال والإكرام.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

«**إن أخنع اسم**»: استدل به المصنف لما فيه من الذم لمن تسمَّىٰ باسم خاص بالله تعالىٰ، أو باسم مشتمل علىٰ صفة خاصة بالله تعالىٰ.

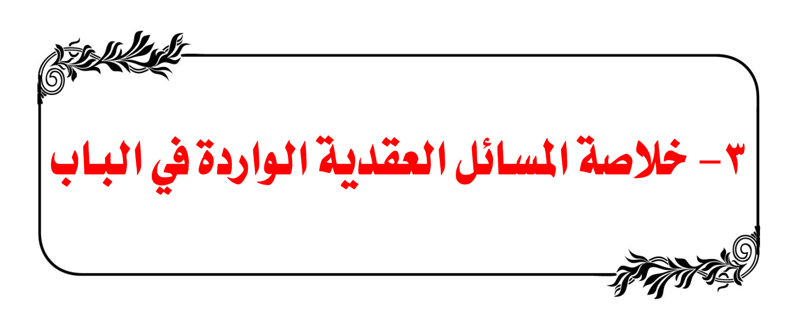




٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ونحوه	أي: ما هو مثل قاضي القضاة في المعنىٰ كـ: حاكم الحكام، وسلطان السلاطين، وسيد السادات، وأحكم الحكماء، وما أشبه ذلك من الألقاب الفخمة، مثل: صاحب الجلالة، والملك المعظم.
أخنع	قال المصنف: أوضع، وقيل: أذل، وأشد صغارًا، والمعاني متقاربة.
يسمىٰ	أي: يُدعَىٰ بذلك ويرضىٰ به.
الأملاك	جمع ملِك بكسر اللام، وملك يجمع علىٰ ملوك، وجمع الجمع: أملاك.
شاهان شاه	هو عبارة باللغة الفارسية، وتعني: ملك الملوك، وهذا تمثيل لا حصر.
أغيظ	أي: أشد غيظًا عند الله، والغيظ: الغضب والبغض.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- أوضع الناس عند الله:

إن أوضع الناس عند الله من تسمَّىٰ باسم يحمل معنىٰ العظمة والكبرياء التي لا تليق إلا بالله؛ كملك الملوك، والملك المعظم، وصاحب الجلالة؛ لأن هذا فيه مضاهاة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصاحبه يدعي لنفسه أو يدعىٰ له بهذا اللقب أنه نِدٌّ لله؛ فلذلك صار المتسمي بهذا الاسم من أبغض الناس إلىٰ الله وأخبثهم عنده.

ب- الحكمة من النهي عن التسمي بقاضي القضاة:

جاء النهي عن التسمي بهذه الأسماء والاتصاف بهذه الصفات لأمور:

١- اختص الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه؛ فليس لأحد أن يتسمَّىٰ بها، مثل: الله، الرحمن، مالك الملك، ورب العالمين، وملك الملوك، وأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، ونحو ذلك.

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ اتصف بصفات خاصة؛ فليس لأحد أن يتصف بها، فهو الذي يقضي بين العباد يوم القيامة، يقضي للقضاة وغيرهم، وهو سريع الحساب؛ فهو قاضي القضاة؛ ففي هذه الألقاب أوصاف لا تصلح إلا لله وحده.

٣- أن الله تعالىٰ اختص بخصائص، ومن ضمن ذلك كونه مَلِكَ الملوك، وأحكم الحاكمين، ونحو ذلك؛ كقاضي القضاة؛ فلذا لم يَجُز التلقيب بهذا الاسم.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم التسمي بملِك الأملاك، أو ملِك الملوك، وكل ما دل علىٰ العظمة كشاهان شاه، وقاضي القضاة، فينبغي أن يقال: رئيس القضاة، ولهذا كان أهل المغرب يسمون كبير القضاة بقاضي الجماعة خلافًا لما اشتهر في أهل المشرق بالتسمي بقاضي القضاة، واستعمال هذا الاسم من قبيل المتلقبين بها لا يسوغ استعماله، ولو تجوزوها وتأوَّلوا فيها.

٢- وجوب احترام أسماء الله تعالىٰ.

٣- الحث علىٰ التواضع، واختيار الأسماء والألقاب المطابقة.

٤- إثبات صفة الغضب لله عَزَّوَجَلَّ.

٥- الأسماء والصفات منها ما هو محبوب عند الله، ومنها ما هو مذموم عند الله.

٦- إثبات أن المالك الحقيقي هو الله تعالىٰ، وأن ملك الناس في الدنيا وقتي زائل.

٧- البعد عن التفخيم في الألقاب كما هو شأن الأعاجم مع الملوك والوزراء.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - أكمل الحديث: «**إن أخنع اسم عند الله...**».

س٢ - اشرح ترجمة الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (أخنع - الأملاك - شاهان شاه - أغيظ).

س٤ - ما الحكمة من النهي عن التسمي بقاضي القضاة؟

س٥ - عَدِّد بعض فوائد هذا الباب.

❀❀❀

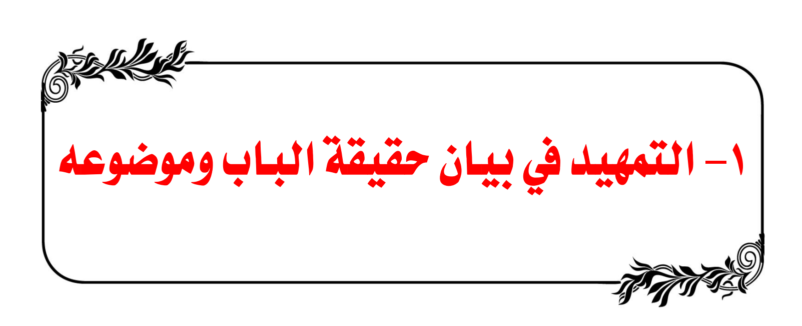


(٤٧) باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

١- عن أبي شريح: أنه كان يكنىٰ أبا الحكم؛ فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحُكْمُ**، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين؛ فقال: **ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟** قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: **فمن أكبرهم؟** قلت: شريح، قال: **فأنت أبو شريح**»[1]. رواه أبو داود وغيره.

٭٭٭

(١) في «سننه» (٥/ ٢٤٠) (ح٤٩٥٥)، ورواه أيضًا النسائي في «السنن» (٨/ ٢٢٦-٢٢٧)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (ح١٨٤٥).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان وجوب احترام أسماء الله، والحذر من امتهانها، أو احتقارها، أو تسمية غير الله بالأسماء المختصة لله تعالىٰ، أو تسمية غير الله بالصفات المختصة بالله تعالىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان وجوب احترام أسماء الله تعالىٰ، وأن ذلك من أصل التوحيد، ووجوب تغيير الاسم لأجل احترام أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أهمية توقير أسماء الله عَزَّوَجَلَّ في بيان الأسماء والصفات، وأهمية تغيير الاسم إذا أشعر أن فيه تنقيصًا لأسماء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

د- مناسبة الباب:

ذكر المؤلف في الباب السابق أن التسمي بـ«قاضي القضاة» منازعة للرب فيما هو من خصائصه، فناسب أن يذكر بعده أن التسمي بمثل أبي الحكم منازعة لله في أسمائه، وأنه يجب احترام أسماء الله، والحذر من امتهانها، أو احتقارها،

أو تسمية غير الله بها.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

حديث الباب فيه الدلالة علىٰ النهي عن التسمي باسم هو خاص بالله تعالىٰ، أو التسمي بوصف هو خاص لله تعالىٰ.

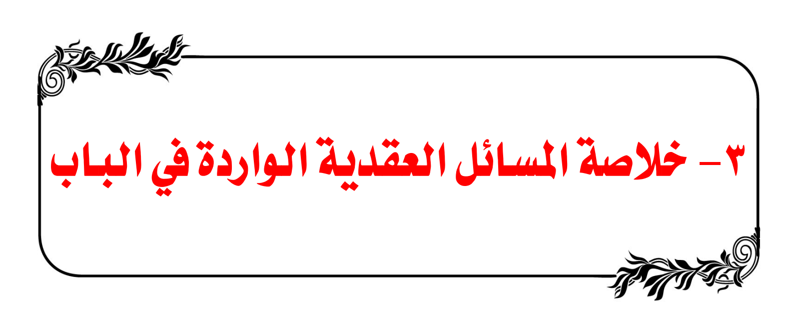
❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
احترام أسماء الله	أي: تعظيمها.
يكنىٰ	الكنية: ما صُدِّر بأب أو أم، كأبي فلان، وأم فلان.
الحكَم	هو من أسماء الله تعالىٰ، ومعناه: الحاكم الذي إذا حكم لا يُرد حكمه.
وإليه الحُكْم	أي: الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة.
ما أحسن هذا	أي: الحكم بين الناس بالإنصاف وتحري العدل.





٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم التسمي بشيء من أسماء الله أو التكني بها:

التسمي بشيء من أسماء الله الخاصة والتكني بها حرام، وهو ينافي كمال التوحيد، وكذلك التكني بأسماء الله لا يجوز؛ فليس لأحد أن يكني نفسه بأبي الرحمن، ولا بأبي القيوم، ونحو ذلك مما يشعر بالنقص في أسماء الله تعالىٰ وذاته عَزَّوَجَلَّ.

ومن هنا تعلم خطأ من يكون اسمه (عبد الرحمن) فيناديه الناس (رحمن)، ونحو ذلك.

وأسماء الله تعالىٰ قسمان:

١- أسماء لا يسمىٰ بها سوىٰ الله تعالىٰ؛ كالرحمن، والخالق، ورب العالمين، ونحو ذلك.

٢- أسماء يسمَّىٰ به بها الله ويسمىٰ بها غيره، فيكون لله علىٰ ما يليق به، وللعبد علىٰ ما يليق به(١).

---

(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص٢١٩).

ب- الاشتراك في المعنىٰ العام لا يعني المشاركة بعد الإضافة في المعاني الخاصة للمضاف إليه:

إن الأسماء من حيث هي قد تكون مشتركة في الإطلاق اللغوي، ولكن بعد الإضافة تكتسب المعاني الخاصة بالمضاف إليه.

فاسم العزيز معناه: المتمكن المقتدر المعتز المعز ونحو ذلك، ولكن إذا قيل لله عَزَّوَجَلَّ أنه العزيز، فهنا بعد إضافة الاسم إليه تعالىٰ اكتسب خصائص الرب عَزَّوَجَلَّ، فهو عزيز مقتدر معز معتز متمكن أزلًا وأبدًا، ولا يلحقه تعالىٰ عكس هذه المعاني ألبتة، وعزته عزة من غير أن يكون لها مثال، وعزته مقترنة بعفوه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

واسم العزيز إذا أُطلق علىٰ العبد فعزته وقتية بحسب جاهه، ووقتية من حيث إنه لم يولد عزيزًا بل لا زال محتاجًا، ولا يزال محتاجًا، وعزته مقدَّرَة، فالعبد ليس له قدرة تمكنه من الاستيلاء علىٰ كل الخلائق، بل ولا علىٰ كل بني جنسه، بل ولا علىٰ كل من تحت يده؛ فكم ترىٰ من عزيز في ملكه يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك، وهذا كله أمارات علىٰ أن عزته عزة مناسبة لعجزه وافتقاره؛ فعزته ليست كعزة الجبار عَزَّوَجَلَّ.

وعلىٰ هذا فإذا تسمىٰ العبد ببعض الأسماء والصفات فإنما يتسمىٰ بها من قبيل ما هو لائق به، ويتصف بها من قبيل ما هو لائق به، فيجوز أن يسمىٰ العبد بـ: العزيز، والرحيم، والكريم، ونحو ذلك، بهذا الاعتبار الذي ذكرناه، وقد جاء في كتاب الله تعالىٰ الشيء الكثير من هذا.

ولا شك أن الأَوْلىٰ البعد عن التسمي بكل ما هو من أسماء الله تعالىٰ، وإنما يقال: فلان عزيز (نكرة)، ولا يؤتىٰ بها معرفة علىٰ أنه اسم، وإن كان يجوز أن يوصف بها معرفًا؛ لأن الوصف غير الاسم، والأفضل أن يقال للعبد حين التسمية: عبد العزيز، وعبد الرحيم، وعبد الملك، ونحو ذلك.

وهكذا في التكني يقال: فلان أبو عبد الملك، وأبو عبد الحكم، وأم عبد الرحمن، ونحو ذلك.

وأما ما كان من الأسماء والأوصاف خاصًّا بالله تعالىٰ فلا يجوز أن يتسمىٰ به العبد، ولا أن يوصف به كما مر.

ج- أهمية معرفة الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلا:

اعلم أخي المسلم أن باب أسماء الله تعالىٰ من أعظم أبواب العقيدة الإسلامية، والاستقامة في هذا الباب من أعظم أنواع الاستقامة في أبواب العقيدة؛ لأن الله تعالىٰ قد تعرَّف بهذه الأسماء إلىٰ عباده، وعباده يعرفونه تعالىٰ بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ولا يتم للعبد تعظيم لهذه الأسماء والصفات إلا إذا عرفها، وعرف معانيها؛ فلهذا ولغيره تظهر أهمية هذا الباب[1].

ولكن ينبغي أن يعلم أن أسماء الله تعالىٰ ليست مجردة عن معانيها، بل لها معانٍ حسنىٰ، ولهذا سميت بالحسنىٰ، فالرحمن يدل علىٰ الرحمة، والعلي يدل علىٰ العلو المطلق، **وقد ذكر أهل العلم العارفين أن دلالة أسماء الله تعالىٰ ثلاثة أنواع:**

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٠-١٦١)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٢٠٩-٢١٢).

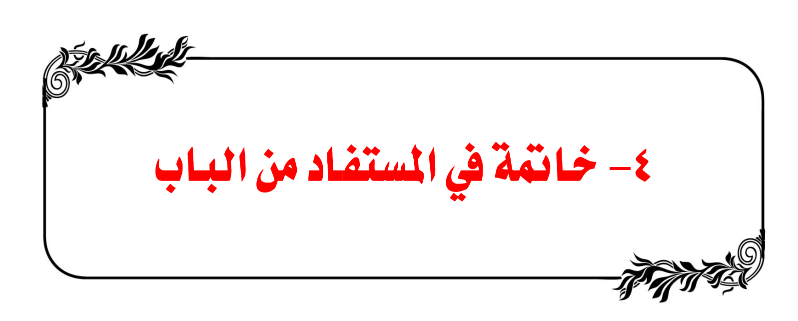
النوع الأول: دلالة المطابقة: وهي دلالة الاسم علىٰ ذات الله تعالىٰ وصفته معًا؛ نحو دلالة اسم (الرحمن) علىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ رحمته.

النوع الثاني: دلالة التضمن: وهي دلالة الاسم علىٰ ذات الله تعالىٰ فقط، أو علىٰ صفته تعالىٰ فقط، نحو دلالة اسم الله (العلي) علىٰ الله تعالىٰ فقط؛ أو دلالة اسم الله (العلي) علىٰ علو الله تعالىٰ فقط.

النوع الثالث: دلالة الالتزام: وهي دلالة الاسم علىٰ اسم آخر؛ لكون ذلك لازمًا له، نحو دلالة اسم (القيوم) علىٰ اسم (الحي) واسم (القادر)؛ فإن الحياة والقدرة لازمتان للقيومية(١)، فمن عرف الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته فإنه يمكنه أن يعظم هذه الأسماء وهذه الصفات، وأن يتوصل بها إلىٰ تعظيم المتسمي بها والمتصف بها، وهو الله تعالىٰ.

❊❊❊

(١) راجع «النونية» (ص٢٥٢)، و«بدائع الفوائد» (١/ ١٦٢).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم التسمي بأسماء الله تعالىٰ إذا كان ذلك يُشعر بعدم احترامها، وتحريم التكني بأسماء الله تعالىٰ؛ لأنها تشعر بالنقص، نحو التكني بأبي الحكم.

٢- أن الحكَم من أسماء الله تعالىٰ.

٣- استحباب تكنية الرجل بأكبر بنيه.

٤- مشروعية تغيير الاسم غير المناسب إلىٰ ما هو أحسن منه.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- بيِّن مناسبة هذا الباب للذي قبله.

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (يُكنىٰ - الحَكَم -إليه الحُكْم).

س٣- بيِّن حكم التكني بأسماء الله تعالىٰ الخاصة.

س٤- هل الاشتراك في المعنىٰ العام يعني المشاركة بعد الإضافة في المعاني الخاصة؟

س٥- اذكر أهمية معرفة أسماء الله وصفاته.

س٦- ماذا استفدت من هذا الباب؟

❊❊❊

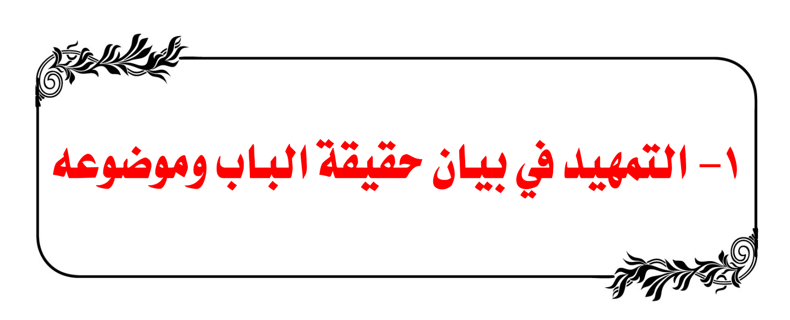
٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة:٦٥].

٢- وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة -دخل حديث بعضهم في بعض-: «أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، يعني: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه القُرَّاء، فقال له عوف بن مالك: كذبتَ، ولكنك منافق؛ لأخبرنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب عوف إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، ما يلتفت إليه، وما يزيد عليه»[١].

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩-١٨٣٠).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان حكم المستهزئين بالله، أو بالقرآن، أو بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأن من فعل ذلك فقد وقع في الكفر الأكبر والردة.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الاستهزاء والسخرية بشيء مما فيه ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أو القرآن الكريم، أو الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن الهزل بشيء من ذلك كفر، وأنه ناقض للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان حكم المستهزئين بالله وبالقرآن وبالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحكمهم أنهم مرتدون إذا كانوا مسلمين، وأن الاستهزاء ردة وكفر.

د- مناسبة الباب:

لما بيَّن المصنف في الباب السابق أهمية احترام أسماء الله تعالىٰ، وأهمية تغيير الاسم لأجل توقير أسماء الله تعالىٰ ناسب أن يذكر حكم الذي لا يوقِّر الله

تعالىٰ، أو لا يوقر أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، أو صفاته تعالىٰ، أو شيئًا من دِينه، وناسب أن يبين حكم المستهزئ بشيء مما فيه ذكر الله تعالىٰ أو القرآن أو الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآية وحديث الباب:

قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾: أوردها المصنف لما فيها من الدلالة علىٰ أن الاستهزاء في جانب الرب عَزَّوَجَلَّ، أو في جانب كتابه، أو في جانب رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كُفر ورِدَّة.

وكذلك الحديث فيه دلالة صريحة علىٰ ذلك.

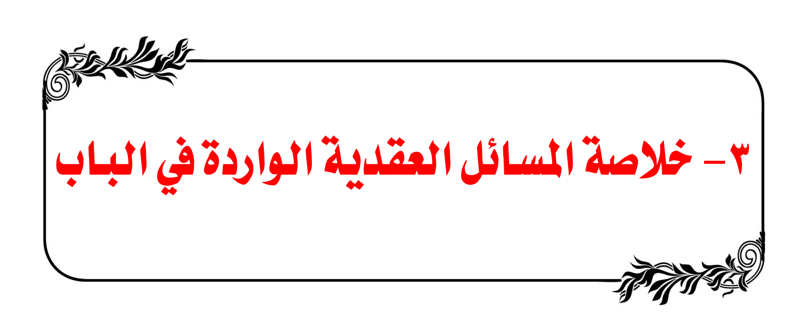
❀❀❀

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
سألتهم	الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: سألت هؤلاء المنافقين عن استهزائهم بك وبالقرآن.
نخوض ونلعب	أي: دخلنا في ذلك لعبًا، ولم نقصد الاستهزاء والتكذيب، وإنما قصدنا الخوض في الحديث واللعب، وقطع الطريق.
قل أبالله...إلخ	استفهام إنكاري.
دخل حديث بعضهم في بعض	أي: أن الحديث مجموع من رواياتهم.
تبوك	موضع معروف إلىٰ الآن، وهي شمالي المملكة.
قرائنا	القراء: جمع قارئ، وهم عند السلف: العلماء الذين يقرءون القرآن ويعرفون معانيه.
أرغب بطونًا	أكثر أكلًا.

عند اللقاء	يعني: لقاء العدو.
فوجد القرآن قد سبقه	أي: جاء الوحي من الله بما قالوه قبل وصوله إلىٰ الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.
نسعة	النسعة: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير.

۞۞۞



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم الاستهزاء بالله وآياته ورسوله:

إن الاستهزاء والسخرية بالله، أو بالقرآن، أو بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأجل إضحاك القوم أو شبه ذلك -ولو عن غير قصد- رِدَّةٌ وكُفرٌ.

والآية صريحة في بيان ذلك، وأن الاستهزاء بالله عَزَّوَجَلَّ أو بآياته، أو برسله دليل واضح علىٰ كفر صاحبه، وبينة أكيدة علىٰ عدم تعظيمه الله عَزَّوَجَلَّ وآياته.

وقد صرح العلماء بالإجماع علىٰ أن الاستهزاء بالله تعالىٰ، أو بأسمائه، أو بصفاته كالقرآن، أو بدينه كالإسلام، أو برسله كمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن ذلك كفر صريح، وفعل قبيح.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» أن من استهزأ بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سبه، أو نقص من قدره، أو نحو ذلك أنه يكفر، وهل إذا تاب يرتفع عنه الحد بعد موت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ذكر اتفاق الفقهاء علىٰ أنه لا يرتفع عنه الحد، وأنه يقتل.

وإن الإنسان ليأسف لحال المسلمين اليوم كيف أنهم تساهلوا في سَبِّ الدِّين، وسَبِّ الرسول، ولا رادع لهم في كثير من بلاد المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله،

ولو أن أحدهم سُب أو ضُرِب لأقام الدنيا، فضلًا عن أن يُسَب وزير، أو أمير، أو حاكم، أو ملك؛ فلا يغيرون لله تعالىٰ، ولا يدفعون عن عِرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

ب- أمثلة علىٰ الاستهزاء:

الاستهزاء والسخرية مما فيه ذكر الله تعالىٰ، أو القرآن، أو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الدِّين، أمثلته لا نهاية لها؛ فإن أهل الباطل كل يوم يأتون بباطل جديد، ومنها:

١- قولهم: إن الشريعة لا تصلح للحكم بين الناس.

٢- الاستهزاء بالسنن وبشعائر الإسلام.

٣- السخرية بالعلماء وأهل العلم لأجل تمسكهم بالإسلام.

٤- الاستهزاء بالصحابة كوصفهم بالجبن، وشدة الخوف والهلع، أو كثرة الأكل.

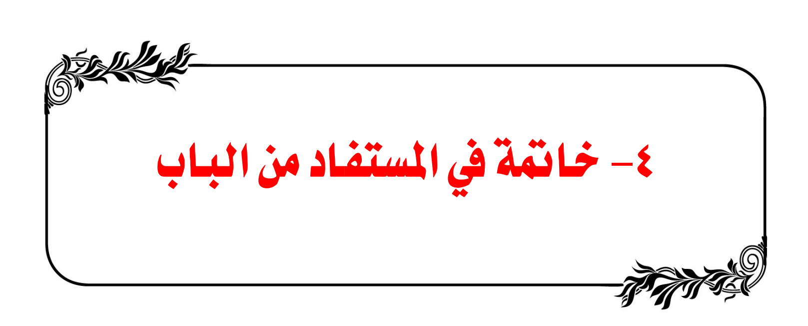
٥- الاستهزاء بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

ج- الاستهزاء بالله وبرسوله من صفات المنافقين:

إن الاستهزاء بالله تعالىٰ، أو برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو بالدين، من علامات النفاق الاعتقادي الأكبر المخرج من الدين، وهو من صفات المنافقين، فقد قالوا في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء! أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا! ولا أجبن عند اللقاء!». يعنون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه،

وقد كذبوا في ذلك؛ فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أقل الناس أكلًا، وأصدقهم حديثًا، وأشجعهم عند اللقاء في الجهاد، وناضل في سبيل الله هو وأصحابه حتىٰ أظهرهم الله تعالىٰ.

❁❁❁



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- بيان ما تنطوي عليه نفوس المنافقين من العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين.

٢- أن من استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر وإن كان مازحًا.

٣- أن ذكر أفعال الفساق لولاة الأمور ليردعوهم ليس من النميمة؛ بل هو من النصيحة لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٤- وجوب الغلظة علىٰ أعداء الله ورسوله.

٥- أن من الأعذار ما لا ينبغي قَبوله.

٦- الخوف من النفاق؛ فإن الله سبحانه أثبت أن هؤلاء كانوا مؤمنين قبل أن يقولوا ما قالوه، لكنه كفَّرهم بكلامهم هذا.

٧- الكذب من علامات المنافقين.

٨- الخوض واللعب بالباطل إنما هو من صفات المنافقين.

٩- صدق نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ أعلمه الله بالخبر، كما في الأثر: «فوجدت القرآن قد سبقني».

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اشرح ترجمة الباب.

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (قرائنا -أرغب بطونًا- نسعة).

س٣- ما حكم الاستهزاء بالله، أو بالرسول، أو بالدين؟

س٤- هل من استهزأ بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم تاب يسقط عنه الحد؟

س٥- اذكر بعض الأمثلة الحية علىٰ الاستهزاء في هذا الزمن.

س٦- الاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالدين من صفات المنافقين، بيِّن ذلك.

س٧- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❀❀❀

٤٩- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠]

١- **قال مجاهد**: «هذا بعملي، وأنا محقوق به»(١)، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يريد من عندي».

٢- وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨]، قال قتادة: «علىٰ علم مني بوجوه المكاسب»، وقال آخرون: «علىٰ علم من الله أني له أهل»(٢)، وهذا معنىٰ قول مجاهد: «أوتيته علىٰ شرف»(٣).

٣- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمىٰ، فأراد الله أن يبتليهم؛ فبعث إليهم مَلكًا، فأتىٰ الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، قال: فمسحه فذهب عنه قذره؛ فأُعطي لونًا حسنًا، وجلدًا حسنًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر -شك إسحاق- فأُعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتىٰ**

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٥/ ٣).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «تفسير ابن جرير» (٢٤/ ١٢).

الأقرع؛ فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه، وأعطي شعرًا حسنًا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر، أو الإبل، فأعطي بقرة حاملًا، قال: بارك الله لك فيها، قال: وأتىٰ الأعمىٰ؛ فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه؛ فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدًا، فأنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، قال: ثم إنه أتَىٰ الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري؛ فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرًا فأعطاك الله عَزَّوَجَلَّ المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلىٰ ما كنت. قال: وأتىٰ الأقرع في صورته؛ فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلىٰ ما كنت. قال: ثم إنه أتىٰ الأعمىٰ في صورته؛ فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمىٰ فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط علىٰ صاحبيك»[1]. أخرجاه.

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٢٧٧)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٩٦٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان ما غلب علىٰ النفوس من إنكار النعم وجحدها، وكفرانها، وعدم الاعتراف بها لمعطيها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية إضافة النعمة إلىٰ الله تعالىٰ، والحذر من التمنُّن والغرور، علىٰ خلاف ما يدعيه الجهال السفهاء من أن النعمة إنما هي بسبب جهده، وأنه إذا رجع في الآخرة كان له جاه ومال كذلك.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان ما غلب علىٰ النفوس من إنكارها لنعم الله، وجحدها وكفرانها، وعدم الاعتراف بها لمعطيها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فهذا من نقصان التوحيد أو عدمه، وتقييد نعم الله بشكره والثناء عليه من كمال التوحيد، وإنكار النعم وجحودها من الكفر الذي ينافي التوحيد.

د- مناسبة الباب:

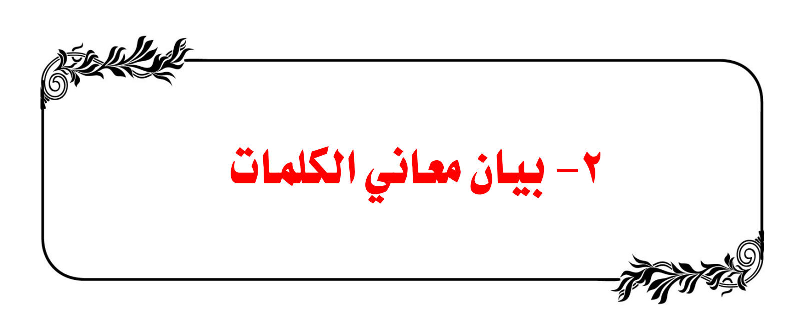
لما بيَّن المصنف أن الاستهزاء بشيء مما فيه ذكر الله ناقض للتوحيد، ذكر

التمنُّن علىٰ الله تعالىٰ، وإنكار نعمه، وأن ذلك جحود وكفر.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآية وحديث الباب:

أورد الآية لبيان ذم من نسب النعمة إلىٰ غير الله، ولو نسبه إلىٰ نفسه وجهده، والحديث فيه الاستدلال علىٰ أهمية إضافة النعم إلىٰ منعمها، والبعد عن كفران النعم.

❊❊❊



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
أذقناه	آتيناه.
رحمة	غنىً وصحة وأمنًا.
ضراء	شدة وبلاء.
فلننبئن	فلنخبرن.
بما عملوا	بحقيقة أعمالهم، لا ما ادعوه من تزكية أنفسهم.
غليظ	أي: شديد.
أبرص	من به داء البرص، وهو بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج، ولا علاج له.
وأقرع	وهو من به قرع، وهو داء يصيب الصبيان في رءوسهم، ثم ينتهي بزوال الشعر كله أو بعضه.
أن يبتليهم	أي: يختبرهم بنعمته.
قذرني الناس	كرهوا مخالطتي.
عشراء	هي الناقة الحامل في شهرها العاشر.

والدًا	أي: ذات ولد، أو التي عرف منها كثرة الولد والنتاج.
أنتج	أي: تولىٰ صاحب الناقة وصاحب البقرة نتاجهما واستنسالهما.
وولَّد	بتشديد اللام، أي: تولىٰ ولادها.
وكان لهذا وادٍ...	أي: كان لكل واحد منهم ما يملأ الوادي من الإبل والبقر والغنم.
انقطعت بي الحبال	أي: أسباب المعيشة، والوصول إلىٰ حيلة.
أتبلغ به	أي: أتوصل به إلىٰ بلادي.
كابرًا عن كابر	أي: ورثت هذا المال عن كبير ورثه عن كبير آخر في الشرف.
صيرك الله إلىٰ ما كنت	أي: ردك إلىٰ حالك الأُولىٰ برجوع العاهة إليك.
لا أجهدك	أي: لا أشق عليك.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- بِمَ يكون شكر النعم؟ وبِمَ يكون كفرانها؟

يكون شكر النعم بما يأتي:

١- الاعتراف بنعم الله الظاهرة والباطنة.

٢- الثناء علىٰ الله بها.

٣- إضافتها إلىٰ الله تعالىٰ، وأنها بفضله وإحسانه.

٤- يؤدي حق الله عَزَّوَجَلَّ فيها من زكاة، وصدقة، وصلة قربىٰ، وأداء ما وجب من الحقوق، كالنفقة علىٰ الزوجة والوالدين والأولاد.

٥- يستعين بها علىٰ طاعة الله تعالىٰ؛ فلا يصرفها إلا في طاعة الله.

٦- ينفق منها من غير تبذير ولا إقتار.

٧- لا يرىٰ له حقًّا علىٰ الله، وإنما الحق كله لله، وهذا كله من كمال توحيد الله تعالىٰ.

ويكون كفر النعم بما يأتي:

١- أن يضيفها إلىٰ غير الله؛ كأن يزعم أن ما أُوتيه من النعم والرزق بكده وفطنته.

٢- الزعم بأنه مستحق لتلك النعم، لما يظن له علىٰ الله من الحق، فإن هذا منافٍ للتوحيد، وعجب بالنفس، وتزكية لها وهو من العيوب العظيمة.

٣- عدم أداء حق الله فيها.

٤- صرف النعمة في غير مصرفها الشرعي.

٥- التبذير فيها، أو الإقتار.

ب- يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ عباده بما شاء:

إن الله تعالىٰ خلق هذه الدنيا وخلق الناس فيها ابتلاء وامتحانًا، وقد يبتلي الله عَزَّوَجَلَّ عبده بالخير، وهو من أعظم أنواع الابتلاء، وقد يبتلي عبده بالشدة؛ فيبتلي الله تعالىٰ العباد بالصحة والمرض، وبالغنىٰ والفقر، وبالذل والعزة، ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

والواجب علىٰ العبد الصبر علىٰ البلاء، والشكر علىٰ النعماء، وأن يعلم أنه مبتلىٰ بكل حال، وألَّا يعتز بعقله وجهده ورأيه، وأن يعلم أن عقله وجهده ورأيه إنما هو بفضل الله تعالىٰ ورحمته، حيث وهبه عقلًا وقوة وفكرًا.

ومن صبر فإن له عند الله تعالىٰ الجزاء الحسن، وهو علىٰ خير في الدنيا، ومن جزع فإنه ضار نفسه، وما عند الله له أشد.

وليعلم المسلم أنه إذا كان مقيمًا علىٰ الطاعة وأتته الدنيا؛ فإن ذلك لعله يكون من عاجل بُشرىٰ المؤمن.

وليعلم العبد أنه إن كان مقيمًا علىٰ المعصية أو الفسق أو الكفر وتأتيه النعم؛ فإن ذلك علامة علىٰ الاستدراج، يقول تعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢].

﷽ ❁❁❁ ﷽

٤- المستفاد من الباب

١- وجوب شكر نعم الله والاعتراف بأنها منه وحده.

٢- تحريم العجب والاغترار بالحول والقوة وتزكية النفس.

٣- وجوب شكر النعمة في المال بأداء حق الله فيه.

٤- تحريم كفر النعمة وتحريم منع حق الله في المال.

٥- جواز ذكر حال من مضىٰ من الأمم ليتعظ به من سمعه.

٦- أن الله يختبر عباده بالنعم.

❀❀❀

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - مَن هم الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالنعم من بني إسرائيل؟

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (أذقناه -غليظ- عشراء- أتبلغ به).

س٤ - وضِّح كيف يكون شكر النعم؟ وكيف يكون كفرانها؟

س٥ - بأي شيء يبتلي الله عباده؟

س٦- كيف يعلم العبد أنه مستدرج؟

س٧- ما هو عاجل بشرىٰ المؤمن؟

س٨- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊

٥٠- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠]

١- **قال ابن حزم:** «اتفقوا علىٰ تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب»[(١)].

٢- **عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في الآية قال:** «لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس؛ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لَتُطِيعَاني أو لأجعلنَّ له قَرْنَي أَيِّل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن، ولأفعلن، يخوفهما؛ سَمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتًا، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾»[(٢)]. رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) أي: حاشا عبد المطلب، فإنه مختلف فيه. انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٦٨)، والصحيح منعه كما سيأتي. وانظر قول ابن حزم في كتابه: «مراتب الإجماع» (ص١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٤)، وذكره ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٥٧)، وانظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ١٤٦).

تنبيه مهم: اعلم أخي المسلم أن هذه الرواية توجد بكثرة في كتب التفسير، ولكنه لم يثبت مرفوعًا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إطلاقًا، إلا من رواية الحسن عن سمرة، وهذه الرواية معلولة بعلل ثلاث ذكرها الحافظ ابن كثير، وحقق أن هذه الرواية غير صحيحة. انظر:
=

=

«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٣).

وأما رواية ابن عباس الموقوفة عليه هذه فقد صرح الحافظ ابن كثير أيضًا أنها مأخوذة عن أهل الكتاب، وأنها من القسم الثاني من أخبار أهل الكتاب، وهو الذي نعلم أنه كذب؛ فلا شك أن هذه الرواية كذب على آدم وحواء. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٤).

وقد حقق الحافظ ابن كثير أن هذه الآية في حق المشركين، وأنه لا علاقة لها بآدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وزوجته حواء. انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٤).

وهذه القصة لا تليق أصلًا بمنصب نبوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يمكن أن يرتكب آدم هذا النوع من الشرك، وإن كان شركًا في التسمية؛ فإن الأنبياء معصومون عن الشرك بالإجماع، وعن ارتكاب الكبائر، وإنما اختلفوا في وقوعهم في الصغائر. انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢١٠)، و«منهاج السنة» لشيخ الإسلام (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).

وقد فسر ابن جرير الآية فقال ما خلاصته: «المعنيُّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان، حين رزقهما ما رزقهما من الولد، ومعنى الكلام: هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها؛ فلما تغشَّاها، أي: هذا الرجل الكافر حملت حملًا خفيفًا، فلما أثقلت دعوا الله ربهما، قالوا: وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب، ثم رد إلى الخبر عن الغائب، كما قيل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾».

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالنفس الواحدة وزوجها: آدم وحواء، واللذان جعلا له شركاء فيما آتاهما: المشركون من أولادهما.

ولا يلتفت إلى غير ذلك؛ مما قيل: إن آدم وحواء كانا لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث؛ ففعلا! فإن الله سبحانه اجتباه وهداه؛ فلم يكن ليشرك به بعد ذلك». «روضة المحبين» (ص٢٨٩).

وقال الحافظ ابن كثير: «قال الحسن: عَنَى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده، يعني: جعلا له شركاء فيما آتاهما، وكان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير الآية بذلك، وهو من أحسن

=

٣- **وله بسند صحيح عن قتادة قال:** «شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته»(١).

٤- وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. قال: «أشفقا ألا يكون إنسانًا»(٢). وذكر معناها عن الحسن وسعيد وغيرهما.

۵۞۞۞۵

=

التفاسير، وأولىٰ ما حملت عليه الآية... وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته...، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلىٰ الجنس». انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٧٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤)، وانظر: «تفسير ابن جرير» (٩/ ١٤٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير الطبري» (٩/ ١٤٤-١٤٥).

١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان حكم التَّعْبِيد لغير الله، وأنه محرم أن يُعَبَّدَ أحدٌ لغير الله تعالىٰ؛ فلا يقال: عبد النبي، ولا عبد الحسين، ولا عبد المسيح، بل يكون التعبيد في الاسم لله تعالىٰ؛ كعبد الرحمن، وعبد الرحيم، ونحو ذلك.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان نوع من أنواع الشرك، وهو الشرك في الألفاظ التي تكون في الأسماء، وبيان وجوب نسبة النِّعم إلىٰ مُنعِمها، وهو الله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أنَّ تعبيد الأسماء لغير الله شرك ينافي كمال التوحيد، وأن من تمام التوحيد نسبة النعم إلىٰ معطيها، وهو الله تعالىٰ.

د- مناسبة الباب:

لما ذكر في الباب السابق وجوب نسبة النعم إلىٰ الله تعالىٰ أردف ذلك ببيان وجوب نسبة النعم حتىٰ من حيث اللفظ إلىٰ الله تعالىٰ؛ فلا يجوز أن يُعَبَّدَ الاسم لغير الله تعالىٰ؛ فإن تعبيد الاسم لغيره شرك ينافي كمال التوحيد، وفيه نسبة

النِّعم إلىٰ غير معطيها.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

أنه دَلَّ مع الإجماع علىٰ تحريم التعبيد -ولو في الاسم- لغير الله تعالىٰ، وأن ذلك ليس من سُنن المسلمين.

❊❊❊



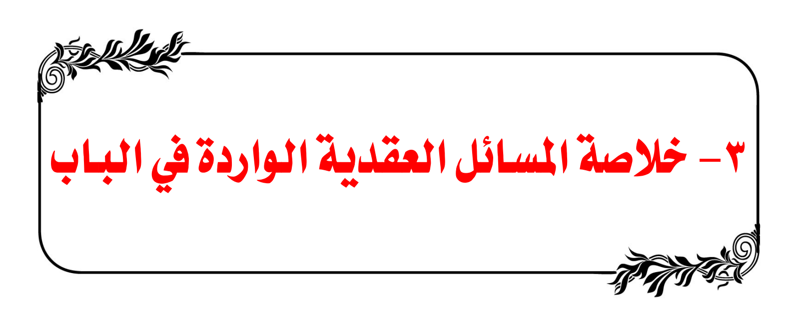
٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
آتاهما	أي: أعطىٰ آدم وحواء ما طلباه من الولد علىٰ الصفة التي يرغبانها، والصحيح عود الضمير إلىٰ الوالدين المشركين؛ فيكون المعنىٰ: أعطىٰ الرجل وزوجه.
صالحًا	أي: ولدًا سويًّا.
جعلا له شركاء	في التسمية؛ حيث سمياه عبد الحارث، فعَبَّداه لغيره الله والصحيح عود الضمير إلىٰ الوالدين المشركين؛ فيكون المعنىٰ: أنهما نسبا هذه النعمة لغير الله تعالىٰ، وعبَّدا الاسم للأنداد.
فتعالىٰ الله	تنزَّه الله وتعالىٰ من كل عيب ونقص.
حاشا عبدالمطلب	استثناء من الإجماع، فإن فيه خلافًا، وقيل: لأنه لم يكن معبَّدًا لغير الله، فاسمه الحقيقي (شيبة الحمد)، وإنما هي عبودية الرِّق الذي ظنوه.
تغشاها	التغشي: كناية عن الجماع.

أَيِّل	بفتح الهمزة وكسر الياء المشددة: ذَكر الوعل.
أدركهما حب الولد	حملهما علىٰ ذلك حب سلامة الولد، وهذا من الامتحان.
أشفقا	أي: خافا.
ألا يكون إنسانًا	أي: بأن يكون بهيمة.

❊❊❊





٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- تعبيد الأسماء لغير الله وحكم ذلك:

من تمام الشكر لله ألَّا يُعبَّد الاسم إلا لله وحده عَزَّوَجَلَّ، فيُسمَّىٰ المولود بعبد الله، أو عبد الرحمن، أو عبد العزيز، ونحو ذلك مما فيه تعبيد الاسم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

ويجوز التسمية بالأسماء الحسنة مثل: أحمد، ومحمد، وحارث، وهمام، وعمر وخالد، والحسن، والحسين، ونحو ذلك.

ويحرم تعبيد الاسم لغير الله، فلا يقال: عبد النبي، أو عبد الرسول، أو عبد الكعبة، أو عبد الحسين، أو عبد الزهرة، وما أشبه ذلك، وذم الله مَن فَعَل ذلك، فقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾؛ أي: أن الله لما رزق الزوجين لم يقوما بشكر تلك النعمة علىٰ الوجه المرضي، بل سمياه عبد الحارث؛ فعبَّداه لغير الله، فحصل منهما شرك في التسمية.

فيكون تعبيد الاسم لغير الله تعالىٰ محرم، وهو من الشرك الأصغر، من باب شرك الألفاظ.

ب- حكم تعبيد الاسم بعبد المطلب:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تحل التسمية بعبد عليٍّ، وعبد الحسين،

ولا عبد الكعبة...، فإن قيل: كيف يتفقون علىٰ تحريم الاسم المُعبَّد لغير الله، وقد صح عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعس عبد الدينار**»، وصح عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب**».

فالجواب: أما قوله: «**تعس عبد الدينار**»، فلم يُرِد الاسم، وإنما أراد به الوصف، والدعاء علىٰ من يُعَبِّد قلبه للدينار والدرهم، فرضي بعبوديتهما عن عبودية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما قوله: «**أنا ابن عبد المطلب**»، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عُرِفَ به المسمَّىٰ دون غيره، والإخبار بمثل ذلك علىٰ وجه تعريف المسمَّىٰ لا يحرُم.

ولا وجه لتخصيص أبي محمد -يعني ابن حزم- ذلك بعبد المطلب خاصة...، **فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء؛ فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء**»[(١)].

قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب -بعد أن أورد كلام ابن القيم-: «وهو حسن، ولكن بقي إشكال، وهو أن في الصحابة من اسمه المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؟ فالجواب: أما من اسمه عبد شمس فغيَّره النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عبد الله، كما ذكروا ذلك في تراجمهم، وأما المطلب بن ربيعة فذكر ابن عبد البر أن اسمه (عبد المطلب)؟

قال الحافظ: وفيما قاله نظر؛ فإن الزبير أعلم من غيره بنسب قريش، ولم

---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص١١٣-١١٤).

يذكر أن اسمه إلا المطلب، وقد ذكر العسكري أن أهل النسب إنما يسمونه المطلب، وأما أهل الحديث فمنهم من يقول: المطلب، ومنهم من يقول: عبد المطلب [(١)]...

فقد تبيَّن أنه ليس في الصحابة من هؤلاء من تصح له صُحبة، فعلىٰ هذا لا تجوز التسمية بعبد المطلب، ولا غيره مما عُبِّد لغير الله، وكيف تجوز التسمية وقد أجمع العلماء علىٰ تحريم التسمية بعبد النبي، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي، وعبد الحسين، وعبد الكعبة، ووكل هذه أولىٰ بالجواز من عبد المطلب، لو جازت التسمية به»[(٢)].

❊❊❊

(١) فمن ذكر منهم (عبد المطلب)، فإنما هو من باب الإخبار، ويجوز في الإخبار ما لا يجوز في الإنشاء.

(٢) «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٦٧-٥٦٨).

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- الإجماع علىٰ تحريم التسمية بكل اسم مُعبَّد لغير الله؛ كعبد الرسول، وعبد الكعبة، وعبد الحسين، ونحو ذلك.

٢- أن الشرك يحصل بمجرد التسمية ولو لم تقصد حقيقتها.

٣- أن من شكر النعمة بحصول الولد تعبيده لله في التسمية.

٤- الصحيح عدم جواز التسمية بعبد المطلب.

٥- وجوب اعتقاد تنزيه نبي الله آدم من الوقوع في الشرك، أصغر أو أكبر.

٦- الحذر من الإسرائيليات في التفسير، وبيان عدم صحة القصة.

٧- دعاء الله تعالىٰ الذرية الصالحة النافعة.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر حكاية ابن حزم في الاتفاق في منع تعبيد الاسم لغير الله.

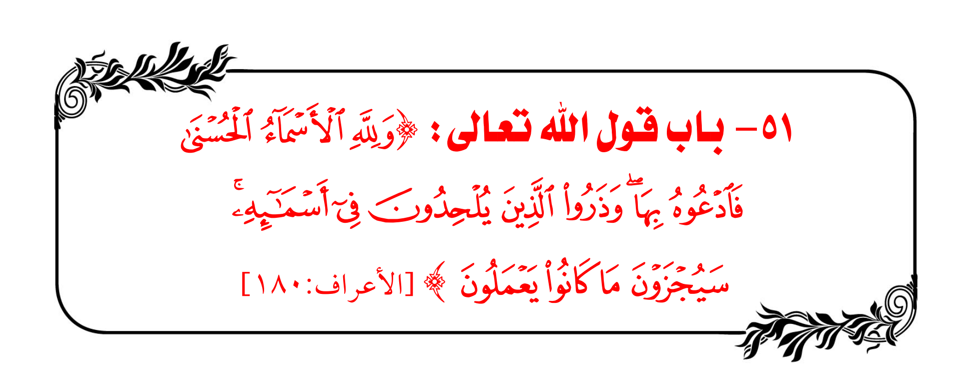
س٢ - هل رواية ابن عباس في قصة آدم وحواء صحيحة؟

س٣- من أيِّ أنواع الشرك تعبيد الاسم لغير الله تعالىٰ؟

س٤ - ما هو الصحيح في التسمية بعبد المطلب؟

س٥ - عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊



٥١- باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]

١- ذكر ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يشركون»[(١)].

٢- وعنه: «سموا اللات من الإله، والعُزَّىٰ من العزيز»[(٢)].

٣- وعن الأعمش: «يدخلون فيها ما ليس منها».

❊❊❊

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ١٩٤)، وذكره ابن جرير بسنده في «تفسيره» (٩/ ١٣٤).

(٢) ذكره ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١٣٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن الله تعالىٰ له الأسماء الحسنىٰ التي لا يعتريها نقص، بل هي كلها تدل علىٰ معانٍ عظيمة، يوصف الله بها علىٰ الوجه اللائق به، والواجب إثبات أسماء الله وصفاته، والحذر من الإلحاد فيها.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان وجوب الإيمان بأسماء الله تعالىٰ، وأنها حسنىٰ، ودعاء الله تعالىٰ بها، والبعد عن الإلحاد فيها؛ فإن ذلك من نواقص التوحيد ونواقضه.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أن أسماء الله الحسنىٰ لا يعتريها نقص؛ بل هي كمال، وأن الإلحاد في أسمائه ونفيها أو نفي حقيقة معناها شرك ينافي التوحيد.

د- مناسبة الباب:

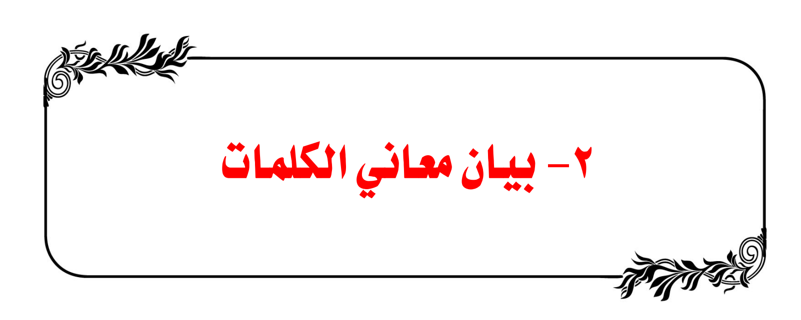
لما ذكر المصنف أهمية تعبيد الأسماء لله عَزَّوَجَلَّ ناسب أن يذكر أهمية الإيمان بأسماء الله تعالىٰ، والحذر من الإلحاد فيها، ومن الإلحاد فيها: تسمية المخلوقين

بهذه الأسماء الخاصة.

هـ- وجه استشهاد المصنف بهذه الآثار في الباب:

هذه الآثار الثلاثة كلها من أدلة المصنف علىٰ الحذر من الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ.

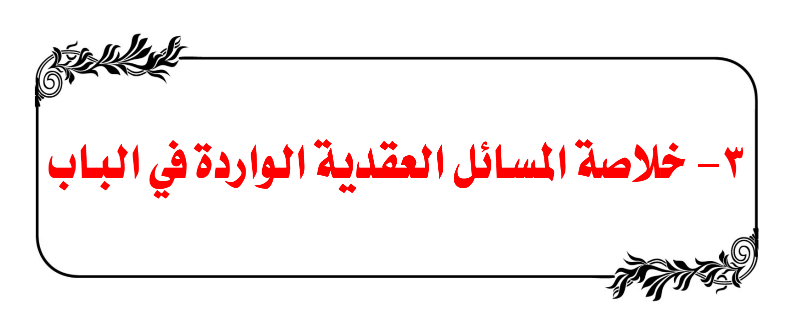
❁❁❁



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الأسماء الحسنىٰ	التي بلغت الغاية في كمال الحسن.
فادعوه بها	أي: اسألوه وتوسلوا إليه بها، وتضرعوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بها.
وذروا	أي: اتركوا.
يلحدون	الإلحاد: الميل؛ أي: يميلون بها عن الصواب بتأويلها عن معانيها.
سيجزون	سيعاقبون علىٰ إلحادهم فيها.
يشركون	أي: يشركون غيره في أسمائه، كتسميتهم الصنم إلهًا.
يدخلون فيها ما ليس منها	أي: يدخلون في أسماء الله ما لم يسمِّ به نفسه، ولم يسمِّه به رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والواجب الاقتصار علىٰ ما جاء منها في الكتاب والسنة.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- واجب المسلم تجاه أسماء الله وصفاته:

الواجب علىٰ المسلم أن يُثْبت لله تعالىٰ كل الأسماء الحسنىٰ التي أثبتها تعالىٰ لنفسه، أو أثبتها له رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع إثبات حقيقة معانيها ودلالتها علىٰ صفات الكمال، وعدم إطلاقها علىٰ غير الله، أو نفيها عن الله، أو صرفها عن معانيها الحقيقية بتأويل ونحوه.

ب- مذهب أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله وصفاته:

مذهبهم في ذلك: الإيمان بأسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإثباتها علىٰ ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ج- الإلحاد في أسماء وصفات الله، معناه وأنواعه، وحكمه:

الإلحاد لغة: العدول عن القصد، والميل، والانحراف، ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلىٰ جهة القبلة.

ومعنىٰ الإلحاد في أسماء الله: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق

الثابت، وهو أنواع:

١- تسمية الأصنام بها، كما يفعل المشركون، حيث سموا اللَّات من الإله، والعُزَّىٰ من العزيز، ومناة من المنان، وكما يفعل مشركو اليوم فيسمون بعض معبوديهم بالغوث الأعظم، مع أن هذا وصف لا يليق إلا بالله تعالىٰ.

٢- تسميته تعالىٰ بما لا يليق بجلاله، مما لم يرد في كتاب ولا في سُنة، كتسمية النصارىٰ له: أبًا، وكتسمية الفلاسفة له: علة، وكتسمية المتكلمين له: واجب الوجود، وكتسمية أهل التصوف له: محبوبًا، ونحو ذلك.

٣- وصفه تعالىٰ بالنقائص؛ كقول اليهود -قبحهم الله-: إن الله فقير، وقولهم: إنه استراح يوم السبت، وقولهم: يد الله مغلولة، وكوصف بعض المشركين الرب بأنه محتاج إلىٰ من يبلغه حوائج العباد فيتشفعون بالأموات ويشبهون الرب الكامل بالملك الناقص، ويقولون: لا يقضي الملك الحوائج إلا بالوسطاء.

٤- تعطيل الأسماء الحسنىٰ عن معانيها، وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية والمعتزلة في أسماء الله: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيقولون في السميع البصير مثلًا: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، ونحو ذلك، تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، ويدخل في هذا النوع: تعطيل صفاته تعالىٰ، أو تعطيل بعض صفاته عَزَّوَجَلَّ.

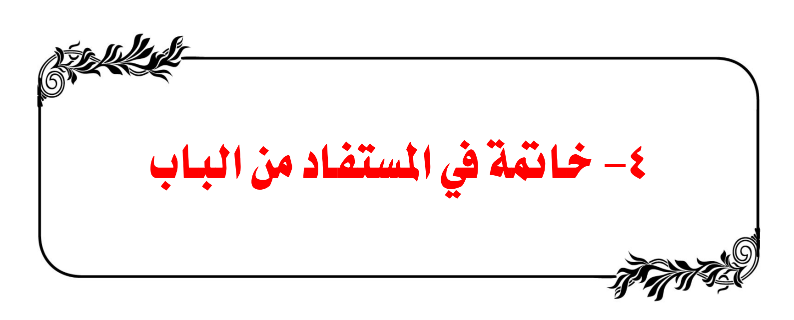
٥- تشبيه صفاته تعالىٰ بصفات خلقه؛ كما يفعله المشبهة؛ فيقولون: له

وجه كوجهي، ويد كيدي، تعالىٰ الله عن قول الملحدين علوًّا كبيرًا[١].

وبهذا يظهر أن الإلحاد محرم بجميع أنواعه، وأن بعضه كفر، وبعضه بدعة وضلالة.

❁❁❁

(١) انظر التفصيل في مبحث الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ وصفاته في المصادر الآتية: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩-١٧٠)، «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص١٧٥)، «جامع البيان» لابن جرير (٩/ ١٣٣-١٣٤)، «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٢)، «المفردات» للراغب (ص٢٤٨)، «معالم التنزيل» للبغوي (٢/ ٢١٧-٢١٨)، «مدارج السالكين» (١/ ٣٦-٤٦)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٩-٢٧٠).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- إثبات الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ما يليق بجلاله.

٢- أن أسماء الله كلها حسنىٰ.

٣- الأمر بدعاء الله والتوسل إليه بأسمائه.

٤- تحريم الإلحاد في أسماء الله بنفيها، أو تأويلها، أو جعلها أسماء لبعض المخلوقات.

٥- الوعيد الشديد لمن ألحد في أسماء الله وصفاته.

٦- الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ نوع شرك؛ لأنه إما أن ينفيها فيقع في الجحود، أو ينفي الأسماء والصفات فيكون عابدًا عدمًا، أو يكون مُشَبِّهًا فيكون عابدًا وثنًا.

٧- الحذر من تسمية الله عَزَّوَجَلَّ من عند أنفسنا، وأن باب تسمية الله تعالىٰ وإثبات صفاته باب توقيفي، لا يكون إلا بالخبر الصادق، وإن كان باب الإخبار أوسع.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (فادعوه بها- وذروا- يلحدون).

س٤- اذكر معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات مختصرًا.

س٥- ما هي أنواع الإلحاد في باب الأسماء والصفات؟

س٦- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

✿✿✿

٥٢- باب: لا يقال السلام على الله من عباده

١- **في «الصحيح»، عن ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: «كنا إذا كنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الصلاة قلنا: السلام علىٰ الله من عباده، السلام علىٰ فلان وفلان، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: لا تقولوا: السلام علىٰ الله؛ فإن الله هو السلام»[1].

❀❀❀

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨٧)، حديث رقم (٨٠٠)، ومسلم (١/ ٣٠١-٣٠٢)، حديث رقم (٤٠٢).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

التحذير من قول: السلام علىٰ الله؛ لأن هذا دعاء، والله غني عن كل أحد، وليس بحاجة إلىٰ دعاء الناس، وفي الباب إشارة إلىٰ كمال ذات الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أن الله تعالىٰ ليس بحاجة إلىٰ الدعاء، وإنما يُطلب منه الدعاء، وبيان أدب من آداب التخاطب مع الله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

لما كان السلام هو طلب السلامة فهو مطلوب مدعو به، والله غني عن أن يُدعىٰ له، والمخلوق هو المحتاج لهذا الدعاء، وفي قول: «السلام علىٰ الله» عدم تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ ، والله يُمَجَّد ويُعَظَّم، واعتقاد هذا من تمام التوحيد.

د- مناسبة الباب:

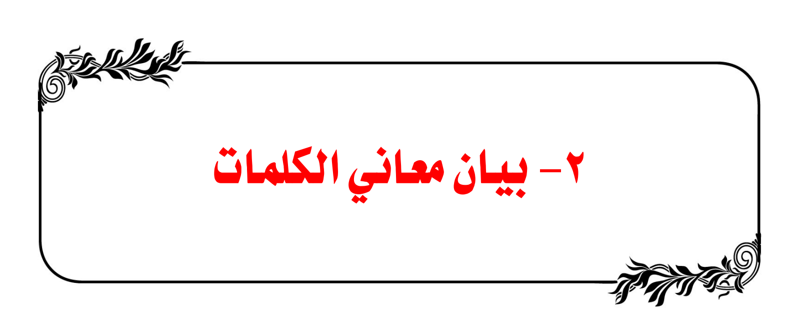
لما ذكر المصنف أن الله عَزَّوَجَلَّ له الأسماء الحسنىٰ، وأنه يُدعىٰ بها، ناسب أن يذكر أن الله تعالىٰ لا يُدعىٰ له فهو المجيد الغني الحميد، ولكن يطلب منه،

والسلام دعاء، وهو اسم من أسماء الله تعالىٰ فيطلب من السلام السلامة، ولا يطلب للسلام السلام.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

أورده المصنف للاستدلال به علىٰ كمال ذات الله تعالىٰ، وأنه ليس بحاجة إلىٰ أحد.

❁❁❁



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
كنا إذا كنا	أي: وقت أن كنا مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أول الإسلام.
السلام	اسم من أسماء الله تعالىٰ، ومعناه: السالم من كل نقص.
فإن الله هو السلام	أي: فإن الله تعالىٰ سالم من كل نقص؛ فلا يُطلب له ذلك، فهو سالم من كل نقص، منزه عن كل عيب؛ وفيه إثبات الاسم لله.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- السلام اسم من أسماء الله الحسنىٰ، وبيان معناه:

السلام من أسماء الله الحسنىٰ، فقد ورد في القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر:٢٣]، وكما في هذا الحديث: «**فإن الله هو السلام**»، وله معنيان:

١- السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أحد من الخلق.

٢- المسلِّم عباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، وهو الغني الحميد.

ب- الحكمة في النهي عن قول السلام علىٰ الله:

إن قول: «**السلام علىٰ الله**» منافٍ للتوحيد، وذلك لما يلي:

١- أن السلام دعاء بالسلامة من العيوب والنقائص، والله منزه عن ذلك.

٢- أنه دعاء، والله غني عن كل أحد، وليس بحاجة إلىٰ دعاء الناس، وإنما المشروع هو تعظيمه، وتقديسه، والإيمان بأنه موصوف بصفات الكمال، وأنه النافع والضار، أما المخلوق فيقال له: السلام عليك؛ لأنه محتاج إلىٰ العافية

والدعاء، وأما الله فهو الغني الحميد.

٣- أن الله تعالىٰ هو السلام؛ فيطلب منه، وينادىٰ بهذا الاسم.

٤- وكما لا يقال: العزة علىٰ الله؛ فكذلك لا يقال: السلام علىٰ الله.

❀❀❀



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- النهي عن أن يقال: السلام علىٰ الله.

٢- أن السلام من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣- وجوب تعلم الأدب في الخطاب مع الله تعالىٰ.

٤- حسن تعليم النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه؛ فإنه لما علم أنهم يقولون كذا، نهاهم عن ذلك، وبيَّن لهم علة النهي، ثم أرشدهم إلىٰ ما ينبغي أن يقولوه، وهو: «**التحيات لله والصلوات والطيبات...**»إلخ.

٥- جواز طلب السلامة للعباد، وهذا فيه وصول الدعاء للمسلم، ويقول المصلي في صلاته: «**السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين**».

٦- أهمية إلقاء السلام علىٰ المسلم بلفظ السلام؛ لما فيه من طلب السلامة والعافية له.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - أكمل الحديث: «**كنا إذا كنا...**».

س٢ - بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

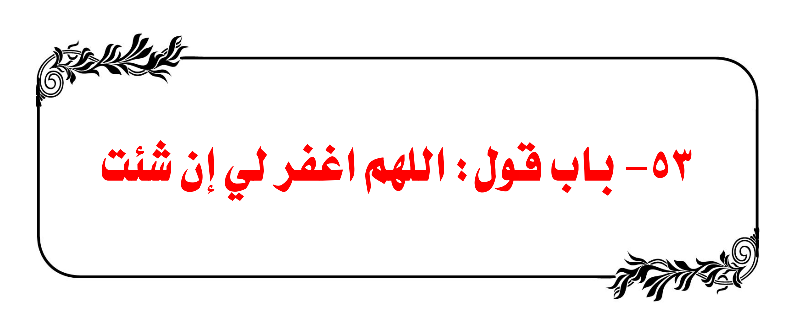
س٣- وضِّح معاني الكلمات: (كنا إذا كنا- فإن الله هو السلام).

س٤ - اذكر الدليل من القرآن علىٰ أن السلام اسم من أسماء الله تعالىٰ.

س٥- ما هي الحكمة من النهي عن قول: «السلام علىٰ الله»؟

س٦- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❀❀❀



٥٣- باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

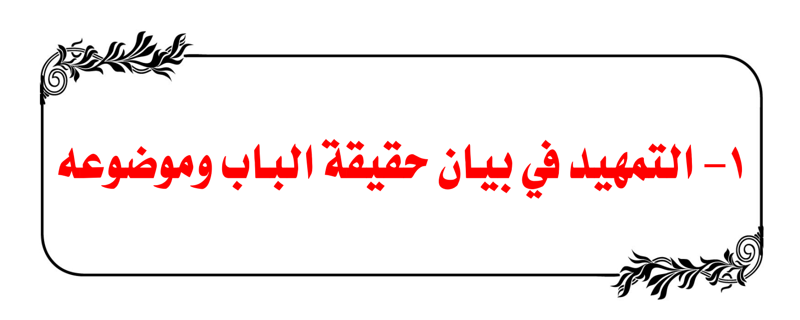
١- في «الصحيح»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له»**(١).

٢- ولمسلم: **«وليعظِّم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»**(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٣٤)، حديث رقم (٥٩٨٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٣)، حديث رقم (٢٦٧٩).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٦٣)، حديث رقم (٢٦٧٩).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن من كمال الإيمان والتوحيد العزم علىٰ المسألة في الدعاء، وعدم التردد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أنه لا يجوز قول: «اللهم اغفر لي إن شئت»، ونحو ذلك من العبارات التي تدل علىٰ الاستغناء، ولا تدل علىٰ الإلحاح والحاجة، وشدة الطلب من الغني الحميد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان أن تعليق الدعاء بالمشيئة مما ينافي كمال التوحيد؛ لأنه سوء أدب مع الله؛ حيث إنه يُوهِم دعوىٰ الاستغناء عن مغفرة الله، والاستغناء أمر منافٍ للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما بيَّن أنه تعالىٰ لا يُدعىٰ له، بل يدعىٰ منه؛ ناسب أن يذكر وجوب الإلحاح في الدعاء، وأن ذلك من كمال التوحيد؛ لأن فيه بيان عجز العبد،

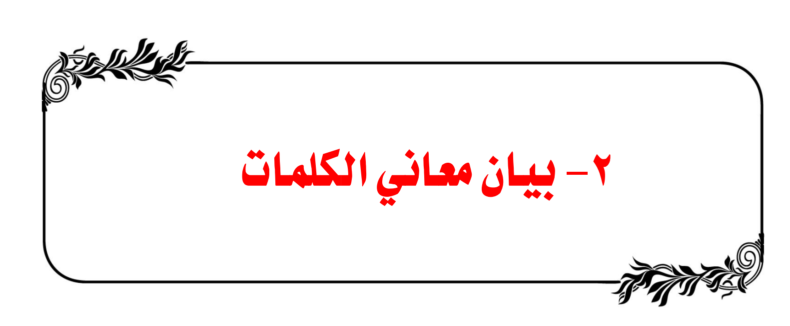
وإظهار كمال غنىٰ الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: «**لا يقل أحدكم...**»: أورده لما فيه من النهي عن التعليق في الدعاء.

الحديث الثاني: «**وليعظم الرغبة**»: فيه دلالة علىٰ أهمية التوجه إلىٰ الله بصدق ورغبة.

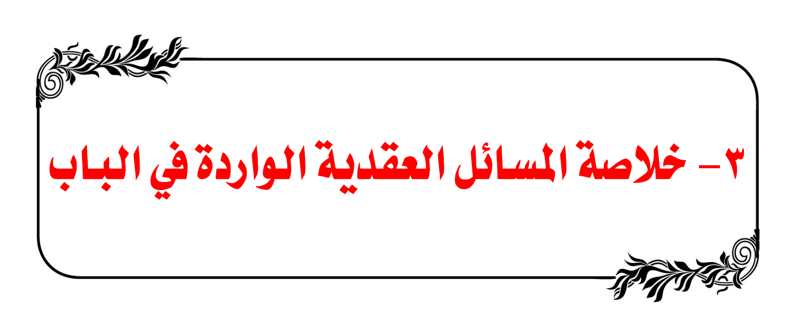
❀❀❀



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ليعزم المسألة	أي: ليجزم في طلبه وتحقيق رغبته وليتيقَّن الإجابة.
لا مكره له	أي: لا يضطره دعاء ولا غيره إلىٰ فعل شيء.
وليعظِّم الرغبة	بتشديد الظاء، أي: يلح في طلب الحاجة.
لا يتعاظمه شيء أعطاه	أي: لا يكبر ولا يعسر عليه ما يمنحه لعبده.

❀❀❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم تعليق الدعاء بالمشيئة:

تعليق الدعاء بالمشيئة حرام؛ لأن الدعاء عبودية لله تعالىٰ ولا تتم إلا بالطلب الجازم الذي لا تردد فيه، ومن كمال الإيمان والتوحيد العزم في الطلب من الله تعالىٰ، وعدم التردد، وأن المؤمن إذا دعا ربه فليجزم ولا يتردد، فإن جود الله عظيم، وهو الغني الحميد، الفعال لما يريد.

ب- سعة جود الله تعالىٰ:

إن الله تعالىٰ الملك العظيم، يده سَحَّاءُ بالليل والنهار، يعطي من يشاء، ويعز من يشاء، وكلما كان العبد أكثر تعلقًا بالله كان طلبه منه أشد، وعلم بأنه لا حول له ولا قوة إلا به، وأنه تعالىٰ جواد كريم؛ فأعطاه الحول والقوة، وأعطاه من كل ما سأل، ولو تدبر الإنسان في نفسه لعلم أنه مغمور بنعم الله تعالىٰ؛ فإذا كان جود الله تعالىٰ لا حَدَّ له فعلىٰ العبد أن يسأل باريه بإلحاح ورغبة.

ج- الدعاء عبادة عظيمة:

الدعاء عبادة عظيمة، ولهذا جاء في الحديث: «**الدعاء هو العبادة**»[(١)]، وذلك

(١) رواه الترمذي في «سننه»، برقم (٢٩٦٩)، وقال: «حديث حسن صحيح».

-والله تعالىٰ أعلم- **لأن الدعاء مشتمل علىٰ جميع أنواع العبادة،** فإن العبادة إما أن تكون قلبية، وإما أن تكون بدنية، وإما أن تكون قولية، والدعاء فيه هذه الأنواع كلها؛ **فهي قلبية من حيث:** حضور القلب، وإظهار الرغبة، والفقر. **وهي بدنية من حيث:** توجه الإنسان بجوارحه إلىٰ الله تعالىٰ، ورفعه ليديه. **وهي قولية من حيث:** إنه يطلب بلسانه، ويثني علىٰ ربه بما هو أهل له؛ فمن هنا كان الدعاء هو العبادة، **وأيضًا فإن الدعاء ينقسم إلىٰ قسمين:** دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ولهذا كان الدعاء هو العبادة.

د- آداب الدعاء المشروع:

إن الدعاء له آداب، وكلما كانت هذه الآداب متوافرة كلما كانت الإجابة أحرىٰ. **ومن هذه الآداب:**

١- بدء الدعاء بالحمد لله، والثناء عليه، والصلاة والسلام علىٰ رسوله، وختمه بذلك.

٢- الإلحاح في الدعاء.

٣- الدعاء بعزيمة وصدق نية.

٤- علىٰ العبد أن يدعو وألَّا يستبطئ الإجابة.

٥- ألا يدعو بقطيعة رحم.

٦- اليقين بإجابة الدعاء ولو بعد حين.

٧- رفع اليدين مع الدعاء، خصوصًا في دعاء الحاجة.

٨- طيب المأكل والمشرب.



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- النهي عن تعليق حصول المطلوب من الله علىٰ مشيئته.

٢- تنزيه الله عما لا يليق به.

٣- سعة فضل الله وكماله وغناه وكرمه وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤- وجوب تعظيم الرغبة فيما عند الله تعالىٰ.

٥- أن الله يفعل ما يشاء لا مكره له.

٦- أهمية الأدب في الدعاء، ومن ذلك الإلحاح فيه.

٧- إظهار الفاقة بين يدي الله تعالىٰ.

٨- الثناء علىٰ الله تعالىٰ بعظمته وكبريائه وغناه.

٩- أن الله تعالىٰ لا يتعاظم عليه شيء؛ فإنه فعَّال لما يريد.

١٠- الدعاء والطلب من أعظم أنواع العبادة.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٢- بيِّن معاني الكلمات: (ليعزم المسألة -ليعظِّم الرغبة).

س٣- الدعاء عبادة عظيمة، فما وجه ذلك؟

س٤- اذكر بعض آداب الدعاء.

س٥- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❀❀❀

٥٤- باب لا يقول: عبدي وأمتي

١- في «الصحيح»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يَقُلْ أحدكم: أطعم ربك، وضِّئ ربَّك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يَقُلْ أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**».

❁❁❁



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

فيه ذكر ما ينافي كمال التوحيد بسبب بعض الألفاظ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية التأدب في الألفاظ، ومن ذلك: البعد عما فيه نوع مشاركة، ولو في اللفظ، تعظيمًا لله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

لما كان العبيدُ عبيدَ الله والإماءُ إماءَ الله كان جديرًا ألَّا ينسبوا إلا إليه؛ فإن إطلاق هاتين الكلمتين علىٰ غير الله مما ينافي كمال التوحيد؛ لما فيهما من التشريك في اللفظ بين الخالق والمخلوق.

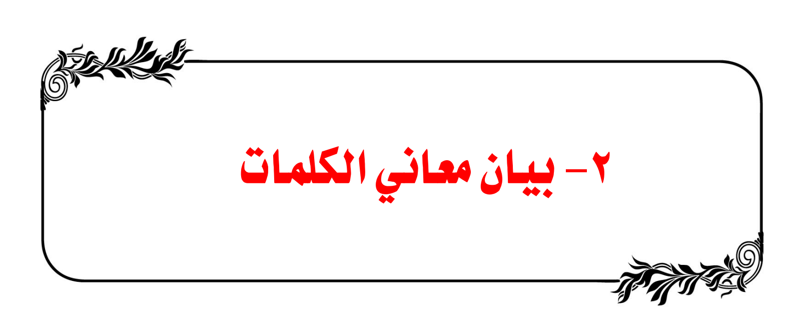
د- مناسبة الباب:

لما بيَّن المصنف في الباب السابق بعض ما لا ينبغي في الدعاء ذكر هنا ما لا ينبغي في الألفاظ، وإذا كان لا يجوز قول: «اللهم اغفر لي إن شئت»؛ لأن فيه إشعارًا بالاستغناء؛ فكذلك لا يجوز قول: عبدي وأمتي؛ لما في ذلك من إيهام المشاركة في الربوبية.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

فيه دلالة علىٰ النهي عن بعض الألفاظ المنافية لكمال التوحيد، والحث علىٰ ما يتم به التوحيد من الألفاظ.

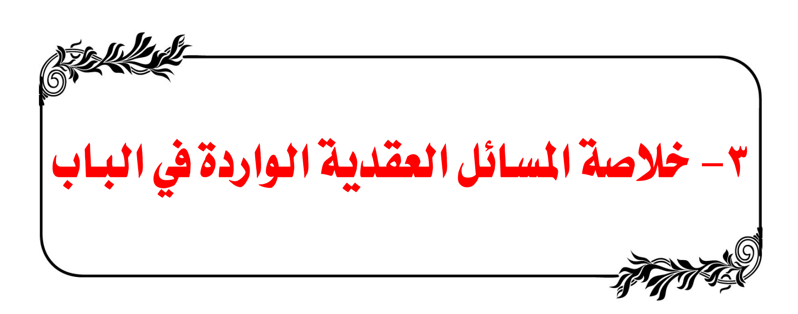
❀❀❀



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
وليقل سيدي	المراد بالسيد هنا: الرئيس علىٰ من تحت يده، والفرق بين الرب والسيد: أن الرب من أسماء الله بالاتفاق، بخلاف السيد فقد اختلف في كونه من أسماء الله، وعلىٰ القول بأنه منها؛ فليس له من الشهرة وكثرة الاستعمال مثل ما للرب.
مولاي	المولىٰ: الذي يتولَّىٰ الأمر، والمراد به هنا: المالك.
ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي	لأن العبودية حق لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.
وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي	لأن هذه الألفاظ فيها تجنب للإيهام والتعاظم.

❀❁❁❁❀



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم قول عبدي وأمتي مع التعليل:

الأدب في الألفاظ دليل علىٰ كمال الإخلاص؛ لذا نهىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التلفظ بالألفاظ التي توهم التشريك، وفيها إساءة أدب مع الله؛ كإطلاق ربوبية إنسان لإنسان؛ كقول المولىٰ لسيده: ربي؛ لأن الله هو الرب المالك المتصرف، أو كإطلاق عبودية إنسان لإنسان؛ كقول السيد لمولاه: عبدي وأمتي؛ لأن الله هو الرب المعبود وحده.

ب- اللفظ السليم في هذا الباب:

يستحب أن يعدل الإنسان عن قول: عبدي وأمتي، إلىٰ: فتاي وفتاتي، وكذا يعدل من قول: ربي، إلىٰ: سيدي، ومولاي، أو ليقل: عمي، ونحو ذلك من الألفاظ التي فيها البعد عن مشابهة أسماء الله تعالىٰ، تحفظًا عن الألفاظ التي فيها إبهام ومحذور.





٤- خاتمة في المستفاد من الباب

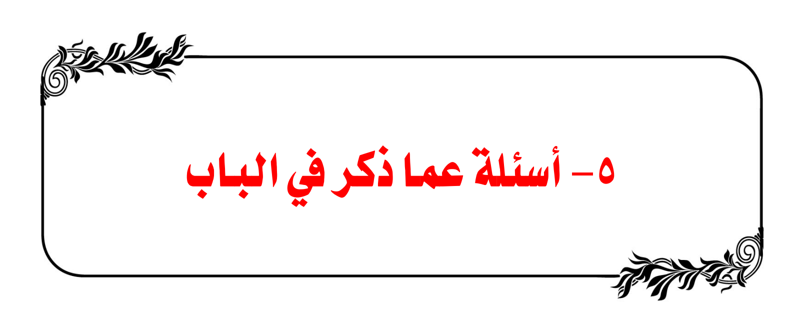
١- النهي عن الألفاظ التي توهم الشرك.

٢- النهي عن إطلاق العبودية لغير الله.

٣- وجوب سَدِّ الطرق الموصلة إلىٰ الشرك.

٤- إطلاق هذه الألفاظ من باب شرك الألفاظ، وهي من الشرك الأصغر، ما دام لا يقصد المعنىٰ، وإنما يطلق اللفظ المشترك.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- أكمل الحديث: «**لا يقل أحدكم: أطعم**».

س٢- اشرح ترجمة الباب.

س٣- وضِّح معنىٰ الكلمات: (وليقل سيدي - مولاي).

س٤- ما هو اللفظ السليم الذي يقوله السيد لمولاه؟

س٥- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

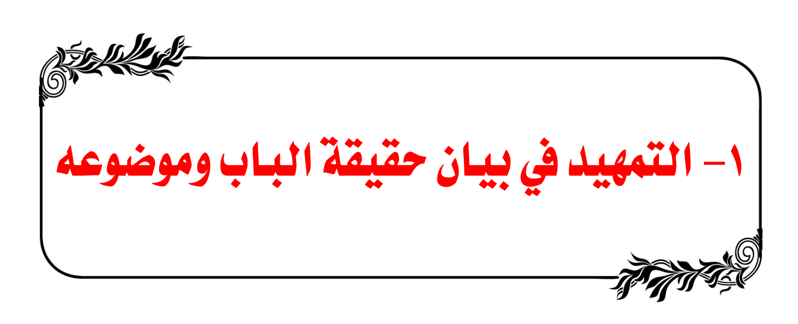
❀❀❀

٥٥- باب: لا يُرد من سأل بالله

١- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجد ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»[(١)]. رواه أبو داود، والنسائي، بسند صحيح.

❀❀❀

(١) أخرجه أبو داود (ح١٦٧٢)، والنسائي (ح٢٥٦٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (ح٦٠٢١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو تعظيم الله تعالىٰ وإجلاله في إعطاء من سأل به.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية تعظيم الله تعالىٰ، وأن ذلك من كمال التوحيد، ومن تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ: ألا يُردَّ من سأل باسمه.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

لما كان السؤال بالله عظيمًا والسائل قد سأل بالله؛ فينبغي إجابة سؤاله تعظيمًا للرب؛ فإنَّ رَدَّ مَن سأل بالله مما ينافي كمال التوحيد؛ لأن رده دليل علىٰ عدم إعظام الله تعالىٰ.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان ما يتعلق بالتعظيم في الأدب مع الله تعالىٰ، والأدب مع الله تعالىٰ من كمال التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

أورده المصنف لما فيه من الدلالة الصريحة علىٰ أن من سأل بالله يُعطىٰ.





٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
استعاذ بالله	التجأ إلىٰ الله.
فأعيذوه	أي: امنعوه مما استعاذ منه، وكفُّوه عنه، تعظيمًا لله تعالىٰ.
ومن سأل بالله	بأن قال: أسألك بالله.
فأعطوه	أي: أعطوه ما سأل، ما لم يسأل إثمًا، أو قطيعة رحم.
ومن دعاكم	طلب حضوركم إلىٰ طعام أو غيره.
فأجيبوه	أي: أجيبوا دعوته.
صنع إليكم معروفًا	أحسن إليكم.
فكافئوه	جازوه علىٰ معروفه.
فادعوا له..إلخ	أي: فبالغوا في الدعاء له جهدكم.
تَرُوا	بضم الراء، بمعنىٰ: تعلموا.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الخصال الحميدة الواردة في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١- تعظيم حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإعطاء من سأل بالله، وإعاذة من استعاذ به.

٢- تعظيم حق المؤمن؛ من إجابة دعوته، ومكافأته علىٰ إحسانه بمثله، أو أحسن منه مع القدرة، ومع عدمها بإحالة مكافأته إلىٰ الله بطلب الخير له منه.

ب- إجابة من سأل بالله:

أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعطاء من سأل بالله، وعدم رده ما لم يكن في ذلك مضرة أو مشقة، أو سؤال أمر محرم؛ كقطيعة رحم.

وقد جاءت أحاديث تدل علىٰ كراهية السؤال بالله؛ لما فيه من التشديد علىٰ الناس، ولكن من سأل بالله حقًّا وجب أن يُعطىٰ، كما لو سأل ميراثًا، أو زكاة، أو من بيت المال، وجب أن يُعطىٰ[1].

والسائل لا يجوز له أن يسأل بالله شيئًا من أمور الدنيا، تعظيمًا لله، واحترامًا لجانب الربوبية.

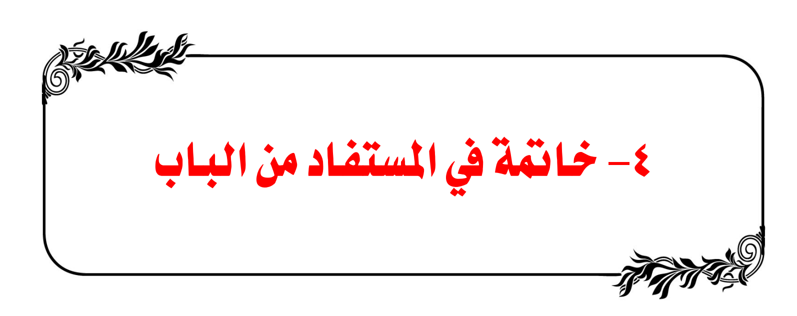
(١) انظر: «تعليقات الشيخ ابن باز» (ص٢٤٠).

ج- حكم دعاء صفات الله:

لا ينبغي دعاء صفات الله؛ فلا يقال: يا وجه الله، أو يا علم الله أريد كذا، وإنما يُدعىٰ الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته؛ فيقال: يا رحمن ارحمني، يا كريم أكرمني؛ فالصفات يُتوسل بها ولا يُدعىٰ بها[(١)].

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٢٤٢).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١ - لا يرد من سأل بالله؛ إجلالًا لله وتعظيمًا له.

٢- إن من استعاذ بالله وجبت إعاذته ودفع الشر عنه.

٣- إجابة دعوة المسلم لوليمة أو غيرها ما لم يكن فيها منكر لا يقدر علىٰ إزالته.

٤- مشروعية مكافأة المحسن عند القدرة.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - ما عنوان هذا الباب؟

س٢ - وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (فأعيذوه -فكافئوه- ترُوا).

س٤ - ما هي الخصال الحميدة التي في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

س٥ - عَدِّد المستفاد من هذا الباب.

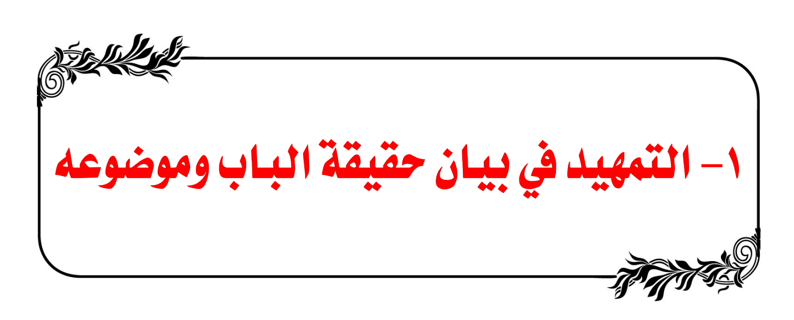
❀❀❀

٥٦- باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

١- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**»[(١)]. رواه أبو داود.

❀❀❀

(١) «السنن» (٢/ ٣٠٩-٣١٠) (ح١٦٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٩٩)، قال الشيخ ابن باز: «وإسناد الحديث فيه لين وضعف، لكنه ينجبر بما جاء في الروايات الأخرىٰ من النهي عن السؤال بوجه الله».



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو تعظيم الله، فلا يسأل بوجهه الكريم إلا ما هو عظيم؛ فلا يسأل بوجهه إلا الجنة؛ فهي أعلىٰ المطالب وأعظمها؛ ففي الجنة النعيم المقيم، والنظر إلىٰ وجه الكريم.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية تعظيم وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ومن ذلك أنه لا يُسأل به إلا الجنة.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وإجلاله، ومن ذلك تعظيم وجهه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأنه لا ينبغي أن يسأل بوجه العظيم إلا عظيم كالجنة، وهذا من تمام التوحيد وكماله.

د- مناسبة الباب:

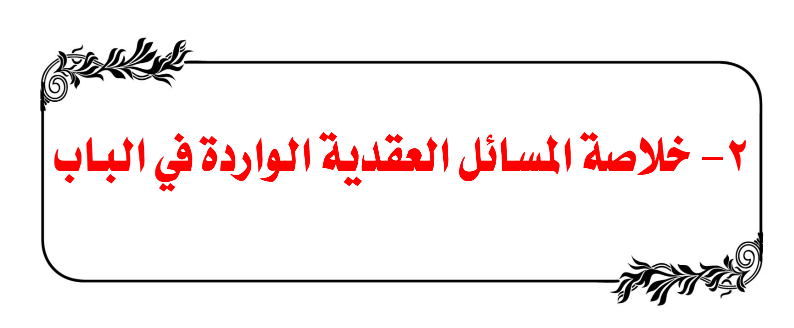
لما كان السؤال بوجه الله شأنه عظيم، ولا ينبغي أن يبذل في سؤال الدنيا، ناسب أن يعظم ذلك؛ فلا يبذل لأجل أمور دنيوية؛ لأن فيه عدم احترام السؤال

بوجه الله، بل يحترم عنها؛ فلا يسأل به إلا غاية المطالب التي هي الجنة، وإن احترام أسماء الله تعالىٰ وصفاته من تمام التوحيد وكماله، وعدم تعظيم الأسماء والصفات من نواقص التوحيد ونواقضه.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

فيه التصريح بالنهي عن السؤال بوجه الله غير الجنة.

❊❊❊



٢- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

لا يسأل بوجه الله شيء من المطالب الدنيوية:

من احترام أسماء الله وصفاته: ألا يسأل المرء شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب، والنظر إلىٰ وجهه الكريم، والتلذذ بخطابه.

وكذلك ما يقرب إليها؛ كأن يسأل الإخلاص، والتوفيق للخير، والاستقامة علىٰ الطاعة فيما يقرب من الجنة؛ فإنه من طلب الجنة؛ فهذا الطلب الأَسْنىٰ الذي يسأل بوجه الله تعالىٰ.

❊❊❊



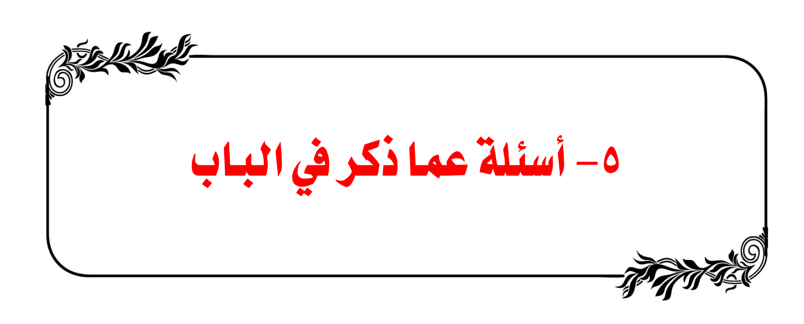
٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- إثبات صفة الوجه لله سبحانه علىٰ ما يليق بجلاله كسائر صفاته.

٢- وجوب تعظيم الله واحترام أسمائه وصفاته.

٣- جواز سؤال الجنة والأمور الموصلة إليها بوجه الله، والمنع من أن يسأل به شيء من حوائج الدنيا.

❁❁❁



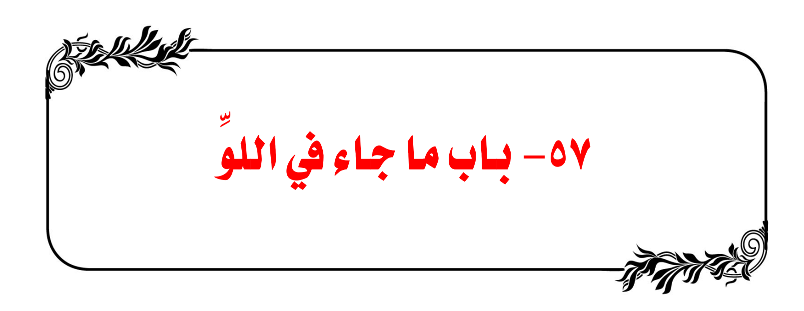
٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- اشرح ترجمة الباب.

س٢- هل يجوز أن يسأل بوجه الله تعالىٰ شيء من الدنيا؟

س٣- عَدِّد المستفاد من هذا الباب.

❊❊❊



٥٧- باب ما جاء في اللوِّ

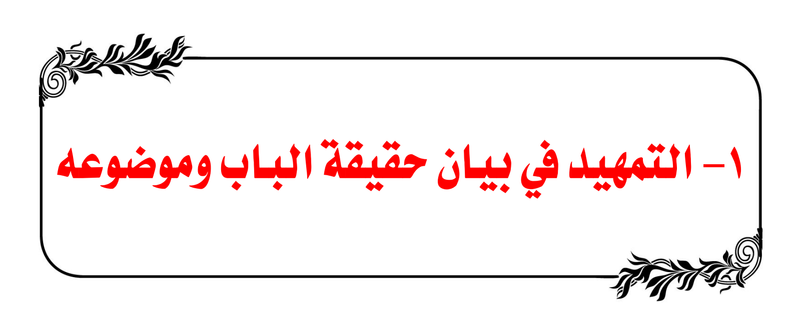
١- وقول الله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

٢- وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨].

٣- في «الصحيح»، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزنَّ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(١).

❀❀❀

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٢)، حديث رقم (١٥٦٨).



أ- موضوع الباب:

حكم كلمة (لو) وهل تجوز أو لا تجوز، والمقصود أنه لا ينبغي استعمالها لمعارضة القدر.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أنه لا يجوز للإنسان أن يتحسر علىٰ أمر وقع بأنه لو فعل كذا لما كان ليقع، وأن يعلم أن الأمور بمقاديرها.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان حكم كلمة (لو)، وأنه لا ينبغي استعمالها لمعارضة القدر، فمن قالها معارضًا بها أقدار الرب تعالىٰ؛ فإن هذا مما ينافي كمال التوحيد.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان بعض ما ينافي التوحيد، ومن ذلك المعارضة علىٰ أقدار الله تعالىٰ، بأنه لو فعل كذا لكان كذا، وعدم التسليم بالقدر، وأن ذلك منافٍ لكمال التوحيد.

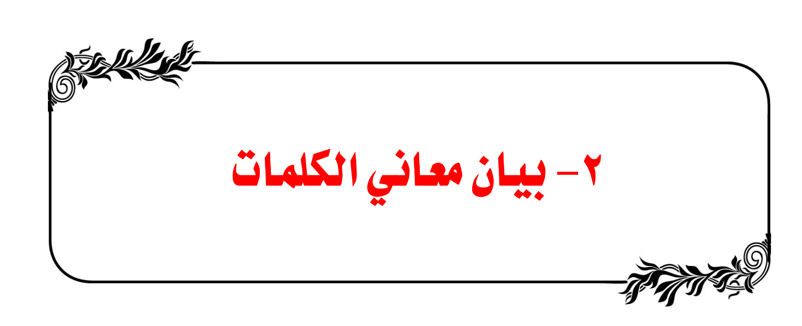
هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وحديث الباب:

الآية الأولىٰ: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾: أوردها المصنف مستدلًّا بها علىٰ أن استعمال (لو) في معارضة المقدور من أفعال المنافقين، لا من أفعال المؤمنين الموحدين.

الآية الثانية: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟**﴾: استشهد بها المصنف لبيان أن التحسر بـ: (لو) من أعمال المنافقين، وهم مذمومون علىٰ قولهم هذا.

حديث: «**احرص علىٰ ما ينفعك**»: فيه إرشاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته ماذا يقولون عند المصيبة والمقدور.



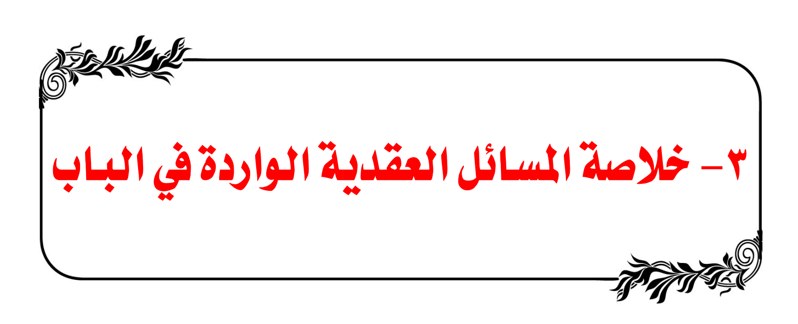


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يقولون	أي: يقول بعض المنافقين يوم أحد معارضة للقدر.
لبرز	لخرج.
إلىٰ مضاجعهم	إلىٰ أماكن قتلهم التي كتبت عليهم، وفيه إشارة إلىٰ أن الميت إنما هو في مرحلة كالمضطجع ثم يبعث عنها إلىٰ غيره.
وليبتلي الله	أي: يختبر.
ما في صدوركم	أي: ما في قلوبكم من الإخلاص والنفاق.
وليمحص ما في قلوبكم	يميز ما تنطوي عليه من النيات.
بذات الصدور	ما في القلوب.
قالوا لإخوانهم	أي: قال المنافقون للمسلمين، والمنافقون يزعمون أن المسلمين إخوانهم، وهو كذلك لكن في الظاهر.
وقعدوا	أي: تخلفوا عن الجهاد.

احرص	الحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع.
علىٰ ما ينفعك	في معاشك ومعادك.
واستعن بالله	أي: اطلب الإعانة من الله.
ولا تعجزن	بكسر الجيم وفتحها؛ أي: لا تفرط في الأخذ بالأسباب.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- استعمال كلمة (لو) المحمود:

إذا استعملت (لو) علىٰ أمر مستقبل، أو حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم، كان محمودًا؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأهللت بالعمرة**»[(١)].

ب- استعمال كلمة (لو) المذموم:

إذا استعملت (لو) علىٰ أمر خاص وحمل عليها الضجر والحزن، وضعف الإيمان بالقضاء والقدر، كان مذمومًا؛ لما في ذلك من الإشعار بعدم الصبر، والأسف علىٰ ما فات مما لم يمكن استدراكه؛ كقوله تعالىٰ إخبارًا عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾.

ج- معنىٰ الآية التي استشهد بها المصنف، وفيمن نزلت:

قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾: إخبار من الله تعالىٰ عن المنافقين الذين قالوا لإخوانهم المسلمين ممن قتلوا في غزوة أحد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج

(١) روىٰ نحوه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٨٠٢).

إلىٰ الجهاد ما قُتلوا مع من قُتل.

وهذه الآية نزلت في عبد الله بن أُبي ابن سلول رأس المنافقين وأصحابه الذين تخلفوا عن رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في غزوة أحد.

د- الاعتماد علىٰ الله مع الأخذ بالأسباب:

يجب علىٰ العبد أن يعتمد علىٰ الله، ويتوكل عليه، ويحرص علىٰ فعل الأسباب التي تنفعه في دنياه وآخرته مما شرعه الله لعباده، وأمرهم به، ويكون في حال فعله للسبب مستعيناً بالله وحده، معتمدًا عليه في ذلك؛ فإن الأخذ بالأسباب المشروعة لا ينافي التوكل، والاعتماد علىٰ الأسباب وحدها دون الاعتماد علىٰ الله شرك منافٍ للتوحيد.

هـ- المشروع قوله عند المصائب:

يشرع لمن أصيب بمصيبة أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل». وأن يقول: «﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾. «اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها».

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- النهي عن قول (لو) في الأمور المقدرة؛ لأنها تدل علىٰ التسخط علىٰ القدر، وتجدد الأحزان في النفوس، أما قول (لو) تندمًا علىٰ فوات الطاعة، وتمني الخير فلا بأس به؛ لأنه يدل علىٰ الرغبة في الخير.

٢- مشروعية الاستسلام للقضاء والقدر فيما يجري من المصائب، وعدم تسخطه من ذلك.

٣- أن مَن كُتب عليه الموت في مكان فلابد أن يموت فيه.

٤- أن مقتضىٰ الإيمان الاستسلام للقضاء والقدر في المصائب، وأن عدم الاستسلام له من صفات المنافقين.

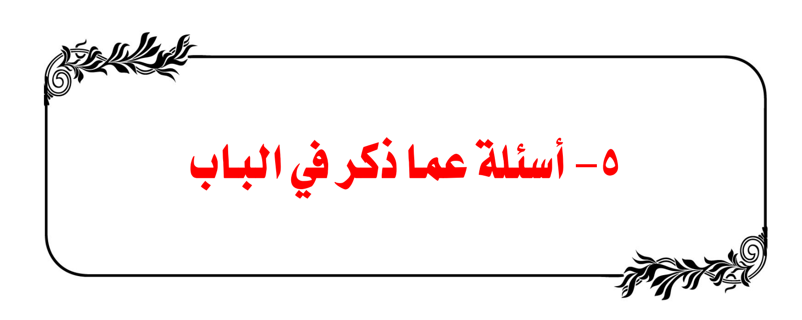
٥- أن الحذر لا يغني من القدر، ولكننا مأمورون باتخاذ الأسباب.

٦- وجوب الاستعانة بالله في القيام بالأعمال النافعة.

٧- عدم الاعتماد علىٰ الحول والقوة.

٨- النهي عن العجز والبطالة والتواكل وتعطيل الأسباب.

٩- وجوب الصبر عند نزول المصائب.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اذكر حديث أبي هريرة الذي استشهد به المصنف.

س٢- ما غرض المصنف من عقد هذا الباب؟

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (لبرز- إلىٰ مضاجعهم- وليمحص ما في قلوبكم).

س٤- متىٰ يصح استعمال كلمة (لو)؟

س٥- متىٰ يذم استعمال كلمة (لو)؟

س٦- هل يعتمد علىٰ الله تعالىٰ بدون أخذ الأسباب، أم أن أخذها من التوكل؟

س٧- ما هو المشروع للمسلم أن يقوله عند المصيبة؟

س٨- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊



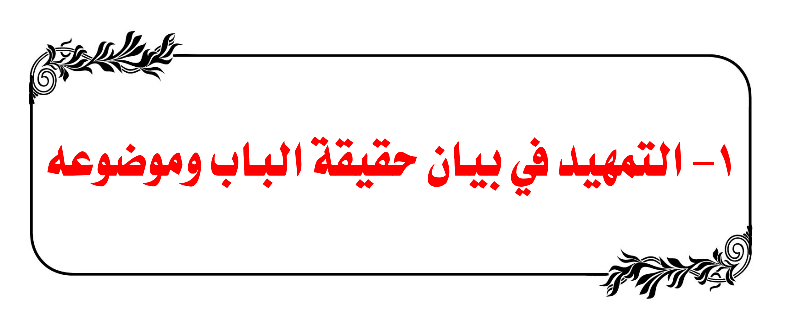
٥٨- باب النهي عن سب الريح

١- عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون؛ فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**»[١]. صححه الترمذي.

❀❀❀

(١) في «سننه» (٤/ ٥٢١) (ح٢٢٥٢)، وقال الألباني: صحيح، كما في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٧٥٦).





١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو حكم سب الريح وغيرها من المخلوقات، وهو نقص في الإيمان، وقدح في التوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان النهي عن سب الريح، وأن سَبَّها منافٍ للتوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب للتنبيه علىٰ أن سب الريح نقص في الإيمان وقدح في التوحيد؛ لأن الريح مدبَّرة والمُدَبِّر لها هو الله؛ فنهىٰ عن سبها؛ لأنه في الحقيقة مسبة للمدبِّر، واعتراض علىٰ المتصرف فيها.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد ذكر نواقض التوحيد، ومن ذلك سب الريح؛ لأنها تسير بتدبير الله تعالىٰ؛ فَسَبُّها دليل علىٰ نقصان التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

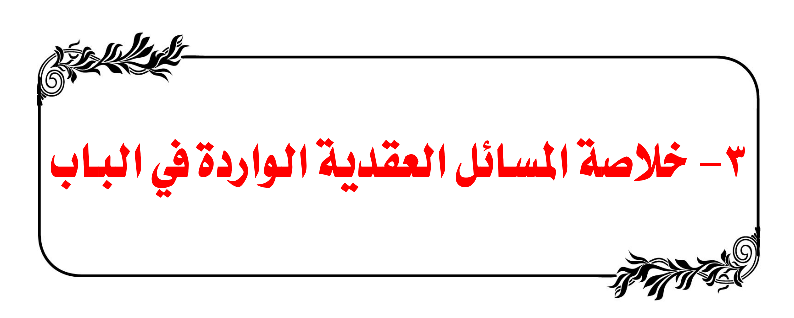
فيه التصريح بالنهي عن سب الريح، وإرشاد إلىٰ ما فيه الخير العاجل للمكلف.



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
لا تسبوا الريح	النهي عن السب نهي عن ذمها ولومها عند حصول المكاره.
فإذا رأيتم ما تكرهون	أي: من الريح؛ إما شدة حرها، أو بردها، أو قوتها، أو آثارها.
فقولوا: اللهم... إلخ	أي: اطلبوا من خالقها ومدبرها بطلب خيرها ودفع شرها.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم سب الريح:

يحرم سب الريح؛ لأن سبها سب لمدبرها وهو الله عَزَّوَجَلَّ، فالله تعالىٰ هو الذي يدبر الريح، ويصرفها كيف شاء، إن شاء نفع بها، وإن شاء جعلها عذابًا؛ فالأمر بيده تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، ولهذا لا يجوز نسبة السوء إلىٰ الريح؛ لأنها لا تسير بنفسها، وإنما تسير بأمر مدبرها -جلَّ في علاه-.

ب- ما يقوله الإنسان إذا خاف من أضرار الريح:

يشرع للمؤمن أن يقول إذا هبت الريح:

١ - «**اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به**».

٢- وفي الحديث الصحيح الآخر: «**الريح مَن رَوْح الله، تأتي بالرحمة والعذاب؛ فلا تسبوها، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوذوا بالله من شرها**»(١).

٣- «**اللهم إني أسألك من خير ما أُمرت به، وأعوذ بك من شر ما أُمرت به**».

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، رقم (٥٠٩٧)، وابن ماجه في «سننه»، رقم (٣٧٢٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في «صحيح سنن أبي داود»، رقم (٤٢٥٠).

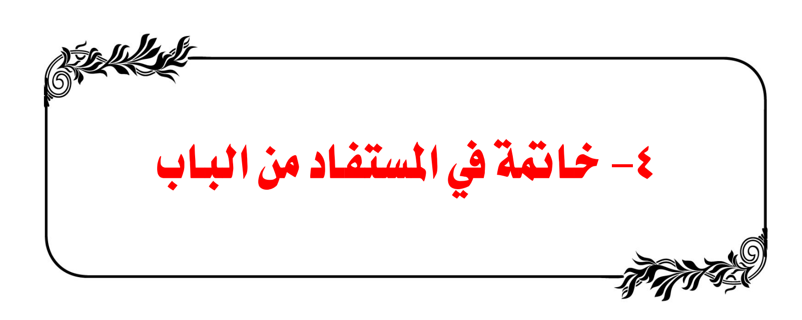
وفي رواية: «كان إذا رأىٰ الريح فزع»[(١)].

٤- «**اللهم لَقْحًا لا عَقِيمًا**»[(٢)].

ﮜ❁❁❁ﮛ

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٥) بعد أن أورده: «رواه أبو يعلىٰ بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح».

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٥)، ثم قال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير المغيرة بن عبد الرحمن وهو ثقة».



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أهمية العلم بأن الله تعالىٰ رتب الأمور علىٰ أسبابها.

٢- النهي عن سب الريح؛ لأنها خلق مدبر فيرجع السب إلىٰ خالقها ومدبرها.

٣- الرجوع إلىٰ الله والاستعاذة به من شر ما خلق.

٤- أن الريح تكون مأمورة بالخير وتكون مأمورة بالشر.

٥- الإرشاد إلىٰ الكلام النافع إذا رأىٰ الإنسان ما يكره لأجل دفعه.

٦- الفزع إلىٰ الله تعالىٰ إذا هاجت الريح.

٧- الدعاء إلىٰ الله تعالىٰ، واللجوء إليه حتىٰ يأمن الإنسان بوائق ما يخاف.

٨- اليقين بأنه لن يصيب الإنسان إلا ما كُتب له، وأن الريح وغيرها مأمورة في تنفيذ المقدر.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هو عنوان هذا الباب؟

س٢- اشرح ترجمة الباب.

س٣- لا يجوز للمسلم أن يسب الريح؛ فلماذا؟

س٤- ماذا تقول إذا خفت من الريح؟

س٥- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٥٩- باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ [آل عمران:١٥٤]

١- وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح:٦].

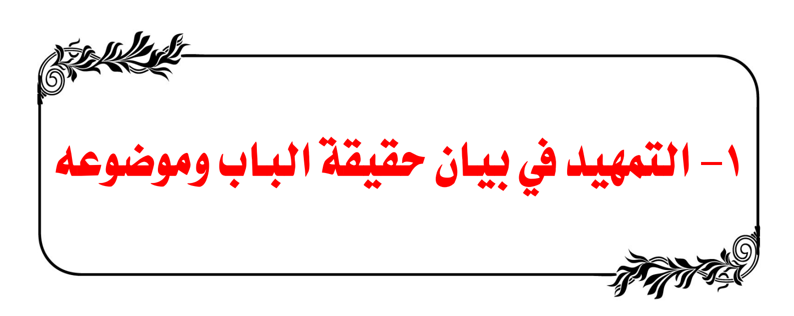
٢- **قال ابن القيم في الآية الأولىٰ:** «فُسِّر هذا بأنه ظنهم بأن الله سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففُسِّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره علىٰ الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون، وذُكِر في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق؛ فمن ظن أنه يُديل الباطل علىٰ الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرىٰ بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده؛ فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلىٰ الله ويستغفره من ظنه بربه ظن

السوء، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا علىٰ القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك: هل أنت سالم؟!

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة   وإلا فإنـي لا إخالـك ناجـيًا»[1]

٭٭٭

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٢٨-٢٣٥)، والكلام إنما ذكره ابن القيم مفرقًا، وهو في صدد بيان بعض الحكم من غزوة أحد، وجمعه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن كثيرًا من الناس يسيء الظن بالله تعالىٰ، ولا يسلم لحكمة الله، ولا يسلم لقدر الله السابق.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية الظن الحسن بالله تعالىٰ، وأن الظن السيئ بالله تعالىٰ من نقص التوحيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

لما كان ظن السوء فيه عدم الثقة بالله الذي وعد رسوله بالنصر، وفيه اعتراض علىٰ قدر الله وتدبيره وتصريفه الأمور، ففيه عدم تحقيق الإيمان بالله والتسليم لقضائه وقدره، ولهذا فإنه منافٍ للتوحيد؛ لأنه سوء ظن بالله، ونفي لكماله، وتكذيب لخبره، وشك في وعده.

د- مناسبة الباب:

لا زال المصنف في صدد بيان نواقص التوحيد، ومن ذلك سوء الظن بالله تعالىٰ.

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يظنون	أي: المنافقون، والظن في الأصل خلاف اليقين.
هل لنا من الأمر من شيء	أي: ليس لنا من النصر والظفر نصيب.
يخفون في أنفسهم	من الإنكار والتكذيب.
ما لا يبدون لك	أي: غير الذي يظهرون لك من الإيمان وطلب الاسترشاد.
ظن السوء	الظن الفاسد.
عليهم دائرة السوء	أي: دائرة العذاب والذل لازمان لهم.
ولعنهم	أي: أبعدهم من رحمته.
وأعد لهم	أي: هيَّأ لهم في الآخرة.
وساءت مصيرًا	أي: منزلًا يصيرون إليه يوم القيامة أسوأ المنازل.
يديل الباطل	أي: يجعل له الدولة والغلبة.
تعنتًا علىٰ القدر	أي: اعتراضًا وافتراضًا عليه.

إخالك	بكسر الهمزة، أي: أظنك.
ناجيًا	سالمًا من الاعتراض علىٰ القدر.

۞۞۞



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- سوء الظن بالله من صفات المنافقين:

الكفار والمنافقون يتمنون للمسلمين الهزيمة والهلاك، وظهر ذلك في وقعة أحد؛ فقد ظنوا أن الله سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل ويذهب ويتلاشىٰ، وأن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، وأنكروا أن يتم أمر الله ورسوله، وأن يظهره علىٰ الدين كله؛ فصار ظنهم هذا جمعًا بين سوء الظن بالله من جهة أن الله لا ينصر رسوله ولا يظهر دينه علىٰ الأديان كلها، ومن جهة أنها لم تقع هذه عن حكمة، وهذا كله باطل فقد نصر رسوله بعد ذلك، وأظهر دينه علىٰ الأديان كلها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

ب- حسن الظن بالله من تمام التوحيد:

لا يتم إيمان العبد وتوحيده حتىٰ يعتقد بجميع ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأن ما وعد به من نصر الدين وإحقاق الحق وإبطال الباطل سيقع، وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله، ونفي لكماله، وتكذيب لخبره، وشك في وعده.

ج- الطريق إلىٰ السلامة من ظن السوء:

هو معرفة الله تعالىٰ، ومعرفة أسمائه وصفاته، والعلم بآثارها الحسنة،

وموجب حكمته وحمده، والتوبة والاستغفار من هذا الظن السيئ، وأنه تعالىٰ لا يفعل شيئًا، ولا يقع منه شيء إلا لحكمة.

❊❊❊

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن من ظن أن الله يظهر الباطل علىٰ الحق ظهورًا مستمرًّا؛ فقد ظن بالله غير الحق ظن الجاهلية.

٢- إثبات الحكمة فيما يجريه الله من ظهور الباطل أحيانًا.

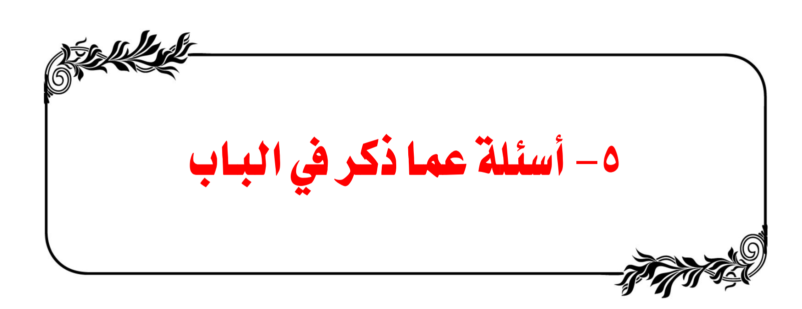
٣- بيان خبث المنافقين وأنهم عند الشدائد يظهر ما عندهم من النفاق.

٤- وجوب حسن الظن بالله تعالىٰ بأن يرجو منه النصر والرزق، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

٥- وصف الله بأنه يغضب علىٰ أعدائه الذي يظنون به ظن السوء ويلعنهم.

٦- أن سوء الظن بالله من أعظم الكبائر.

❀❀❀



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف؟

س٢- بيِّن معاني الكلمات: (ما لا يبدون لك- يُديل الباطل- إخالك).

س٣- في قول ابن القيم بيان أنهم وقعوا في ظن السوء من جهتين؛ فما هما؟

س٤- مَن الذين يظنون بالله الظن السيئ؟

س٥- ما هو الطريق إلىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ؟

س٦- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٦٠- باب ما جاء في منكري القدر

١- وقال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتىٰ يؤمن بالقدر»، ثم استدل بقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)]. رواه مسلم.

٢- وعن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال لابنه: «يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتىٰ تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة**، يا بني سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **من مات علىٰ غير هذا فليس مني**»[(٢)].

٣- وفي رواية لأحمد: «**إن أول ما خلق الله تعالىٰ القلم، فقال له: اكتب، فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان (١/ ٣٦-٣٨)، حديث رقم (٨).

(٢) رواه باللفظ المذكور أبو داود في «السنن» (٥/ ٧٦)، حديث رقم (٤٧٠٠).

(٣) «المسند» (٥/ ٣١٧)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وابن أبي عاصم في «السنة» (ح١٠٧)، وحسنه الألباني كما في «ظلال الجنة» (١/ ٥٢).

٤- وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**»(١).

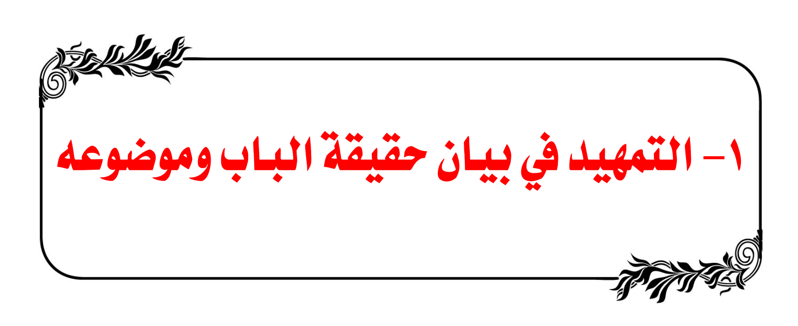
٥- وفي «المسند»، و«السنن»(٢)، عن ابن الديلمي قال: «أتيت أُبيَّ بن كعب، فقلت له: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: **لو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت علىٰ غيره هذا لكنت من أهل النار**. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣)، حديث صحيح، رواه الحاكم في «صحيحه».

❀❀❀

(١) «القدر» لابن وهب (ص١٢١)، حديث رقم (٢٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، رقم (٢١٦٥١)، وأبو داود في «سننه»، رقم (٤٦٩٩)، وابن ماجه في «سننه»، رقم (٧٧)، وقال الألباني: «صحيح»، كما في «سنن أبي داود»، رقم (٣٩٣٢).

(٣) ولم نجده في «المستدرك علىٰ الصحيحين»، والحديث كما نبه إليه المصنف في «المسند»، و«السنن»، انظر: الحاشية السابقة.



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو لبيان ما جاء من الوعيد الشديد والتحذير الأكيد من إنكار القدر، والتكذيب به؛ فالقدر من أصول الإيمان والتوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان الوعيد الشديد الذي جاء فيمن أنكر تقدير الله عَزَّوَجَلَّ للأشياء.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن إنكار القدر منافٍ للتوحيد، وأنه من نواقض التوحيد ونواقصه، وأن الإيمان به من تمام التوحيد وأصله.

د- مناسبة الباب:

ذكر المؤلف في الباب السابق تشكيك المنافقين في نصر الله لرسوله، وظنوا الظن السيئ في قدر الله عَزَّوَجَلَّ؟ وهذا مما يخالف تحقيق التوحيد؛ فناسب أن يذكر بعده القدر ومكانته من الإيمان، وأن الشك فيه أو إنكاره منافٍ للتوحيد أصلًا.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: فيه ذكر أركان الإيمان، ومراد المصنف أن القدر منه.

الحديث الثاني والثالث: أوردهما المصنف لما فيهما من سابق علم الله وكتابته للأشياء.

الحديث الرابع: فيه الوعيد الشديد لمن أنكر قدر الله تعالىٰ.

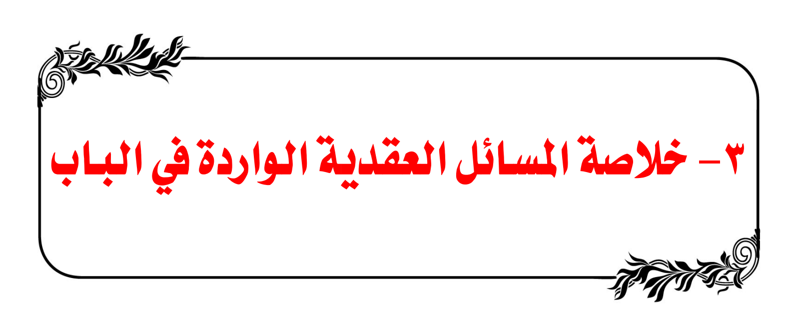
الحديث الخامس: استدل به لبيان أن الإيمان لا يصح بدون الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من الله تعالىٰ.

❊❊❊

٢- بيان معاني الكلمات

معناها	الكلمة
بفتح القاف والدال، ما يقدره الله من أفعال العباد وغيرها مما يجري في الكون.	**القدر**
بضمتين، جبل بقرب مدينة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الشمال.	**أحد**
يعني: بعد خلق العرش؛ لأن العرش هو أول المخلوقات علىٰ الصحيح من قول العلماء؛ لما ثبت في الصحيح، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه علىٰ الماء**».	**أول ما خلق الله القلم**
أي: علىٰ غير الإيمان بالقدر.	**من مات علىٰ غير هذا**
أي: فهو كافر.	**فليس مني**
أي: شك واضطراب.	**وقع في نفسي شيء من القدر**

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر واجب، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل الطويل المشهور، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

والنصوص من الصحابة -رضوان الله عليهم- متواترة في ذم منكري القدر[1].

---

(١) اعلم أخي المسلم أن المنحرفين في باب القدر فرقتان شاذتان عن عقيدة السلف أهل الحديث والسنة والتوحيد، وكلتاهما في طرفي النقيض:

الأولىٰ: القدرية، وهم المنكرون للقدر، القائلون بأن العبد هو خالق أفعاله، وأنه مطلق العنان في أفعاله بدون مشيئة الله تعالىٰ، وهؤلاء أهل التفريط في القدر.

والثانية: الجبرية، وهم الذين يزعمون أن الإنسان مجبور محض؛ كالأشجار تفيئها الرياح يمينًا وشمالًا بلا اختيار، وهؤلاء هم أهل الإفراط في هذا الباب، والأشعرية من الجبرية أيضًا؛ لأنهم يثبتون كسبًا لا حقيقة له في الواقع؛ فقولهم يئول إلىٰ قول الجبرية.

وأما أهل السنة والجماعة: فيعتقدون أن الله تعالىٰ قدَّر للإنسان، ولكن أعطاه اختيارًا للخير والشر، وأن كل شيء هو بقدر الله ومشيئته، وأن الله تعالىٰ خالق للعبد وأفعاله؛ فالعبد فاعل لفعله، والله خالق للعبد ولفعله. راجع كلام شيخ الإسلام في «الواسطية»، وكلام الدكتور الشيخ محمد خليل هراس في «شرحها» (ص٢٢٧-٢٣٠).

ب- كيفية الإيمان بالقدر وبيان مراتبه:

هي أن تعتقد أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الخير والشر كائن بإرادة الله تعالىٰ، وأنه مخلوق لله.

وحتىٰ يكون إيمان العبد بالقدر تامًّا؛ فإنه لابد له من أن يؤمن بمراتب القدر الأربع، وهي:

١- **العلم**: ومعناه أن الله تعالىٰ علم بالأشياء قبل كونها.

٢- **الكتابة**: ومعناه أن الله كتب كل شيء قبل خلق السموات والأرض.

٣- **المشيئة**: ومعناه أن الله تعالىٰ شاء ما علمه وكتبه؛ فيوجد ما علمه وكتبه كما شاءه.

٤- **الخلق والإيجاد**: ومعناه أن الله تعالىٰ أوجد المخلوق عندما شاءه، علىٰ وفق ما علمه وكتبه.

ج- الآثار الحسنة المترتبة علىٰ الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر سر الحياة، ونظام التوحيد، وإن الإيمان بالقدر له آثار حسنة كثيرة، ومنها:

١- أنه ينتظم توحيده، ويسلم إيمانه.

٢- أنه يكون مرتاحًا في الحياة؛ لعلمه بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٣- أنه يكون شجاعًا؛ فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٤- أنه يستسلم في المصائب، ويصبر علىٰ المعاطب.

٥- أنه يتوب إذا أصاب ذنبًا، ويعلم أن ربه غفور كريم، يقبل التوبة من عباده، وأن ذلك مكتوب عليه؛ فلا ييأس من التوبة، والندم، والاستغفار.

د- الآثار المترتبة علىٰ عدم الإيمان بالقدر:

إن عدم الإيمان بالقدر له مضار جسيمة، وآثار سيئة كثيرة، منها:

١- العيش الضنك، والحياة الصعبة؛ لأنه يقول: لو فعلت كذا لكان كذا وكذا.

٢- براءة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لم يؤمن بالقدر.

٣- عدم وجود طعم الإيمان في قلبه.

٤- حبوط جميع أعماله الصالحة.

٥- استحقاق منكر القدر لإطلاق اسم الكفر عليه.



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- أن إنكار القدر كفر يوجب بطلان الأعمال.

٢- أن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا من المؤمن بالقدر.

٣- الوعيد الشديد المترتب علىٰ إنكار القدر.

٤- إثبات القلم وكتابة المقادير الماضية والمستقبلة إلىٰ يوم القيامة.

٥- أنه يشترط لقبول الأعمال سلامة العقيدة.

❀❀❀



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما مناسبة الباب لما قبله؟

س٢- بيِّن معاني الكلمات: (القدر- وقع في نفسي شيء من القدر).

س٣- ما حكم الإيمان بالقدر؟

س٤- ما هي مراتب الإيمان الأربعة بالقدر؟

س٥- اذكر بعض الآثار الحسنة للإيمان بالقدر.

س٦- وضِّح بعض الآثار المترتبة علىٰ عدم الإيمان بالقدر.

س٧- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❊❊❊

٦١- باب ما جاء في المصورين

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالىٰ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»(١). أخرجاه.

٢- ولهما عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**»(٢).

٣- ولهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم**»(٣).

٤- ولهما عنه مرفوعًا: «**من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٧١٢٠)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (٢١١١).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٥٦١٠)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (٢١٠٦).

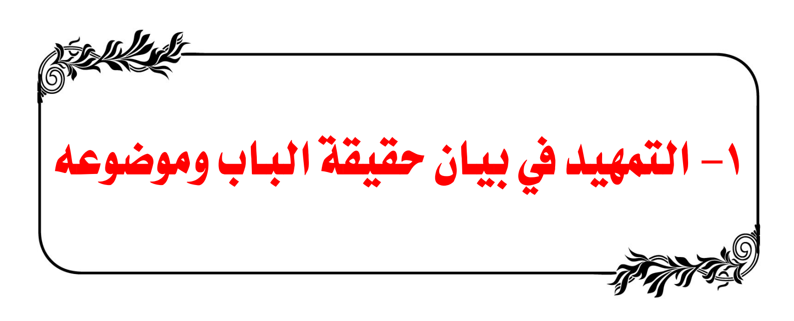
(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٢١٢)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (٢١١٠)، واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٥٦١٨)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (٢١١٠).

٥- ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألَّا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»(١).

❀❀❀

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٦٦)، حديث رقم (٩٦٩).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن التصوير من جملة الكبائر التي تقدح في التوحيد، وتعرض فاعله لغضب الله والنار، وتنقص إيمانه وتضعفه.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم الذين يصورون، وبيان ما جاء في فعلهم من الوعيد.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

نهىٰ النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يُجعَل لله نِدٌّ في النيات والأقوال والأفعال، والند هو المشابه؛ فاتخاذ صور ذوات الأرواح تشبيه بخلق الله، وتشبيه لفعل المصور بفعل الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الصور ذرائع موصلة للشرك، فهو منافٍ لكمال التوحيد؛ لأن فيه مشابهة لخلق الله تعالىٰ.

د- مناسبة الباب:

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد لأجل أن التصوير من أعظم الأسباب الموصلة إلىٰ الشرك؛ كما هو مشاهد محسوس ومرئي ملموس، وتاريخ الشرك

والوثنية شاهد عدل عليه[١].

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: استدل به المصنف لما فيه من إنكار الله تعالىٰ علىٰ مَن صوَّر.

الحديث الثاني والثالث والرابع: أوردها المصنف لما فيها من التهديد الشديد للمصورين.

الحديث الخامس: استدل به المصنف علىٰ وجوب طمس الصور.

❁❁❁

(١) قد تهاون كثير من الناس في التصوير الفوتوغرافي، وزعموا أنه ليس من التصوير المحرم، ولكن هذا الزعم باطل؛ لأن التصوير الفوتوغرافي تصوير لغة وعرفًا وشرعًا واصطلاحًا، بل هذا النوع من الصورة أولىٰ بالتحريم؛ لأنها أظهر وأبين وأشد افتتانًا من الصورة التي رسمت باليد؛ كما ترىٰ حتىٰ الشعرة تكون بادئة بائنة، سبحان قاسم العقول، وقد وقع في نفوس كثير من الناس تعظيم أصحاب هذه الصور، فكم من رجل يعظم صورة ستالين، أو لينين، أو غيرهم من الطواغيت.



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
فليخلقوا	أمر تعجيز وتحدٍّ وتهديد.
ذرة	هي النملة الصغيرة.
حبة	أي: حبة حنطة، فيها طعم وصلاحية للنبات.
شعيرة	نوع آخر من الحبوب.
يضاهئون بخلق الله	معناه: يشابهون؛ أي: يحاولون إيجاد صور تشبه خلق الله.
كل مصور	أي: جميع المصورين وبأي وسيلة وبأي كيفية.
يجعل له بكل صورة نفس	الباء بمعنىٰ (في)؛ أي: يجعل له في كل صورة روح.
يعذب بها	أي: بالصورة التي جعلت فيها الروح.
أبعثك	أوجِّهك.
لا تدع	لا تترك.
إلا طمستها	أي: أزلتها ومحوتها.

مشرفًا	أي: مرتفعًا.
إلا سويته	أي: جعلته مساويًا للأرض.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- حكم التصوير بالتفصيل:

ينقسم التصوير إلىٰ عدة أقسام من حيث حكمه:

١- **جائز**: كالشجر وما لا روح فيه.

٢- **محرم بالإجماع**: كالصور المجسمة والتماثيل، سواء كانت للحيوانات، أو للناس، أو تماثيل الملوك، أو تماثيل محنطة، ونحو ذلك.

٣- **محرم عند جمهور العلماء**؛ لعموم الأدلة، وهي الصور التي لا ظل لها، وليس بجسم؛ كصور الحيوانات في الستائر، أو علىٰ الفرش، أو صور البشر تخط في الأوراق، ونحوها.

٤- **جائز ضرورة بقدر الحاجة**: يرىٰ البعض التسامح فيما عمت به البلوىٰ من إثبات الشخصيات؛ كصور حفائظ النفوس، وحفظ الأمن والحقوق، وذلك بمقدار ما يفي بالغرض للضرورة.

ب- عقوبة المصور:

في أحاديث الباب وعيد شديد للمصورين علىٰ فعلهم، وأنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة، وأن الله يخلق بكل صورة نفسًا يعذب بها المصور في جهنم،

ويكلف أن ينفخ فيها الروح ولا يستطيع أن ينفخ فيه الروح.

ج- عجز الخلقِ عن الخلقِ:

إن من خصائص الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه وحده الخالق، فهو الذي ينبت الزرع، ويخرج الحبَّ من الخبء، وينشئ من النطفة بشرًا سويًّا، وليس ذلك إلىٰ غيره.

وأما ما يدعيه بعض الأطباء، وعلماء الأحياء، من تصرفهم في إخراج بعض الحبوب، أو الجينات الوراثية؛ فإن ذلك ليس إلا تصرف وتحكم في المخلوق الحي، وليس ذلك خلقًا جديدًا؛ فهم يأتون إلىٰ الحبة الحية، ويتصرفون في بعض خصائصها ليس إلَّا.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- إثبات أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يتكلم.

٢- الدليل علىٰ أن التصوير مضاهاة لخلق الله، ومحاولة لمشاركته في الخلق.

٣- أن القدرة علىٰ الخلق من خصائص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤- أن العذاب يوم القيامة يتفاوت بحسب الجرائم.

٥- تحريم اقتناء الصور إلا ما كان منها ضروريًّا لإثبات الشخصية.

٦- تحريم التصوير بجميع أنواعه: تماثيل، أو نقوشًا، وسواء كان رسمًا باليد، أو التقاطًا بآلة التصوير الفوتوغرافية، إذا كانت الصورة من ذوات الأرواح.

٧- تحريم رفع القبور ببناء أو غيره؛ لأنه من وسائل الشرك.

٨- وجوب هدم القباب المبنية علىٰ جميع القبور؛ لأنها من أعظم وسائل الشرك.

٩- أن المشروع في القبور تسويتها بالأرض، فلا ترفع إلا قدر شبر حتىٰ لا تداس.

١٠- أن التصوير والبناء علىٰ القبور من أعظم وسائل الشرك.



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - أكمل الحديث: «**قال الله تعالىٰ: ومن أظلم ممن**».

س٢ - بيِّن غرض المصنف من عقد الباب.

س٣- وضِّح معاني الكلمات: (ذرة-يضاهئون- إلا طمستها).

س٤ - بيِّن حكم التصوير بالتفصيل.

س٥- ما هو الوعيد الشديد في حق المصورين؟

س٦- عَدِّد بعض ما يستفاد من الباب.

❀❀❀

٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف

١- وقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة:٨٩].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الحلف منفقة للسلعة، وممحقة للكسب**»(١). أخرجاه.

٣- وعن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمطٌ زان، وعائلٌ مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»(٢). رواه الطبراني بسند صحيح.

٤- وفي الصحيح، عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** -قال عمران: فلا أدري أَذَكَر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة- **ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»(٣).

٥- وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خير**

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (١٩٨١)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (١٦٠٦).

(٢) في «المعجم الكبير» (ح٦١١١)، وفي «المعجم الصغير» (٢/ ٢١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٨١): «رواه الطبراني في الثلاثة...ورجاله رجال الصحيح».

(٣) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٣٤٥٠)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (٢٥٣٥).

الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادته»[١].

٦- **وقال إبراهيم:** «كانوا يضربوننا علىٰ الشهادة والعهد ونحن صغار».

❀❀❀

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٣٥)، حديث رقم (٣٤٥١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان أن كثرة الحلف نقص في الإيمان والتوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان تحريم إكثار الحلف بالله تعالىٰ.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

أراد المؤلف بعقد هذا الباب أن يبين أن كثرة الحلف استخفاف بجانب الربوبية وعدم تعظيم كامل للرب عَزَّوَجَلَّ، فمن تمام التعظيم أن تحترم أسماء الله فلا يحلف بها لأدنىٰ حاجة، وأتفه مسألة، وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد.

د- مناسبة الباب:

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد هو أن الاستكثار من الحلف سبب لوقوع الإنسان في قلة تعظيم المحلوف به؛ فناسب أن يبين أنه من نواقص التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

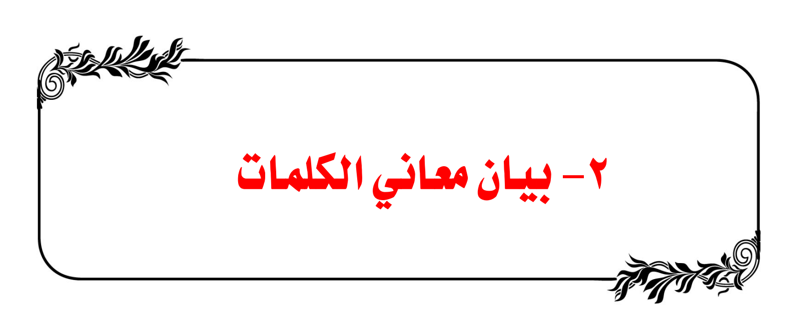
الآية: أوردها المصنف لما فيها من الأمر بحفظ الأيمان.

الحديث الثاني: ذكر المصنف الحديث مستشهدًا به علىٰ عدم بركة الحلف.

الحديث الثالث: أورده لما فيه من الوعيد الشديد لمن يبيع ويشتري بيمينه.

الحديث الرابع: أراد به الاستدلال علىٰ ما في الأزمان المتأخرة من الشرور.

❁❁❁



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الحَلِف	بفتح الحاء وكسر اللام، هو اليمين والقسم.
احفظوا أيمانكم	أي: لا تحلفوا إلا بقدر الحاجة ولا تكثروا الأيمان.
منفقة	سبب لرواجها ولرغبة الزبائن فيها.
ممحقة للكسب	سبب لنقصه وزوال البركة منه.
لا يكلمهم الله	حين يكلم المؤمنين تكريمًا لهم يوم القيامة.
ولا يزكيهم	أي: لا يثني عليهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب.
أشيمط زان	تصغير (أشمط)، وهو الذي في شعره شيب، وصُغِّر تحقيرًا له.
وعائل مستكبر	الذي يعيل أسرة وهو فقير يتصف بالكِبْر، والكبر عدم قبول الحق واحتقار الناس.
جعل الله بضاعته	أي: يستعمل الحلف بالله في ترويج سلعته.
قرني	القرن: هو الجيل من الناس، والمراد هنا صحابة رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم جميعًا-، والقرن في الحساب مائة سنة.

ثم الذين يلونهم	وهم التابعون.
ثم الذين يلونهم	وهم تابعو التابعين.
يَشهدون ولا يُستشهدون	يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم لاستخفافهم بها.
ولا يؤتمنون	أي: لا يثق بهم الناس لعدم حفظهم للأمانات.
وينذرون	النذر: التزام طاعة ليست واجبة عليه بالشرع.
ويظهر فيهم السمن	لتنعمهم وغفلتهم عن الآخرة.
كانوا	أي: التابعون.
علىٰ الشهادة	أي: لأجل المنع من الشهادة.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- كيف يحفظ المسلم أَيْمانه؟

حفظ اليمين بعدم ابتذالها بكثرة الحلف والمسارعة إليها، وليتذكر المسلم أن الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من أن يُحلَف به في كل حقير.

وليتذكر أن كثرة الحلف يفضي إلىٰ:

١- التساهل في الأيمان، وعدم المبالاة بها.

٢- الكذب.

٣- الظن السيئ.

ومن حفظ اليمين أنه إذا حدث ووقعت فلا يجوز أن تترك بدون تكفير، والكفارة في ذلك: إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين مُدُّ بُرٍّ، أو نصف صاع من غيره، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة مؤمنة من الرق، وإن لم يجد واحدًا من هذه الثلاثة فإن عليه أن يصوم ثلاثة أيام متتابعات.

ب- الأيمان الكاذبة وأثرها:

إن الأيمان الكاذبة وبال علىٰ صاحبها في الدنيا والآخرة، وأما الإكثار منها كحلف البائع علىٰ السلعة لترويجها فإنه يؤدي إلىٰ بيعها والربح فيها، لكنه

سبب لزوال كسبها وطيبها، وعدم نمائه؛ فيأتيه النقص من أبواب أخرىٰ، وربما ذهب رأس المال والربح معًا، فالمال الذي يكون بالأيمان لا بركة فيه؛ فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته، والدنيا وإن تزخرفت للعاصي مؤقتًا، فإن نهايتها إلىٰ الزوال والعقاب في الآخرة.

ج- الخصال السيئة في حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ثلاثة أصناف من الناس لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يطهرهم من دنس الذنوب بالمغفرة؛ وذلك لارتكابهم المعاصي مع عدم الدافع إليها، مما يدل علىٰ أن المعصية خُلُق لهم، وطبع، وجُبِلُوا عليه.

وأول هؤلاء الثلاثة: الذي زنىٰ، وقد كبر في السن، وضعفت شهوته.

وثانيهم: الذي تكبَّر علىٰ الناس، وقد فُقدت لديه أسباب الكبر من المال والجاه.

وثالثهم: الذي استخف بالله عَزَّ وَجَلَّ فأكثر الحلف به لغير سبب قوي.

د- خير القرون قرن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

القرن: أهل جيل واحد، متقاربة أعمارهم، والمراد بقرن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي عاش فيه هو وأصحابه.

وإنما خص قرن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ من بعدهم في الفضل؛ لأنهم سبقوا إلىٰ الإيمان، والهجرة، والجهاد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفاقوا في العلم والإيمان والعمل الصالح جميع القرون.

فخبر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في هذا الحديث دليل علىٰ أن خير هذه الأمة قرنه، والقرون الثلاثة التي بعده، وذلك لطراوة الإسلام ونضارته، وسلامته من دَسِّ الملحدين والزنادقة، ثم يقل الخير في هذه الأمة، وينتشر الشر قرنًا بعد قرن؛ فيظهر أُناس يبتدرون الشهادة قبل أن تُطلب منهم، ويخونون من استأمنهم، ولا يوفون إذا نذروا، ويقبلون علىٰ الدنيا وزخرفها وشهواتها حتىٰ يظهر فيهم السمن.

❁❁❁

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب حفظ الأيمان.

٢- النهي عن التساهل في اليمين.

٣- التحذير من استعمال اليمين من غير حاجة.

٤- تحريم التغرير بالناس وخديعتهم بالتظاهر بالصدق.

٥- أن الكسب الحرام وإن كثرت كميته فإنه منزوع البركة لا خير فيه.

٦- بيان ما يترتب علىٰ الأيمان الكاذبة من أضرار.

٧- التحذير من كثرة استعمال الحلف في البيع والشراء، والحث علىٰ توقير اليمين واحترام أسماء الله سبحانه.

٨- فضل القرون الثلاثة الأولىٰ علىٰ غيرها.

٩- ذم التسرع في الشهادة إلىٰ أن تُطلب منه، إلا إذا كان المشهود له لا يدري أن هذا الشخص عنده له شهادة، ويخشىٰ أن يضيع حقه؛ فإن الشاهد يتقدم إليه ويقول له: عندي لك شهادة، وعليه يحمل حديث زيد بن خالد الجهني: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ثم ألا أخبركم بخير الشهداء: الذي يأتي**

بشهادته قبل أن يسألها»[١].

١٠- ذم التهاون بالنذور والحث علىٰ الوفاء بها.

١١- ذم الخيانة في الأمانة والحث علىٰ أدائها.

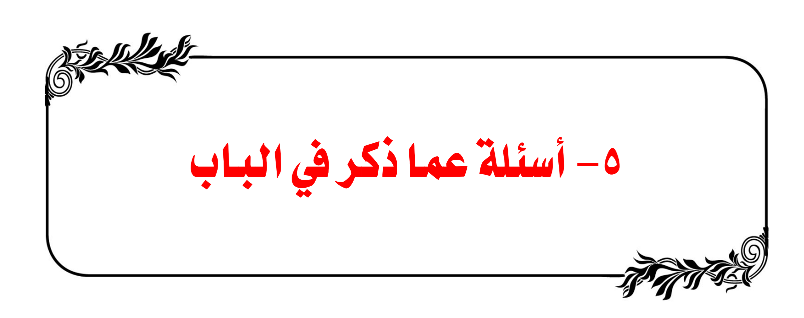
١٢- ذم التنعم والرغبة في الدنيا والإعراض عن الآخرة.

١٣- في الحديث دليل علىٰ نبوته ﷺ حيث أخبر بالشيء قبل وقوعه فوقع كما أخبر به.

❊❊❊

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، رقم (١٧١٩).



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ – اشرح ترجمة الباب.

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (ممحقة- أشيمط زان- عائل مستكبر).

س٣- كيف يحفظ المسلم أيمانه؟

س٤ – عَدِّد بعض الخصال الواردة في حديث سلمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟

س٥- ما هي القرون الفاضلة؟

س٦- عَدِّد المستفاد من هذا الباب.

٦٣- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

١- وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

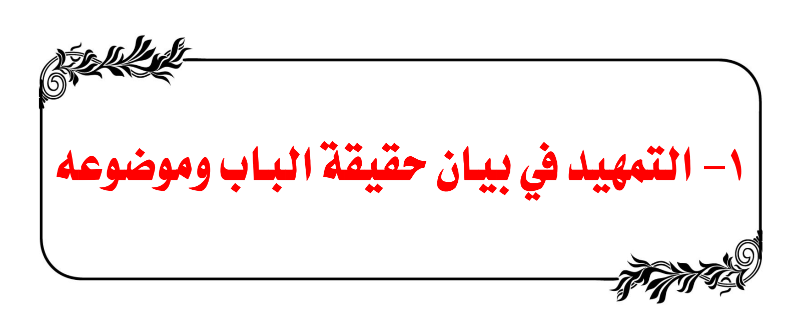
٢- عن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمَّر أميرًا علىٰ جيش أو سرية أوصاه بتقوىٰ الله ومن معه من المسلمين خيرًا، فقال: **اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين؛ فادعهم إلىٰ ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام؛ فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله تعالىٰ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله، وقاتلهم.**

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم إن تُخفِروا ذممكم وذمَّة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزلهم علىٰ حكم الله، فلا تنزلهم علىٰ حكم الله، ولكن أنزلهم علىٰ حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا؟»[1]. رواه مسلم.

۞۞۞

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٥٦-١٣٥٨)، حديث رقم (١٧٣١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو ما جاء في تعظيم ذمة الله وذمة نبيه، والتحذير من إخفارها، والتعرض للأحوال التي يخشىٰ منها نقض العهود، والإخلال بها، وتعظيم ذمة الله تعالىٰ، وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان أهمية احترام ذمة الله، وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الاستهانة بها أمر عظيم.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان وجوب احترام ذمة الله وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الاختفار في ذمة الله وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر عظيم مخالف لكمال التوحيد.

د- مناسبة الباب:

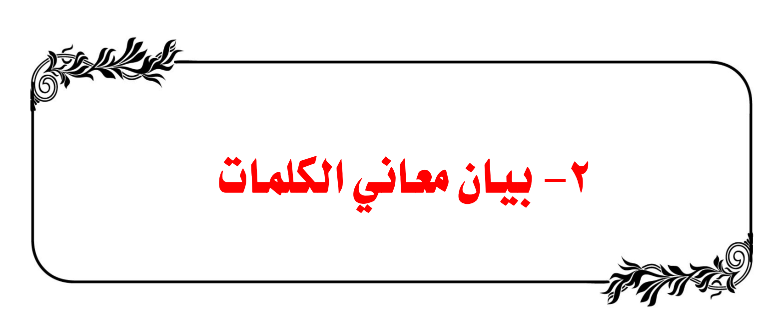
لما كان إخفار ذمة الله وذمة نبيه فيه عدم التأدب مع جانب الربوبية، وعدم التعظيم لله فيكون فاعل ذلك لم يكمل توحيده لذلك ناسب أن يذكره المصنف في كتاب التوحيد.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

الآية فيها: الاستدلال علىٰ المحافظة علىٰ العهود، ومن ذلك عهد الله وعهد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحديث: أورده المصنف لبيان عظم ذنب من أخفر الله في ذمته، أو أخفر ذمة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



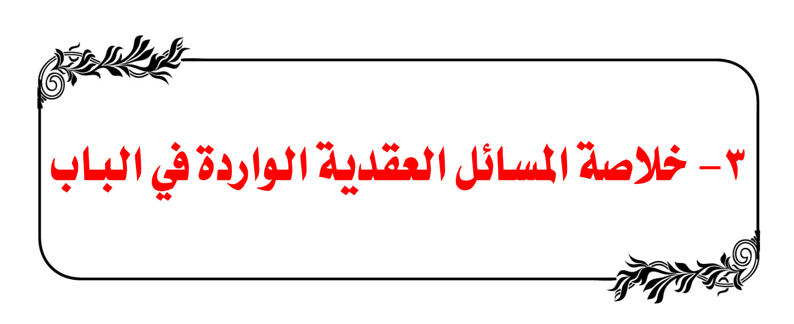


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ذمة الله	عهد الله تعالىٰ.
أوفوا	أدوا ما التزمتم به.
بعهد الله	من البيعة والأيمان وغيرها مما هو دليل علىٰ العهد.
بعد توكيدها	أي: بعد توثيقها بذكر الله تعالىٰ.
وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا	شاهدًا بتلك البيعة.
أو سرية	هي القطعة من الجيش.
في سبيل الله	أي: في طاعته ومن أجله.
ولا تغلوا	الغلول: الأخذ من الغنيمة قبل قَسْمِها.
ولا تمثلوا	التمثيل: تشويه القتيل بقطع أعضائه.
وليدًا	المولود الحديث، والمراد به مطلق الصغير.
دار المهاجرين	يعني: المدينة إذ ذاك.

فلهم ما للمهاجرين	أي: في استحقاق الفيء والغنيمة.
ما علىٰ المهاجرين	من الجهاد وغيره.
كأعراب المسلمين	الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو.
فاسألهم	أي: اطلب منهم.
الجزية	المال الذي يؤخذ من أهل الذمة.
فإن أبوا	أي: امتنعوا عن الدخول في الإسلام ودفع الجزية.
حاصرت	ضيقت عليهم وأحطت بهم.
الحصن	كل مكان محمي محرز، وهي القلاع الكبيرة، ونحوها.
ذمة الله وذمة نبيه	الذمة هنا: العهد؛ أي قلت: لكم عهد الله، وعهد رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
إن تخفروا ذممكم	أي: إن تنقضوا عهودكم.

❊❊❊



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- وجوب حفظ ذمة الله وذمة نبيه:

من عاهد بذمة الله تعالىٰ وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعليه أن يوفي بذلك، ويحذر من التعرض للأحوال التي يخشىٰ منها نقض العهود، والإخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه متىٰ وقع النقض في هذه الحالة كان احتقارًا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركًا لتعظيم الله.

ولهذا لو أنهم أخفروا في ذممهم -مع حرمتها- فهو أهون؛ ولهذا فالواجب علىٰ المسلمين وولاة أمرهم ألا يجعلوا للناس ذمة الله وذمة نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يجعلون لهم ذمة الرئيس مثلًا، أو الملك، أو الوزير، أو أحد أصحابه، وهذا من باب تعظيم ذمة الله وذمة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من باب إكمال التوحيد، واحتقارهما نقض للتوحيد، ووسيلة إلىٰ التلاعب.

ب- حكم الوفاء بالعهود والمواثيق:

يجب علىٰ المسلمين الوفاء بالعهد إذا هم أعطوا أحدًا عهدهم؛ لأن نقض العهد خسة وانحدار لا يتفق مع ما أمر به الإسلام من الوفاء بالعهد، ثم في ذلك

أيضًا تهوين للدين والإسلام، وتزهيد للكفار فيه؛ فإن الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام.

وهذا العهد يجب الوفاء به، ولو كان العهد لكافر مشرك؛ فأما إن كان العهد لمسلم فهو آكد وآكد.



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، ومنها ما يجري بين الناس من إعطاء الذمة.

٢- إثبات العلم لله سبحانه، وأنه لا يخفىٰ عليه شيء.

٣- الوعيد الشديد لمن نقض العهود والمواثيق.

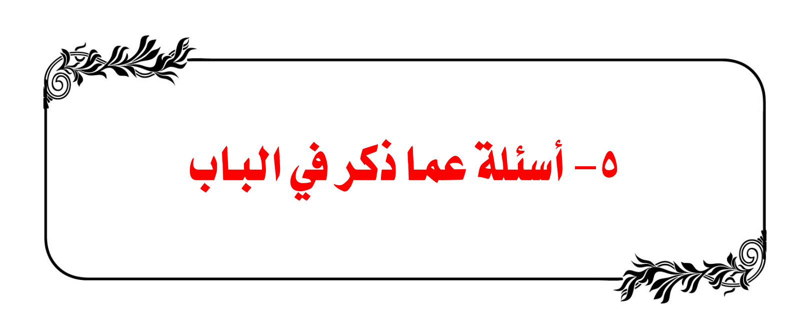
٤- أنه يجب أن يكون القتال لإعلاء كلمة الله ومحو آثار الكفر من الأرض، لا لنيل الملك وطلب الدنيا؛ فإنه لا يكون جهادًا في سبيل الله.

٥- مشروعية الدعوة إلىٰ الإسلام قبل القتال.

٦- النهي عن الغلول والخيانة في العهود.

٧- وجوب احترام ذمة الله وذمة نبيه، والفرق بينهما وبين ذمة المسلمين.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- بيِّن غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (ذمة الله- وليدًا- الجزية).

س٣- ما حكم الوفاء بالعهود والمواثيق؟

س٤- لماذا أمرنا بأن نعطي ذممنا دون ذمة الله ورسوله؟

س٥- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.



٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله

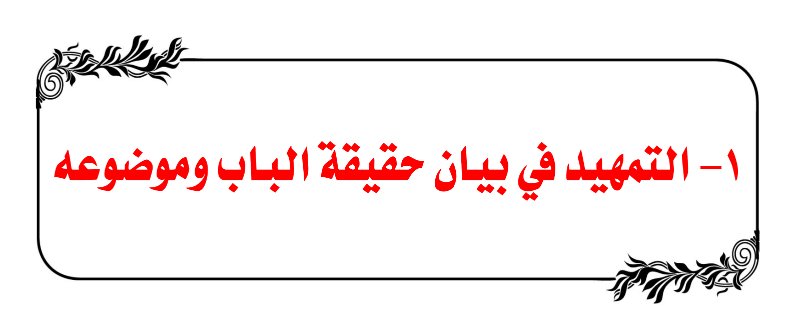
١- عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله فلان؛ فقال الله** عَزَّ وَجَلَّ: **مَن ذا الذي يتألَّىٰ عليَّ ألَّا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له، وأحبطت عملك**»[1]. رواه مسلم.

٢- وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن القائل رجل عابد، قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»[2].

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٣)، حديث رقم (٢٦٢١).

(٢) رواه أبو داود في «السنن» (٥/ ٢٠٧)، حديث رقم (٤٩٠١).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

ما جاء في الوعيد علىٰ الإقسام علىٰ الله تعالىٰ.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حكم الإقسام علىٰ الله تعالىٰ، وهو التألِّي عليه.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

عقد المؤلف هذا الباب لبيان ما جاء في الإقسام علىٰ الله من الوعيد؛ فإن التألِّي علىٰ الله، والحلف بأنه لا يغفر لفلان، فيه عدم التأدب، بل فيه التعدي عليه تعالىٰ وعلىٰ سعة رحمته؛ فكان منافيًا للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما بين في الباب السابق أنه لا ينبغي أن يعطي ذمة الله وذمة رسوله للمحاربين خشية الوقوع في نقضه؛ ناسب أن يذكر أنه لا يجوز التألِّي عليه؛ لأنه أمر مستقبل لا يعلم الإنسان وقوعه حقيقة.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: فيه التصريح بعظيم جرم من تألىٰ علىٰ الله تعالىٰ.

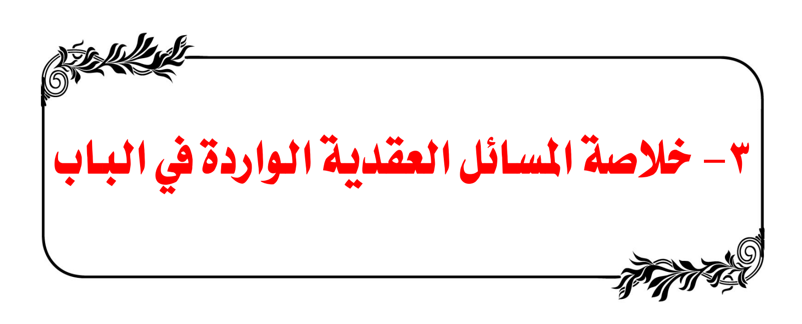
الحديث الثاني: أن التألِّي علىٰ الله سبب للخسارة في الدنيا والآخرة.

❀❀❀



٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
من ذا الذي	استفهام إنكاري؛ أي: ينكر علىٰ من حجر رحمته الواسعة.
يتألىٰ علي	أي: يحلف ويخبر بما لا علم له به.
غفرت له	تجاوزت عنه.
أحبطت	أبطلت.
أوبقت	أهلكت.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- معنىٰ الإقسام علىٰ الله:

الإقسام علىٰ الله هو الحلف أن يفعل الرب عَزَّوَجَلَّ كذا، أو لا يفعل كذا، وحكمه التحريم إذا كان علىٰ جهة الحجر علىٰ الله، والقطع بحصول المقسم علىٰ حصوله، وهذا النوع منافٍ للتوحيد؛ لأنه سوء أدب مع الله.

وأما إذا كان علىٰ جهة حسن الظن بالله؛ فهو جائز لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من عباد الله من لو أقسم علىٰ الله لأبره**»[(١)]. رواه البخاري ومسلم وغيرهما؛ فهذا محمول علىٰ أنه يقسم علىٰ الله مع إظهاره الذلة والعبودية والحاجة، بخلاف المتألِّي فإنه يُظهر القسم مع التعالي، والتعاظم، والاغترار بحاله.

ب- الآثار المترتبة علىٰ الإقسام علىٰ الله مع التألي:

١- حبوط العمل الصالح للمتألي علىٰ الله.

٢- بطلان وخسارة المتألي علىٰ الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، رقم (٤٦٣٤، ٥٧٢٣)، و«صحيح مسلم»، رقم (٢٦٢٢، ٢٨٥٣).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم الإقسام علىٰ الله إلا إذا كان علىٰ وجه حسن الظن به، وتأميل الخير منه؛ فإنه يجوز بدليل حديث: «**رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبره**»[(١)].

٢- وجوب حسن الأدب مع الله.

٣- شدة خطر اللسان ووجوب حفظه.

❀❀❀

(١) انظر: المصادر السابقة.

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - بيِّن مناسبة الباب لما قبله.

س٢- وضِّح معاني الكلمات: (يتألىٰ عليَّ- أحبطت- أوبقت).

س٣- متىٰ يجوز الإقسام علىٰ الله؟

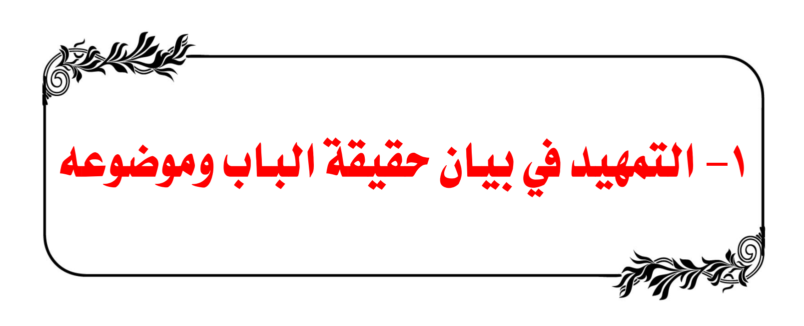
❀❀❀

٦٥- باب لا يُستشفعُ بالله على خلقه

١- عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء أعرابي إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، نَهَكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك؛ فإنا نستشفع بالله عليك، وبك علىٰ الله؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **سبحان الله، سبحان الله**، فما زال يسبح حتىٰ عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله علىٰ أحد من خلقه**»[1]، وذكر الحديث، رواه أبو داود.

---

(١) «السنن» (٥/ ٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٢٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (ح٥٧٥).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

الاستشفاع بالله علىٰ خلقه من وسائل الشرك؛ فشأن الله أعظم من أن يستشفع عليه بمخلوق.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه لا يستشفع به عند أحد من الخلق.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان عظمة الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأنه فوق كل عظيم، ويطلب منه، ولا يطلب منه أن يشفع عند أحد فهو الفعال لما يريد، والاستشفاع به علىٰ المخلوقين فيه عدم الإجلال والتعظيم، وعدم تعظيمه وإجلاله منافٍ للتوحيد.

د- مناسبة الباب:

لما بيَّن المصنف أنه لا يقسم علىٰ الله لما فيه من تألٍّ؛ وذلك لأن الله تعالىٰ أعظم من أن يقسم به علىٰ وجه التألي؛ ناسب أن يذكر أنه لا ينبغي أن يستشفع به عند أحد من خلقه.

هـ- وجه استشهاد المصنف بحديث الباب:

في الحديث التصريح عن غضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقول ذلك الأعرابي، ثم إنكاره عليه، ثم بيانه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظمة الله.

❀❀❀

٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
نهكت	أي: جهدت وضعفت.
فاستسق لنا ربك	أي: اسأله أن يسقينا بإنزال المطر.
نستشفع بالله	نجعله واسطة عندك.
سبحان الله	أي: تنزيهًا لله عما لا يليق به.
عرف ذلك في وجوه أصحابه	أي: عرف الغضب فيها لما رأوا تغير وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
ويحك	كلمة تقال للزجر.
أتدري ما الله؟	إشارة إلىٰ قلة علمه بعظمة الله وجلاله.



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الاستشفاع بالله علىٰ خلقه معناه وحكمه:

الاستشفاع هو طلب الشفاعة عند الغير، والاستشفاع بالله علىٰ خلقه حرام؛ لأنه تعالىٰ أعظم شأنًا من أن يتوسل به إلىٰ خلقه؛ لأن رتبة المتوسَّل به غالبًا دون رتبة المتوسَّل إليه، وذلك سوء أدب مع الله؛ فيتعين تركه، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب وذلَّت له الكائنات جميعها؟!

ب- الاستشفاع بالخلق علىٰ الله:

إذا كان الاستشفاع هو طلب الشفاعة من أحد عند الغير؛ فإن طلب الشفاعة من الحي القادر جائز، كطلب الشفاعة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت حياته، كما في هذا الحديث، ولم ينكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث السابق، وقد ثبت طلب الصحابة الشفاعةَ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلب نزول المطر من الله تعالىٰ، وفي طلب الصحبة في الجنة، وغير ذلك؛ فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه؛ فيستجاب له، وكذلك طلب الشفاعة من الصالحين في أن يدعوا الله تعالىٰ في كشف الكرب، وإجابة الدعوات، ونحو ذلك هو من سنن المسلمين؛ فإن الدعاء وسيلة عظيمة من وسائل نفع العباد، والصالح

يرجىٰ له القَبول، وهو قادر علىٰ الدعاء والطلب.

وأما طلب الشفاعة من الأموات، الذين أفضوا إلىٰ ما قدموا، وصاروا إلىٰ ما عملوا؛ فهو أمر محرم، بل طلب الدعاء من الأموات من البدع التي لم تثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا من الصحابة؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعُ بأبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو غيره، ولا الصحابة دعوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته، بل ثبت في الصحيح: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طلب من العباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو حتىٰ يغاثوا، ولم يطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قد مات -عليه الصلاة والسلام-، وحياتهم في قبورهم حياة خاصة لا تقاس بأمور الدنيا.

وثبت طلب الشفاعة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصات القيامة، وثبتت الشفاعة للشهداء والصالحين، وذلك وقت مقدرة كل منهم علىٰ الطلب والقيام بذلك.

والمسلم يطلب من الله تعالىٰ أن يجعل محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفيعًا له؛ فالله تعالىٰ قادر علىٰ ذلك، ولا يطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة الآن، ولكنه إذا أراد أن ينال الشفاعة فليسلك المسالك الشرعية التي أخبر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ينال شفاعته يوم القيامة؛ فإن الشفاعة لا تنال بالهوىٰ، والطلب المجرد، بل لابد من عمل وسبب.

ومن أعظم الأسباب التي ينال بها العبد الشفاعة:

١- الإخلاص في التوحيد.

٢- اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- استجابة المؤذن وطلب الوسيلة بعد الأذان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحو ذلك.

❀❀❀

٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- تحريم الاستشفاع بالله علىٰ أحد من خلقه.

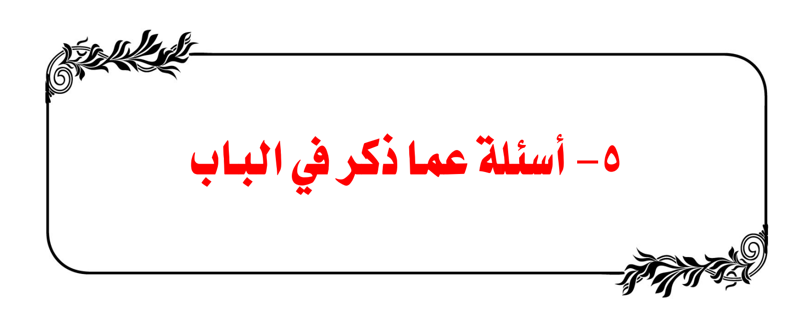
٢- تنزيه الله عما لا يليق به بالتسبيح.

٣- جواز الاستشفاع بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، بأن يطلب منه أن يدعو الله؛ لأنه مستجاب الدعوة، أما بعد موته فلا يجوز؛ ذلك لأنه وسيلة إلىٰ الشرك.

٤- مشروعية طلب السقيا من الله تعالىٰ عند تأخر المطر.

٥- التوسل بدعاء الصالحين الأحياء.

❊❊❊



٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما عنوان هذا الباب؟

س٢- وضِّح غرض المصنف من عقد هذا الباب.

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (نَهَكَت-ويحك- فاستسق لنا ربك).

س٤- ما حكم الاستشفاع بالله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلقه؟

س٥- متىٰ يجوز أن يستشفع بالخلق علىٰ الله؟

س٦- اذكر بعض الأسباب التي تنال بها الشفاعة.

س٧- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب.

❁❁❁

٦٦- باب ما جاء في حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

١- عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: **السيد الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا؛ فقال: **قولوا بقولكم، أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**»(١). رواه أبو داود بسند جيد.

٢- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: **يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله** عَزَّ وَجَلَّ»(٢). رواه النسائي بسند جيد.

❀❀❀

(١) في «سننه» (٥/ ١٥٤-١٥٥)، (ح٤٨٠٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٥).

(٢) في «سننه الكبرىٰ» (٦/ ٧٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص٢٥٠) (ح٢٤٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

هو حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد من جهة الأقوال، وقد تقدم باب فيه حمايته للتوحيد، وعنىٰ به من جهة الأقوال؛ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد من الجهتين كلتيهما.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطراف التوحيد فضلًا عن أصله، وبيان أنه أغلق كل الطرق الموصلة إلىٰ الشرك وحذَّر منها؛ فضلًا عن الشرك ذاته.

ب- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغ جانب التوحيد البلاغ المبين، الذي لم يترك معه شاردة ولا واردة إلا وبينها، فما يحفظ توحيدنا أرشدنا إليه، وما يخدش فيه حذرنا منه.

د- مناسبة الباب:

تقدم ذكر حماية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جناب التوحيد؛ وذكر المصنف أمثلة

علىٰ حماية جناب التوحيد من الأفعال والأقوال؛ فناسب أن يبين في ختام كتاب التوحيد أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمىٰ التوحيد، حتىٰ من أشياء يسيرة قد تخدش فيها؛ فليس لأحد أن يضل عنها، وقد تركنا علىٰ المحجة البيضاء؛ فأعظم شيء بعث به هو بيان التوحيد؛ فإذا ضل عنه الناس فهذا دليل إما علىٰ جهل صاحبه، أو زندقته.

وقد حذَّر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشرك، ومن وسائله الموصلة إليه، وهذا من كمال البلاغ، وتمامه، وقد كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرحم الأمة بالأمة؛ فلم يترك شيئًا يقربنا إلىٰ الله إلا بينه وأرشدنا إليه، ولا شيئًا يبعدنا عن الله تعالىٰ إلا حذَّرنا منه.

هـ- وجه استشهاد المصنف بأحاديث الباب:

الحديث الأول: فيه أن الشيطان يحرص علىٰ إغواء بني آدم في الأقوال.

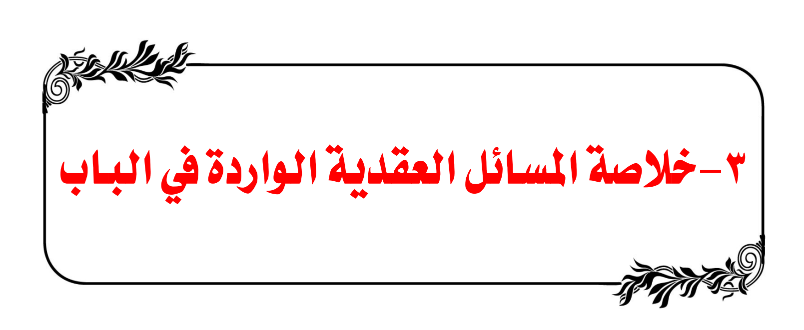
الحديث الثاني: استدل به المصنف علىٰ نهيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إطرائه.

❊❊❊




٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
حمىٰ	حِمَىٰ الشيء: حرمه وما يحيط به، كالسور للمحسوسات.
حماية حمىٰ التوحيد	صَوْنه عما يشوبه من الأعمال والأقوال التي تضاده أو تنقصه.
السيد الله	أي: السؤدد حقيقة لله عَزَّوَجَلَّ، والخلق كلهم عبيد لله، والسيد اسم من أسماء الله تعالىٰ، كما في الحديث.
وأفضلنا فضلًا	أكثرنا فضلًا.
طَولًا	الطول: الفضل والعطاء والقدرة والغنىٰ، وهو مستعمل في كل من كثر منه الخير والعطاء.
قولوا بقولكم	أي: القول المعتاد لديكم.
لا يستجرينكم الشيطان	أي: لا يتخذكم الشيطان وكيلًا ورسولًا له في الباطل؛ فيجركم بحيله إلىٰ الباطل.
يا خيرنا	أي: يا أكثرنا خيرًا.
يستهوينكم الشيطان	أي: يزين لهواكم الشيطان، ويُذهب عقولكم.



٣-خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- الحفاظ علىٰ التوحيد:

لقد جرت العادة عقلًا وشرعًا علىٰ حفظ الأمور الثمينة؛ ولما كان التوحيد غاليًا إلىٰ حدٍّ لا نهاية له، وكان الشرك أخطر ما يكون؛ أُمِرنا في الشريعة بحفظ التوحيد، وتجنب وسائل الشرك.

وسد الشرع جميع الذرائع الموصلة إلىٰ الشرك، ومنها تشييد القبور، والطواف عليها، وأكل ترابها، والصلاة إليها، وتعظيمها بما لا يجوز، والغلو في الصالحين، والتبرك بكل ما لم يرد به التبرك.

وكذلك نهينا عن الأقوال التي توهم الشرك، أو توصل إليه؛ كملك الأملاك، أو قاضي القضاة، أو ما شاء الله وشاء فلان، ولولا فلان لكان كذا وكذا، ونحو ذلك من الأقوال، كل ذلك لحماية حمىٰ التوحيد، وسد جميع ذرائع الشرك[1].

---

(١) راجع التفصيل في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٨٦-٣٤٤)، وللإمام الببرتي الحنفي اختصار لهذا المبحث من «إغاثة اللهفان»، سماه: «زيارة القبور» وهو نفيس جدًّا.

ب- النهي عن الغلو في الألفاظ:

كل قول يفضي إلىٰ الغلو الذي يخشىٰ منه الوقوع في الشرك فإنه يتعين اجتنابه؛ فالنبي سيد ولا شك، وأفضل الناس ولا شك، وإنما نهىٰ عن هذا اللفظ: «أنت سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا»، خشية أن يقعوا في الغلو والإطراء المنهيين.

وهكذا كل لفظ من الألفاظ التي يأتي بها الناس الآن من الغلو فهو محرم؛ فإنه قد يجرهم ذلك إلىٰ أن يدعوه من دون الله، ويستغيثوا به، ويزعموا أنه يعلم الغيب، ومطلع علىٰ كل شيء، ونحو ذلك من العبارات التي قد تكون شركًا لفظيًّا، أو من العبارات التي تؤدي إلىٰ ذلك.

فالواجب علىٰ المسلم أن يحفظ لسانه، وأن يقتصد في قوله، وعليه التأدب بالآداب الشرعية في أقواله وأعماله؛ حتىٰ لا يقع في الغلوِّ.

ج- حكم إطلاق السيد علىٰ الخلق:

إن إطلاق لفظ (السيد) مختلف فيه، فأجازه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»[(١)].

ومنعه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ في حديث الباب: «**السيد الله**».

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، رقم (٢٨٧٨)، ومسلم في «صحيحه»، رقم (١٧٦٨).

والصحيح أنه لا يجوز إطلاق هذا القول علىٰ الخلق بعد نهي النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان المقصود به المدح والثناء، وإنما يجوز إذا كان من باب الإخبار علىٰ أنه كبير القوم، ورئيسهم، أو كان من باب التحدث بنعمة الله تعالىٰ.

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»، فإنه إنما كان في عام الخندق، وهذا النهي إنما هو في عام الوفود، فدل علىٰ أنه متأخر، ثم يحمل علىٰ أنه من باب الإخبار المجرد؛ فهو كان رئيس قومه، وكبيرهم، والأدب يقتضي مع الله تعالىٰ أن يخاطب بأنه السيد الكامل، والرب المتصرف علىٰ الحقيقة، وأما غيره فأنىٰ له السيادة، وهو المملوك للرب عَزَّ وَجَلَّ وعبد له؟!

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»؛ فهذا خبر عما أنعم الله به عليه؛ فهو من باب التحدث بنعمة الله تعالىٰ، لا أنه ينادىٰ ويسمىٰ بذلك، كيف وقد نهىٰ عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «يريد عَلَيْهِ السَّلَامُ السؤدد حقيقة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الخلق كلهم عبيد له؛ فعلمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلىٰ الأدب في ذلك، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**قولوا بقولكم**»، يريد: قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبيًّا ورسولًا، كما سماني الله في كتابه...ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم؛ فإني لست كأحدهم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة؛ فسموني رسولًا نبيًّا»(١).

(١) انظر: «عون المعبود» (١٣/ ١١٢).

وقد اتفق العلماء علىٰ منع استعمال هذا الوصف للمنافق، لما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لا تقولوا للمنافق سيد؛ فإنه إن يكن سيدًا فقد أسخطتم ربكم** عَزَّوَجَلَّ»[1]، رواه أبو داود في «سننه»، وإسناده صحيح.

❀❀❀

(١) برقم (٤٩٧٧).



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- النهي عن الغلو في المدح وعن مواجهة الإنسان بذلك.

٢- أن السؤدد حقيقة لله سبحانه، وأنه ينبغي ترك المدح بلفظ «السيد».

٣- النهي عن التكلف في الألفاظ، وأنه ينبغي الاقتصاد في المقال.

٤- النهي عن الغلو في مدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يفعله أصحاب القصائد الشركية؛ كصاحب البُردة وغيره.

٥- النهي عن إطلاق لفظ السيد علىٰ الشخص إذا كان من باب المدح بحضرته خوفًا من الغلو والإعجاب، أما إذا لم يكن من باب المدح بحضرته، وإنما هو مجرد إخبار عن رئاسته فلا بأس.

٦- تواضع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرصه علىٰ صيانة العقيدة عما يخل بها.

٧- التحذير من كيد الشيطان، وأنه قد يأتي من طريق الزيادة علىٰ الحد المشروع، وأن الغلو في مدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهي عنه؛ لأنه من الشيطان كما في بعض قصائد المدائح النبوية من الغلو الذي وصل إلىٰ درجة الشرك.

❊❊❊

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١ - اشرح ترجمة الباب.

س٢ - بيِّن معاني الكلمات: (حمىٰ-يستهوينكم الشيطان).

س٣- كيف نحافظ علىٰ التوحيد؟

س٤ - لماذا نهينا عن الغلو في الألفاظ؟

س٥- ما هو الراجح في إطلاق لفظ «السيد» علىٰ الخلق؟

س٦- عَدِّد بعض ما يستفاد من هذا الباب.

❊❊❊

٦٧- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]

١- **عن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «جاء حبر من الأحبار إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»[(١)]. متفق عليه.

٢- **وفي رواية لمسلم:** «والجبال والشجر علىٰ إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله»[(٢)].

٣- **وفي رواية للبخاري:** «يجعل السموات علىٰ إصبع، والماء والثرىٰ

---

(١) رواه البخاري (١٨١٢/٤)، حديث رقم (٤٥٣٣)، ومسلم (٢١٤٧/٤)، حديث رقم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٧/٤)، حديث رقم (٢٧٨٦).

علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع»[١]. أخرجاه.

٤- ولمسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنىٰ، ثم يقول: أنا الملك، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون**»[٢].

٥- **وروي عن ابن عباس قال:** «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»[٣].

٦- وقال ابن جرير: حدثني يونس: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترس**»[٤].

٧- قال: وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[٥].

---

(١) رواه البخاري (١٨١٢/٤)، حديث رقم (٤٥٣٣)، ومسلم (٢١٤٧/٤)، حديث رقم (٢٧٨٦)، وغيرهما.

(٢) رواه مسلم (٢١٤٨/٤)، حديث رقم (٢٧٨٨).

(٣) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٧/٢٤).

(٤) «تفسير ابن جرير» (٣/ ٧-٨).

(٥) ذكره ابن جرير معلقًا في «التفسير» (٨/٣).

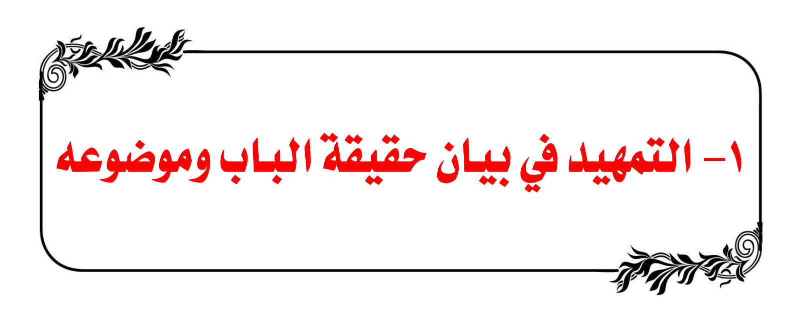
٨- **وعن ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمالكم». أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، قاله الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-، وقال: وله طرق[1].

٩- وعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **فوق ذلك، وليس يخفىٰ عليه شيء من أعمال بني آدم**»[2]. أخرجه أبو داود وغيره.

❊ ❊ ❊

(١) الحديث رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (ص١٠٥-١٠٦)، وصحح إسناده أيضًا ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٦-٢٠٧)، وأبو داود في «سننه» (ح٤٧٣٢)، والترمذي (ح٣٢١٧)، وابن ماجه (ح١٩٣).



١- التمهيد في بيان حقيقة الباب وموضوعه

أ- موضوع الباب:

بيان النصوص الدالة علىٰ عظمة الله وكبريائه، وهو يدل علىٰ جميع أنواع التوحيد.

ب- شرح ترجمة الباب:

هذا باب في بيان عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يتبين عظمة الرب تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ من تأمل في هذه النصوص التي أوردها المصنف.

ج- غرض المصنف من عقد هذا الباب:

بيان أن التوحيد مبنيٌّ علىٰ عظمة الله تعالىٰ، والبعد عن كل ما ينقص قدره عَزَّوَجَلَّ.

د- مناسبة الباب:

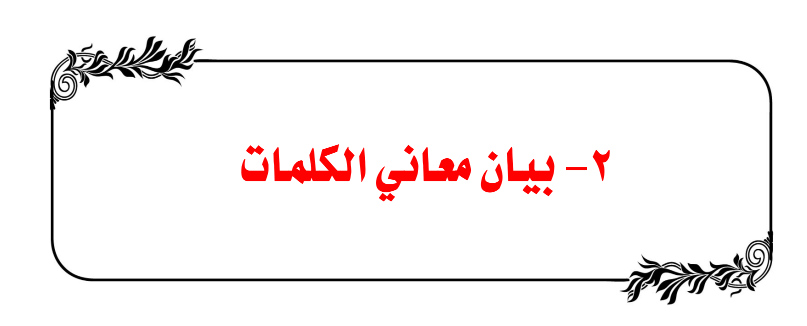
ختم المؤلف كتابه بهذا الباب، وذكر النصوص الدالة علىٰ عظمة الله وكبريائه ومجده وجلاله، وخضوع المخلوقات بأسرها لعِزِّه، وهذه النعوت العظيمة أكبر الأدلة والبراهين علىٰ أنه المعبود وحده، وأن أعظم ما يتقرب به الإنسان هو تعظيم الله تعالىٰ بتوحيده، وإذا وقع في قلب العبد عظمة الله تعالىٰ

لم ينظر إلىٰ الغير، وإنما يكون قلبه متعلقًا بالله العظيم؛ في كل ما يعنيه ويهمه، وفي كل عباداته وخطراته.

هـ- وجه استشهاد المصنف بآيات وأحاديث الباب:

كل ما ذكره المصنف من الآيات والأحاديث والآثار إنما مراده منها الاستدلال علىٰ عظيم عظمة الله تعالىٰ وجلاله، وعظيم سلطانه.

❊❊❊

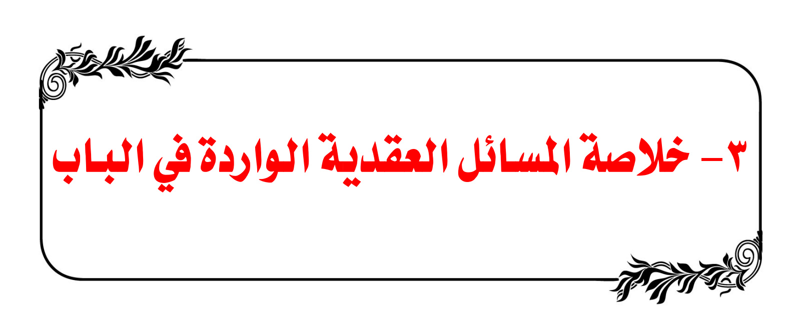


٢- بيان معاني الكلمات

الكلمة	معناها
ما قدروا الله حق قدره	أي: ما عظم المشركون الله حق تعظيمه حيث عبدوا معه غيره.
سبحانه وتعالىٰ	أي: تنزيهًا له عن الشركاء.
عما يشركون	كالأصنام، والأنداد العاجزة الحقيرة، والمخلوقات.
حبر	هو العالم من علماء اليهود، سمي حبرًا لما يبقىٰ له من أثر علومه في قلوب الناس.
الثرىٰ	التراب الندي، ولعل المراد به هنا الأرض.
نواجذه	أضراسه.
يهزهن	أي: يحركهن.
الجبارون	جمع جبار، وهو العاتي المتسلط.
كخردلة	هي أصغر أنواع الحبوب، فهي حبة صغيرة جدًّا.
تُرس	بضم التاء، القاع المستدير المتسع، والترس أيضًا صفحة فولاذ تحمل لاتقاء السيف، والمراد هنا المعنىٰ الأول.

ظهري فلاة	وسط الصحراء.
الله ورسوله أعلم	إسناد العلم إلىٰ الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إنما يكون في حياته، أما بعد وفاته فلا يقال في المسائل الدنيوية: الله ورسوله أعلم، ولكن يقال: الله أعلم.

❁❁❁



٣- خلاصة المسائل العقدية الواردة في الباب

أ- عظمة المخلوقات دليل علىٰ عظمة خالقها:

من نظر في هذه المخلوقات من نجوم وسموات وأرض، وتفكَّر فيها، دله ذلك علىٰ عظمة خالقها، وهو الله العظيم، الذي من عظمته الباهرة وقدرته القاهرة أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السموات علىٰ سعتها وعظمها مطويات بيمينه، وجميع المخلوقات خاضعة له، وهي دالة علىٰ عظمة الرب وكبريائه ومجده وجلاله؛ فهو المعبود وحده الذي يجب أن يذل له الخلق غاية الذل والتعظيم، وغاية الحب والتأله، وأنه الحق، وما سواه باطل، وأن من سوَّىٰ به غيره في الفعل، أو القول لم يعظمه حق تعظيمه، وهو رب كل شيء وخالقه.

ب- إثبات حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الحبر اليهودي الذي جاء إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «صحيح البخاري»، وغيره من دواوين الإسلام، والترجمة التي وضعها المصنف مأخوذة من كلام الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه»، فلقد بوب الإمام البخاري علىٰ هذا الحديث في «صحيحه» في عدة أبواب:

الأول: باب قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

الثاني: باب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[١].

الثالث: باب يقبض الله الأرض يوم القيامة[٢].

الرابع: باب قول الله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾[٣].

الخامس: باب قول الله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[٤].

السادس: باب قول الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[٥].

فبعد ثبوت الحديث -بما لا يدع مجالًا للشك- ينبغي للعاقل أن يفهمه علىٰ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب التفسير، سورة الزمر (٤/ ١٨١٢).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٨٩).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٦/ ٢٦٨٨).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٦/ ٢٦٩٧).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧١٢)، وفي غيره من المواضع، وقد أخرج الحديث جمهور أهل الحديث في دواوينهم، وقدح بعض الناس في هذا الحديث الصحيح الصريح المحكم، وزعموا أن ذكر الأصابع من تخليط اليهود، وهم مشبهة، وأن الضحك في الحديث من زيادة بعض الرواة! ولكن الحافظ ابن حجر وقف لهم بالمرصاد، فجعل قدحهم كأمس الدابر، ودافع عن هذا الحديث. انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٣٩٩)، وفي طبعة (١٣/ ٤١٠).
وهذا يدلك علىٰ أن أهل البدع إذا لم ترقَ لهم آية أو حديث عملوا فيها بمعول الهدم الذي سموه تأويلًا.

وجه التعظيم، وأن يثبت ما فيه من المعاني المحكمة البديعة، من مثل: عظمة الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وإثبات الأصابع لله تعالىٰ، وإثبات سكوت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضحكه علىٰ هذا القول الحق الذي أتىٰ به اليهودي، وغير ذلك.

❊❊❊



٤- خاتمة في المستفاد من الباب

١- بيان عظمة الله سبحانه وصغر المخلوقات بالنسبة إليه.

٢- أن من أشرك به سبحانه لم يقدره حق قدره.

٣- إثبات اليدين والأصابع واليمين والشمال والكف لله سبحانه علىٰ ما يليق به.

٤- تفرد الله سبحانه بالملك وزوال كل ملكية لغيره.

٥- أن الكرسي أكبر من السموات، وأن العرش أكبر من الكرسي.

٦- بيان صفة الأجرام العلوية وعظمتها واتساعها وتباعد أقطارها.

٧- إثبات علو الله علىٰ خلقه بذاته المقدسة.

٨- إثبات علم الله المحيط بكل شيء.

❀❀❀

٥- أسئلة عما ذكر في الباب

س١- ما هي الآية التي ترجم بها المصنف لهذا الباب؟

س٢- لماذا ختم المؤلف بهذا الباب؟

س٣- بيِّن معاني الكلمات: (الثرىٰ- نواجذه- كخردلة- ظهري فلاة).

س٤- عظمة المخلوقات تدل علىٰ عظمة الخالق، فبين ذلك؟

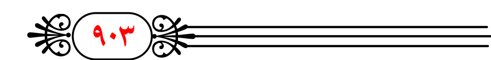
س٥- اذكر بعض ما يفهمه العاقل من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

س٦- عَدِّد بعض الفوائد من هذا الباب الخاتم.

❀❀❀

فهرس الموضوعات

القسم الثاني: شرح الكتاب



❁❁❁